

مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن المنتدى الإسلامي

من العدد

السابع والستون - الثاني والسبعون

البيان

مجلة إسلامية شهرية
جامعة
تصدر عن
المنتدى الإسلامي
(لندن)

AL BAYAN MAGAZINE
7 Bridges Place.
Parsons Green
London SW6 4HR U. K.
Tel: 071 - 731 8145
Fax: 071 - 371 5307

كلمة صغيرة

تجربة مرة طويلة ــ هي تجربة الاستبداد في عالمنا العربي منذ صرخة الكواكبي في نهايات العشرينات من هذا القرن .. إنها نتاج غابة من نباتات السوء .. المحلية منها والوافدة . هل نذكر منها «النخب المخترقة» ، وأوكار الهزيمة من الأحزاب الجاهلية أم يكفي أن نصف الأرض الخصبة الصالحة لاستنبات هذا النوع من السلوك. نعم إن الأرض التي تغذو الاستبداد وتحتضن جذوره ليست سوى الشعوب التي نخرتها الغفلة وعض عليها الجهل بأنياب حداد فلم تعد تفرق بين العدو والصديق ، ولا تملك الإرادة التي تمنحها الحركة وتجذّر فيها كره الزنازين المعتمة حيث لا رأي ولا رؤية ؛ فما تلبث أن تظلها أفرع التسلط وتضللها ويدركها ــ من بعد ــ سوط التجويع فيشغلها اللهاث وراء لقمة العيش عن كل جليل من العمل والأمل !

إن أمة كهذه لن تنهض من عثارها إلا بجهود « أولي بقية » يصابرون الجسد الذي استوطنته الأوبئة ، ويحرثون الأرض من جديد كي يضعوا بذرة الشجرة الطيبة ويرعوها مدركين أن زمن الثمر قد لاينعم به إلا أحفاد الأحفاد وبعض ذلك جهد يثقل الجبال غير أنه الإنسان الذي حمل الأمانة بعد أن عجزت عنها السماوات والأرض .. والجبال أيضاً !

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الافتتاحية

المواقـع والرجـال !

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد .

لا شك أن الممارسة الكتابية لا سيما الفكرية الدعوية منها من أشق أنواع التفكير المقروء وأصعبها وبخاصة مع الظروف التي تحيط بأمتنا الإسلامية اليوم.

إننا نجد هنامعادلة صعبة تقتضي معالجة الأخطاء على الساحة الدعوية الإسلامية وسط أجواء موبوءة تضخم من أخطاء التيار الإسلامي وتحاول محاصرته بكل الوسائل المتاحة بغض النظر عن شرعيتها وزيفها ... وهنا يجد الكاتب المفكر نفسه أمام حقل من الألغام يصعب عليه اختراقه إلا بمهارة فائقة وحسابات دقيقة ... مجلة البيان خلال أعدادها الستة والستين الماضية كانت تعيش هذه الأجواء وتتنفس في هذا المحيط وتخوض حقل الألغام هذا لتحافظ على رسالتها واستقلاليتها ومنهجها الذي اختطته لنفسها ... وفي هذه المناسبة لابد من القول إن المجلة في طريقها قد واجهت مواقف صعبة ومحطات شاقة خرجت منها في النهاية والحمد لله وقد حافظت على الأقل على استقلاليتها وطرحها الفكري الدعوي المطالب بسلوك منهج خير القرون، في وقت يصعب فيه الاحتفاظ بالاستقلالية ومواجهة تحديات الإبقاء على منهجية واضحة .

إن قطاعاً عريضاً من قراء البيان قد يرى أن الاستقلالية مرتبطة طردياً مع طرح القضايا السياسية والواقعية التي تمس هذا الطوفان المزمجر من الأحداث والنكسات التي عاشت المجلة وعاصرت الجزء الأخير منها ،وفي هذا بعض الحق لأن القضايا السياسية ومعالجتها تشكل أعراض المرض الصارخة لا سيما في هذه الحقبة الأخيرة من القرن العشرين حيث أصبحت القوة السياسية المتمثلة بالدولة القطرية تتدخل لترسم لأفرادها خطوط حياتهم التفصيلية ، ومع هذا فإن الإفراز السياسي القائم هو محصلة لشبكة معقدة من التطورات العقدية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية ...

لقد حاولت « البيان » طوال الفترة المنصرمة أن تعالج واقعنا المعاصر من خلال تسليط الأضواء على الانحرافات العقدية والفكرية والاجتماعية والسياسية والتعامل معها كوحدات الأواني المطرقة التي يتأثر بعضها ببعض سلباً وإيجاباً ... وهذا هو جانب واحد من الإشكالية وطرف مهم من المعادلة التي نحاول أن نجد لها الحل ... ، أما الجانب الآخر فهو وصف الدواء لهذا الداء الذي يتمثل في منهج الإسلام الذي تلقاه الرسول الكريم محمد بن عبد الله ﷺ ونشره صحابته واقتدى به التابعون والذي عرف وقت افتراق الأمة بمنهج أهل السنة والجماعة المنقول عن سلفنا الصالح ..

لقد حاولت المجلة أن ترسم واقع المسلمين وتعالجه من خلال ذلك المنهج في جميع مناحي الحياة ومشكلاتها ، وأصرت حينما طرحت هذا المنهج على أمر هام : الاستقلالية . هذا المكسب (في وقفة الجرد هذه) لم يكن إلا نتيجة جهد رجال عملوا بصمت وإنكار للذات في سبيل الوصول إليه، وعلى رأس هؤلاء الأستاذ محمد العبدة رئيس التحرير السابق لهذه المجلة في رحلتها التي أشرنا إليها آنفاً ... الذي بذل جهداً متميزاً للمحافظة على مستوى هذه المجلة الرفيع وما ادخر وسعاً في تطويرها والرقي بمستواها والتنويع بمادتها منذ أن تولى مسؤوليتها وإن كان الأستاذ محمد قد آثر الانتقال إلى موقع آخر فإن هذا لا يعني أن قراء البيان ومحبيها سوف يفتقدونه ... ، ذلك أن الأستاذ العبده سيستمر في تقديم عطائه الدعوى والفكري وسيكون أكثر تفرغاً لدراسة المشكلات التي تؤرق كل من يحمل هم الإسلام ويشتغل به ...

إن المجلة وهي تجتاز هذه المرحلة الجديدة تتمنى أن تكون قد كرست العمل الدعوي المؤسس الذي ينهي النمط « الفردي » الذي ساد في فترات معينة من حياة الدعوة الإسلامية المعاصرة ، والذي نبه الأستاذ العبدة في أكثر من مقال على خطورته وذلك حينما تنحصر الدعوة الإسلامية في قالب أشخاص تموت إذا ماتوا .. وتحيا إذا دب فيهم النشاط والهمة .

والله نسأل للجميع التوفيق والسداد .

التحرير

في إشراقة آية

فؤاد حجازي الهجرس

قال تعالى :

﴿ يأيها الذين آمنوا .. لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم،ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان .. ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ .

يمدنا القرآن الكريم بدعائم الأخلاق وكرائم الخصال والعادات ، حتى تقوم حياة مجتمع المسلمين على قدر وافر من التقدير والإعزاز والإكرام .

وللقرآن مقاصد ثلاثة : تصحيح عقيدة ، وتصحيح عبادة ، وإقامة أخلاق.. والأخلاق الحسنة لها أثر جليل في تأسيس المودة والحب بين الناس .. قال الشاعر:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

في هذه الآية الكريمة نهى الله عن أخلاق ذميمة ثلاثة :

١ ـ نهى عن السخرية .. وهي الاستهزاء بالآخرين أو التقليل من شأنهم وتحقيرهم ، وهذا يخالف الآداب الإسلامية .. قال أحد العارفين : « لو

سخرت من رضيع لخشيت أن يجوز بي فعله] . خشي جواز فعله به ـ أي مروره عليه ـ مع أنه ضعيف لا حول له وإنما هو حِسٌ المؤمن .

٢ ـ ونهى عن اللمز .. وهو الغمز بالوجه مثلا أو تحريك الشفاه بما لا يفهم ، وقد قال ص : (أعوذ بك رب من همز الشيطان ولمزه) . تعلمها من قول الله تعالى : ﴿ **وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون** ﴾ . وندرك نحن أن من يفعل هذا يصبح شبيه الشيطان .. أو يكونه .

٣ ـ ونهى عن التنابز بالألقاب : ـ وهو مناداة الرجل بما يكره من الأسماء ، جاء في كتاب لسان العرب أن من المسلمين من كان ينادي اليهودي بعدإسلامه : « يا يهودي » فنزلت الآية تدفع عنهم ولذا قال تعالى : ﴿ **بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان** ﴾ وهو نَهْيٌ عام في كل لقب يكره المسلم أن ينادى به .

إن الكلمة إذا سَرَتْ سخريةً فإنها تفرق الوحدة وتمزق الألفة .. وهل للشيطان تأثير إلا من خلالها وصدق الله : ﴿ **وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين** ﴾ .

هي الكلمة .. فقط نحبسها داخل الجنان لا تخرج إلا مصفاةً منقاة . وهو اللسان .. فقط يُحبس ويُطوي داخل الفم .. لا ينطق إلا بخير .. أو في الصمت نجاة . قال معاذ بن جبل رضي الله عنه : (يا رسول الله .. أنحن محاسبون على الكلمة نقولها ؟..) فقال ﷺ : (ثكلتك أمك يا معاذ .. وهل يكب الناس في النار على وجوههم ـ أو قال ـ على مناخرهم .. إلا حصائد ألسنتهم) .

وقرأت أن قُسّ بن ساعدة الإيادي ـ خطيب العرب ـ اجتمع ذات يوم هو وأكثم بن صيفي حكيم العرب ، فقال أحدهما للآخر : كم وجدت في ابن آدم من عيوب ؟ .. قال : هي أكثر من أن تحصى ، وقد وجدت خصلة إذا استعملها سترت عيوبه .. وهي حفظ اللسان .

ولله در الشاعر حين قال :

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى   إن البلاء موكل بالمنطق

تضمنت الاية نهيا عن ثلاث : السخرية واللمز والتنابز ، وهن ثلاث تؤرق أمن الجماعة المؤمنة نفسيا ، واعتبر الإسلام أن من يعملها إنما يسئ إلى نفسه، ويوجه السهم إلى نحره : ﴿ **ولا تلمزوا أنفسكم** ﴾ كأن الآية تقول : لا تسخر من غيرك فلربما كان في ميزان الله أفضل منك ، إن لله موازين يزن بها أقدار الناس وعلى أساسها يتحدد المصير .. إنْ في الجنة وإنْ في النار . وكأنها تقول كذلك : لا تلمز غيرك فهو أخوك في الإنسانية والدين ، والأخوة بينكما لحمة البناء ، فإن فعلت فنفسك تصيب وعيبك تفضح .

وكأنها تقول أيضاً : لا تُنَابِزْ بالألقاب فتؤذي شعور مَنْ تنابزه وتشدخ كبرياءه ، وتفصم آصرة الود بينك وبينه .

واعلم أن هذا الجرم قد شبهه المفسرون بالردة من بعد إيمان : ﴿**بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان** ﴾ . ومن وقع منه ذلك ولم يتب فإنما يظلم نفسه، ويوبقها بأغلال تهوي به إلى الجحيم : ﴿ **ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون** ﴾ .

ومن الآية نستنبط هذه الإشارات :

أولها : لا يليق بمجتمع رباه الإسلام ، أن تسود فيه موبقات السخرية، واللمز والتنابز ، ففيه مخالفة للمهمة التي من أجلها بعث ﷺ حيث قال: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)

وحيث قال : (أثقل ما يوضع في ميزان العبد يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق) .

وثانيها : أن هذه الصفات المسيئة تضع موازين للناس غير موازين الله تعالى حيث قال : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ فهي لا تنتقص الرجل إلا من فقر أو ضعف أو سذاجة وما إلى ذلك وهي لا تنتقص المرأة إلا بسبب دمامة أو قِصَر أو تشوهٍ وما إلى ذلك . إن ميزان الله أساسه التقوى وهو أبقى وأعدل : (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) ثم .... أيمكن أن يكرم الله ابن آدم على خلقه ويسخر له البر والبحر والجو ، ونُهَوِّنُ نحن من شأنه بشيء من ذلك .. ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** ﴾ .

إن آثار الأمر كما يبدو أبعدُ من أن تكون كلمة تقال تسخر أو تلمز .. لأن الله نهى عن ذلك نهياً أكيدا حفاظا على قيمة التقوى التي هي ميزان الله لأقدار الناس .

ولقد تضافرت ايات كثيرة على كف الناس عن هذه الصفات قال تعالى: ﴿ **ويل لكل همزة لمزة** ﴾ واقرأ السورة إلى آخرها وتصور العقاب : ﴿ **كلا لينبذن في الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة** ﴾ أي تأكل الجلد فاللحم فالعظم حتى تصل إلى عضلة

القلب نعوذ بالله من ذلك الهول : ﴿ **إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة** ﴾ .

وقال تعالى في سورة القلم يصف الوليد بن المغيرة .. ضمن أوصاف أخرى : ﴿ هماز مشاء بنميم ﴾ .

وقال جل شأنه : ﴿ وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين ﴾ .

يقول الإمام ابن كثير : (ولا تلمزوا أنفسكم) تساوي : (ولاتقتلوا أنفسكم) في سورة النساء .

قال بكر بن عبد الله : إذا رأيت أكبر مني سنا قلت سبقني بالإسلام والعمل الصالح فهو أفضل مني .. وإذا رأيت أصغر مني سنا قلت سبقته بالذنوب وارتكاب المعاصي فهو أفضل مني .. وإذا رأيت إخواني يكرمونني قلت : نعمة تفضلوا بها عليّ .. وإذا رأيتهم يقصرون في حقي قلت : من ذنب أصبته .

حقيقة التطرف *

(الأسباب والعلاج)

الشيخ / سلمان بن فهد العودة

التطرف مصطلح صحفي ـ وإن كان صحيحاً من حيث اللغة ـ يعني أخذ طرف الشيء لكنه ليس من المصطلحات الشرعية فهو لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية وأكثر من يستخدمه العلمانيون دون أن يلتزموا بالموضوعية في هذا الاستخدام إطلاقاً ، فهم لم يحددوا أولاً ماهو التطرف؟ بل يريدون أن يبقى لفظا غامضاً مائعاً فضفاضاً يحاولون إضافته وإلصاقه بخصومهم سواء أكانت خصومة سياسية أو فكرية أو شرعية أو حتى خصومة شخصية أحيانا .

وهم أيضا لا يريدون أن يكون لهذا المصطلح معنى خاص به حتى يسهل عليهم تقليبه كيف شاؤوا ، فهم اليوم يصفون به هذه الفئة وغدا يطلقونه على تلك الفئة الأخرى ، واليوم يصفون هؤلاء بالتطرف ، وغدا بالاعتدال ، وفي نظر هؤلاء يمكن أن يوظف مصطلح التطرف أحياناً في مواجهة بعض المواقف السياسية ، فالذين ينتقدون الصلح مع إسرائيل متطرفون ، ومثال ذلك صنيع مجلة الوطن العربي فهي تنبز منظمة (حماس) الإسلامية الفلسطينية بأنها منظمة متطرفة لماذا ؟ لأن موقفها من قضية السلام موقفٌ واضح وصريح ، إنها ترفضه وتعتبر أن المشاركة في مؤتمرات السلام

* الموضوع فى الأصل محاضرة تم اختصارها واعدادها للنشر .

خيانة لقضية الأمة الإسلامية وبالأمس القريب كانت منظمة حماس عند هؤلاء وغيرهم رمزاً من رموز المقاومة الوطنية الناضجة التي تقاوم الاحتلال الصهيوني الغاشم .

أحياناً يوظف المصطلح في مواجهة بعض المواقف السلوكية ففي نظر أولئك العلمانيين يُعد من يلتزم بالسنة في صلاته ، وفي لباسه ، وفي تجنبه للمحرمات ، يعد هذا عندهم من المتطرفين وكثيراً ما تسخر الكاريكاتيرات في الصحف من أصحاب اللحى الطويلة وأصحاب الثياب القصيرة وكأن تلك السمة عندهم هي رمز التطرف . وترتبط هذه الصورة في ذهن السذج والبسطاء والمغفلين بالإرهاب والتطرف والعنف وبالذين يرفضون الحوار دون أن يتحدثوا ودون أن يستخدموا أسلوب النقاش الهادئ العلمي في الموضوع الذي يتحدثون عنه ، لكننا نعرف الخلفية التي يستبطنها هؤلاء الصحفيون وهم يتحدثون أو يرسمون ، لا نعرفها من باب ادعاء الرجم بالغيب ، فالغيب لله لكن نعرفها من مواقف أخرى .

إنهم يحاولون أن يحشروا دعاة الإسلام تحت عنوان التطرف ومن ثم يحذرون المجتمعات من خطورتهم ، فجريدة عربية دولية معروفة تعتبر الجبهة الإسلامية في الجزائر أصولية متطرفة وأهل السودان أصوليين متطرفين وأهل اليمن أصوليين متطرفين وأهل الأردن أصوليين متطرفين وحزب النهضة في تونس أصوليين متطرفين ــ والأخير من أكثر الاتجاهات الإسلامية تسامحاً في أفكاره ومصطلحاته وفي علاقاته ــ أما الجماعات الإسلامية في مصر فحدث ولا حرج بل حتى المجاهدين الأفغان صنفوا الآن ضمن المتطرفين وبالأمس كانوا شيئاً آخر مختلفاً تماماً وهذا الوصف الذي أطلقته هذه الصحيفة على الجماعات الإسلامية وعلى دعاة الإسلام لم تصف به كل المجتمعات البشرية،

حتى اليهود لم تصف مجتمعاتهم بذلك بل وصفت مجتمعات اليهود بأن فيها صقوراً وحمائم وأن فيها معتدلين وآخرين منادين بالسلام ، ولم تصف الصرب الذين دمروا المسلمين في البوسنة والهرسك لم تصفهم بهذا الوصف قط ولم تصف بلدا في العالم بذلك ، ولا الشيعة ، ولا البعث ولا غيرهم .

وخرجت علينا مطبوعات عدة تحذر من الشباب العربي المسلم العائد من أفغانستان مع أنا لم نسمعها يوماً من الأيام تحذر من الشباب العائد من بانكوك الذي يحمل جرثومة الإيدز ، وما كانت تحذر بالأمس من الشباب العائد من موسكو يحمل جرثومة الشيوعية والعمالة للفكر الأحمر إن هذه الصحف لا تتحدث عن فئة بعينها ولكنها تتذرع بالحديث عن التطرف إلى شفاء غليلها والتنفيس عن أحقادهاوعداوتها لحملة رسالة الإسلام ، حتى ولو كانوا معتدلين بل حتى ولو كانوا مفرطين متساهلين وقد يوظف لفظ التطرف أحياناً في مواجهة مواقف عقائدية فمثلاً الذي يطلق على النصارى لفظ كفار يعتبر عند بعضهم متطرفاً ، والذي يتحدث عن الحكم الإسلامي والدولة الإسلامية يعتبر متطرفا ، لماذا ؟ لأن هؤلاء يقولون : الإسلام لم يطبق أبدا حتى أيام الخلفاء الراشدين وهذا كلام فرج فوده ــ الذي دفع حياته ثمناً لأفكاره العلمانية المتطرفة حقا ــ يذكر في كتابه « الحقيقة الغائبة » ما معناه : إن الإسلام حلم وخيال ولم يطبق على محك الواقع يوماً من الدهر ولذلك فالذين ينادون بالحكم الإسلامي وتطبيق الشريعة الإسلامية هم من المتطرفين، والذي يدعو لمخالفة المشركين في هديهم وسلوكهم وأعمالهم وأعيادهم هو من المتطرفين والذي ينادي بتصحيح عقائد المسلمين وأحوالهم وأخلاقهم على ضوء الكتاب والسنة هو من المتطرفين وهو من الذين يدعون إلى الحجر على العقول وتعطيلها .

والغريب أنه يستخدم بدلاً من لفظ التطرف لفظ الأصولية وهو في الأصل لفظ يطلق على إحدى المجموعات النصرانية التي تلتزم بحرفية الكتاب المقدس التزاماً صارماً والتي نشأت في ظروف وأوضاع خاصة وقد حاول هؤلاء أن يبحثوا عن أوجه شبه بين هذه الفئة من النصارى ودعاة الإسلام أو بعضهم ثم نقلوا المصطلح إلى الشرق وهو مصطلح أجنبي له ظروفه وملابساته الخاصة ، وإن كانت الصحف العلمانية لا تتورع عن شيء في نفث أحقادها فإنها تستخدم كل مصطلح وتعده وسيلة أو سلاحاً لها ضد دعاة الإسلام .

ـ **المفهوم الشرعي للتطرف** : اللفظ الشرعي الصحيح في مقابل التطرف هو لفظ الغلو وقد جاء هذا اللفظ في كتاب الله عز وجل في مواضع كثيرة قال الله عز وجل ﴿ **يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق** ﴾ وقال سبحانه ﴿ **قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل** ﴾

كما جاء في أحاديث الرسول ﷺ كثيراً ومنها حديث ابن عباس رضي الله عنه لما جمع للنبي ﷺ جمرات أمره أن يلقط له حصى صغارا وقال مثل هؤلاء فارموا ،وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين .

والحديث رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وصححه ابن خزيمة وابن تيمية والنووي والألباني وغيرهم ، ولذلك ينبغي استخدام المصطلحات الشرعية وتجنب المصطلحات العلمانية المحدثة

التي أصبح لها جرس ورنين في آذان مستمعيها وأصبح لها وقع في قلوبهم يصعب التخلص منه ، مع أنها ليس لها تعريف خاص يمكن فهمه ومعرفته وهذا لا يعني أيضا أن استخدام المصطلح الشرعي ينهي المشكلة ونحن نجد أن هناك من يرمي بالغلو أقواما ما جاوزوا الحد ولا تعدوا الحق بمجرد مخالفته لهم في المنهج أو في الطريقة أو جهلاً منه بما هم عليه أو حسدا من عند نفسه أو لأي سبب آخر ،ومن أمثلة ذلك ما نعلمه جميعاً عن خصوم الدعوة السلفية إن معنى إنهم يطلقون عليها لفظ الأصولية ولفظ التطرف وغير ذلك من الألفاظ وهم مافتئوا ينبزونها بالألقاب بدون علم ولا هدى ولا كتاب منير .

إن معنى الغلو مجاوزة الحد ،والحد هو النص الشرعي من كلام الله عز وجل أو كلام رسوله ﷺ والواجب على المسلم أن يكون وقافاً عند حدود الله تعالى ﴿ **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول** ﴾ وإذا بحث المسلم مسألة وجب عليه أن يجمع النصوص القرآنية والنبوية فيها ويؤلف بينها على وجه لا يضرب بعضها بعضاً ولا يأخذ نصا ويهمل غيره ، أما الغلاة فيضربون بعض النصوص ببعض أو يقتطعون نصاً يلائم غلوهم ويسكتون عما عداه ، :ـ

الغلو نوعان :

١ ـ غلو اعتقادي ، كغلو النصارى في عيسى عليه السلام ، أو غلو الرافضة في الإمام علي والأئمة الاثنى عشر ، أو غلو الخوارج أيضاً في تكفير أهل الإسلام بالمعاصي والذنوب كبيرها وصغيرها ، ومن الغلو أيضاً في الاعتقاد ما أشار إليه الشاطبي وهو الغلو في بعض الفروع بتنزيلها منزلة

الأصول إذ أن المعارضة الحاصلة بذلك للشرع مماثلة للمعارضة الحاصلة له بأمر كلي .

٢ ـ أما القسم الثاني فهو غلو عملي وهو المتعلق بالأمور العملية التفصيلية من قول اللسان أو عمل الجوارح مما لا يكون فرعاً عن عقيدة فاسدة، ومن أصح الأمثلة على ذلك رمي الجمار بالحصى الكبار مثلا فإن النبي ﷺ عده غلوا كما في حديث ابن عباس السابق ، وهو غلو عملي لا يترتب عليه اعتقاد ، ومثله المبالغة في العبادة كما يحدث عند بعض الفرق الصوفية التي تبالغ في العبادة وتزيد فيها عما شرع الله عز وجل كوصال الصوم ، وقيام الليل كله ، وما أشبه ذلك ولا شك أن الغلو الاعتقادي هو الأخطر لأنه النقطة التي تشعبت عندها الفرق المختلفة في الإسلام ، وظهرت عندها الأهواء ، واختلفت عندها القلوب والعقول ، ثم سلت السيوف ، فسالت الدماء .

أسباب الغلو :

والذين يحاربون الغلو ـ أو ما يسمونه التطرف ـ لم يكلفوا أنفسهم مشقة البحث عن الأسباب الحقيقية التي كانت ستفرز ـ ولابد ـ نبتة خبيثة كهذه ، ومن أهمها :

أولاً : ـ الجهل وعدم معرفة حكم الله تعالى ورسوله ﷺ ومن ثم يندفع الإنسان وراء عاطفته ، وقد يكون هذا الإنسان غيوراً معظماً للحرمات شديد الخوف من الله عز وجل ، فإذا رأى إنساناً يعصي ولو كانت معصية صغيرة لم يطق أو يتصور أن يكون هذا الشخص مسلما أو مغفوراً له أو من أهل الجنة لشدة غيرته فيؤدي به ذلك إلى لون من الغلو ، أو يكون عنده محبة

لرجل صالح مثلا وأصل المحبة مشروع ولكن هذه المحبة بسبب الجهل زادت وطغت حتى وصلت إلى درجة الغلو في هذا الإنسان ورَفْعِهِ فوق منزلته . والجهل يزول بالعلم ولهذا كان كثير من الخوارج الأوائل يرجعون عن بدعتهم بالمناظرة بل رجع منهم على يد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لما أرسله علي بن أبي طالب لمناقشتهم ـ رجع منهم في مجلس واحد ـ أكثر من أربعة آلاف إنسان وفي عهد عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد رضي الله عنه نوقشوا فرجع منهم ما يزيد على ألف إنسان في مجلس واحد ولهذا فالجهل من أسهل الأسباب علاجاً لأنه سرعان ما يزول بالعلم والتعليم ، وقد يكون الجهل جهلاً بالدليل لعدم الاطلاع عليه سواء أكان آية أو حديثاً وقد يكون جهلاً بطرق الاستنباط من هذا الدليل لعدم المعرفة باللغة العربية أو القواعد الأصولية أو غيرها .

السبب الثاني :ـ هو الهوى المؤدي إلى التعسف في التأويل ورد النصوص . وقد يكون الهوى لغرض دنيوي من طلب الرئاسة مثلاً أو الشهرة أو نحوه ، وقد يكون الهوى لأن البدعة والانحراف والباطل سبق إلى عمق الإنسان وقلبه واستقر فيه وتعمقت جذوره ورسخت ، وكما قيل :ـ

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلباً خالياً فَتَمَكنا

فيعز على الإنسان حينئذ أن يتخلى عنه ، ويصعب عليه أن يقر على نفسه بأنه كان متحمسا للباطل مناوئا للحق ، فيتشبث بخطئه ويلتمس له الأدلة من هنا وهناك ، وقد يكون الهوى لأن هذا الإنسان الغالي ذو نفسية مريضة معتلة منحرفة فهي تميل إلى الحدة والعنف والعسف في مواقفها وآرائها وتنظر دائماً إلى الجانب السلبي ، الجانب المظلم من الآخرين وقد

يشعر صاحبها بالعلو والفوقية دون أن يدرك ذلك من نفسه وقد يحس بأنه أتيح له في وقت يسير ومبكر من العلم والفهم والإدراك ما لم يتح لغيره في أزمنة طويلة ، وعند ذلك يفقد الثقة بالعلماء المعروفين والدعاة المشهورين ، ويستقل الإنسان بنفسه ورأيه فينتج عن ذلك الشذوذ في الآراء والمواقف والتصورات والتصرفات .

السبب الثالث :ـ أحوال المجتمع ، فمن الخطأ الكبير أن نعتقد أن المتطرف شجرة نبتت في الصحراء ـ لا ـ بل هو فرع عن شجرة ، وهو جزء من مجتمع عاش فيه ،ولهذا المجتمع في نفسه وتفكيره وعقله أعظم الأثر، فمثلاً : التطرف في الانحراف يؤدي إلى تطرف مقابل ، سواء الانحراف الفكري أو الانحراف العملي ولذلك فالذين يَجرّون المجتمعات الإسلامية إلى الفساد والانحلال الخلقي هم في الحقيقة من المتسببين ، في حصول الغلو وإن أعلنوا الحرب عليه وعلى ما يسمونه بالتطرف إلا أنهم من أول المتسببين فيه ، فمظاهر الرذيلة في المدرسة والجامعة والشارع والشاطىء والمتجر والحديقة والشاشة والإذاعة وغير ذلك إذا أقرها المجتمع وسكت عنها فإنه يجب عليه أن يستعد للتعامل مع أنماط كثيرة من الغلو ، فما بالك إذا كان دور المجتمع بكليته هو تشجيع مظاهر الانحراف ودعمها وحمايتها وحراستها وتبنيها ، سيكون الأمر ولا شك أخطر وقل مثل ذلك في الأوضاع الثقافية والإعلامية ، فمحاصرة فكرة من الأفكار مثلا وإغلاق منافذ التعبير والكلام أمامها في مختلف الوسائل الإعلامية هو سبب لأن تتبلور لدى هذه المجموعة فكرة الغلو أحيانا أو على الأقل فكرة المواجهة والسعي لإثبات الذات ومن الغريب جدا أن الإعلام العربي خاصة يتهم من يسميهم المتطرفين بأنهم لا يتسامحون مع غيرهم أو أنهم يسعون لإسكات

الأصوات الأخرى التي تخالفهم ، مع أننا نعلم أن هؤلاء الناس لا يملكون شيئا أصلاً لا يملكون أجهزة الإعلام ولا الصحافة ولا المنابر ، بل الكثير منهم لا يملكون حق الاجتماع بعشرة أو أقل من هذا العدد ، فكيف يقال عنهم إنهم يقفلون منافذ التعبير على غيرهم ؟!

والواقع أن هذا الإعلام المهيمن هو الذي أصبح حكرا لاتجاه معين أو مذهب خاص أو طائفة محدودة وأصبح يبخل على الآخرين ببضعة أسطر أو ببضع دقائق فضلا عن أن يساويهم بغيرهم في كافة الأجهزة الإعلامية ،فقد صودرت الآراء النزيهة المعتدلة فضلا عن الآراء الغالية أو المتطرفة ، ومثل هذا الوضع لابد أن يولد آلاف الأمراض في المجتمعات .

وكذلك الأمر بالنسبة للأوضاع السياسية ، فإن الكبت والتسلط والقهر لا يمكن إلا أن يؤدي إلى قتل إنسانية الشعوب والقضاء على كرامتها وليس هذا فحسب بل يؤدي مع الزمن إلى أن تفقد الثقة بقيادتها ، ثم تعمل في الاتجاه المضاد ، وتعتبر هذه القيادات ضد مصالح الأمة وأنها عقبة في سبيل الإنجاز لابد من تجاوزها .

إنك تعجب من دول يرد في دساتيرها أن الدين هو الإسلام ثم لا تسمح للتعبير الإسلامي بأي قناة وربما اعتبرت إعلان الأذان في التلفاز نوعاً من الاقتحام الأصولي لأجهزة الإعلام .

كيف يمكن القضاء على الغلو ؟

أولاً : ـ ينبغي أن يكون واضحا الفرق بين نوعين من الغلو :ـ الغلو الذي هو فعلا غلو في الدين ومجاوزة للحد وانحراف عن سواء السبيل كغلو جماعات التكفير والهجرة الموجودة في مصر وعلى قلة في الجزائر

وفي بعض البلاد الأخرى ، فهذا لا شك غلو وانحراف .

والثاني :ــ ما تسميه أجهزة الإعلام غربيها وشرقيها غلوا أو تطرفا أو أصولية أو غير ذلك ، وهو في الواقع ليس شيئا من ذلك وإنما هو دعوة إلى الله وإلى دينه إلى تحكيم شريعته والعمل بالكتاب والسنة ، فنحن نفرق بين هذا وذاك ونقول إن الغلو موجود في كل مكان وفي كل الأديان ، وقد أخبر النبي ﷺ أن الخوارج لا ينقطعون بل كلما انقرض منهم قرن ظهر قرن آخر إلى آخر الزمان ، وهاهنا أسئلة لابد أن نجيب عليها ، أولا : ــ هل يمكن القضاء على الغلو ؟ أو حتى قل القضاء على الجماعات الإسلامية وعلى رجال الدعوة الإسلامية الغلاة منهم والمعتدلين هل يمكن القضاء عليهم بالسجن والرصاص والمقاصل والمجازر ؟ كلا فهذا في النهاية اعتقاد وفكر وعلى قاعدة الإعلام نفسه فالفكر إنما يحارب بالفكر لا يحارب بالرصاصة وإنما يحارب بالحجة هذا أولا .

وثانيا : ــ إننا سبق وأن قلنا إن الغلو هو نتاج الضغط والإرهاب والتعسف ، ولذا فالضغط والإرهاب والتعسف لا يزيده إلا مضاء وقوة وإصرارا وهذا العسف هو « المسوغ » الذي يحرق صبر المعتدلين فالمعتدل يوما بعد يوم يفقد اتزانه لأنه يجد من شراسة الخصومة والقسوة وإغلاق المنافذ في وجه الدعوة ما يكون مسوغا وحجة لأولئك الغلاة ، فلماذا تصر بعض الحكومات على مواجهة ما تسميه بالتطرف بل على مواجهة الإسلام والدعوة الإسلامية الصحيحة النظيفة بالإرهاب والمداهمة والسجون والمعتقلات ؟

لماذا كان جزاء مؤلف كتاب (معالم في الطريق) و(في ظلال القرآن)

السجن ثم الإعدام ؟ هل تعلمون أن كتاب معالم في الطريق مثلا يعلم القارىء كيفية صناعة قنبلة يدوية ؟ كلا ، هل هو يعلم الإنسان كيف ينظم مسيرة في الشارع ؟ كلا ، هل هو يدرب الناس على حرب الشوارع ؟ كلا. إنه فقط يرسم منهجا للدعوة ، فلماذا يكون جزاء صاحب هذا الكتاب الإعدام ؟ وأين الذين يدافعون عن فرج فوده صاحب كتاب (الحقيقة الغائبة) ؟ لماذا لم يدافعوا عن سيد قطب رحمه الله حينما أعدم ؟ ﴿ وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴾ إننا نعلم أن في إسرائيل أحزابا أصولية متطرفة متشددة ، فماذا فعلت إسرائيل تجاه هذه الأحزاب ، ها أنتم تسمعون أنها الآن تشارك في الحكم في خلاف مع حزب العمل الذي فاز في الانتخابات وتصل إلى الحكم ، فلماذا لا يقتدون بهم في هذا ؟ كنا نقرأ ونحن صغار أن القتل والتضييق والسجن والمداهمة لا يقضي على الدعوة بل يقويها ويرسخ جذورها ويجمع حولها الأنصار ويُكثر الأتباع ، كنت وأنا صغير أشعر في دخيلة نفسي أحيانا أن هذا الكلام نوع من ترضية النفس أو خداع الذات والتسلية الوهمية ، أما الآن فنحن نرى ما نرى في المغرب ومصر والشام بل والعراق وقد جاء يدل على أن الصحوة حتى في العراق على قدم وساق وإن لم تكن ظاهرة للعيان بسبب العسف والكبت ولكنها قوية جدا . لقد تحولت هذه الكلمات إلى قناعة راسخة عميقة في مشاعرنا ، وآمنا أن الدعوات لا تحارب بالقهر والعسف والملاحقة .

هل يحارب الغلو بالتجاهل ؟؟ كلا لقد سبق أن بينت أن للغلو أسبابه التي لابد من إزالتها ولذلك فإنه لابد من : ـ

أولا :ـ تمكين العلماء الربانيين من القيام بواجبهم وفتح السبل لكلمتهم والسماح بمرورها إعلاميا وتسخير إمكانات الأمة كلها لهذا الغرض ، وأن

يشكل العالم الشرعي مرجعية حقيقية للجميع : الحاكم ، والمحكوم، على حد سواء ولا يجوز أن تكون المنابر الدينية حكرا على فئة من الهتافين المصفقين من أمثال المفتين الرسميين كما في بعض البلدان .

« سئل مفتي مصر في جريدة صوت الكويت عن التطرف والنصارى وكان من ضمن ما قال : ، أما أن بعض الكتب السماوية حرفت أو بدلت أو غيرت فتلك قضية يسأل عنها أصحابها وجميع الأديان تتفق في الأصول » لماذا يقول إن الأديان تتفق في الأصول ؟ هل هو يقصد الأصول التي عليها الأديان اليوم ؟ أم الأصول المنزلة ؟ ، الأصول المنزلة هي أصول التوحيد لكن أهل الأديان اليوم من اليهود والنصارى وغيرهم أهل شرك ووثنية ، فكيف يقول إن الأصول هكذا متفقة عند الجميع ؟!

أما إذا كان الحديث عن من يسمونه بالمتطرفين فالألسنة حداد والكلمات كالقنابل .. لأن هذا ما يريده السلطان !

إن المناصب الرسمية الدينية أصبحت وقفا في أكثر من بلد إسلامي على فئات معلومة ممن يجيدون فن المداهنة والتلبيس ، وأصبح هؤلاء في زعم الأنظمة هم الناطقين الرسميين باسم الإسلام والمسلمين ، مع أنه لا دور لهم إلا إعلان دخول رمضان وخروجه والهجوم على من يسمونهم المتطرفين .

ثانياً : ــ لابد من إيجاد القنوات العلمية والدعوية والإعلامية التي يمكن للدعاة إلى الله عز وجل من خلالها عرض الصورة الصحيحة للإسلام ، وتنقيته من الداخل عليه ، وتعريف الناس بدينهم الحق ، أما مجرد الخطب الرنانة التي ينقضها الواقع فإنها لن تغير شيئا ، حتى الاتجاهات التي يصاحبها نوع من الحدة أو الشدة يجب أن تحاور وتناقش في الهواء الطلق وليس من

وراء القضبان ، وإذا لم تعرض الدعوة الإسلامية الصحيحة الناضجة من الكتاب والسنة فإن البديل عن ذلك أمران :-

١ ـ شيوع المنكر الفكري والخلقي بلا نكير وهذا يؤدي إلى التطرف كما سبق بيانه .

٢ ـ الدعوات المنحرفة التي ستجد آذاناً صاغية فإن الناس إذا لم يعرفوا الحق تشاغلوا بالباطل .

ثالثاً :- لابد من تنقية أجهزة الإعلام من كل ما يخالف الإسلام عقيدة وأحكاماً وأخلاقاً ، ولابد من منع أصحاب الفكر المنحرف من التسلل إلى الإعلام ،ومنع المساس بالدين وأهله في تلك الأجهزة ، إن مما يؤسف له أن الإعلام العربي يتحدث عن الدعوة الإسلامية باسم التطرف أو الأصولية فيتخلى عن الموضوعية ويتناقض وينحاز ، فلا يعرض إلا رأياً واحداً ولا يعرض إلا جانباً واحداً من الحقيقة فمقتل فرج فوده مثلا يسمونه مصادرة للفكر وجريمة ، مع أنني أقول : أي فكر يحمله وماذا يقول ؟ يقول : أفتخر بأنني أول من عارض تطبيق الشريعة الإسلامية يوم لم يكن يعارض ذلك أحد، ويقول : سبق أن قلت لك يا وزير الصحة عليك أن تعالج الوضع عن طريق زيادة المهدئات الجنسية ، يعني أن من يسميهم المتطرفين أو الشباب المتدين هم ضحايا الكبت الجنسي هل هذا حوار ؟ هل هذه حجة ؟ هل هذا تعقل ؟ أين الموضوعية !!؟

رابعاً : ـ ضرورة ضبط مناهج التعليم وربطها بدين هذه الأمة وتاريخها وحاضرها ومستقبلها حتى يتخرج جيل مؤمن يعرف دينه .

تقول التقارير الأمنية : إن تكثيف المواد الدينية هو الذي يولد المتطرفين ،

وتدريس التاريخ الإسلامي والجهاد يولد روح الفداء في نفوس الشباب ، والواقع أن تكثيف المواد الشرعية والإسلامية هو الذي ينتج العلم الصحيح الواقي من الانحراف أما أولئك الذين يظنون أنهم سيحولون بين الأمة ودينها وبين الأمة ولغتها وبين الأمة وتاريخها فهم مفرطون في الوهم ، فالإسلام قادم لا محالة ، وإذا كانوا يحاربون الإسلام فليبشروا بالخيبة والخسارة والخذلان .

خامساً : ـ ضرورة إصلاح الأوضاع الشرعية والأخلاقية في المجتمعات الإسلامية وحمايتها من الانحلال الخلقي ، ودعم المؤسسات الإصلاحية القائمة على حماية الآداب والأخلاق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إنه كما يوجد جهاز مختص لمكافحة المخدرات يجب أن توجد أجهزة قوية ممكنة وذات صلاحية واسعة أيضاً في مكافحة ألوان الجرائم التي لا يقرها الشرع وأول من يجب أن يساند هذه الجهات القانون نفسه أو النظام فلا معنى لوجود جهاز مثلاً لمكافحة الرذيلة والبغاء في بلد يسمح قانونه بالزنا ويسكت عنه .

سادساً : ـ ضرورة العدل وإعطاء ذوي الحقوق حقوقهم ، سواء أكانت هذه الحقوق حقوقاً مالية أو كانت حقوقاً شخصية أو سياسية أو غير ذلك ، فإن المجتمعات لا يمكن أن تقوم على الظلم أبداً ، والله تعالى ينصر الدولة العادلة ولو كانت كافرة ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة ، ومن الظلم سرقة أقوات الناس وأموالهم ومن الظلم بل من أبشع الظلم مؤاخذة

---

* ومن الظلم التجسس على الناس والاطلاع على عوراتهم وأحاديثهم ، وفي صحيح البخاري « إنك إن تتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم » .

الناس بما لم يفعلوا ومن الظلم حبس الناس بالتهمة والظن ومن الظلم سرقة نتائج الانتخابات في البلاد الإسلامية ، *.

سابعاً : ـ مناقشة الأفكار والحجج والشبهات التي يتذرع بها أهل الغلو وتفنيدها والرد عليها وتطعيم الناس ضدها لئلا يغتروا بها ، فنحن نقول فعلا

٢ ـ مراحل دعوة إبراهيم

ـ عليه الصلاة والسلام ـ

محمد الخضيري

ذكر القرآن الكريم لدعوة إبراهيم عليه السلام ثلاث مراحل ، نوجزها فيما يلي :

المرحلة الأولى :

دعوته لأبيه ، وقد صورتها زبلغ تصوير آيات سورة مريم حيث يقول الله جل وعلا ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً ، إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ، يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سويا ، يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا . يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً ، قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا ، قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً ، واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن أكون بدعاء ربي شقيا ﴾ (مريم ٤١ / ٤٨) .

لقد كانت كلمات إبراهيم تفيض حناناً وشفقة وتتدفق عطفاً ورقة ، فبيّن لأبيه أن ما يعبده فاقد لأوصاف الربوبية من السمع والبصر فضلا عن الخلق فكيف يضر أو ينفع ثم أردف ذلك ببيان ما قد أوتيه من علم وحكمة

وأن دعوته فد بنيت عليهما ففي اتباعه سلوك الصراط السوي ، ثم حذره من عدو البشرية الذي تلبس بمعصية الرحمن فهو جدير بأن يتخذ عدواً وأن لا يطاع بل يعصى ، ثم أعلمه بشدة خوفه عليه من أن يمسه مجرد مس عذاب من الرحمن فيكون ولياً للشيطان ، وأمام هذه الدعوة الحانية الرفيقة المتزنة نسمع عبارات الأب الفجة الغليظة التي تمثل صورة التقليد الأعمى وإغلاق القلب عن النظر والتأمل ، ومع ذلك كله فإن الابن البار لم يواجه تلك السيئة إلا بالتي هي أحسن (سلام عليك) كحال عباد الرحمن الذين إذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاماً) بل وعد بالاستغفار لأبيه ، وذلك قبل أن يتبين له أنه عدو لله ﴿ **فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه** ﴾ ثم قرر اعتزاله ليراجع الأب نفسه ، ولينأى إبراهيم بنفسه عن الشر ومواطنه ، وكانت رحمة الله لإبراهيم أن عوضه بأبناء صالحين بررة عن أولئك القوم الفجرة .

المرحلة الثانية :

دعوته لقومه . بعد أن دعا إبراهيم أباه لقربه توجه بالدعوة إلى قومه ، وكانوا فيما قبل قسمان ، منهم من يعبد الأصنام ، ومنهم من يعبد الكواكب ، وقيل : إنهم كانوا يعبدون الكواكب ويصورون أصناماً على صورها يعبدونها ويعكفون عليها ، وعلى أي ، فقد أبطل كلا المعبودين بالأدلة القطعية وبين وهاء ما هم عليه من العبادة ، وبدأهم بالدعوة إلى توحيد الله بالعبادة وتقواه وبين لهم أن ما يعبدون ما هو إلا إفك مفترى ، وأنها لا تملك لهم رزقاً فليعبدوا من يملك رزقهم ، ثم أخبرهم بأنه مبلغ لا يستطيع هدايتهم إلا بإذن الله، ولفت أنظارهم إلى أن مصيرهم إن لم يستجيبوا للدعوة مصير أمثالهم فقد سبقهم على ذلك أمم ولحقهم من ربهم من التكال والعذاب ما لا يخفى عليهم ، قال تعالى ﴿ **وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه،**

ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، إنما تعبدون من دون الله أوثاناً ، وتخلقون إفكاً ، إن الذين تعبدون من دونه لا يملكون لكم رزقاً ، فابتغوا عند الله الرزق ، واعبدوه واشكروا له، وإليه ترجعون ، وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ (العنكبوت / ١٦ / ١٨) .

ـ ولقد سلك إبراهيم في إقناع قومه مسلك المساءلة عن جدوى أصنامهم ، هل تنفع أو تضر أو تسمع الدعاء ، فما وجد إلا التبعية العمياء **﴿ واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ، قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين ، قال : هل يسمعونكم إذ تدعون ، أو ينفعونكم أو يضرون ، قالوا : بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ﴾** فما كان من إبراهيم إلا أن أعلن البراءة مما هم عليه ، وأوضح سبب ذلك وسبب قصره العبادة على الله **﴿ قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون ، أنتم وآباؤكم الأقدمون ، فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ، الذي خلقني فهو يهدين ، والذي هو يطعمني ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين ... الآيات ﴾** (الشعراء ٦٩ / ٨٠).

ـ وبدأ القوم يراوغون فيما عرضه عليهم إبراهيم إلا أنه ما كان من إبراهيم إلا إعلان النكير ، وبيان الحق فعلاً لا قولاً فحسب ودخل بهذا مرحلة خطرة من مراحل إقناع القوم بعدم جدوى أصنامهم وفي هذا يقول الله تعالى **﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ، إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ، قالوا : وجدنا آبائنا لها عابدين ، قال : لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ، قالوا : أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين ، قال : بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن ، وأنا على ذلكم من الشاهدين ﴾** (للأنبياء / ٥١ ، ٥٦) ولم يكتف

القوم بهذه المراوغة مع إبراهيم بل دعوه للخروج معهم إلي عيد من أعيادهم ولكنه اعتذر عن الخروج بتورية (فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم فتولوا عنه مدبرين (الصافات /) وقال عند ذلك ﴿ **وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين** ﴾ **فسمعها بعض القوم ، وبادر إبراهيم** ﴿ **فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون ، قالوا : من فعل هذا بآلهتنا ، إنه لمن الظالمين ، قالوا : سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ، قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ، قالوا : أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم، قال : بل كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ، فرجعوا إلى أنفسهم ، فقالوا : إنكم أنتم الظالمون ، ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون** ﴾ لقد ورطهم إبراهيم في هذه الإجابة وهذا ما كان يريده ليندفع بكل قوة مخاطبا عقولهم إن كانت لهم عقول : ﴿ **قال : أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم ، أفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون** ﴾ وهنا لم يجد القوم بداً من تدبير المؤامرة عليه والتخلص منه ﴿ **قالوا : حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ، قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين** ﴾ (الأنبياء / ٥١ ، ٧١) .

أما عبادتهم للكواكب فقد سلك في دحض تعلقهم بها سبيل المناظرة وذلك فيما حكاه الله عنهم في سورة الأنعام ، وسيأتي إن شاء الله تفصيل ذلك في رسائل إبراهيم العملية .

المرحلة الثالثة :

دعوته للملك ، حين ناظره في ربه وذلك فيما حكاه الله تعالى عنهم في

سورة البقرة فقال : ﴿ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك، إذ قال إبراهيم : .. ﴾ وتفصيل ما وقع فيها آت بإذن الله في الوسائل ، وهذه المناظرة كانت فيما يظهر بعد نجاة الخليل من النار كما ذكره السدي ويدل عليه : أن العادة جارية بأن الأنبياء يبدأون بتكوين قاعدة شعبية حتى يكون للدعوة ثقل ثم يلتفتون إلى القيادة ليدعوها ، وأيضاً ، فمن عادة خصوم الدعوة ملاحقة الداعية وإحراجه ليفضح أمام الناس خصوصاً وأن إبراهيم بعد نجاته من النار بمعجزة التفتت إليه الأنظار وتعجب الناس من ربه الذي نجاه فبادر الملك إلى مناظرته ليوقعه في الحرج ظناً منه أن إبراهيم قد ينهزم في المناظرة ، وما علم أنه المؤيد من عند الله وهو سيد المناظرين، ومنظرهم الأكبر ، والمجادل عن حوزة التوحيد وحمى الملة بكل ألوان الجدل.

ـ ولا نستطيع الجزم بأن هذه المناظرة كانت بعد النجاة لكنه الذي يظهر من خلال ما تقدم من الأدلة والله أعلم .

خواطر في الدعوة

درس من السيرة

لابد أن نعود دائماً للسيرة النبوية ، نستلهم منها ما يفيدنا في سيرنا الدعوي ، ونعود لبدايات تشكل القاعدة الصلبة التي كانت قلب الرحى الذي يدور حوله المجتمع الإسلامي . كانت هذه القاعدة في مراحلها الأولى من الطبقة التي سميت فيما بعد بالمهاجرين ، وجلّ هؤلاء من قريش ، التي كانت تتمتع بصفات نادرة ، تفوقت بها على القبائل العربية ، القريبة والبعيدة.

قال القدماء : والعجيب أن قريشاً تركت الغزو والنهب على طريقة العرب يومها ، ولكن بقيت فيهم الشجاعة والأنفة ، وقوة البأس . ومع انشغالهم بالتجارة والرحلات التجارية إلا أنه لم يعترهم ما يعتري التجار عادة من البخل والمداهنة والمماحكة ، بل كان الفرد منهم يطعم الطعام لزوار البيت ، وتمدحهم الشعراء كأنهم ملوك .

إن بنية الفرد في هذه القاعدة بنية قوية ، فكيف إذا أكرمه الله سبحانه وتعالى بالإيمان والتوحيد الخالص ، فلا شك أنه سينقلب إلى شخصية تقيم الدول ، وتحرك التاريخ . ولقد وصف الله سبحانه وتعالى هذا الدين بأنه (الفطرة) ومعنى هذا أن الفطرة السليمة تقبله ، وتقبل تفصيلاته الجزئية . أما

إذا كانت الفطرة فاسدة ، والبنية الأساسية مفقودة فكيف يقوى على حمل هذا النور ، ويتمثله واقعاً وعملاً من يحمل بين جنباته الضعف والضآلة ، ويحمل مفاسد المدنية المعاصرة ، وتناقضات المجتمع الذي يعيش فيه .

هل يقوى على حمل هذه الأمانة من تعوّد على الكذب ؟ أو رجل أناني إقليمي أو رجل ليس عنده وفاء وشجاعة . وهنا نجد أن شخصية الفرد شخصية هشة لا تستطيع بناء الدول ولا إقامة بنيان مرصوص . حتى وإن قرأ الكتب وحفظها وصار مناقشاً ومجادلاً ، والأصل أن فهم العقيدة السليمة وتطبيقها على أرض الواقع يؤدي إلى هذه الأخلاق العالية التي لابد منها لحمل الرسالة ، فإذا لم نجد مثل هذه الشخصية فهذا يعني خللاً في فهم العقيدة أو في التطبيق .

إن الظروف العصيبة التي يعيشها المسلمون لهي في العمق من المرارة والقسوة بحيث تحملهم على أن يفكروا في أمرهم ، ويزدادوا بصيرة بأحوالهم ، وقد ضرب الله لنا الأمثال ببني إسرائيل وأخلاقهم الملتوية ، ونفسياتهم المحطمة حتى لا نقع فيما وقعوا فيه ، هذه الأخلاق التي جعلت سيدنا موسى عليه السلام يعاني منهم ما يعاني وهو يريد إنقاذهم ، وجاءت خاتمة الرسالات وكان حواريو رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار ، فكانوا خير أصحاب لفهم الدعوة وتبليغها والدفاع عنها .

محمد العبده

الإسلاميون وقضايا التنمية

د / أحمد بن محمد العيسى

يثير كثير من العلمانيين شبهات عديدة ويدّعون أن الحركة الإسلامية إنما هي عائق لمسار التنمية والتقدم في المجتمعات الإسلامية ، وذلك لأن خطابها « الأيديلوجي » يهتم بتعاليم وقيم لا تتمشى مع متطلبات التنمية الحديثة مثل الانفتاح الاقتصادي والتعاون الدولي والحرية الفكرية والتعليم الذي لا يركز على الغيبيات والحفظ .. إلى آخر القائمة المعروفة التي يتداولها كثير من المفكرين والمثقفين العرب في كتبهم أو في منتدياتهم االفكرية والثقافية ، وما يسودونه على صفحات الفكر والثقافة في الصحف العربية . وعلى الرغم من أننا قد تجاوزنا الطرح العلماني الذي كان سائدا قبل عقدين أو ثلاثة والذي يعزو هذا العائق إلى الإسلام ذاته لأن اعتبار الشريعة الإسلامية هي المصدر لقضايا التنمية ، وهي قضايا سياسية واقتصادية واجتماعية لا يتناسب بزعمهم مع واقع العصر وتعقيداته اقول على الرغم من الفكر الإسلامي قد تجاوز هذا الطرح إلا أننا لازلنا مترددين ـ أو على الأقل مقصرين ـ أمام كثير من الشبهات التي يطرحها كثير من العلمانيين اليوم والتي تركز على أن الحركات الإسلامية ـ وليس الإسلام ـ هي العائق أمام « التحديث والتنمية في بلاد المسلمين » منذ أكثر من ١٣٠٠ عام ، يقول برهات غليون في كتابه « اغتيال العقل » : « ولعل سبب هذا الانحطاط في مفهوم التقدم العربي راجع هو

نفسه إلى الأزمة التي يعيشها مشروع هذا التقدم كما تبلور في القرن الماضي، أي كبناء لمجتمع عربي موحد ديمقراطي عقلاني عادل . ونتج عن هذه الأزمة نوعان من مواقف الهروب إلى الأمام ، أحدهما يقول بالتغريب الكامل بمثالبه وحسناته ، والثاني يقول بالانسحاب الكامل و « الأسلمة » أو العودة الكاملة للأصول » (ص ٢٠٧) ثم يصل إلى نتيجة يعتبرها عقلانية ومنطقية في آخر كتابه ، حيث يقول : « وعندما نقول أنه لا يوجد حل واحد لجميع المشكلات ، فنحن نعني أن المشكلات المطروحة اليوم على العالم العربي لا يمكن حلها جميعا من أفق أيديلوجي واحد ، أو من أفق أيديلوجي بشكل عام . هذا غير منطقي وغير ممكن وغير واقعي ، فليس هناك حل لمشكلة التنمية الاقتصادية ، الصناعية أو الزراعية من أفق الأيديلوجية السلفية أو الأصولية ، كما أنه ليس هناك حل للمشكلة القانونية والتشريعية من أفق ايديلوجية تنكر الاسلام أو تتنكر له .. » (ص ٣٦٤) . وهذا الطرح الذي نتحدث عنه يجد الآن اصداء كبيرة عند كثير من المثقفين ، وقد بدأ هذه الموجة المفكر المغربي محمد عابد الجابري في كتابه « الخطاب العربي المعاصر » (١٩٨٢ م) والذي أتبعه بعدد من الكتب تدور في فلك أفكاره الذي أثبتها في الكتاب المذكور . وقد تركز فكره في نقد الفكر التغريبي الكامل وفي نفس الوقت نقد الفكر الإسلامي الذي يعتمد على منهج أهل السنة والجماعة في التلقي والاتباع . وهو بهذا يؤسس فكرا جديدا يراه أصحابه وتلاميذه أنه فكر « عقلاني » موضوعي يستند إلى منهجية معرفيةصارمة ، مع أنه من الأساس فكر « تغريبي » يستقي أدواته المعرفية والمنهجية من نظريات المعرفة « الابستمولوجيا » الغربية التي لا تعترف بالعقائد الدينية ولا بالغيب والإيمان وثوابت العقيدة الإسلامية .

إن الخطاب الإسلامي الذي يدعوا إلى التوحيد والإيمان وإلي تطبيق الشريعة الإسلامية لا يدعو إلى طرح (ما ضوي) ـ كما يقولون ـ ولا يريد أن يعود العرب والمسلمون إلى ركوب النياق والحمير والبغال (كما يعبر أحمد عبد المعطي حجازي ـ الأهرام ١٥ ابريل ٩٢) . بل هم يدعون إلى طرح مستقبلي واضح يرتكز على عقيدة سماوية وشريعة ربانية أنزلها الذي يعلم ما كان ويكون وما سوف يكون ، ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ . وهي ليست من مخلفات الماضي مثل شريعة حمورابي أو قوانين الرومان ، بحيث نقول إنها خضعت لتصورات الإنسان الذي عاش في تلك الفترة وفي تلك البيئة وفي تلك الظروف المحيطة ، إن الشريعة التي ندعو إليها هي شريعة متكاملة تربط العقيدة والعبادات والأحكام والحدود والأخلاق والآداب وجميع شؤون الحياة في بوتقة واحدة لا تنفصل وتربطها بعبادة الخالق سبحانه وتعالى ﴿ **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين** ﴾ .

إن هذا الذي نقوله الآن هو من البديهيات التي لم تكن مطروحة على العقل المسلم قبل عقود من الزمن ولم يحتاج المسلم إلى تعمق في دراسة العلم الشرعي أو في قراءة كتب الفكر والثقافة ، لكي يفهم هذه البديهيات ، ولكننا في هذا الزمان ـ والله المستعان ـ أصبحنا نجادل أهل الفكر والثقافة ـ أنفسهم ـ في اساسيات الدين والعقيدة التي لا تستقيم حياة المسلم بدونها.

ولكن إذا سلمنا بهذه البديهية وابتعدنا قليلا عن « ردود الأفعال » لما يثيره بعض العلمانيين ، وتساءلنا : هل الفكر الإسلامي الذي يطرح في الساحة الآن قد اهتم اهتماماً جدياً بقضايا التنمية في العالم الإسلامي ؟

أحسب أن الجواب سيكون بالنفي . . ذلك أن الفكر الإسلامي ، وجهود الدعوة عموما لا تزال مشغولة بقضية كبرى (وحق لها أن تشغل بها) ألا وهي تراكمات موجات التغريب خلال قرن من الزمن أو يزيد ، وكادت هذه الموجات أن تقتلع الأمة من جذورها وتجعلها جزء تابع للغرب أو الشرق . إن الاهتمام بقضية الهوية هو من الأولويات ولا شك ويجب أن يتفرغ لها القادرون على التأصيل لها والإبداع في طرحها ، ولكن ينبغي على المفكرين والأكاديميين الإسلاميين الاهتمام بقضايا حيوية تعصف بالمجتمعات الإسلامية ومن أهمها قضايا التنمية التي غربت بها الأفكار الدخيلة أو شرقت بها ، فأصبحت التنمية في بلاد المسلمين اضحوكة يتندر بها صحفيو الغرب ومنظروهم .

إن الحاجة اليوم ماسة لدراسة أكثر من قضية تنموية ، دراسة عميقة مدعمة بالوثائق والإحصاءات ومبنية على أسس منهجية علمية واضحة لا مجال فيها للعاطفة المفرطة في التشاؤم أو التفاؤل أو في استباق النتائج . والمطلوب ليس فقط تنظيرا اسلامياً لهذه القضايا وإنما دراسات واقعية وتطبيقية تهتم بمحاولة وضع تصورات وحلول للمشاكل القائمة حاليا . إن لدينا الآن فرصة تاريخية لإبراز الفكر الإسلامي الصحيح الذي يلتمس حلولا جذرية من منظور إسلامي للمشكلات التنموية التي تعانيها المجتمعات الإسلامية ، ولعلي أشير هنا إلى بعض الأمثلة للقضايا الحيوية التي يجب أن نهتم بدراستها ، وهذه الأمثلة تمثل قضايا كبرى تحتاج إلى أن تجزأ إلى قضايا صغيرة تجعل من السهل دراستها ، ومن هذه القضايا .

١ ـ قضايا التعليم : ويدخل فيها قضايا غياب الرؤية الإسلامية للعملية التربوية ، ضعف الناتج التعليمي ، وانفصال واقع التعليم وأهدافه عن حاجات

المجتمع ، قضايا إعداد المعلم والمربي وفق منهج الكتاب والسنة ، إيجاد الحلول لمشكلة الأمية ، وغير ذلك من القضايا .

٢ ـ قضايا الإقتصاد : ومنها قضايا أولويات النظام الاقتصادي في الإسلام وقضايا النمو الاقتصادي والهدر العام والتبذير والاستهلاك ، ومنها وقضايا الديون والعجوزات ، وقضاياالنفط والتصنيع والتجارة الدولية والاتفاقات الاقتصادية وغيرها .

٣ ـ قضايا التنمية الاجتماعية : ومنها قضايا النمو السكاني ، والبيئة وبرامج التثقيف والتوعية ، وقضايا الإعلام وقضايا العنف والتفكك الأسري والجنوح وغيرها .

٤ ـ قضايا التقنية والتقدم العلمي : ومنها قضايا التخلف التقني ، وقضايا نقل التقنية أو استنباتها ، وربطها بالنظام العقائدي والأخلاقي للأمة .

كل هذه القضايا (وغيرها كثير) بحاحة إلى دراسات عميقة من قبل المفكرين الاسلاميين توازي الجهود التي يبذلها القائمون على بعض المؤسسات العلمانية في العالم العربي التي تعقد المؤتمرات والندوات وتنشر الكتب والمقالات عن هذه االقضايا حتى غدت مفاهيم النهضة والتنمية ترتبط غالبا بمفاهيم علمانية مثل مفاهيم (حق الأمة في التشريع) في قضايا السياسة وغيرها ، ومفاهيم إبعاد الدين والغيبيات عن عقول الناشئة في قضايا التعليم ، ومثل تقديم مفاهيم المصالح المتبادلة وقوى السوق في قضايا الاقتصاد ، ومثل مفاهيم تحرير المرأة ومشاركتها في جميع مجالات العمل ، ومفاهيم تحديد النسل في القضايا الاجتماعية ، وهناك قائمة طويلة من المنطلقات العلمانية

التي تتناول قضايا التنمية لا يمكن تقصيها في هذا المقال .

وقد سبب غياب الفكر الإسلامي الصحيح عن قضايا التنمية ، احتلال أصحاب الفكر التغريبي لمواقع عالية في المؤسسات الحكومية والدولية في شتى أقطار العالم الإسلامي ، بل لقد أوهم كثير من العلمانيين وهم يكتبون ويتحدثون عن هذه القضايا ، أوهموا أصحاب القرار السياسي والاقتصادي في البلاد الإسلامية بأنهم هم الذين يفهمون لغة الأرقام ولغة النتائج الإحصائية ولغة التخاطب في المؤتمرات الدولية والمحلية ، أما أهل العلم والدعوة وأصحاب الفكر الإسلامي فإنهم لا يعرفون إلا لغة الشعارات والخيالات والقضايا الهامشية !!

فهل من وقفة جادة من أصحاب الفكر الإسلامي مع هذه القضايا .. وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ **افمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمّن يمشي سوياً على صراط مستقيم** ﴾ .

التواضع

سمة .. قيادة .. أيضا

سامي سلمان

التواضع سمة وخلق رفيع من تحلى به ساس نفسه ومن ساس نفسه ساد الناس [1] .

وقد تبدو العلاقة بين التواضع وسياسة النفس وسيادة الناس غير واضحة ولكنها تتضح عندما ندرك معنى التواضع الحقيقي ، سئِلَ الفضيلَ بن عياض عن التواضع فقال :

« يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن قاله » .

فإذا كان هذا هو حال المتواضع فهو قد ساد نفسه بلا شك وإذا أحببنا أن نبحث عن طرف المعادلة الأخير فلابد أن نستمع لابن عطاء وهو يقول : « العز في التواضع » .

وقد ساد رسول الله ﷺ الأمة وساس الناس وهو سيد ولد آدم وخير الناس ، فكيف كان حاله :

ـ كان إذا صافح الرجل لم ينقل يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده . [2]

ـ كان يوم الأحزاب ينزع التراب ولقد وارى التراب بياض بطنه . [3]

ـ كان يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم . (٤)

ـ كان يتخلف في المسير فيزجي * الضعيف ويردف العاجز ويدعو لهم . (٥)

ـ كان يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤوسهم . (٦)

ـ كان يدعى إلى خبز الشعير . (٧)

ـ كان يقول : « هون عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد » (٨) .

ـ كان يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويحتلب الشاة . (٩)

ـ كان يقول : « أنتم أعلم بأمور دنياكم ...... » .

(فأي تواضع أعظم من هذا التواضع ورسول الله ﷺ قائد الدولة وإمام المسلمين والمشرع لهم عن الله والموحى إليه من ربه ......) .

وعليه فإنه ينبغي التنبيه إلى أن المسئولية تستوجب التواضع إذ أن التواضع الحقيقي هو التواضع لله ومن عرف الله عرف الناس وأنزلهم منازلهم .

ولقد كان رسول الله ﷺ أعرف الناس بربه فهو القائل أنا أتقاكم لله .

وإن ارتباط هذه السمة بنجاح القيادة ينتج من معاني عديدة ينبغي التنبيه لها أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : ـ

١ ـ إن المتواضع لين ، سهل المعشر ، يفتح له الآخرون قلوبهم مما يسهل عليه حين يكون قائداً مسئولاً القدرة على التوجيه وتملك زمام الآخرين من

خلال قلوبهم لا من خلال منصبه وجبروته وعنفوانه وهو ما يحتاجه القائد الناجح، إذ أن الولاء الحقيقي للأفراد والمنظمات هو ما ينبع من حب الموالين واحترامهم لرؤسائهم .

٢ ـ إن المتواضع أقدر الناس على الاعتراف بأخطائه إذ يدرك أن اعترافه بوقوعه في الخطأ لا يسلبه احترام الآخرين له وليس هو الذي يقول ويتبجح بأنه صاحب الحق دائماً بل هو على العكس من ذلك فاعترافه بالخطأ بصراحة وأمانة وشجاعة هو تأكيد لبشريته وإتاحة المجال لإصلاح الخطأ بدلاً من الاستمرار عليه . ولا شك أن هذا هو عين ما يتميز به القائد الناجح إذ لا يُقبل نجاح قيادة تصر على الاستمرار بالخطأ .

٣ ـ إن المتواضع يعطي الناس حقهم وقدرهم فلا يحتقرهم مما يساعد على إيجاد روح المشاركة وإبداء الرأي وبروز الإبداع الذي يحتاجه أي قائد ناجح إذ لا نجاح لقائد دون وجود هذه الروح بين مرؤسيه .

٤ ـ إن المتواضع لا يعيش في عالم الغرور والتيه والكبرياء الذي يجعل القائد يحسب نفسه وكأنه صاحب صفات ومزايا لا يملكها إلا هو وحده ثم لا يلبث إلا قليلاً وتنكشف حقيقته فلا يبق له هذا النجاح المصنوع . يقول أحد العارفين :

« لا يمكن للرئيس أن يخدع مرؤوسيه طويلاً ولابد أن تكشفه الأيام والنوائب فإذا كان متواضعاً أمام نفسه بقى قويا أمام الآخرين وإن كان صادقًا استطاع أن يطلب الصدق من الآخرين » (١٠) .

٥ ـ إن المتواضع تأبى نفسه أن يكون أنانيًا لأن الأنانية هي وليدة الغرور ولا يجتمع متضادان في نفس واحدة وعليه فإن القائد المتواضع هو الذي

يعيش ليحقق أهداف الجماعة والمصلحة العامة بدافع الواجب والذي ينجح ليحقق هدفًا جماعيًا ليس كفرد ينجح ليحقق هدفًا فرديًا فالأول يكتسب بحبه للآخرين وولاءهم والآخر ينتظر الآخرون فشله بتلهف .

٦ـ إن المتواضع أعظم من أن يجعل لحب الظهور مدخلا إلى نفسه ، يقول أحدهم : « يعمل الرئيس المغرور بدافع حب الظهور فيجد نفسه في النهاية محاطًا ببطانة لا ترى إلا بعينيه ولا تسمع إلا بأذنيه فيفقد الفائدة التي يحملها إليه انتقاد معاونيه الصالحين الذين يرون الأشياء من زاوية مختلفة ، كما يفقد الاحتكاك مع الوسط الذي يعيش فيه ، فيصبح غير أهل للقيادة .(١١)

رحم الله عمر بن عبد العزيز فلقد كان متواضعًا وكان قائدا أحبه الناس . يقول سهيل بن أبي صالح « كنت مع أبي غداة عرفه ، فوقفنا لننظر لعمر بن عبد العزيز ، وهو أمير الحاج ، فقلت يا أبتاه والله إني لأرى الله يحب عمر ، قال : بم ؟ قلت : لما أراه دخل له في قلوب الناس من المودة » .

ولا عجب في ذلك فمن كان حاله ما أسلفناه من التواضع أحبه الناس ، ولا شك أن هذا هو معنى نجاح القيادة الحقيقي . (١٢)

الهوامش :

(١) ذكره الماوردي ، في كتاب أدب الدنيا والدين .

طبعة دار اقرأ ص ٢٤٥ .

(٢) أخرجه الترمذي وغيره وهو في المشكاة (رقم ٥٨٢٤) .

(٣) عن صحيح مسلم (كتاب الجهاد) باب غزوة الأحزاب .

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم ٢١١٢) .

(٥) صحيح أبو داؤد رقم (٢٢٩٨) .

(٦) رواه النسائي ، انظر السلسة الصحيحة رقم ١٢٧٨ .

(٧) صحيح الشمائل المحمدية رقم ٢٨٧ .

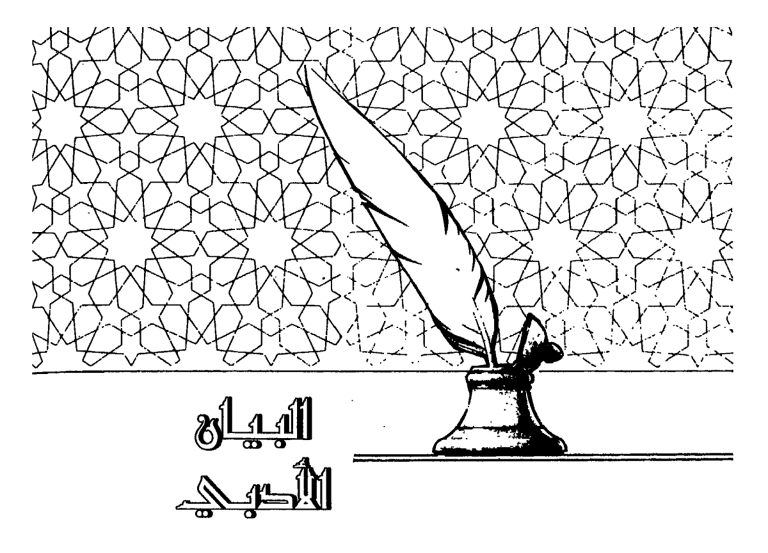
(٨) سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم ١٨٧٦) .

(٩) رواه الطبري في الكبير وغيره وهو في السلسلة الصحيحة رقم ٢١٢٠ .

(١٠) فن القيادة ص ٥٩ .

(١١) المرجع السابق ص ٥٨ .

(١٢) كل ما ذكر عن عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ نقل من المجلد الخامس في سير أعلام النبلاء طبعة مؤسسة الرسالة .



- نحو شعر إسلامي مبدع .
- برقية إلى بيقوفتش .
- الإفـك الثقافي والأدبي .

نحو شعر إسلامي مبدع

بقلم : إبراهيم بن منصور التركي

مدخل

تفتح مجلة البيان الحوار الهادف والبناء حول ما طرحه الكاتب من آراء حول هذا الموضوع ولاسيما من ورد ذكرهم في المقالة ـ وصولاً إلى الرأي الصواب ورغبة في النهوض بالأدب الإسلامي إلى المستوى اللائق به .

ـ البيان ـ

درج الباحثون في دراسة الآداب على أن يسبقوها بالحديث عن حيوات العصور المدروسة ، فيتحدثون عن التيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التي زامنت الأدب ؛ ذلك لأن الأدب ـ في حقيقته ـ انعكاس شعوري يتأثر بما تفرزه تلك التيارات سلبًا أو إيجابًا . وما اقتيات الأدب العربي المعاصر من موائد الرطانة المستعجمة إلا شاهد إثبات حي على ما أشربته بعض المجتمعات العربية (والإسلامية) من حب مناهج الغرب الحياتية .

إن عدم شيوع فكر إسلامي ناضج يظل الأدب في ظله ويكلؤه برعايته سبب رئيس وراء غربة الأدب الإسلامي . لقد نبت الفكر المعاصر على السحت حتى أوشك الأدب أن يرتع فيه لولا بضع أيادٍ تداركت منه بعضًا .

على أن تلك الأيادي لم تخل ــ بحسن نية ــ من بعض القراءات الخاطئة ، فأدخلت في حقل الأدب الإسلامي أعمالاً بينه وبينها بعد المشرقين ، لمجرد تناولها حوادث تاريخية أو إسلامية معروفة . فلأن توفيق الحكيم يحكي قصة (أهل الكهف) في مسرحيته المشهورة ، ولأن صلاح عبد الصبور يعرض (مأساة الحلاج) !

في مسرحية أخرى ، اعتُبِر عمليهما أدبًا إسلاميًا دون النظر إلى البعد الفكري الذي تنطوي عليه المسرحيتان (١) رغم أن كاتبًا آخر يطرح رأيًا نقيضًا حول مسرحية صلاح عبد الصبور ، يرى فيه أن الحداثيين (يعتبرون رموز الإلحاد والزندقة أهلَ الإبداع والتجاوز ، وأهلَ المعاناة في سبيل حرية الفكر والتجاوز للسائد ، وألفوا في مدحهم القصائد والمسرحيات والمؤلّفات كما فعل صلاح عبد الصبور مع الحلاج) (٢) . إن مثل هذا الخطأ ــ غير المقصود ــ لم يكن ليحدث لو أن المسرحية وقفت في محكمة الفكر الإسلامي .

بل لعل ذلك اللغط الذي يدار بين الفينة والفينة حول مشروعية الأدب الإسلامي مصطلحًا وأداءً ، لم يكن ليظهر لولا أن ساحاتنا الثقافية ثمُلت من ماء الفكر الآسن المتلوث بمعميات العلمانية والقومية والعقلانية والتنوير وما أشبهها .

لقد كان في غياب الرؤية الإسلامية تناسل للرؤى الضبابية ، وإثارة للزوابع المفتعلة حول النص الأدبي الإسلامي . بيد أن مؤثرات أخرى أوغلت في فعلها السلبي إلى داخل النص ؛ إذ لا زال بعض من منظري الأدب الإسلامي ومطبقيه يصرّ على تكبيل الشعر والحد من قدراته الجمالية ، تارة

بإلباسه عباءة الهدف الأخلاقي ، أو سربلته تارة أخرى في ثياب المكاسب النفعية المجردة . على أنني لست من أرباب الفصل الحاد بين المتعة والمنفعة في تحديد وظيفة الأدب ؛ ذلك أني أعتبر علاقة المتعة بالمنفعة كعلاقة الجزء بالكل . إنّ تحقيق المتعة المشروعة منفعة ملحّة لا غنى للحياة الكاملة عنها ، وإيجاد الجمال المشروع جانب تكميلي لا تتم الحياة إلا به .

ومن هذا المنطلق أرى أن الفن بكل مفرداته ليس إلا عملاً غائبًا ينتهي عند تحقيق الإمتاع المشروع (٣) ، يستوي في ذلك الرسم والشعر والموسيقى (٤) .

تلك هي الوظيفة الأصل في مهمة الفن ، وإن كان لا يخلو من وظائف طارئة تتلبّس النفعية أحيانًا دون أن تكون خالصة لها . غير أن قلب الأمور أحيانًا يحيل الطارئ إلى أصيل والغاية إلى وسيلة ، وذلك عندما يتم القول بأن (الفن في الإسلام يتخذ مسلكًا مميزًا ، فهو ـ (كما يقول الكاتب) ـ وسيلة مهمة من وسائل إثراء الحس الجمالي عند الإنسان ، ولكنه بفضل منهج الإسلام السليم لا يكون غاية في ذاته ، بل هو وسيلة إلى غايات سامية .) (٥) .

ولا يمكن قبول ذلك على إطلاقه ، فالفن ـ إذا شئنا اعتباره وسيلة ـ فليس إلا وسيلة إلى هدف أُخروي ، هو دخول الجنة ، على اعتبار أن قصد المسلم في جميع أعماله أن تقربه إلى الله زلفى . أما أن يكون الفن وسيلة إلى هدف نفعي يتحقق في الدنيا فذلك مما اختلف مع الكاتب فيه ، وإن كنت لا أريد أن أحجّر واسعًا فتغلق أبواب النفعية في الأدب ولكني أشدد على أنها تظل طارئة وأن الأصل في الأدب هو الجمال . إنّ فرقًا في جماليات النص يظهر واضحًا بين من يُسخّر جهده ليعلي من أدبية النص وبين من يبتغي به

وجـه المكاسب الـنفـعيّة . على أني لا أشك في أن أرقى الـنصـوص هو ذلك الذي يستطيع بلوغ هدفه النفعي عبر فنّيات العمل الأدبي .

وإذا كـان العائق السـالف يبـوء بإثم التـقريرية والوضـوح والخطابيـة في الشعـر الإسلامي فـإن عائقًا آخـر يأتي ليزر وازرة التـخليط المستـهجن . هذا التخليط الذي يجعل بعض القصائـد أمشاجًا من المعاني لا يؤلف بينها رابط ، فتبـدأ القصيدة بلا إعداد مسبق لخط السير الذي ستمـضي فيه (٦) ، وتخبط خبط عـشواء ، دون أن يكون ثمة مـعنى عام تمضي لتؤديه ؛ مما يجـعلها مِزقًا من الخواطر تنوء بالتشرذم والشتات .

لقد وقف الناقد العربي ابن قتيبـة موقف المدافع عن الشعر الجاهلي حينما اتّهم بتـشتـت موضـوعـاته ، فراح يبـحث لتلك الظاهـرة عن تعليل ، وبرغـم تعسفه في التعليل (٧) إلا أنه ذو دلالة واضحـة على أن ابن قتيبـة كان يرى أن الشاعـر الجاهلي يتصـوّر عمله وحدة مـتصلة الأجزاء يسلم الواحـد منها إلى صاحـبه . وكـذلك كان الناقـد ابن طبـاطبا يوجب جـاهزية المعنى في الذهن بصورته النثرية قبل الشروع في كـتابه القصيدة (٨) . وفي الوقت الذي كـان فيـه النقد العربي يعـيب التعلق المعنوي للبـيت الشعري بما قـبله أو بعده ، يأتي ناقد كابن الأثير ليجيز ذلك محتجًا بوروده بين الآيات القرآنية (٩) .

إن تلك الشـذرات التراثية تأتي لتـؤكد على أن ترابط القـصيـدة ووحدة معناها هاجس كاد النقـد العربي يركن إليه لولا أن معيار وحـدة البيت شغف القصـيدة العـربية حبًا ومـلأ عليهـا قلبهـا . ومهمـا تكن القصـيدة القـديمة قد عضّت على ذلك المعيـار بالنواجذ ، فإن ذلك لا يعيبـها فلكل عصر مقـاييسه الخاصة . غيـر أن الأنماط المعيشية المنتظمة في عـصرنا الحاضر توجب لونًا من

التفكير المنظّم ، وهو تفكير يدفع الشاعر إلى أن يعرف سلفًا : كيف سيبدأ ؟ وكيف سيستمر ؟ وكيف سينهي القصيدة ؟ . ثم بعد أن يرتسم منهج القصيدة في ذهنه كاملاً يشرع في تدوين تجربته الشعرية متحرّفًا إلى التتابع المنطقي بين معانيه .

والذي يبدو أن إمساك القصيدة الإسلامية بعِصَم التقليدية احتجزها في زاوية ضيقة لم تخرج منها بعد . ففي الوقت الذي أثبت الشعر الحر (شعر التفعيلة) وجوده على الساحة لازال بعض النقاد الإسلاميين يماري في مكانته (١٠) ، ولازال بعض الشعراء محجمًا عنه أو مقلاً منه . إننا لا نشك في أن الشعر العمودي متى ما أبدع كان السقف الأعلى للإنتاج الشعري . بيد أنّ ذلك لا يمنعنا من طرق الأبوابْ الجديدة ، وتجريب الأشكال الشعرية المعاصرة متى توفر فيها إيقاع الشعر وموسيقيته الشعرية .

هذا الجمود الشكلي عند بعض الأدباء الإسلاميين صاحبَه جمود دلالي ظلّت القصائد تئن تحت وطأته بلا فِكاك ، ونراه يتمثل في وقوع القصيدة الإسلامية مضغة في شدق المأساوية الدامية ، لا تكاد تخرج منها إلا إلى شعر المواعظ والزهد . وبرغم هذا فإن القصيدة لازالت دون المستوى المأمول في شعرها المأساوي ذاك . فكما لَفَظَ الذوق السليم شعر الغزل الصريح لوقوفه عند معانٍ مستهلكة لا تتجاوز الخد الوردي والشَعر الفاحم والقوام المعتدل ، فقد استكره من الشعر الإسلامي استعادته ــ أو سرقته على رأي النقد العربي القديم ــ لمعانٍ لاكها الشعر من قبل حتى مجّها . فلا زالت القصيدة تعيد ــ بتسطيح ظاهر ــ المعاني ذاتها التي ذكرها أبو البقاء الرندي في نونيته قبل عدة قرون ، وهي لا تتجاوز اغتصاب أنثى وتيتيم طفل وإبادة الرجال والشيوخ .

إن تلك المآسي تحتاج إلى توظيف فني يعمّق أثرها في النفوس بتناول للمأساة منفرد عبر مشاهد تعرضها وتكشف آثارها الخبيثة ، بدلاً من جمع البيض في سلة واحدة كما فعل الرندي .

على أني أعتب على كثير من الشعراء الإسلاميين عدم طرقهم موضوعات شعرية أخرى غير الشعر المأساوي ، فقد أَفَلَتْ شمس الشعر الوجداني وشمس الشعر الغزلي العفيف ، فلم يعد لهما وجود بينهم . إن ما يجب أن نذكره ها هنا أن طرحنا للأدب الإسلامي يعني اعتباره الخيار الأول والأخير ، وأن وجوده في الساحة يعني رفض ما سواه ، مما يوجب توسيع دائرة الأدب الإسلامي ليستوعب جميع الإبداعات المحتمل وجودها في المجتمع المسلم ، والتي لا تتعارض نصًا أو روحًا مع الإسلام .

ومن ذلك المنطلق أرى وجوب مخاطبة الشعر الإسلامي لجميع فئات المجتمع ، بحيث يتوجّه قسم منه ، عبر الوسائل التعبيرية القريبة ، ليحرّك وجدانات العامة ويثير انفعالاتهم ، على أن يبقى منه قسم آخر يستهوي المتخصصين في الأدب والنقد بتقنياته الفنية العالية .

إني لا أريد أن نقع ــ كما وقع الكثير من النقاد ــ في مزلق النظرة الأحادية عند الحكم على النتاج الشعري ، لقد ذهب بعضهم بدافع تقديس الرؤية الجمالية إلى تفضيل شعر الغموض ، وبزاوية قدرها مائة وثمانون درجة انحرف آخرون نحو شعر الوضوح تحت ستار نفعية الأدب .

بينما ما أعتقده أن القضية لا تحتاج كل ذلك الورم التنظيري ؛ فالشعر الزبد سيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ، وإن كنا نتمنى أن يكون الشعر الإسلامي قد اختار لنفسه منزلة بين تلك المنزلتين ، فلا يُوغل

في سماء الغموض ، ولا يُغرِق في بحار الوضوح .

ومما يلاحظ أن النقد المعاصر قد وجّه وجهه نحو تمرير الإبداع الساذج وتبريره ، فإني أرجو أن لا تزلّ قدم النقد الإسلامي المعاصر ، بعد ما رأيت الثناء المتبادل يلفح في وجه النقد الإسلامي ، مع تغييب للفعل النقدي الفاعل الذي يتلمّس الأخطاء ويبحث سبل إصلاحها ، ولعلي أرجو أن يكون ما كتبته مساهمة مفيدة في قطع مشوار من ذلك الطريق الطويل .

والله الموفق ،

الهوامش :

(١) يرى الأستاذ الفاضل الدكتور سعد أبو الرضا في كتابه (الأدب الإسلامي .. قضية وبناء) أن مسرحية صلاح عبد الصبور المذكورة مما يكشف عن روعة قيم هذا الدين في الإخلاص للمبدأ وهداية الناس (ينظر ص ١٣١) ومن فتاوى ابن تيمية ـ رحمه الله ـ إشارة إلى أن الحلاج من أهل البدع والزندقة ، لا أنه من المخلصين لهذا الدين كما فهم الدكتور أبو الرضا . (انظر الفتاوى مجلد ١١ / ص ١٨) .

(٢) عوض القرني ـ الحداثة في ميزان الإسلام ص ٢٩ . لمعرفة المزيد عن فكر صلاح عبد الصبور تنظر صفحات (١٠٣ ـ ١٠٦) .

(٣) يمكن القول بأن الإحساس بمتعة الجمال الفني سبب في حصول ما يسميه أرسطو بالتطهير وهو تحرر الإنسان من الانفعالات الضارة (النقد الأدبي الحديث ص ٨٠ ـ د . محمد غنيمي هلال) .

(٤) موقف الإسلام من الموسيقى مثل موقفه من الشعر والرسم ، فقد أباح الموسيقى بقيود تبدأ بتحديد الآلة الموسيقية وهي الدف و وتنتهي بتحديد وقت استخدامها مقيداً ، في الأعراس والأعياد .

(٥) د . عبد الرحمن العشماوي ـ بلادنا والتميز ص ١٢٢ .

(٦) نشرت مجلة المشكاة / العدد ١٣ / ص ٨٩ / دراسة حول الشعر الإسلامي محمود مفلح ، وجاء فيها مقولة للشاعر نفسه يقول فيها : (الحقيقة لا أنا أهندس القصيدة ولا أخطط لها .... ولم أجلس في حياتي قط لاستجداء القصيدة أو استعطار عطفها ودلالها ...) !!!

(٧) لمطالعة تعليل ابن قتيبة يرجع إلى (الشعر والشعراء ـ ص ٦٣ ـ تحقيق شاكر) .

(٨) ينظر : عيار الشعر ص ٥ .

(٩) ينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ص ٢٩٣ .

(١٠) انظر مجلة المشكاة / العدد ١٤ / مقال بعنوان (القرآن والسنة يحددان ما هية الشعر العربي) للدكتور : رضوان محمد حسين النجار / ص ٢٢ .

برقية إلى بيقوفيتش

د / محمد بن ظافر الشهري

بيقوفيتش ..
أعرف أنك لم تسألني قول الشعرْ
أعرف أنك لم تسألني كسرة خبزْ
أعرف أنك لم تسألني شربة ماءْ
أعرف أنك لست تريد كساءْ
أنت تريد الجمرْ
تغرسه في عين الكفرْ
تقذف فيه كلاب الصربْ
وخنازير الجبل الاسودْ
توقد منه فتيلَ النصرْ

*****

بيقوفيتش ..
ثِق في قوليْ
فأنا مثلك مسلمْ
آلمُ للجرح كما تألمْ
سيقول لك الغرب الكافرْ

لا تسمع قول الإرهابيْ
لا تَتْبَعْ هذا المتطرفْ
بيقوفيتش ..
إني أحسبُ أنك تعرفْ
إنك في حكمهمُ الجائرْ
إرهابي
أنت أصوليٌّ متطرفْ

* * * * *

بيقوفيتش ..
لا تسأل أمما متحدهْ
أن تتدخلْ
فالبطرسُ ذو الكف الأحمرْ
مشغول جداً في البصرهْ
يقتل أطفالاً ونساءاً
كي يرتاحوا
من بطش البعثّي « الأصغَرْ »
ولقد نفذ في « كسمايو »
نفسَ الفكرةْ
وقريباً قد يصدر أمرَهْ
بدخول السودان الحُرّة

* * * * *

بيقوفيتش ..
لا تدخل معبد بيزنطه
لا تسأل أوثانَ الرومْ
إن تسألهمْ .. سيقولونْ :
لا تطلب دعم الإرهابْ :
لا تطلب نبلاً وحرابْ
نَفّذْ أمرَ « الباب العالي »
بطرسْ غالي
خذ منّا شجباً
خذ تنديداً
وخطاباً معتدلَ اللهجةْ
.. سيقولونْ :
اطلب منّا « ما يطلبهُ المستمعونْ »

* * * * *

بيقوفيتش ..
كيف تسير بلا نعلينْ
تطلب غوثاً في صحراءْ
ليس بها زرع أو ماءْ
سيحدثك الرملُ الأبكمُ فيها
بأحاديث « المَبْعوثَيْنْ »
كيف قصدتَ النهر الأعظمْ

تحكي للطحلبِ ما يجري
وسواءً يا بيقوفيتشْ
فهم الطحلبُ أمْ لَمْ يفهمْ
فسيرفض رفضَ الصحراءْ
أن تُلْزِمَهُ ما لا يلزمْ

*****

بيقوفيتش ..
تعلمُ أن زيوتَ الأرض « بِرِنْتْ »
زيت « بِنتْ »
لن يملأ قنيدلك أنتْ
زيت «برنتْ »
يملأ أخدوداً صربياً ، يستوعبُ كلَّ البشناقْ
املأْ قنديلكَ يا عِزّتْ
بدموعٍ من عينيْ ثكلى
بدماءٍ من صدر مجاهدْ
وإذا شئتَ بألا يُطْفأُ
املأْ قنديلكَ يا عزتْ
بدموعكَ ودمائكَ أنتْ

*****

بيقوفيتش ..
لا تُدخلْ كفكَ في الأرضِ السُّفلى

لا تملأها وحلا
ارفع كفيكَ إلى الأعلى
أعلنها حرباً من أجل اللهْ
صدقني .. لن تخسر شيئاً يُذكرْ
فسياستهمْ لن تتغيرْ
فبنو الأصفرْ
منذ البدءِ تلقوا من « كيسنجرْ »
هو من نَظّرْ
ومن الدينِ قديماً حَذّرْ
بيقوفيتش ..
صدقني أنك لن تخسرْ
سوف تُمكّنُ مِنْ أنْ تَثأرْ
سوف تُظَفَّرْ
ستعيش إذا عشت حميدا
وإذا مت تكون شهيدا
هذا نصح أخيك المسلمْ
لا يعرف زورا ونفاقا
لا يؤمن « بالعرف الدولي »
لا يحمل معنى للغشْ
صبراً صبراً بيقوفيتشْ

الافك الثقافي والأدبي

اعداد : نورة السعد

لا خير في نشيد شاعر ولاصوت مغن

إذا لم يفيضا على المجتمع الحياة والحماس (محمد اقبال)

لقد وضعت بين أيدينا آلاف الكتب المترجمة ، لنطلع على اداب الغرب والشرق من الدول الوثنية والأدب الوثني على وجه الخصوص ، كل ذلك تحت اسم عالمية الثقافة ، وبهدف تعريفنا بالعطاء الانساني !! في ألوانه الجاهلية !! بل لقد دعينا من قبل أكثر مثقفينا إلى الانفتاح على الثقافات العالمية ، وحضنا بعض المتحمسين على الالتفات إلى الثقافات الاسيوية الوثنية في الصين والهندواليابان وكوريا (انظر على وجه التحديد د . عمار الطالبي ــ بحث بعنوان : التفاعل والتواصل بين الثقافات الانسانية ــ قدم في ندوة الثقافة العربية : الواقع وافاق المستقبل من ١٢ ــ ١٥ ابريل ١٩٩٣ ــ جامعة قطر)

ولكن ما طبيعة ذلك التواصل والتلاقح الثقافي المقترح بين الإسلام والحضارة الوثنية ؟؟

وكيف يمكن أن تتصالح هاتان المنظومتان المتعارضتان : (ثقافة تراعي

الشمـول الإنساني بين وفـاء الانسان لربه وتزكـيتـه لنفسـه ونقاء قلبـه وعمله لآخرته والأخذ بالمقتضيات العصرية .

ثقافة مؤسـسة على الوحي وثقافة لم يرد لها أصحابهـا هذا الأمر ، ثقافة ترفض الغيبيـات وتقوم على المادة أساسا وثقـافة تتبنى ثوابت إنسانيـة لا تغير فيها من جانب العقيدة والعبادة والأخلاق وأصول المعاملات .... ومصطلح التفاعل والتواصل ، هل مفهومهما واحد لدى الثقافات ؟

وأين رحابة الصدر الواسـعة في الثقافـة الإسلامية التي تتسع لـلمخالفين وكم بينها وبين الثقافات الأخرى التي تضيق بالمخـالفين ولا ترضى بغير التبعية والالحاق ﴿ **ولـن ترضى عنـك اليـهـود ولا النصـارى حتى تتـبع ملتـهم** ﴾ (البقرة ــ ١٢٠) (تعقيب للدكتور محمد رأفت سعيد على بحث الدكتور الطالبي ، المشار إليه آنفا ــ استمع لشريط صوتي بعنوان : ندوة الثقافة العربية بالدوحة ــ بحث د . عمار الطالبي)

لماذ ــ ياترى ــ حرمنا من العطاء الإنساني في صبغته الإسلامية ؟؟

ولماذا حجبت عنا آداب الشعوب الاسلاميـة ، وإنتاجهـا الأصيل ، تلك التي تجـمـعنا بهـا العقـيـدة الواحـدة والصـلات النـاجـزة والآلام والآمـال المشتركة ؟؟

ومتى تفتح الصفحات الثقافية والأدبية ــ كما يسمونها ــ ، كوة صغيرة للأدب الاسـلامي ؟؟ متى يكـتشف القـراء المسلمـون أن أدب ناظم حكمت ليس هو الممثل الحـقيقي للأدب التـركي وأن ناظما ورفاقـه الشيوعيين ليسوا سوى الصوت النشاز في نسق الأصوات الاسلامـية المبدعة في تركيا من مثل محمد عاكف ، الذي تغنى في قصائده بالجهاد الإسلامي ضد قوات الحلفاء،

وتحدث عن محنة المسلمين في ظل (العلمانية) التركية ، وكذلك نجيب فاضل وابداعاته في الشعر والمسرح ، وسيزائي قره قوج ، ومصطفى مياس أوغلو ، وعلي نار ، وآخرين يمثلون حقا واقع الشعب المسلم في تركيا ومعاناته واباته ، ومتى يعلو صوت محمد اقبال عبقري شبه القارة الهندية على طنطنات القوم حول قصائد طاغور العالمية (! !) وفلسفته الوثنية ؟؟

متى سيفتح لنا باب صغير لندلف منه إلى عرصات الميدان الواسع للأدب الاسلامي المغبون ، ذلك الميدان الشاسع المتنوع ، لدى كافة الشعوب الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، قديما وحديثا ، زاد وفير يزدريه المثقفون ويعمى عنه الجاهلون ، ويتنكب عنه الدارسون والباحثون ـ تحت تأثير الأهواء والدعايات والغفلة ـ إلى سواه من الاداب القميئة التي تعملقت بفعل الأضواء الباهرة . متى نتوفر على دراسة الأدب الاسلامي ؟ لنقع على قواعده الخاصة ومناجمه الغنية ودروسه العظيمة ؟ متى ننظر إلى رسالة الأديب المسلم العقدية وإلى مفاهيم الأدب الاسلامي وقيمه الأدبية والبلاغية والنفسية والاجتماعية ؟

ومن منكم سمع عن الشاعر العربي المسلم كامل أمين ، شاعر الملاحم الإسلامية ، الذي يقف اليوم على مشارف العقد الثامن من عمره . لقد أبدع كامل أمين الملحمة الشعرية بمعناها الفني المتكامل وشهد له شيخ النقاد د . شوقي ضيف ، حين وصف ملحمته (عين جالوت) بأنها الشهنامة المصرية . وقد بلغت هذه الملحمة عشرين ألف بيت من الشعر وللشاعر ثلاث ملاحم أخرى وخمسة دواوين ومسرحية شعرية واحدة . فأين هو هذا الإنتاج الغزير ؟؟ (انظر مجلة المجتمع الكويتية ـ ٢٨ ـ شوال ـ ١٤١٣ ـ العدد ١٠٤٦ ـ ص ٥٠ ـ ٥١)

ولماذا يغيب كل شأن اسلامي عن أهله المسلمين ؟ ولم يضرب صفحا عن كلِّ انتاج يعبر عن وعي وعاطفة اسلامية ؟؟ ولماذا يحكم عليه ـ غيابيا ـ بالوهن والافتقار إلى الصنعة الفنية ؟

ولماذا يستبعد ويطرد من حياتنا الثقافية والأدبية تماما ؟؟ ومن الذي يحكم ؟؟ وما المعيار المعتبر في هذه القضية ؟؟

إنك إذا جرؤت اليوم على الحديث عن عقدية الأدب وأخلاقياته ، سيصرخون في وجهك : ما لنا ولهذا الحديث ؟ ألا تعلم أيها الجاهل بأن كتابة الأدب الحديث ، يعني أن تتحرر من كل القيود والضوابط . لقد روضت الحداثة ما كان صعبا حرونا ودخلت اليوم البذاءة والفحش والتجديف في الدين إلى ما يسمونه أدبا (والأولى أن يسمى انحلالا) . فالحداثة تعني التحرر من ورقة التوت ذاتها وصدق العمل وفنيته مرهون ، بمدى خوضه ـ العميق ـ في ما يسمونه الحياة التحتانية اللاواعية لفرد .

لكن الأديب المسلم ـ بالضرورة ـ أديب داعية مسلم ، ينطلق من مشكلات أمته وتحديات عصره ، ويلتمس ـ بعقيدة المسلم وبصيرته ـ الحلول والوسائل التي تتفق مع التصورات الاسلامية والمقاصد الشرعية . إن قضية الأديب المسلم هي بالذات قضايا الاسلام والمسلمين في العالم . وأنى للأديب المسلم أن يتجاهل كل هذه المآسي والمحن والنكبات وصنوف الإذلال والتعسف والهوان التي نزلت بساحة أمته لينصرف تلقاء مشكلات مصطنعة وقضايا باطلة من مثل الإشتراكية والوجودية والحداثية والشكلية !! (انظر شريط سمعي ـــ لمحمد قطب ـ بعنوان : رسالة الأديب المسلم إلى النظام الجديد) وقد برز إلى الساحة الأدبية الاسلامية المعاصرة أدباء متميزون

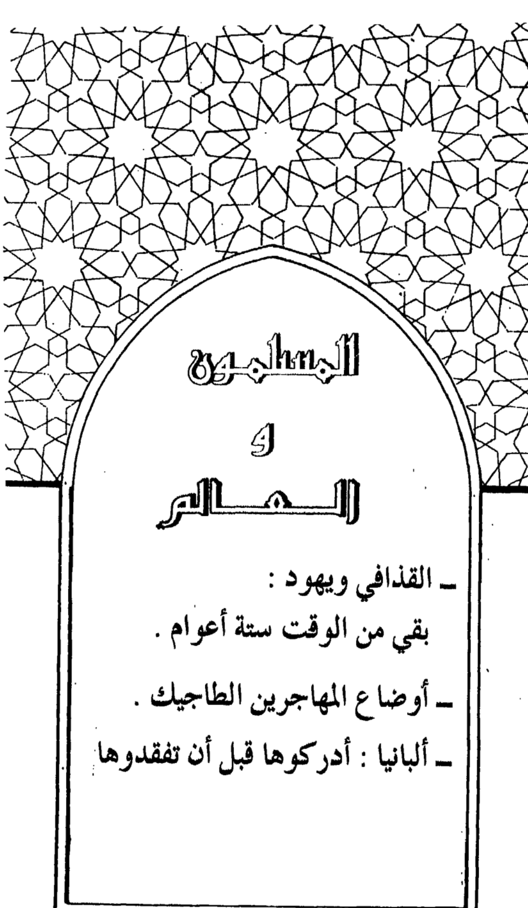
كبار، أمسكو بين أيديهم بخيوط الأدب والفكر والدعوة في آن واحد . عرفنا منهم محمد اقبال وسيد قطب وأبا الحسن الندوي . ولقد نظمت الملاحم الاسلامية القوية في لغة الاوردو ، لغة الهند الشعبية وانتشرت هذه الملاحم الشعرية بين مسلمي الهند وكان لها أكبر الأثر في تنشئة الاجيال المسلمة على الخصائص والأخلاق الاسلامية بل إن لها فضل كبير في اثارة النخوة الدينية وتأجيج الجهاد الاسلامي ضد الانجليز المحتلين . وتصدى الأدباء والشعراء المسلمون في شبه القارة الهندية وفي باكستان لقيادة الركب الفكري والثقافي وقاوموا الغزو العقدي والثقافي والأخلاقي . (انظر نظرات في الأدب ـ أبو الحسن الندوي ـ رابطة الأدب الاسلامي العالمية ـ دار القلم دمشق ـ ١٤٠٨ ـ ص ٨٤ ـ ٨٥) هذا بقطع النظر عن الأدباء والمثقفين المتأسلمين (ذوي الأسماء الإسلامية) الذين أنبتتهم المخططات الغربية (الانجليزية على وجه التحديد) وأرضعتهم لبانها فانسلخوا عن الإسلام واتبعوا خطوات الشيطان (من أشهرهم في وقتنا الحاضر سلمان رشدي) .

ان الأدب الإسلامي ليس وعظا ولا ما يشبه الوعظ ، وليس بيانات وإرشادات مباشرة عاطلة من الجمال ، مفتقرة إلى الأساليب الفنية ، بل إن العقيدة الإسلامية لا تمثل قالبا جامدا لكنها موقف عام يصدر عنه الأدباء المسلمون بمختلف آرائهم وإمكناتهم وعواطفهم وصورهم وأخيلتهم وإبداعاتهم الخاصة . إن الأدب الإسلامي يتفرد بكونه أدب العاطفة الحرة والحماسة المشبوبة للدعوة والجهاد . وهو أدب مترسل طبيعي ، يلجأ إلى الفنية في الأداء والتأنق في التعبير ولكن لا تسيطر عليه الصناعات اللفظية ولا يتسلط عليه التعقيد الفكري المأزوم ولا تسجنه النخبوية ولا تخنقه الفردية . إنه أدب معافي من وهن الروح ومرض القلب .

وفي الأدب الإسلامي ـ وحده ـ عاطفة إيمانية جياشة ، صقلها الاشتغال بالله والدعوة إليه (بمفهومها العام) ، والعزوف عن الشهوات والأهواء الدنيوية كلها ، بشتى أنواعها .

فأين تلك الأشعار والنصوص ؟؟ هل سقطت سهوا من المناهج الدراسية والوسائل الإعلامية والملاحق الأدبية ؟؟ هل حار فيها الجاحدون أيمسكونها على هون أم يدسونها في التراب !! لقد استبدلت بها النصوص المبهرجة وأنواع النثر والخمريات والهجائيات والمجونيات والحداثيات الكفرية التي تطاولت على الثوابت العقدية وعلى سائر الغيبيات .

ولقد سخروا من المرأة طويلا ، حين استحسنوا أدب التنهدات والأوجاع النسوية ، وحين صفقوا للنماذج النسوية الجرئية (!!) التي اخترقت طوق القيم وقاومت ما يسمونه التخلف الديني . والاجتماعي !! وتميزت تجاربها بالصدامية والاعترافات والممارسات التحررية ، منذ صالون مي زيادة ، وإلى كتابات غادة السمان ونوال سعداوي ومن تابعهما . وما زالوا ينعون على العهود الاسلامية ، (التي منعت المرأة العربية من التعبير عن نفسها منذ أن رحلت الخنساء في العصر الاسلامي الأول فسكتت بعدها النساء حتى العصر الحديث) هكذا !! (رجاء النقاش انظر جريدة الشرق القطرية ـ الصفحة الثقافية ـ عدد ١٥ ذو الحجة ١٤١٣) كثيرة هي أحاديث الافك الثقافي والأدبي ، لا سيما تلك المتعلقة بالنفخ الشيطاني في صورة المرأة الادبية والمرأة الفنانة !! .



- القذافي ويهود :
بقي من الوقت ستة أعوام .
- أوضاع المهاجرين الطاجيك .
- ألبانيا : أدركوها قبل أن تفقدوها

القذافي ويهود:
بقي من الوقت ستة أعوام

د: عبد الله عمر سلطان

عنوان هذا المقال يرجع إلى تصريح أدلى به رئيس وزراء ليبيا السابق السيد مصطفى بن حليم تعقيبا على مذكراته الشخصية التي حملت عنوان: « صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي » والتي نشرت في بداية العام الحالي .. في هذا التعقيب يذكر السيد (بن حليم) بعد أن صمت لأكثر من ثلاثة عقود أن الرئيس الأمريكي رتشارد نيكسون قد قال له بعد انقلاب القذافي عام ١٩٦٩م إن وزير الخارجية الأمريكي وسفير أمريكا لدى ليبيا قد قدما تقريراً هاماً للرئيس الأمريكي يقولان فيه « ننصح بعدم التخلص من القذافي ... فأمامنا ٣٠عاما للتعاون معه » !!

إذن فها هي الأعوام تمر بطيئة على شعب ليبيا المحاصر ، وها هو القذافي يمسك بزمام السلطة لربع قرن تقريبا ... وبعملية حسابية بسيطة فإن القذافي على ضوء الكلام الرسمي الأمريكي لا يزال صالحا للاستعمال لستة أعوام مقبلة على الأقل ... تنتهي فيها الفترة الافتراضية التي وصفها السيناتور الأمريكي للإفادة من الضابط الأكثر سوءاً في تاريخ العرب المعاصر ...

لن تقبل تفسيرات بالغة البساطة أو موغلة في سوء الظن .. وهي منتشرة وشائعة بين أبناء الشعب الليبي ـ ترجع تفسير سلوك وتصرفات الرجل إلى

أنه قد ولد لأم يهودية ... وتربي بين اليهود ... !!

لن نُسطّح القضية إلى مستوى فرضية العمالة المباشرة لجهاز المخابرات الأمريكي « CIA » وأن القذافي أتى للسلطة لتنفيذ مخططات وسياسات الغرب وتوجهاته بصورة العميل المباشر الذي يقبض الثمن من خلال حمايته في السلطة أو دفع مبلغ من المال مقابل القيام بالمهمة !!

وسنحاول أن نبتعد قليلا في هذا المقال ـ حينما نتحدث عن القذافي واليهود عن نظرية « المؤامرة » التي أعدها الصهاينة أو الماسونية العالمية بزرع هذه النبتة الشيطانية في ليبيا لتهلك الحرث والنسل ...

ومع هذه المحاولات فإن من حقنا أن نسأل من هو المستفيد الأول في بقاء القذافي في السلطة طوال هذا الوقت ـ ومن هو الخاسر الأكبر من خطواته السياسية الأخيرة ...

يقول العقيد إن المستفيد الأول هو الشعب الليبي وإنه لا يريد الحكم ولا يمارسه حقيقة وواقعا بل هو يحرض الجماهير على أن تحكم نفسها بنفسها كما صرح للتلفزيون الكندي CBC ...

ونقول ... من فمك ندينك ولا سيما إذا نقلنا آخر تصريحاته النارية لجريدة العرب القذافية الصادرة في لندن حيث يقول : « إن ليبيا بلد ليس له مستقبل .. لذا يتوالد الناس ويتكاثرون وتبنى الطرق والمدارس والمباني فيه ... في أقل من عشرين عاما سنكون مضطرين أن نخرج من ليبيا ونتركها ! » علما أن القذافي قد عرض العام الماضي مبلغ عشرة آلاف دولار لكل ليبي مقابل أن يهاجر إلى مصر أو السودان أوتشاد ، حيث الأنهار والجنان بينما ليبيا صحاري قاحلة لا أمل في استصلاحها ...

نسمع عن قادة يقتلون معارضيهم ... وقادة يسجنون منتقديهم ... لكننا لم نسمع حتى الآن عن قادة يهجّرون شعوبهم بالكامل ، وينادون بإزالة بلدانهم عن الخريطة الدولية وإقفالها وكأنها دكان أو مشروع نفطي فاشل !!

وقد يردد أنصار العقيد إن المستفيد الأول هم العرب والعروبة المستعربون !! لكننا نقول لهم إن هذا أمر كان يقبل التصديق قبل عقد من الزمن مثلا حينما كانت إذاعة « صوت مصر العروبة » تنادي بالحل القومي طريقا للخلاص وتسمى « إتفاقيات كامب دافيد » خيانات معسكر داود » ونشير إلى مقررات قمة فاس وتسميها مقررات « مربض فاس » !

أما الآن فالقذافي أول المطالبين بالانضمام إلى الإسطبل وبقبوله عضوا في المربض الإسرائيلي .. دع عنك « مربض فاس » ! لقد ثبت أن القذافي قد أضر بقضية العرب بصورة كارثيه لا تقل شؤما عن دور إخوانه من قادة الحل القومي العلماني : جمال عبد الناصر وصدام .

قد يقول قائل « إن القذافي في الحقيقة « رجل ثوري » وجد أن حلمه القومي قد انتكس بعد عدة محاولات للوحدة مع الجيران العرب والأخوة الأفارقة ، ولذا فقد توجه إلى الحركات التحررية في العالم يدعمها ويقدم لها السند اللازم لخوض معركتها الثورية العادلة » !!!

والرد على هذا ندعه للناطق باسم الجيش الجمهوري الأيرلندي الذي أنفق القذافي عليه مئات الملايين من الدولارات ، واطلع في المقابل على أدق أسراره وتركيبته التنظيميه ... ، هذا الناطق يقول لم نكن نتصور أن القذافي قذر إلى هذه الدرجة حيث عمل كمخبر دولي تجسس على منظمتنا والمنظمات الثورية الأخرى !!

وإن شئتم اسألوا الأشقاء الثوريين في نيكراجوا والسلفادور وتشيلي وفيتنام والصحراء الغربية وليبريا حيث بُدد مال الشعب الليبي في مشاريع العقيد التحررية والتي كف عن ممارستها بعد أن طُلب منه ذلك فسارع إليه وقدم أكبر حجم من المعلومات السرية لأعداء المشروع الثوري الذي كان زعيمه في فترة جمع المعلومات المطلوبة ...

وهنا قد نسأل قائل ربما كان هناك جهة أخرى مستفيدة من بقاء القذافي ونظامه لمدة ربع قرن ...

والحقيقة أن المراقب المنصف يعجز عن أن يجد جهة واحدة تستفيد من وجود هذا المعتوه سوى جهة واحدة هي جهة يهود .

يهود سواء أكانت متمثلة بقبائلها الإسرائيلية أو الأمريكية أو الاقتصادية وسجل القذافي خير دليل .

القذافي خنق شعبه وأذله وحارب « الأصوليه » التي تشكل التهديد الأول لليهود والغرب بأسلوب فائق الكفاءة ...

والقذافي جعل ليبيا من أتعس دول العالم العربي ودمر قوتها الاقتصادية بطريقة لا يمكن إلا للقذافي أن يكررها بهذه الصورة المفزعة .

القذافي شق صف العرب بحجة الرهبنة الثورية بينما كان في الحقيقة يمهد للمشروع الصهيوني أن يأخذ مداه .

والقذافي هو الأبرز حالياً من بين الحكام العرب ممن تلاعب بالدين بصفاقة وألغى السنة وحارب الشريعة .

والقذافي هو أكثر من شوه صورة العرب والمسلمين في أوربا خلال

التاريخ المعاصر ...

بعد هذا هل يمكن أن تكون الإجابة على السؤال الذي طرحناه آنفا عن المستفيد من حكم القذافي غير جواب واحد من أربعة حروف : يهود !

المرحلة المكشوفة : التطبيع القائم

اختار القذافي أسلوب التناقض الشيزوفريني الذي يجعله ينتقل من النقيض إلى النقيض دون شعور بأعراض الانفصام السلوكي ... ولذا فقد كان انتقاله من جهة الرفض والصمود والتصدى للصهاينة إلى جبهة الإنهيار الكامل أمام مشروعهم انهياراً سريعا .. مثيراً ... مدهشاً

القذافي الذي يعرض على كل يهودي خرج من ليبيا مليون دولار تعويضا هو نفسه الذي لبس القفاز الأبيض حتى لا تلمس يداه يد الذين صافحوا اليهود من القادة العرب .. »

أما الآن فقد اتضح السبب ... القذافي لا يؤمن بالوسطاء ... كان يريد التحدث مع اليهود مباشرة ومصافحتهم يدا بيد ... !!

اتضح ذلك بعد سلسلة من الأحداث المتسارعة خلال الأشهر القليلة الماضية في أسرع عملية تطبيع قائم بين اليهود والحكومات العربية ...

ودعا الصحفية الصهيونية جودت ميلر المشهورة بتعصبها الصهيوني لإجراء مقابلة صحفية لجريدة الهارلد تريبيون أبدى استعداده فيها لتطبيع العلاقات مع اليهود والدخول معهم في مشاريع مشتركة واستعداده لتعويض اليهود الليبين بمبالغ مالية مجزية .

استقبال القذافي لروميو فلاح اليهودي من أصل ليبي والاتفاق معه على

صفقة تتدخل إسرائيل بموجبها طرفا لفك الحصار عن نظام القذافي مقابل زيارة الليبيين لدولة الكيان الصهيوني في صورة حجاج وهذا ما تم مع احتمال زيارة القذافي نفسه للصهاينة .

الدعوة لموتمر للأديان السماوية على غرار مؤتمرات السادات التي رافقت الصلح مع اليهود ويدعى خلال هذه المؤتمرات اسرائيليون بارزون منهم عمدة القدس الصهيوني وضباط بارزون في المؤسسة العسكرية الصهيونية .

فضيحة ابراهام صونير اليهودي من أصل عراقي وقد اتصل به رئيس الجهاز الإستخباراتي الليبي لمواجهة المشاكل القانونية التي تواجه نظام القذافي لا سيما في الأوساط الشعبية في الغرب ... وصوفير كان يعمل مستشارا قانونيا لوزارة الخارجية الأمريكية بين عامي ١٩٨٥ ـ ١٩٩٠ وهو الذي صاغ المذكرة الأمريكية التي حددت التهم الموجهة للعقيد القذافي .

لقد أثار القذافي مشاعر السخط لا سيما خلال زيارة مجموعة المخابرات الليبية للقدس في الوقت الذي كان المسلمون يحجون لبيت الله الحرام ...

فقد وصلت الخيبة ببعض القوميين لأن يكتب مخاطبا القذافي أمين عام القومية العربية ! قائلا « إن زيارة الحجاج الليبيين للقدس هي فضيحة تعادل زيارة السادات للقدس . تلك القدس (١) وهذه القدس (٢) ...

ويحز في النفس أن الذي قام بهذه الخيانة هو الذي كان يقول : « كيف تستمر السفارة الإسرائيلية يوما واحدا في القاهرة ، ليس في المعقول أن يسير إسرائيلي في شوارع القاهرة مطمئنا مستهترا ... مش قادرين تذبحوهم .. الأمريكان يذبحون إخوانكم في ليبيا » .

هذا كان زمن الاستنكار ... واليوم يوم الانكسار ....

لقد اتصل مواطن أمريكي بالكاتب الأمريكي الشهير جيم هو غلاند معلقا على المحاولات القذافية للتطبيع مع اليهود قائلا له : إن فضيحة ابراهام صوفير هي الجزء الصغير الظاهر من جبل الجليد ... وكلما تمعنت في المحاولات الليبية على الساحة ستجد العامل الإسرائيلي « ويعلق الكاتب الشهير » إن المواطن مصيب تماما حيث إن واشنطن تراقب بحذر التحالف الليبي ــ الإسرائيلي الصاعد » واشنطن بوست ٢٢ / ٧ / ٩٣ .

.. نعم تحالف بين اليهود ... والقذافي الذي يريد إبادة شعبه مرة بالقتل والتصفية الجسدية ومرة بالحصار الاقتصادي ومرة بمصادرة كرامته وحريته ومرة بدعوته للهجرة من بلده علنا ودون حياء ...

إن لحظة تأمل لهذه المرحلة المقبلة من التحالف الإسرائيلي/ القذافي تجعلنا نقلب صفحات هذا المشؤوم لنفهم طبيعة الرجل فلا نجد أبلغ من خطابه الذي ألقاه في سبتمبر عام ١٩٨٤ بعد أن أعدم مجموعة من الشباب الليبي في شهر رمضان كما يقول محمد مخلوف « كان حادث شنق المهندس الصادق الشويهدي في ٥ حزيران قد هز الشعب الليبي حيث شاهدها الناس قبل إفطار رمضان وبعده ... وبعد أن تم اقتياد المتهم إلى حبل المشنقة وسط هتافات اللجان الثورية وفي مجمع المدينة الرياضية في بنغازي ... أما خصوصية حادث المهندس الشويهدي فهو أنه بعد إنزاله من حبل المشنقة ونقله إلى المستشفى وجد حيا وأجرى له الأطباء تنفسا صناعيا ، وتم الاتصال بالقذافي لإبلاغه الأمر ، فأصدر أمرا فوريا بالإجهاز عليه وحينما رفض الأطباء القيام بذلك قامت إحدى الثوريات المقربات من القذافي المدعوة

(هدى بن عامر) بتنفيذ الأمر بقتله وبرر القذافي عمليات الإعدام العنيفة هذه في خطابه في أيلول (سبتمبر) من العام نفسه قائلا « شفتوا الإعدامات زي السلام عليكم في شهر رمضان (!!) ولا يهمني في رمضان لا حرام ولا شيء ... ما فيه شيء حرام ما قمنا به عبادة !!

نعم إنها قرابين قدمها القذافي لآلهته ..

فهل نبذل العناء لكي نسأل السؤال الممجوج ..

« من المستفيد من بقاء القذافي » خصوصا إذا عرفنا أن التطبيع المتسارع في الأعوام القليلة القادمة يقتضي وجود أمثال هذه الزعامات ، التي أشار نيكسون إلى أن لها أعواما قليلة أبرز عناوينها وخططها التمكين للمشروع الصهيوني في وسط غابة الدُمى .

أوضاع المهاجرين الطاجيك

بقلم : نظر الفريابي

توطئــة

بعد حمــلات الإبادة الشاملة التي قامت بها الحكومة الشيوعية الطاجيكيـة ، فإنها لم تستطع السيطرة التامة على الأوضاع ، وتثبيت دعائم الاستقرار في البلاد ، ولأجل ذلك قامت بتوزيع الأسلحة على الموالين لها في المناطق الجبلية للحيلولة دون سيطرة المقاومة الإسلامية عليها ، ودعمها بالقوات الروسية ، والأوزبكية ، مما أدى إلى قصف المدن والقرى ، والمواقع التي يسيطر عليها الإسلاميون ، وتقوم بذلك القصف الطائرات الروسية ، والأوزبكية ، مما دفع بالمواطنين العزل إلى الهجرة إلى جهة أكثر أمنا ، فكانت هجرتهم إما إلى الدول المجاورة لطاجيكستان ، أو إلى الجبال والغابات ، فتفرق أكثر من مليون نسمة ، منهم من دخل إلى آسيا الوسطى المتاخمة لطاجيكستان ، ومنهم من لاذ بالفرار إلى أفغانستان ، والذين تمكنوا وعبروا الحدود يزيد عددهم عن مائة ألف نسمة ، وأكثر هؤلاء هاجروا من الولايات المتآخمة لأفغانستان ، كولايات « قم سنكي » و « توس » و « بنج » و « قورغان تبه » وبقية هؤلاء المهاجرين منتشرون وسط الجبال في طاجيكستان ، أو في القرى الأكثر أمنا .

وقد قام الشيوعيون بالهجوم الشرس على هولاء فاضطروا لاختراق الأسلاك الشائكة ، وعبور نهر « جيحون » والدخول إلى شمال أفغانستان ، وذلك بمجازر وحشية مما جعل بعض المهاجرين يرمون بأنفسهم في النهر ، وحسب الاحصائيات يبلغ عدد االذين قتلوا عند العبور ، أو ماتوا غرقا في النهر ما يقارب عشرين ألف مسلم ، أما عن انتهاك الحرمات ، واغتصاب الفتيات اللاتي أخذن بالقوة ، وإرجاعهن إلى داخل طاجيكستان ، بعد أن قاموا باغتصابهن ، وغير ذلك من الأفعال المشينة التي يعجز القلم عن تصويرها في هذا الموجز ، فحدث ولا حرج .

وضع المهاجرين في أفغانستان :

تربط الشعب الأفغاني بالشعب الطاجيكي بالإضافة إلى الروابط العقدية، وحدة اللغة ، والعادات ، مما جعل الأفغان بحكم ما عانوه خلال الغزو السوفيتي الشيوعي الغاشم من تهجير ولجوء ، يسارعون وعلى جميع المستويات بإيواء هؤلاء المهاجرين خلال الفترة التي سبقت وصول المساعدات الإغاثية ، وامتدت هذه الفترة حوالي أكثر من شهرين .

بعد ذلك تم نقل هولاء المهاجرين من مناطق لجوئهم خاصة عند نهر « جيحون » إلى معسكرات أعدت لهم ، وقد تضافرت في ذلك العمل جهود الحكومة الأفغانية ، والشعب الأفغاني ، وقد كان لهذا العمل الأثر الكبير في نفوس هؤلاء المهاجرين ، والتخفيف عن آلامهم ، حتى وصول المساعدات الإغاثية الخارجية .

ويتوزع المهاجرون في عدة مناطق ، وهي كالآتي :

١ ــ ولاية « قندوز » :

يوجد في ولاية « قندوز » ما يقارب أربعين ألف مهاجر ، توزعوا في :

أ ـ المدارس ، والمرافق الحكومية .

ب ـ مطار « قندوز » حيث كانت ثكنات الجيش الروسي في عهد الاحتلال الروسي لأفغانستان ، ويبعد عن مركز « قندوز » عشرة كيلو مترات.

جـ ـ مخيم الإمام البخاري ، وأقيم هذا المخيم بجهود من مجلس التنسيق الإسلامي ، ويقع على مسافة قريبة من مطار « قندوز » .

٢ ـ ولاية تخار :

ويوجد في مركز « طالقان » ما يقارب ثلاثة آلاف وخمسمائة عائلة توزعوا في بيوت المواطنين في « طالقان » حيث لم تتوفر لهم إقامة المخيمات.

٣ ـ ولاية « بدخشان » :

لا يتجاوز عدد المهاجرين في هذه الولاية ألفي شخص ، وسبب ذلك عدم توفر المواد الغذائية في المناطق التاخمة للحدود الطاجيكية لولاية « بدخشان » ونأمل أن يتم نقل هؤلاء إلى مناطق أخرى يتوفر فيها إمكانيات إيوائهم ، وإعاشتهم ، لأنهم يعيشون في حالة مأساوية شديدة .

٤ ـ ولاية « مزار شريف » :

تم نقل عدد كثير من المهاجرين بواسطة طائرات مروحية إلى « مزار شريف » لأن المسافة من الحدود الطاجيكية إلى « مزار شريف » تبعد حوالي ثلاثمائة كيلو متر ، وقد أقيم لهم مخيم على بعد عشرة كليومترات من مركز « مزار شريف » وقد ساعدت في ذلك المنظمات الإغاثية الدولية ، وذلك

بحفر الآبار ، وإيوائهم في المخيمات ، وتقديم المساعدات الغذائية لهم ، علما بأن عدد هؤلاء المهاجرين يتجاوز خمسة وعشرين ألف مهاجر .

وأريد أن أشير هنا إلى أن إدارة مزار شريف مشتركة بين المجاهدين ، وقوات دوستم ، ووالي « مزار شريف » مولوي محمد علم من المجاهدين الأوائل ، أبدى استعداده الكامل لتقديم كل التسهيلات للمشاريع التي يتم تنفيذها بين المجاهدين الطاجيك في مزار شريف »

٥ ـ مديرية « طاشقرغان » :

هذ المديرية تابعة لولاية « سمنجان » لكنها لا تبعد عن « مزار شريف » أكثر من ثلاثين كيلو مترا تقريبا ، وقد أقيم فيها مخيم على مقربة من مديرية « طاشقرغان » من قبل المنظمات الإغاثية ، وهذا المخيم تشرف عليه منظمة الأمم المتحدة كما تشرف على مخيمات المهاجرين في ولاية « مزار شريف » وعدد هؤلاء لا يتجاوز خمسة آلاف مهاجر .

المنظمات الاغاثية :

لا يوجد في الساحة سوي منظمتين للإغاثة ، وهما :

(١) مجلس التنسيق الإسلامي :

وهو يتكون من عدة منظمات إغاثية إسلامية كان يقوم بين المهاجرين الأفغان في بيشاور بعمل الإغاثة ، ثم انتقل فرع منه إلى ولاية « قندز » ليقوم بعمل الإغاثة وسط المهاجرين الطاجيك ، وهي الجهة الوحيدة التي تقوم بهذا العمل في ولاية « قندز » حيث لم تقدم منظمة الإغاثة الدولية التابعة للأمم المتحدة أي مساعدة ، وتعلل ذلك بأسباب واهية بعيدة عن الحقائق ، ويكمن

ذلك في عدم إمكانية استقلالية عملها في هذه الولاية ، وقد قام والي « قندز » قاري رحمة الله مع بعض المسؤولين بمقابلة مندوبي الإغاثة الدولية لإقناعهم بتقديم المساعدات لهؤلاء المهاجرين ، وبعد محادثات طويلة اعتذروا عن تقديم أي مساعدة في ولاية « قندز » إلا إذا تم نقل هؤلاء المهاجرين إلى ولاية « مزار شريف » حيث توجد محاولات بين الأمم المتحدة، والحكومة الطاجيكية الشيوعية لإرجاع هؤلاء المهاجرين إلى طاجيكستان ، لا يتحقق لهم هذا الحلم في ولاية « قنذر » مع أن دوستم في زياراته لهؤلاء المهاجرين في مخيم « مزار شريف » يتظاهر لهم أنه لن يسمح لأي جهة بإرجاعهم إلى طاجيكستان إلى أن يستقر الوضع هناك .

نظرا لقلة إمكانيات مجلس التنسيق الإسلامي ، فإنه لا يستطيع أن يوفر جميع احتياجات المهاجرين في ولاية « قندز » لذلك ينحصر نشاطه في توزيع الخبز ، والأرز ، والدقيق ، وتوزيع الخيام ، ويقوم يوميا بتوزيع أربعين ألف قطعة خبز على المهاجرين الذين يسكنون في المدارس ، والمرافق الحكومية ، وكذلك مخيم الإمام البخاري .

وقد كون والي « قندز » قاري رحمة الله لجنة من أئمة المساجد ، وبعض القيادات من المجاهدين ، لتقوم بجانب مجلس التنسيق الإسلامي في تحمل أعبائها ، وهم الذين يقومون بتوزيع المواد الغذائية بين المهاجرين .

(٢) منظمة الإغاثة الدولية :

وهي إحدى المنظمات التابعة لمنظمة الأمم المتحدة ، وتنحصر مجالات عملها في ولاية « مزار شريف » ومديرية « طاشقرغان » وذلك بإيواء المهاجرين في المخيمات ، وتوزيع المواد الغذائية عليهم ، وقد قاموا بحفر عدة

آبار في هذا المخيم ، ويعتبر هذا المخيم أفضل حالا من المخيمات الأخرى . حيث تشرف عليه هذه المنظمة المدعومة دوليا ، ولا يخفى على ذي بصيرة مآرب هذه المنظمة في تقديمها هذه الخدمات .

وضع المهاجرين في ولاية « قندز » :

كما أشرنا فيما سبق أن مجلس التنسيق الإسلامي رغم جهوده المشكورة والمقدرة في إغاثة هؤلاء المهاجرين ، إلا أن حالتهم سيئة للغاية ، حيث لا يتوفر لديهم ما يفترشونه ، وما يتقون به شدة البرد ، كما أن الماء لا يتوفر خاصة في ثكنات مطار « قندز » ومخيم الإمام البخاري ، حيث يواجهون صعوبات في جلب الماء ، فيضطر أحدهم أن يقطع مسافة ساعة ونصف مشياً على الأقدام ، لجلب الماء لشربه ، وبسبب هذه الصعوبات فإنهم يؤدون صلواتهم الخمس بالتيمم ، حيث الماء فقط للشرب وصنع الطعام ، والناظر لأحوال هؤلاء المهاجرين يلحظ أن كثيرا منهم لا يملكون سوي ثوب واحد ، وهو الذي فروا به من بلادهم ، كما أنك تجد معظمهم حفاة لا يملكون نعالا ، وأما الناحية الطبية ، والرعاية الصحية بين هؤلاء المهاجرين ، فإنها تكاد أن تكون معدومة ، حيث يعاني بعضهم الأمراض الناتجة من سوء التغذية ، والأمراض متفشية بينهم لقلة الرعاية الصحية ، وبسبب ما عانوه خلال عبورهم النهر في فصل الشتاء القارص .

الكفاءات الموجودة لدى المهاجرين :

نجد غالب المهاجرين متعلمين ، بل كثير منهم أكمل تعليمه الجامعي، فيوجد بينهم المهندسون ، والأطباء بمختلف تخصصاتهم ، ، والمعلمون ، والكفاءات العلمية الأخرى من الرجال والنساء ، كما أنهم مستعدون للعمل

إن تيسرت الظروف .

احتياجات المهاجرين :

القارئ لما ورد في هذا التقرير يدرك أن الحاجة قائمة في كل جانب من جوانب الحياة ، ويتمثل ذلك فيما يلي :

١ ـ تأمين الطعام ، والملابس ، والمحروقات .

٢ ـ تأمين حليب الأطفال المجفف .

٣ ـ تأمين الخيام ، والأغطية كالبطاطين ، وفرش النوم .

٤ ـ حفر الأبار بواسطة الحفارات .

٥ ـ بناء المساجد في المخيمات ، وتعيين الأئمة والدعاة بين المهاجرين ، مع فتح الخلوات ، والكتاتيب البسيطة لتعليمهم القرآن ، وأمور دينهم .

٦ ـ طباعة الكتب ، والنشرات الإسلامية التي تبصرهم بأمور دينهم .

٧ ـ الرعاية الصحية ، وذلك بتقديم الأدوية والأجهزة الطبية، والوحدات الصحية المتكاملة فقط ، حيث يوجد بينهم االأطباء والممرضون، والفنيون القادرون على القيام بالأعمال المهنية .

٨ ـ القيام بالعمل التعليمي والتربوي خاصة وأنهم تنسموا عبير الحرية من براثن الشيوعية ، فهم بحاجة ماسة إلى التعليم ، وذلك ببناء دور الأيتام للرعاية وكفالة الأيتام ، وتقديم المواد التعليمية والتربوية ، علما بأنه توجد في ولاية « قندز » مدارس عديدة لم تتمكن الحكومة الأفغانية من الاستفادة منها، وتشغيلها لقلة إمكانياتها ، ويمكن الاستفادة منها لأبناء مهاجري

طاجيكستان .

واقتراح مهم ، آمل أن يؤخذ بعين الاعتبار ، وهو :

اتخاذ كل الإجراءات الممكنة لنقل هؤلاء المهاجرين إلى منطقة أبعد من مركز « قندز » بسبعة كيلو مترات وهو واد يسمى بـ « ميدان مير علم » يتسع لكل المهاجرين الموجودين في « قندز » و « طالقان » و « بدخشان » على أن يتخذ تدابير مهمة لحفر الآبار ، ونقل الأجهزة التي تقوم بذلك ، ولاتساع الوادي بإمكان المهاجرين أن يقوموا بزرع هذا الوادي ليخفف عنهم بعض المعاناة ، وبالتالي نوجد حلا للفراغ الهائل الموجود لديهم ، ونشغل القدرات الفنية ، والمهنية لدى المهاجرين .

ألبانيا
أدركوها قبل أن تفقدوها

عبد الرحمن العقيل

تقع ألبانيا في شبه جزيرة البلقان ويحدها من الشمال والشمال الشرقي جمهورية يوغسلافيا الجديدة (صربيا ـ كوسفو ـ الجبل الأسود) ويحدها من الشرق ماقدونيا ومن الجنوب الشرقي اليونان ومن الغرب البحر الأدرياتيكي وجزء من البحر الأبيض المتوسط وتقدر مساحتها بـ ٧٤٨ر ٢٨ كيلو متر مربع تقريبا وعاصمتها تيرانا ويبلغ التعداد السكاني فيها ٥ر٣ مليون نسمة نسبة المسلمين ٨٥ ٪ تقريبا و ١٥ ٪ نصارى .

ويُعدُ الألبانيون من أقدم الشعوب الأوربية ويتميزون بلغة خاصة بهم لا يتكلم بها أحد غيرهم .

وفي أواخر القرن الرابع عشر الميلادي دخل الإسلام إلى ألبانيا حيث جاء العثمانيون وفتحوها ونشروا الإسلام في ربوعها وكان ذلك في عام ١٣٨٥ م . وقد نالت ألبانيا استقلالها في عام ١٣٣٠ هـ ويعد نيلها الاستقلال بدأت محنتها الجديدة حين تسلم أنور خوجه زمام الأمور في البلاد لمدة ٤٥ سنة هي عمر الحقبة الشيوعية من الفترة ١٤ / ١٢ / ١٣٣٦ هـ وحتى ١٨ / ٩ / ١٤١٢ هـ إذ بقيت ألبانيا في عزلة عن العالم الخارجي خلال تلك الفترة وأعلن الإلحاد رسميا وحورب الدين فهدمت المساجد

حيث لم يبق من مجموع ١٧٠٠ مسجد كانت موجودة في ألبانيا سوى ٥٠ مسجدا حولت إلى متاحف وورش للنجارة والحدادة ، وسُجن العلماء وقُتل بعضهم ومُنع إظهار أي شعيرة من شعائر هذا الدين .

وقام أنور خوجه بربط ألبانيا بالنظام الشيوعي تحت ظل الاتحاد السوفيتي ولكن في سنة ١٣٨٠ هـ وقع خلاف عقدي بينه وبين خروشوف مما أدى إلى قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين وكل الدول السائرة في فلك الروس وهكذا بقيت ألبانيا معزولة عن العالم الخارجي ، وتميز النظام الشيوعي في ألبانيا بتطرف عقدي منع بموجبه ممارسة أي لون من ألوان الشعائر الدينية .

وابتداء من سنة ١٤٠٥ هـ بدأ الغضب الشعبي يتزايد إلى أن تم إسقاط النظام سنة ١٤١٢ هـ عن طريق الانتخابات الأولى من نوعها في البلاد .

وبذلك انتقلت البلاد من الانغلاق الكامل إلى الانفتاح الكامل الأمر الذي أدى إلى التسيب الكامل حيث تسبب في تدمير المصانع والمرافق المحدودة التي كانت قائمة .

ونتيجة لذلك فإن ألبانيا تعيش الآن أزمة اقتصادية تحاول الحكومة الخروج منها بأي طريقة حتى أنهم أقاموا علاقات مع إسرائيل وتبادلوا الزيارات من أجل الحصول على بعض المعونات .

ويجرى هناك صراع سياسي عنيف بين الأحزاب يقابله استياء شعبي من كل الساسة الذين كثرت وعودهم ولم يفوا بشيء من هذه الوعود مما جعلهم يعلقون أمالاً كبيرة على الغرب وما يجود به من معدات قديمة وأدوية انتهت صلاحيتها للخروج من الأزمة .

الوضع الاقتصادي لألبانيا :

إن الزائر لألبانيا لا يصدق أنه في بلد أوروبي نظرا للحالة الاقتصادية الرديئة التي يعيشها البلد والشعب فالمواصلات غير كافية ، والطرق رديئة ومتطلبات الحياة الضرورية غير متوفرة ، ولذلك تجد أن المصانع متعطلة والبطالة مرتفعة حتى أن الماء والكهرباء في انقطاع مستمر ليلاً ونهاراً والشعب الألباني أغلبه من الطبقة الكادحة .

ولذلك فإنهم اعتمدوا على ما يقدمه الغرب لهم وبخاصة إيطاليا فهي تمولهم بكثير من المواد التموينية الضرورية . وبدأت تستغل مدخرات البلد الذي يُعدُّ غنيًا بالمعادن التي تقع عليها أطماع الغرب .

والوضع الاقتصادي الرديء في البلد له دور سلبي نتيجة للضغوط التي يمارسها الغرب على الحكومة من خلال المساعدات المشروطة . والحكومة تحاول الخروج من هذه الأزمة بأية طريقة والدول الغربية حريصة على تقديم الدعم للحكومة من أجل تسييرها في فلكها مما يشكل خطراً كبيراً على عقيدة هذا الشعب واستقلاله وهويته وإليك مثالاً واحداً على ذلك :

لقد زار وفد من السوق الأوروبية المشتركة ألبانيا وتم الاتفاق مع وزير التعليم على أساس توأمة كل مدارس ألبانيا مع نظيراتها في أي قطر من الأقطار الأوروبية وتبني الصلة بين تلاميذ كل مدرسة مع نظرائهم في المدرسة الأخرى على أساس التوأمة الفعلية .

ويلاحظ من هذا شدة رياح التنصير التدريجي للشعب الألباني من خلال التعليم في مراحله المختلفة . فهم لم يستطيعوا اكتساح المسلمين عن طريق الكنيسة ففضلوا الانسياب البارد بهذا الأسلوب . ولقد لاقى هذا الخبر

القبـول عند عدد من مديري المدارس تحـت وطأة الظروف الاقتصـادية الملحة لتـحسين حال المعلم والطالب . وهذا بند من بنود الاتفـاقية مع دول الـسوق الأوروبية المشـتركة والتي لا يُعلم كـثير من تفاصيلها وخفـاياها وهذا حدث في ظل غيبـة الحكومات الإسلامية عن تقديم الدعم لهـذا البلد المحتاج والذي يعد كالسلعة فمن يقدم أكثر فهو الكاسب في هذا الميدان فالبدار ... البدار .

وجمعية اتحاد المعلمين المسلمين في ألبانيـا يرون ضرورة قيام عمل مسبق قبل تنفيذ هذا القرار الذي سيبدأ في شهر صفر القادم ولا بد من الترتيب قبل بدء العام الدراسي الجديد .

ولابد أيضًا من استـتغـلال مـوافـقة وزير التـعليم الألبـاني المبـدئيـة على إمكانية تدريس اللغة العربية والعلوم الإسـلامية في جميع المدارس إذا تم تمويل الكتاب والمعلم من قبل من يتولى هذا الأمر فلابد من التحرك الفوري السريع الذي يجعلنا نقف سدًا منيعًا أمام هذا التيار الأوروبي النصراني .

المنظمات التنصيرية :

تعـيش ألبانيـا هذه الأيام حملة تـنصيـرية شرسـة تحتـاج إلى من يقف في وجهها ويصدها حيث توجد قرابة ٨٣ منظمة تنصيرية تمارس أعمالها بحرية تامة فلقد وجدوا الـساحة خالية أمامهم تمامًا وفي ظل الـفراغ الروحي والفقر المدقع والبطالة الكـبيـرة دخلت الأمـوال الغـربية والمنظـمات التنصـيـرية التي تسـترت بدعوى الإغاثة الإنسـانية ومسـاعدة الشـعب الألباني فتـدفقت هذه الجـمعيـات لتلقي بكل قـواها محـاولة كسب أكـبر عـدد ممكن من الشـباب المسلم فقـدمت تسهيلات للعـمل في كثيـر من الدول الغربية وقامت بطبـاعة الكثير من الكتب والنشرات التنصيرية ووزعت الصلبان وعُلقت على صدور

الأطفال والنساء ، لذلك فهم لا يركزون على بناء الكنائس وتشيدها بقدر حرصهم على من يدخل الكنيسة قبل بنائها ، كل هذا حدث في ظل غيبة المسلمين عن هذا البلد المسلم الذي ينتظر منا جهوداً مخلصة وجادة لإعادته إلى الإسلام ولقد سيطروا على وسائل الإعلام سيطرة تامة وخاصة التلفاز وبدأوا ببث البرامج التنصيرية التي تتحدث عن ما يسمونه المسيح المخلص وأيضًا قدموا البرامج التي تضخم حجم المساعدات التي قدمتها المنظمات والدول النصرانية وشوهوا صورة المسلمين حيث صوروهم بأنهم هم الذين استعبدوا المرأة وقيدوا حريتها ووصفوهم بأنهم شهوانيون لا همّ لهم إلا الزواج وتعدد الزوجات . وترزح ألبانيا الآن تحت ضغط إعلامي غربي موجه حيث من السهولة التقاط القنوات الأوربية الإباحية والتنصيرية .

ولقد تم توزيع الكثير من المنشورات التنصيرية على كل منزل بل على كل طالب حيث قام النصارى بإهداء طلاب المدارس حقائب تحتوي على بعض الأدوات المدرسية والنشرات التي تدعو إلى النصرانية ونسخة من الإنجيل وقدموا الصليب لكل طالب لتغريب أبناء المسلمين .

ومن وسائلهم الماكرة التي يسممون بها أفكار الشباب إقامة الدورات لدراسة اللغات والتي يهدفون من خلالها إلى دس السم في العسل .

ولقد قامت إحدى المنظمات التنصيرية الأمريكية بكفالة دار للأيتام في العاصمة تيرانا فأيتام المسلمين بأيدي المنصرين ولا حول ولا قوة إلا بالله !! ؟

وتنتظر ألبانيا هذه الأيام زيارة من بابا الفاتيكان وقد أعدت العدة لهذه الزيارة فعلقت اللافتات والشعارات الترحيبية ووزعت النشرات بأعداد كبيرة في مختلف أنحاء ألبانيا ، والمنظمات التنصيرية تعمل ليل نهار للتمهيد

والاستعداد لهذه الزيارة لأنهم يعلمون الأثر الذي ستتركه ، وسيقوم البابا بجولة في ألبانيا وزيارة المدن والقرى وتقديم بعض المساعدات للأسر الفقيرة ناهيك عما سيقدمه للحكومة من أجل أن تكون له يد عليها وسوف تستغل هذه الزيارة من قبل البابا والمنظمات التنصيرية لصرف الناس عن الإسلام والإيحاء لهم بأنهم مهتمون بهم . وأعتقد أن هذه الزيارة سيكون لها أثر سلبي على المسلمين في ألبانيا وستعزز ولاء الشعب الألباني للغرب لأنهم خُذلوا من كثير من الدول الإسلامية التي وعدت بالكثير ولكنها لم تفِ بشيء من تلك الوعود . ولذلك لابد من تكثيف الجهود والقيام بحملة دعوية مخطط لها عبر الجمعيات الإسلامية القائمة هناك لمواجهة هذا المد الصليبي الحاقد ، ويقع على عاتق الدعاة المخلصين جزء من المسئولية للوقوف أمام هذه التيارات التي تهدف إلى مسخ هوية هذا الشعب .

المذاهب والتيارات الهدامة :

وبما أن الغرب الصليبي يسعى إلى انتزاع الإسلام من نفوس المسلمين فقد عَمِدَ إلى محاولة ضرب الإسلام من الداخل فصور الإسلام على أنه دروشة وجنون وأنه دين لا يصلح للحياة وذلك عن طريق دعم الطرق الصوفية المنتشرة هناك والتي لديها الكثير من البدع والضلالات وقد بدأت هذه الجماعات الصوفية تغزو فكر الناس وتصور الإسلام على أنه عبادة للأحجار وتوسل بالموتى فبنيت التكايا والمقامات وانتشرت الزوايا في أنحاء ألبانيا المختلفة وتنتشر هناك فرقة البكداشية ورأينا بعضاً من مواقعهم التي يتوسلون بها ولمسنا الأثر الذي تركته هذه الفرقة على الناس حيث عادت بهم إلى الجاهلية الأولى فتوسلوا بالأموات واعتقدوا فيهم معتقدات باطلة .

وهناك فرق منحرفة أخرى متفرقة فى أنحاء ألبانيا لها مريدوها وأتباعها فتجد التكايا والأضرحة في كل يوم تزداد رغم الفقر الذي يعيشه الشعب وهذا ناتج عن جهلهم بدينهم فهم يصدقون مثل هذه الخزعبلات .

دور العالم الإسلامي والمسلمين :

إنّ العالم الإسلامي ممثلاً في حكوماته وشعوبه وهيئاته الخيرية مطالب بالوقوف في مواجهة المد الصليبي الحاقد الذي اجتاح ألبانيا . ومطالب أيضا بتقديم كافة أنواع المساعدات العينية والمادية لهذا الشعب الذي تجرع مرارة الفقر والحرمان لفترة طويلة من الزمن وهذا الشعب بحاجة إلى من يعيد إليه هويته وكرامته ويقع هذا الأمر على عاتق الدعاة المخلصين الذين يضحون بالغالي والنفيس في سبيل خدمة هذا الدين . إنها صرخة نوجهها إلى كل ضمير حي ، إلى كل من في قلبه غيرة على حرمات المسلمين وعلى دينهم وعقيدتهم في بقاع الأرض قاطبة .

إلى الشعوب الإسلامية إلى الجماعات والهيآت والمؤسسات الخيرية صرخة نطلقها علّها تحرك شيئًا في هذه القلوب فتقدم عملاً يعيد هذا الشعب إلى دينه فيكون ذلك نصراً وعزاً للإسلام والمسلمين .

كلمة في تقويم الرجال

خالد بن عثمان السبت

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .   وبعد :

فقد كثر الكلام وتقابلت الآراء في مسألة دقيقة مهمة ، وهي : المنهج الصحيح في الكلام على الطوائف والأفراد والكتب .

وصار كثير من الناس في هذه المسألة على طرفين متباعدين ،

الأول : من يرى أن العدل الواجب أن تُذكر الحسنات مع السيآت ويَستدل على ذلك بأدلة يمكن أن يُستدل على رأي الطرف الآخر بمثلها أو أقوى منها . وقد يرى هؤلاء أن الكلام إن عري من ذكر الحسنات فهو يدل على تحامل قائله أو كاتبه .

والطرف الآخر : يُشنع على هؤلاء ويرى أن لا وجه لذكر الحسنات بل .. تُذكر المثالب فحسب ، إذ المقام مقام نقد .

ولا ريب أن موقف كل واحد من هؤلاء فيه نظر ، لأنه أطلق وأجمل والصواب في مثل هذه المسائل يلزم التفصيل الذي به تتبين كثير من الأمور .

قال ابن القيم رحمه الله :

فعليـك بالتفصـيل والتبيين فالـ ... إطلاق والإجمال دون بيان

قد أفسدا هذا الوجود وخبّطا الـ ... آراء والأذهـان كـل أوان

وحـاصل الكلام في هذه المسـألة هو أن الكـلام في الآخـرين له **ثلاثة مقامات :**

المقام الأول : وهو الذي تُذكرُ فيه الحسنات والسيئات . ويكون هذا في الحالات الآتية :

١ ـ إذا تعادلت الأقـوال (أعني أقوال المجرحين والمعـدلين) في الراوي ، فهنا يُذكر هذا وهذا .

٢ ـ عند دراسة طائفة أو شخص أو كتاب أو منهج من المناهج يُذكر ما له ما عليه .

٣ ـ حينما يكون القـصد من الكلام مـجرد التـرجمـة والتعـريف فيُذكـر ما للرجل وما عليه . وهذا واضح جداً في كتب التراجم .

٤ ـ إذا كانـت الكتابة مـوجهة للطـائفة نفسـها أو للرجل ذاتـه أو إذا كان له أتبـاع كـثر ويُراد ردهم إلى الحق فـعنـد ذلك يُذكـرُ شيء من فـضـائل الرجل ومحاسن الطائفـة كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمـية رحمه الله لما كتب الوصية الكبرى لاتباع عدي بن مسافر .

المقام الثاني : وهو الذي تُذكـر فيـه الحسنات فـحسـب ويكون هذا في حالتين :

١ ـ إذا كان الرجل من أهل السنة وله من الفضائل ما يربو على سيئاته فلا وجه لذكر المثالب في مثل هذه الحال إلا إن دعت الحاجة إلى ذلك من أجل التنبيه حتى لا يغتر السامع بهذا القول . لكن لا يُذكر الغلط ليكون سبباً في التنقص من قائله . (أما ترى أن الماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث) .

٢ ـ في الكلام على الرواة إذا كان الغالب على الرجل التعديل وكان هو المختار فلا وجه لذكر أقوال المجرحين حينما نعرض للرجل بل يكفي أن نقول (ثقة) مثلاً .

المقام الثالث : وهو الذي يُذكر فيه الجرح فقط ويكون هذا في الحالات الآتية :

١ ـ في مقام التحذير . فإن المطلوب هو ذكر ما ينفّر من المتكلم عليه وبالتالي لا تُذكر محاسنه .

٢ ـ إذا غلب على الراوي الجرح وكان هو المختار فلا حاجة لذكر أقوال المعدلين .

٣ ـ إذا كان الغالب على الطائفة أو الفرد الانحرافات والمخالفات التي تتضاءل معها حسناتهم فهم بحسب ما غلب عليهم .

هذه خلاصة القول ـ فيما أظن ـ في هذا الموضوع ويوجد من الأدلة والشواهد من كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ وكلام السلف شيء كثير يدل على ما سبق . لعله يتيسر فسحة من الوقت فتبسط هذه المسألة بشكل أكبر مدعمة بشواهدها .

والله من وراء القصد

الإســلاميــون وســراب الديمـوقـراطيــة

تأليف : عبد الغني الرحال
عرض : أبو أنــس

يعتبر الكتاب بحق إضافة هامة للمكتبة الإسلامية في حقل شديد الحساسية وهو شرعية دخول الإسلاميين للبرلمانات ، والموضوع وإن طرقه الكثيرون سابقاً وكتبوا فيه ، لكن كل ما كتب ـ فيما أعلم ـ إما أن يكون تبريرات عاجلة في وريقات قليلة أو اتهامات شديدة على عجل وقد نُشر بعض منها في مجلات إسلامية في أوقات متفرقة .

وبالتالي فإن هذا الكتاب يعتبر الأول من نوعه في هذا المضمار حيث إنه دراسة أصولية شرعية مستفيضة لمشاركة الإسلاميين في المجالس النيابية .

الكاتب يقرر ابتداء عدم الموافقة على دخول الإسلاميين البرلمان ثم هو ينقد « الإسلاميين المجلسيين » كما يسميهم في إجازتهم لأنفسهم الدخول فيه من دون دراسة لحكم الدخول في تلك المجالس دراسة شرعية متعمقة .

ويقوم الباحث بجمع كافة المبررات والمسوغات التي يحتج بها هؤلاء الإسلاميون وبالأخص قضية المصلحة ثم يفندها بنداً بنداً مؤصلاً لمبدأ مهم وهو أن المشاركة في هذه البرلمانات هو تأصيل لواقعها المخالف لدين الله دستورياً وقانونياً .

والكاتب بذل جهداً مضنياً ومستفيضاً في دراسته التي استغرقت ــ كما يقول ــ سنين طويلة .

وتبدأ الدراسة بمقدمة ضافية تمثل دراسة نقدية موجزة للواقع المعاصر وموقف الجماعات الإسلامية منه ، وهي مقدمة رائعة ــ حبذا لو نشرت مستقلة ــ ثم يتبعها ثلاثة أبواب بفصولها ومباحثها المتعددة وهي كالتالي :

الباب الأول : الديمقراطية ، وفيه فصول :

ــ النظام الديمقراطي .

ــ مصلحة الأنظمة الحاكمة من النظام الديمقراطي .

ــ مصلحة الإسلاميين المجلسيين من النظام الديمقراطي .

الباب الثاني : المجالس النيابية ومقاصد الشرع ، وفيه مباحث ؛

* الاندراج في مقاصد الشرع ، وفيه فصول :

ــ مصلحة تحكيم الشريعة .

ــ مصلحة الإصلاح .

ــ مصلحة عدم تمكين أعداء الله من الانفراد بالسلطة .

ــ مصلحة نشر الدعوة .

ــ مصلحة الدفاع عن حقوق المسلمين في العالم .

* عدم المعارضة للكتاب والسنة ، وفيه فصول :

ــ حق التشريع .

ـ تضييع حدود الولاء والبراء .

ـ تثبيت أركان الأنظمة المتبرقعة بالديمقراطية .

ـ تضييع المنهاج النبوي في طريقة تغيير الواقع الشركي إلى واقع إيماني .

ـ التلبيس على المسلمين في عقيدتهم من خلال إضفاء ثوب إسلامي على أنظمة غير إسلامية .

ـ الرضا بواقع الأنظمة الديمقراطية .

* عدم المعارضة للقياس ، وفيه فصلان :

ـ القياس .

ـ وقفات مع استدلالهم بالقياس .

* عدم تفويتها مصلحة أهم منها أو مساوية لها ، وفيه فصول :

ـ إجمالي المصالح التي تضيع بمشاركة الإسلاميين في المجالس النيابية .

ـ ميزان النظر في المصالح .

الباب الثالث : مصالح متوهمة أمام أبوب مغلقة ، وفيه فصول :

ـ عدم اندراجها في المصالح المرسلة .

ـ عدم اندارجها في باب سد الذرائع .

ـ عدم اندراجها في باب الضرورة .

يختم الكاتب بحثه بخلاصة موجزة لأهم النتائج التي حصل عليها

ويقول إن النتيجة النهائية التي يُخرج بها من هذه الدراسة أن الإسلاميين المجلسيين اختطوا بمشاركتهم في المجالس النيابية منهجًا في التغيير مخالفًا لمنهج الأنبياء في ذلك ، متجردين عن الدليل الشرعي ، مما أدى إلى إضاعة الجهود الكثيرة في غير ما طائل ، فضلاً عن صرف الأنظار عن المنهاج النبوي في مواجهة الملأ وتغيير الواقع الشركي إلى واقع إيماني ثم يقول : « وبصوت عال أدعو الإسلاميين المشاركين في المجالس النيابية أن ينسحبوا منها ويوظفوا جهودهم لصالح خدمة الإسلام وفق منهاج الرسول ﷺ وأن يبينوا للناس حقيقة تلك المجالس بعد أن عرفوها من الداخل وعرفوا أساليبها في الوقوف في وجه أي مشاريع إسلامية جادة » .

وأخيراً فالكتاب جدير بالقراءة ، مع التركيز والتمعن فالكتاب عميق في طرحه دقيق في معالجته .

الهوامش :

* الكتاب صدر حديثًا (١٤١٣) عن مؤسسة المؤتمن للنشر والتوزيع ـ السعودية في (٥٣٦) صفحة من القطع الكبير ، ويمثل الجزء الأول ، ويليه مستقبلاً الجزء الثاني عن التجربة المصرية والسورية .

الشيوعيون والوظيفة الجديدة

د . محمد يحي

من الظواهر الثقافية التي تستحق الرصد أو على الأقل التسجيل في العالم الإسلامي وبالذات البلاد العربية في الفترة الأخيرة ذلك الدور الذي أنيط بنفر من الشيوعيين أو أنهم سعوا إليه في منظومة التصدي للحركات والفكر الإسلامي إن نجم النخب الشيوعية الذي علا وتألق في سماء عدد من البلدان العربية في الأربعينات وحتى الستينات قد خبا وأفل في السنوات الأخيرة ، ولا يرجع ذلك فحسب إلى تدهور وسقوط التجارب السياسية الشيوعية فيما عرف بالاتحاد السوفيتي والكتلة الاشتراكية بل إن هذا السقوط للشيوعية المحلية كان قد بدأ قبل سقوط الشيوعية الدولية بعد فشل طروحاتها المحلية وبعد ثبوت تواطئها مع مجمل النخب العلمانية الحاكمة وبعد تخليها عن العديد من مواقفها وشعاراتها التي أعلنت فيها الانحياز للجماهير الكادحة وتغيير المجتمع إلى الأفضل وما شابه ذلك من الأهداف .

إن القضية المحيرة التي ظهرت في الأعوام الأخيرة وشغلت بال العديد من الكتاب الصحفيين تمثلت في سؤال مهم هو : لماذا سقطت الشيوعية في روسيا وأوروبا الشرقية وغير ذلك من أنحاء العالم بينما ازدهرت فجأة في عدد من البلدان العربية في وقت كان فيه الجميع يتحدثون عن ذبولها ؟

والواقع أن هذا السؤال وبصياغته هذه بحاجة إلى توضيح وتحليل . إن السقوط الذي حدث في أوروبا الشرقية وغيرها كان في المقام الأول سقوط أنظمة سياسية واجتماعية واقتصادية شيوعية لأسباب داخلية وخارجية متعددة سبقه فشل الفكر الاشتراكي النظري والأيدلوجية الماركسية التي كانت تستند إليها تلك النظم . وقد بادر بعض المحللين المدافعين عن النظرية الماركسية إلى التمييز بين الأنظمة والتجارب الشيوعية من ناحية ، التي اعترفوا بفشلها ، وبين الفكر الاشتراكي كفكر اجتماعي سياسي اقتصادي من ناحية أخرى الذي أقروا بتعرضه للفشل إلا أنهم رأوا أنه ممكن تعديله لمواجهة الظروف الاقتصادية العالمية الجديدة وهي سيادة النظام الرأسمالي الغربي ومعه فلسفاته المميزة من ليبرالية وبراجماتية ويمينية وغيرها . كذلك ميز المدافعون بين النظم والتطبيقات الشيوعية ـ الاشتراكية من ناحية وبين الفكر الماركسي من ناحية أخرى فبينما رأوا أن الأولى قد فشلت وتهاونت زعموا أن الأخير مازال حيا وصالحاوأنه قابل للتطور والتكيف ليتمشى مع التطورات العالمية . وذهب بعضهم إلى أنه إذا كانت الماركسية كفكر قد ثبت خطؤها في معظم تنبؤاتها وتفاصيلها التحليلية إلا أنه تبقى مبادئها العامة ومستوياتها النظرية العليا الصالحة لتكون إطار نظر فلسفي في شتى جوانب الحياة أي أنه إذا كانت الماركسية قد فشلت كعلم كما كانت تزعم لنفسها إلا أنها لم تفشل كفلسفة أو كدعوة أيدلوجية « أخلاقية » !! أو كإطار نظري لتحليل المجتمع وفهم ووضع بعض الطرق والبدائل أمامه . ويذكر أن الذاهبين إلى هذا الرأي الذي يحول الماركسية من عقيدة ثورة وتغيير للمجتمع إلى فكرة فلسفية تأملية كانوا من الغرب ومن المفكرين والأساتذة في معاهد البحث والجامعات بأوروبا الغربية وأمريكا الشمالية حيث

أصبحت تسود الآن في دوائر معينة تلك الفلسفة الماركسية (وليس الشيوعية أو الإشتراكية) المنقحة .

هذا عن مجمل التطور الحادث في الغرب أما في البلدان الإسلامية ونحن نركز هنا على البلدان العربية ، فقد فشلت أيضا الأنظمة الحاكمة التي إن لم تكن شيوعية معلنة ـ باستثناء ما كان في اليمن الجنوبي أو بعض فترات الحكم في العراق أو السودان أو مصر ـ إلا أنها تبنت ما وصف بالاشتراكية في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية . ومع فشل هذه الأنظمة الحاكمة من خلال الهزائم الخارجية العسكرية وتفاقم الأزمات الداخلية انهارت أحزابها الآحادية وسقطت معها الأحزاب الشيوعية ، المعلنة وشبة المعلنة ، التي كانت تساندها بالدعم السياسي والمعنوي والدعائي الفكري . وسقط كذلك الفكر والبرنامج الاشتراكي ولا سيما في المجال الاقتصادي والاجتماعي . لكن هذا السقوط لم ينسحب على النخب الشيوعية الفكرية والثقافية والإعلامية وبعض النخب السياسة التي كانت خلال فترة الأنظمة الاشتراكية قد نجحت في التخندق في العديد من المؤسسات السياسية والاجتماعية كالنظام السياسي الحزبي والإعلام والتعليم الجامعي والثقافة بل وبعض هيئات صنع القرار على المستويات العليا كوزارات الخارجية والمكاتب الرئاسية الاستشارية وما شابهها .

ونشأ في البلدان العربية خلال الثمانيات وضع محدد غريب يتمثل في وجود نخب شيوعية قوية في مواقع مؤثرة ولكنها تسبح في شبه فراغ بعد سقوط الأنظمة الدولية أو ضعفها التي كانت تستمدمنها الدعم والقوة المادية والمعنوية وتعمل من خلالها وفي سياقها وبالإضافة إلى ذلك فإن الرسالة الإشتراكية الشيوعية ذات المحتوى السياسي والاقتصادي التي كانت هذه

النخب تروجها من خلال مواقعها وتعاونها مع الأنظمة قد فقدت مصداقيتها وسقطت هي الأخرى تاركة النخب بدون محتوى أو رسالة سوى ذلك الكم من الفكر الماركسي النظري الذي وجد لنفسه فرصة حياة داخل نطاق الفلسفةالغربية العلمانية التي احتضنته كأحد روافدها المتعددة . لكن المشكلة التي واجهت هذه النخب الشيوعية المحلية تمثلت في أن جل أفرادها لم يكونوا من المثقفين حقيقة أو الفاهمين أو حتى المطلعين على هذا الفكر الماركسى لأنهم كانوا يعيشون على فتات نظرى محدود متمثل في بعض الشعارات والشذرات ألقيت لهم من الكتلة الشرقية البائدة في سنوات سابقة من التلقين والترويج والدعاية العقائدية الفجة . ومن هنا انطبق على النخب الشيوعية المحلية قانون البقاء للأصلح وتعرضت لمزيد من الضعف ليس فقط لإنفصالها عن الأنظمة الحاكمة المغذية لها ولا عن الكتلة الاشتراكية الأم بل لأنها كذلك لم تكن تتقن صنعة الفكر الماركسي النظري الذي تبقى بعد الانهيار العظيم .

ولكن وسط هذا الركام من التدهور والفوضى تجمعت عناصر قوة معينة أولعلها « عوامل حظ » لتنقذ هذه النخب . أول هذه العوامل هو أن انفصال النخب الشيوعية المحلية في الظاهر عن دعم وقوة الأنظمة السياسية الحاكمة محليا أودوليا مع انهيار هذه الأنظمة ومعها الحركة الدولية الشيوعية قد أزال أو اضعف عنصر الخوف والقلق والتوجس الذي كانت دوائر محلية عديدة حاكمة وعلمانية ومتغربة ، تنظر به إلى تلك النخب . فقد انتهت مثلا نظرية الخطر السوفيتي وخطر نخب الشيوعية كعملاء وطلائع للسوفيت وانتهت نظرية خطر الثورة العمالية وغيرها من الأخطار التي كانت هذه النخب تمثلها وأدى هذاالوضع إلى إزالة أي تحرج من التعامل مع النخب الشيوعية لا سيما

في حالة ضعفها المادي والمعنوي وإفلاسها وخوائها وفشلها الفكري الواضح لقد تحول الثعبان الضاري فجأة إلى حيوان أليف منزوع الأنياب والسم .

وعنصر القوة الثاني هو ذلك الالتقاء الذي يبدو غريبا لكنه منطقي وطبيعي الذي حدث بين النخب الشيوعية وبين الدوائر النافذة والسياسات الغربية في المنطقة . لقد نشأ الجميع في العقود السابقة على فكرة أصبحت أشيه باليقين والبديهيات مفادها أن الغرب لا يعادي ولا يواجه إلا الخطر الشيوعي في المنطقة العربية رغم أن المواجهة الغربية كانت دائما وفي الحقيقة مع الإسلام .

وأيا كانت الحال وأيا كان خطل هذا التصور فقد استمر مهيمنا على الأذهان لكن السقوط الواضح لنظرية الخطر الشيوعي وظهور نظرية الخطر الإسلامي لدى الغرب كان بمثابة صك البقاء للنخب الشيوعية . فمن ناحية كانت هذه النخب أمام الغرب مجموعات من المثقفين منزوعة القوة وبلا دور واضح في المجتمعات العربية التي توجد فيها ، ومن ناحية أخرى كانت أفكار بعض أفرادها الماركسية تلقى القبول في الفكر الغربي المعاصر باعتبارها أحد مكونات هذا الفكر وجذوره وكذلك باعتبارها فاقدة للطابع الثوري المعادي للغرب الذي كان يميز شعاراتها المرفوعة في وقت سابق . وبجانب ذلك كانت تلك النخب وبرغم عوامل الضعف المتعددة التي أشرنا إليها تحتفظ بمواقعها الوظيفية والمؤثرة داخل المؤسسات السياسية والاقتصادية والثقافية وهي فوق أي شيء آخر تبحث عن دور أو وظيفة جديدة تتناسب مع مؤهلاتها . واجتمعت كل تلك العوامل لتجعل من التعامل الغربي مع النخب الشيوعية المحلية أو ما تبقى منها أمرا مرغوبا بل مطلوبا في ظل سيطرة نظرية الخطر الإسلامي على التفكير الغربي وإزاء « مؤهلات » هذه النخب

من ناحية الموقع الوظيفي المؤثر الموروث من عهود سابقة وامتلاكها لفكر يحظى بالقبول الغربي العام .

ونقطة الفكر هذه مهمة للغاية في تفسير عنصر القوة الرئيسي الثالث لهذه النخب ألا وهو الالتقاء والاندماج مع مجمل النخبة العلمانية في العالم الغربي بل والوصول إلى زعامتها وزيادتها وتوجيهها . إن النخب العلمانية المتغربة في العالم العربي كما في مجمل العالم الإسلامي قد تأسست على الفكر الليبرالي الذي صيغ صياغة خاصة ركزت على جوانبه اللادينية وليس الديمقراطية ، وكان ذلك أمرا طبيعيا في عهود الاستعمار وما له من حكومات محلية . وعندما ورد الفكر الشيوعي والماركسي إلى البلاد الإسلامية من خلال دعايات الكتلة السوفيتية أو من خلال التعامل من عدد من البلاد الغربية على المستوى الثقافي والأدبي والجامعي فإنه برغم احتوائه على عنصر العداء للدين والإلحاد إلا أنه طرح في شكل سياسي ثوري أوجد قطيعة مع سائر عناصر النخب العلمانية صاحبة النفوذ والمتأثرة بالفكر الليبرالي والبراجماتي الغربي وتفريعاتها . وهكذا عانت النخبة العلمانية في البلاد العربية من انقسام بين عنصريها اليميني والأوسط من ناحية واليسارى الماركسي من ناحية أخري ، وهو انقسام أضعف من أفاقها إلى حد كبير وكان انقساما تقع خطوطه على السطح فقط أي في المواقف السياسية والاقتصادية والتكتيكات بينما كان الجميع في المستويات الأبعد عمقا والأكثر نظريةيشتركون في الموقف العدائي نفسه الناقد للإسلام من منظور فلسفي ثقافي واحد هو منظور علمانية الغرب المشكلة في فكر عصر النهضة وعصر التنوير هناك قبل ظهور الماركسية بزمن بعيد وهي على أي حال بنت هذه العصور مثلها في ذلك مثل الليبرالية والبراجماتية وغيرها من المذاهب

الغربية الكبرى .

لكن التحول الخطير الذي طرأ على النخب الشيوعية في السنوات الأخيرة قضى على هذا الانقسام وفتح أبواب الوحدة والتكاتف بين مكونات النخبة العلمانية العامة مرة أخرى بعد أن كان الشيوعيون أو الماركسيون قد ناصبوا الطرف الليبرالي العداء من موقع الإحساس بالقوة وموقع احتكار التعامل مع الأنظمة الحاكمة . وتمثل هذا التحول الخطير في هذا الصدد في سقوط الفكر الشيوعي والاشتراكي الثوري في جوانبه الاقتصادية والسياسية التي كانت تعتبر حد الانقسام أو الحد الفاصل بين المكونين الماركسي والليبرالي للنخبة العلمانية . ولم يبق من الفكر الشيوعي سوى المكون الماركسي الثقافي النظري الفلسفي الأصلي الذي يلتقي مع الفكر الليبرالي في جذر أساسي هو العلمانية والنظرة الناقدة والرافضة للدين . وهكذا وبعد تعرية النخب الشيوعية من أسباب القوة السياسية ومن أقسام رئيسة وواسعة من أفكارها أصبحت مؤهلة وراغبة في الانضمام إلى عموم النخبة العلمانية المتغربة تلتمس فيها القوة والبقاء من خلال التضامن السياسي كما تلتقي معها في المكون العلماني الفج والصارخ وفي العداء للدين (الصاعد نفوذه) بعد زوال الكم الفكري « الكم الاشتراكي الثوري » الذي كان يميزها ويفصلها عنها .

لكن الشيوعية العائدة إلى صف النخبة العلمانية المتغربة العام كانت تمتلك سببا آخر للقوة ، هو العنصر الرابع في تحليلنا هذا ، لا تمتلكه سائر مكونات النخبة ألا وهو امتلاكها لتحليل مطول ونقدي لظاهرة الدين (المسيحي بالذات) بالإضافة إلى سبق خبرتها الواسعة خلال الخمسينات والستينات في الحرب الفعلية والمواجهة الميدانية للتيارات الإسلامية على

المستوي الفكرى والسياسي . وفي الواقع كانت هذه الورقة الرابحة أو عنصر القوة الحقيقي الذي يميز النخبة الشيوعية في نظر السياسة الغربية مؤخراً وأيضا في نظر الدوائر السياسية الحاكمة الجديدة والتي خلفت الأنظمة التي سبق أن تعاونت النخبة الشيوعية معها ضد الإسلام صحيح أن الليبرالية علمانية التوجه وأنها تمتلك هي الأخرى تحليلا نقديا للدين تضخم في العقود الماضية كثيرا لكن هذا التحليل ليس جذريا أو متخصصا . بما فيه الكفاية كما أن الدوائر الليبرالية والمصاحبة لها في العالم العربي بالذات لا تمتلك مثل هذا التحليل لأنها ركزت في الفترة الأخيرة على الجوانب الاقتصادية بالذات (سياسات الانفتاح الاقتصادي والخصخصة وتنفيذ برامج المؤسسات المالية الدولية ـ الخ) أكثر من تركيزها على نقد الدين ومواجهة أفكاره وفوق ذلك فإن الخط الليبرالي العلماني العام كما تطور في العالم العربي لم ينشأ في الغالب علاقة تصادمية مع الدين بالدعوة إلى الإلحاد أو رفض العقيدة والطعن فيها وفي الشريعة وفي النصوص الدينية كما فعل الشيوعيون في أوقات سابقة وكما يفعلون الآن ولهذا كانت النخبة الشيوعية أقوى من سائر مكونات النخبة العلمانية المتغربة في جانب التصدي للفكر الديني (الإسلامي وحده) الذي أصبح يلح الآن على الدوائر الغربية والأنظمة السياسية الحاكمة الآن في العديد من البلاد العربية والإسلامية .

لقد تضافرت عناصر القوة الأربعة هذه وتجمعت في نسيج واحد لتؤدي إلى ما يسميه بعضهم بالازدهار الظاهري الذي تمر به الشيوعية على المستوى السياسي الرسمي العربي في وقت كان يفترض فيه وفق منطق الأشياء أن تذوي وتذوب .

إن أحزابا شيوعية تقام هنا وهناك في وقت تلغى فيه الأحزاب الشيوعية

الكبرى في شرق وغرب أوروبا وتغيير أسماءها خجلا وعارا رغم طول تاريخها . وفي بلادنا العربية تنشأ الصحف والمجلات ودور النشر والمنتديات والتجمعات الشيوعية الثقافية والآدبية والنسوية بشكل شبه يومي في الأعوام الأخيرة . ويقفز دعاة الشيوعية السابقون والذين كانوا قد سقطوا وأفلسوا فكريا إلى مواقع الوزارة والصدارة في شتى المؤسسات ويناط بهم تشكيل النظام التعليمي وتكوين الرأي العام من خلال وسائل الإعلام والتأثير في محتوى ومضمون الثقافة والفكر في المجتمعات ككل ويرسمون السياسات الاقتصادية ويضعون القرار السياسي . لكن كل هذا النشاط ليس ازدهاراً طبيعياً بل هو تحرك مصنوع ومدبر ومفتعل بقرار علوي من السلطات الحاكمة وبمباركة وتوجيه حاسم من جانب الدوائر الغربية السياسية المؤثرة ومعها المؤسسات المالية الدولية والحركات الكبرى كالصهيونية والعلمانية والصليبية كذلك . وهذا الازدهار المصطنع والمخطط المحكوم يجيء لكي تؤدي النخبة الشيوعية دور التصدي لصعود قوة الإسلام .

إن الصورة الفعلية التي تواجهنا هي صورة نخب سقطت وأفلست وصارت تبحث عن دور وعندما عرض عليها هذا الدور في التصدى الفكري لتيار الإسلام سارعت بانتهازية معهودة إلى العض عليه بالنواجذ ولم تفلته لأنه فرصتها الوحيدة في البقاء . وإذا كانت هذه النخبة قد مارست التصدي والهجوم على الإسلام في عقود سابقة إبان فترات قوتها النسبية وجدتها ولحساب الأنظمة الإشتراكية الدكتاتورية التي تحالفت معها فإنها تمارسه الآن من موقع الضعف والإفلاس الفكري والذيلية المطلقة لأنظمة علمانية متغربة وديكتاتورية أيضاً وتمارسه باضطرار من يغرق ويريد النجاة بأي ثمن وليس بحنكة من يريد أن يؤدي دورا في لعبة القوة والسلطة له منه

نصيب . والصورة التي تواجهنا ليست صورة تيار سياسي فكري يستعيد أو يواصل عافيته بل هي صورة التقاء مصالح ومخططات أقرها لنا الدور الشيوعي الجديد على امتداد الساحة العربية . فهناك نخب ساقطة ومنتهية لكنها تملك فقط توزيعاً جغرافياً ومناخياً وبقايا فكر معاد للدين ومتخصص في مواجهته بسابق الخبرة وهي تبحث باستماتة عن دور يحفظ وجودها ، وهناك على الناحية الأخرى دوائر غربية ومحلية مؤثرة وحاكمة تبحث بإلحاح عن طرف يؤدي مهمة ضرب الإسلام والتصدي لفكره على أن يكون مؤهلا لذلك وعلى ألا يكون من القوة أو الإمكانية بحيث يخرج من طور التابع الذيلي العميل إلى دور الفاعل المستقل بالرأي والمصلحة .

هذا الالتقاء أو هذا البحث المزدوج هو الذي أخرج لنا الدور الشيوعي الجديد في العالم العربي في سياق من العناصر والعوامل التي أشرنا إليها آنفا .

ولكن الدور الشيوعي الجديد في خط الدفاع ضد الإسلام يجرى على حساب ما تبقى من صورة النخب الشيوعية ودعايتها لنفسها وشعاراتها .

فالنخبة الآن لا تنشغل إلا بشيء واحد فقط هو الهجوم والمزيد من الهجوم على الإسلام وهي بذلك تؤدي وظيفتها بأمانة تحسد عليها ولم تعهد فيها من قبل وتتلقى الثمن المناسب ماديا ومعنويا بتوزيع الحقائب الوزارية والمغانم المادية والظهور والشهرة الإعلامية . ولكن الانغماس الشيوعي شبه التام في التصدي للطرح الإسلامي يجعل الشيوعين مكشوفين مفضوحين أكثر مما كانوا أمام الجماهير التي ما عادوا يثبتون أيا من قضاياها ومشاكلها السياسية والاقتصادية بل على العكس يهاجون عقيدتها . إن الشيوعي

النمطي يقف الآن بورجوازيا محترما يدافع عن القطاع الاقتصادي الخاص والملكية الفردية والقيم الغربية الليبرالية كما يقف محافظا رصينا يدعو إلى الاستقرار والسكينة في ظل نظم شمولية ويبشر بالتعاون مع الغرب (الاستعماري سابقا) وبالتحالف مع اليمين المحلي والعالمي في وجه الخطر الإسلامي ويرحب بالصهيونية وإسرائيل كشريك في صنع التقدم المستقبلي غير الإسلامي في المنطقة كما يرحب بالصليبية الدولية والمحلية باعتبارهما حلفاء في وجه العدو المشترك أي الإسلام . وهو ينسى كل الشعارات القديمة عن الثورة والجماهير الكادحة والاستغلال الاقتصادي الطبقي وهبة القوى العاملة ولا يعود إليها ، وإن عاد فإنه يستخدمها فقط ضد الإسلام الذي اخترع له ألفاظ الظلامية والسلفية والأصولية ليشوه صورته بها . هذا الشيوعي النمطي إذن وهو يؤدي الدور الذي أنيط بقومه يخاطر بفقدان البقية من ورقة التوت التي تغطي العورة لأنه يتحالف وبشدة مع من كان حتى الأمس القريب ينعتهم بالأعداء سواء على المستوى المحلي أو العالمي وهو كذلك يتخلى عن الدور السابق المزعوم كمعارض صلب ومناضل يضحي من أجل مصالح الكادحين .

إن الوضع الجديد للنخبة الشيوعية في العالم العربي وفي العالم الإسلامي على نطاق أوسع ، بحاجة إلى تدبر وتحليل حاولت هنا أن أضع معالمه الأساسية . والخلاصة التي أتوصل إليها ويتوصل إليها أي تدبر موضوعي هي أننا أمام حالة من حالات السياسة الثقافية التي توظف مجموعة انتهازية من المثقفين في أداء مهمة الهجوم بوسائل فكرية وإعلامية متعددة على تيار معين (الإسلام) لحساب قوى خارجية وأخرى محلية تريد التخلص من هذا التيار لأنه يناقض طروحاتها العلمانية ومصالحها السياسية

في الحكم والسيطرة واحتكار السلطة وانتزاع المجتمعات الإسلامية من دينها وعقيدتها بل تاريخها وهويتها .

إن ما يحدث على الساحة الفكرية الآن وفي بلدان عربية كثيرة هو أبعد ما يكون عن مجرد تطورات فكرية وثقافية جريئة أو كما يصوره بعضهم من تصد لما يسمى بالإرهاب والتطرف المنسوب للإسلام وحده .

إنما يحدث هو استراتيجية موضوعة بعناية لتتكامل مع استراتيجيات أخرى أمنية وسياسية واجتماعية لكي تضرب جذور الإسلام . ودور النخب الشيوعية في هذه الاستراتيجية هو دورالمنقذ الباحث عن دور والمعيّن لدي أصحاب المهمة الباحثين عمن يقوم لهم بهذا الدور .

د . محمد يحي

إلى إخواننا العرب المسلمين

أيها الأخوة الأعزاء :

إن القلوب دائما معلقة بكم وإن العيون لتنظر إليكم وإن الآمال معلقة بكم بعد الله جل جلاله لما لسلفكم الصالح من الفضل العظيم والأجر الكبيز في هدايتنا بإذن الله إلى هذا الدين القويم بعد أن كنا كغيرنا شبه حيوانات نأكل ونشرب ونتناسل ونعبد الأوثان وأنقذنا الله بفضله ومنته ثم بفضل أولئك الذين قطعوا الفيافي والفجاج بين الأخطار المحدقة من أمواج البحار وهوامه وقراصنته ، يهلك . إن ذلك يعني تحمل العبء الكبير في حمله وإبلاغه ثم أدركوا معنى الآيات الأخرى بإبلاغه والدعوة إليه وأن ذلك أمر واجب التنفيذ وعرفوا معنى التقصير فيه والحساب عليه ثم علموا علم اليقين عظيم الأجر والثواب لمن قام بهده الدعوة لأنها أهم وظيفة في الحياة فهي وظيفة الأنبياء والرسل ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، إذ أن هذه أمور تقتضى التضحية بالغالي والنفيس وكل ممتلكات الحياة من ماديات أو معنويات أو طاقات علمية أو عملية وتعلمون ما فعلوا وحق لهم ذلك الفعل والفوز بالأجر والثواب لما أحدثوا من أثر فعّال في هذه الجزر حيث أنقذوها من براثن الشرك إلى هدى الإسلام .

أيها الأخوة الأعزاء :

مع اعترافنا بجميلكم في مؤازرتنا في هذا العصر الحاضر بالمساعدات

المادية والمعنوية منذُ بدء اليقظة الإسلامية الجديدة إلا أننا نعتبر أنفسنا وإياكم مقصرين تقصيراً كبيراً تجاه هذا الدين العظيم وما يجب له من الدعوة والإبلاغ فنحن وإن كنا قد أخذنا في الدعوة إلى الله وأنشأنا المؤسسات التعليمية والتربوية باللغة العربية وعلى مناهج البلاد العربية ومنهج السلف الصالح بجهودنا الضعيفة ومساعدتكم بالإمداد المادي والمعنوي مما ساهم في نشر اللغة العربية للتعرف إلى الإسلام من خلالها مباشرة والارتواء من معينه الصافي وقد اهتدى الكثير وأسلم كذلك من الوثنيين والنصارى الكثير ، إلا أننا نعتبر أن هذه جهود ضعيفة وأعمالاً هزيلة ، إذا قورنت بما يجب علينا جميعًا وبما نملك من الوسائل الآلية مما يلزم من تبليغ دين الله والدعوة إليه في كل دار وفي أي موقع وبأقصى سرعة .

ألا يعتبر عملنا هذا تقصيراً كبيراً في حق أنفسنا وديننا ؟ بلى والله !
ومن جانب آخر إذا رجعنا إلى تعليمنا ومدارسنا نجدها تقوم في الدرجة الأولى على رسوم طلابها الفقراء أو ما يتبرع به بعض الفقراء أو مستوري الحال ؟ لا الأغنياء ... وتسير الهوينا بشكل مزرٍ فالكتاب المدرسي الذي هو عماد التعليم لا يوجد إلا بالنقل من اللوح ـ السبورة ـ أو تصويراً لمن يجد قيمة الكتاب ... ومباني المدارس معظمها من القش والأخشاب والزنك وبالإضافة إلى سوء مظهرها فإنها لا تصمد أمام مياه الأمطار ولا تحمي طلابها. والمدرسون معظمهم متطوعون أو بمكافآت رمزية والواحد منهم يدرّس درسا ويترك الآخر ولا عليه من سبيل مادام متطوعًا ... والمراجع الإسلامية شبه معدومة ، ورب الأسرة قد يدرس واحدًا من أ بنائه أو أكثر أو

لا يدرسهم بالكلية لأنه قد لا يجد النفقات الدراسية من رسوم أو أدوات مدرسية .

وهكذا يسير تعليمنا الإسلامي بخط متعرج ، ومع هذا له أثر كبير مع ضعف ما يقدم له من إمكانيات مادية أو معنوية وذلك فضل من الله ونعمه لا من جهود البشر المقصرين . بينما غير المسلمين نجدلهم في كل حي أو قرية مدرسة على الطراز الحديث مجهزة بالمعلمين والكتب والوسائل المدرسية وحتى وسائل العلاج وتستميل أبناء المسلمين بالإغراءات والعروض المادية فتعطيهم الكتب والمواد المدرسية مجانا بل واللباس والعلاج ، وفي بعض المواقع تعطى لأهلهم بعض الأطعمة والملابس ، وفي مواقع أخرى تهيئ لهم المساكن للعائلة بكاملها مقابل تمكينهم واحداً فقط من أبنائهم في مدارسهم لينصّروه أو يمسخوا شخصيته الإسلامية فيكون حربة ضد الإسلام فيما بعد وحتى الجبال العالية التي لا تصل إليها السيارات يصلونها بالطائرات المروحية أو على الدواب ... فما لهؤلاء القوم مع ضلالهم يبذلون ما لم نتحمله نحن أبناء البلاد وأبناء المسلمين .... وهم قد أتَوْا من بلاد الترف والنعيم ... لماذا هذه المفارقات أيها الأخوة الأعزاء .

ابن الإسلام لا يتحمل في سبيل دينه الحق إلا ساعات أو أيام قلائل ... وابن الضلال يقيم الشهور والسنين ويخترق الغابات ويتسلق الجبال العاليات ويجتاز المخاطر ، كل ذلك في سبيل الدعوة إلى ضلاله ... لماذا هذه الفوارق؟ ألا يدل ذلك على خلل في المنهج التربوي لأمتنا المعاصرة ؟ بلى والله إنه لبرهان عليه.

ولو نهجنا منهج رسول الله ﷺ في تربية أصحابه وما ساروا عليه في تربية أتباعهم ومن بعدهم : أولئك الذين فتحوا الدنيا آنذاك ، لو فعلنا ذلك لما سبقنا هؤلاء إلى التضحية والبذل في سبيل باطلهم ، إن هذه هي رسالتكم يا حملة العلم والمعرفة ومسئوليتكم تجاه أمتكم يا من نزل هذا الدين القويم بلغتكم وفي أرضكم ... إنها مسئوليتكم بالدرجة الأولى ثم مسئولية كل فرد مسلم بأن تربوا الأمة الإسلامية على حمل همّ الإسلام وجعله أهم شيء في الحياة إذا بصرتم الناس إلى هذا الواجب وأشعرتموهم بمسئوليتكم عن ذلك ... فإن هذا كفيل بإذن الله بإعادة دور الأمة الإسلامية إلى مكانتها اللائقة بها ... فهل أنتم فاعلون ؟ إننا والله مقصرون نهتم لمأكلنا ومشربنا وراحتنا أكثر مما نهتم للإسلام بل الكثير منا لا يهمه إلا نفسه ولا يحمل للإسلام همّاً ومن حمل منه شيئاً قارنه بمصلحته قبل الإقدام عليه ، نسأل الله العون والبصيرة لنا ولإخواننا في كل مكان .

أيها الأخوة الأعزاء :

مع ما ذكرناه أعلاه من واجبات ومسئوليات ومشاعر فإننا نعترف بفضلكم سابقًا ولاحقًا ونقر بجهدكم ونقول إن لكم الباع الطويل في هذه الأعمال ونتائجها تعليما ودعوة فما وجدنا المدد المادي والمعنوي إلا من الله ثم من إخواننا العرب المسلمين .

أسـامـة أمين الطيب

(الفلبين)

في تقويم الصحـوة

د / صلاح الصاوي

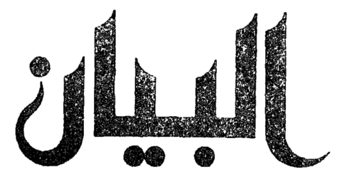
للصحوة الإسلامية المعاصرة إيجابياتها العديدة نذكر منها المحافظة على شمول الإسلام وتكامل فهمه في حس أجيالنا المعاصرة ، فقد أبقت في ذاكرة الأمة قضايا أساسية في دين الله كان يمكن أن تكون أثراً بعد عين ، كقضية تحكيم الشريعة . ومنها الانتقال بمنهج التعامل مع القرآن الكريم من مجرد التعبد بسماعه وتلاوته والاستمتاع الفني بدراسته إلى ما كان عليه سلفنا الصالح من الاتباع لأمره ونهيه والتقيد بتحليله وتحريمه كما روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قولها : كنا نقرأ الآية من القرآن فنحل حلالها ونحرم حرامها ونتأدب بآدابها لا نتجاوز إلى الآية التي بعدها حتى نفعل بها ذلك فتعلمنا العلم والعمل جميعًا ، ولقد كاد خصوم الإسلام في هذا العصر أن يحيلوا الكتاب الكريم إلى أثر تاريخي مقدس يتلى على سبيل البركة ولا علاقة له بالحياة ولا بالأحياء فجاءت هذه الصحوة المباركة لترد الأمة إلى كتابها باعتباره المصدر الأعلى للوحي المعصوم الذي أنزله الله ليكون الحجة القاطعة والحكم الأعلى بين العباد .

ومنها : تجديد الدين بإحياء كثير من السنن وإماتة كثير من البدع ، وإزالة الغربة عن كثير مما هجر الناس من شعائر الإسلام وشرائعه من كان يظن أن

حجاب المرأة المسلمة سيبعث مرة أخرى في جامعاتنا المعاصرة التي دار معظمها في فلك التغريب بعد أن حرص خصوم الإسلام على إماتته والتشنيع عليه أكثر من نصف قرن ؟؟ ! إنه القدر الأعلى الذي لا يقف في وجهه أحد !

وللصحوة الإسلامية سلبياتها المتعددة كذلك ، نذكر منها : تفرق كلمتها وفساد ذات بين أفرادها في بعض الأحيان .. وهو أمر جد خطير لأن مآله في منطق السنن الكونية إلى الفشل وذهاب الريح ، قال تعالى : ﴿ **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** ﴾ ومنها : عدم ترتيب الأولويات في بعض الأحيان ، فقد تهمش أموراً أساسية وقد تغلوا في أمور جانبية ، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم ، ومنها غياب فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد أو ضعفه وهو عمدة الفقه وأساس التعامل في واقع الفتن وغربة الدين ..

إن العمل الإسلامي المعاصر يعيش في واقع لا تكاد تتمحض فيه المصالح والمفاسد ، إنما تتلاقى وتتزاحم في مناط واحد وعند حدوث هذا التلازم يقع الاشتباه ويحدث الالتباس ، ولا مناص في مثل هذه الحالة من الاجتهاد لتحقيق خير الخيرين ودفع شر الشرين ، لأن مبنى الشريعة كما قال أهل العلم تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها .. إن هذه الموازنة وهذا النوع من الفقه هو عمدة التعامل في هذه المرحلة ، ومن لم يستوعب أبعاده أعياه الأمر وعطل كثيراً من المصالح الشرعية ، وربما يفضي ببعض الناس إلى التحلل وخلع الربقة بالكلية ، إن ذلك في الحقيقة يمثل معقد التفرقة بين التطرف والاعتدال أو بين القصد والغلو .



مجلة إسلامية شهرية

جامعة

تصدر عن

المنتدى الإسلامي

(لندن)

رئيس مجلس الإدارة

د / عادل بن محمد السليم

مدير التحرير

أحمد أبو عامر

المدير الإداري

د / عادل دعبول

AL BAYAN MAGAZINE

7 Bridges Place.
Parsons Green
London SW6 4HR U. K.
Tel : 071 - 731 8145
Fax : 071 - 371 5307

كلمة صغيرة

لا يخلو الجهد الإنساني من قصور ؛ وبالتالي من سلبيات والصحوة الإسلامية ، بوصفها جهداً إنسانياً يستهدي بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ وبمنهج سلفنا الصالح ، لم يكن من المتصور أن تخلو من بعض السلبيات ، إلا أن كثرة الحديث عن نقد « الصحوة » والإلحاح عليه قد أنسى بعضاً منا « إيجابيات » هذه الصحوة ، وعطاءاتها المتميزة وآثارها الكبرى في حياة الأمة ، هذه الإيجابية وتلكم الآثار ، التي حاولت « البيان » إبراز بعض جوانبها في هذا العدد .

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الإيجابية والسلبيّة

التحرير

العناية والاهتمام بأخبار المسلمين وأحوالهم ، والكلام عن المآسي والآلام في ديار الإسلام ، مما يقتضيه واجب الموالاة والنصرة ، حيث نحزن لحزن إخواننا ، ونفرح لفرحهم « فالمسلمون كرجل واحد ، إن اشتكى عينه ، اشتكى كله ، وإن اشتكى رأسه اشتكى كلّه » (١) .

وهذا الإحساس والاهتمام يجب أن يدفعنا إلى برامج عملية جادّة لمعالجة هذه الآلام أو تخفيفها ، وهذا الواجب لا يخص فئة دون أخرى ، بل يشمل جميع القادرين من المسلمين ذكورا وإناثا ، علماء وعامة ، تجارا وأطباء مهندسين وغيرهم ، فعليك أخي المسلم المشاركة بما تستطيع لخدمة دينك وأمتك ، وقول ما تستطيع فلا يكفي منك مجرد مشاركة يسيرة بوسيلة قد يستطيعها الكثيرون ممن هم أقل منك قدرة وإمكانات ، بل نريد المشاركة الجادة بكل ما تستطيع من وسائل ، بل وابتكار وسائل وأساليب جديدة ، فالثغرات كثيرة ، والأعداء كثر والمسؤلية جسيمة ، فلا مجال للتهرب من المسؤلية ، وإلقائها على الغير ، أو التعلل بالعلل الواهية ، التي إن أعفتك أمام الناس ، فلن تعفيك من المسؤلية أمام الله عز وجل ، وهنا لابد لنا من التحذير من بعض السلبيات الواقعة لدى بعض العاملين في الحقل الدعوي :

١ ــ التحذير من النقد السلبي ، ومن مظاهره : كثرة النقد بمناسبة وبدون مناسة ، وتضخيم السلبيات والأخطاء ، والتقليل من الإيجابيات أو تجاهلها ، والإغراق في المثالية ، مما يصيب بعض طلبة العلم باليأس والإحباط ، ومن ثم عدم تقديم أي شيء للدعوة ، لأنه لاجدوى من ذلك ــ حسب ظنهم ــ

ونحن هنا لا نقلل من أهمية النقد والتقويم ، ومراجعة الأخطاء ، فالصحوة في أمس الحاجة له ، وإنما نريد أن يكون ذلك باعتدال وتوازن مع طرح بدائل عملية أفضل .

٢ ـ توهم البعض أن الإصلاح ، ونصرة الدين لا تكون إلاَّ بهذه الوسيلة أو تلك ، ومن ثمّ التحقير والتصغير من شأن الوسائل الأخرى ، مثل أن يظن أن نصرة الدين لن تكون إلا بوسائل علنية ، ولا يجدي غير ذلك ، أو يظن أن ذلك لا يكون إلا بوسائل سرية ،ومن ثم يهون من تأثير الوسائل العلنية، وقد يتجاهل جهود الآخرين وإنجازاتهم ، وقد يتجاوز مرحلة التجاهل فيشكك في أعمال الآخرين ، أو يطعن في نياتهم رغم اتفاقهم معه في المنهج والهدف ، مما يؤدي إلى تشتت الجهود ، وتفرق الكلمة والفشل ، قال تعالى : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا ، وتذهب ريحكم ﴾ .

فهل من وقفة جادة لتنسيق الجهود وتكاملها ؟ هذا ما نرجوه ، ونسأل الله عز وجل إخلاص النية والقصد ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الهامش :

١ ـ رواه مسلم كتاب البر والصلة ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم رقم ٢٥٨٦ .

﴿ وإذا رأيتهم تُعْجِبُكَ أجسامُهم ﴾

د . عبد الكريم بكار

أنزل الله ـ جلَّ وعلا ـ في المنافقين سورة سُميت باسمهم ، تفضح بعض مواقفهم ، وتُخبر عن بعض صفاتهم ، وكان من جملة ما نَعَتَهُمْ الله ـ تعالى ـ به قوله : **﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامُهم وإن يقولوا تسمعْ لقولِهم كأنَّهم خُشُبٌ مُسَنَّدةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عليهم هم العدوُّ فاحذرهم قاتلهمُ اللَّهُ أنَّى يؤفَكُونَ ﴾** (١) .

فقد وصفهم الله ـ تعالى ـ بأن الناظر إليهم يُعجبُ بجمال أجسامهم ، ومن يسمعهم يُؤخذ بفصاحة ألسنتهم ، لكنهم كالهياكل الفارغة ، أشباح بلا أرواح ، وأجسام بلا أحلام ..

وهذ الصفات تتناسب مع حالة النفاق ، إذ إن ظاهر المنافق دائمًا خير من باطنه ، فظاهره الإيمان ، وباطنه الكفر ، وهو ذلق اللسان ، لكنه يقول غير ما يعتقد ؛ فهو كذاب ، وهو جميل الصورة ، لكنه عاطل من الصفات النبيلة كالإيمان والمروءة والرجولة ، وكل ما يزين الباطن .

وقد روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال : « كان عبد الله ابن أُبي (رأسُ النفاق) وسيمًا جسيما صحيحًا صبيحًا ذلق اللسان ، فإذا قال

(١) المنافقون : ٤ .

سمع النبي ﷺ مقالته » (١) .

ولمّا كان للظاهر سلطانه القوي في التأثير ، وانتزاع الإعجاب علّم النبي ﷺ أصحابه ضرورة تجاوزه إلى المعاني الباطنية ؛ لأنها هي الفيصل الحقيقي في تقييم الرجال ؛ وقد ورد في الحديث الصحيح : أن رجلاً مرّ على النبي ﷺ فقال : « ما تقولون في هذا ؟ » قالوا : « حري إن خطب أن ينكح ، وإن شفع يُشفع ، وإن قال أن يُستمع إليه » قالوا : « حريٌ إن خطب ألا يُنكح ، وإن شفع ألا يُشفَّع ، وإن قال ألا يُستَمع إليه » ثم مر رجل آخر ، فقال : « ما تقولون في هذا » . فقال رسول الله ﷺ : « هذا خير من ملء الأرض مثل هذا (٢) ففضّل النبيﷺ الفقير على الغني ، وذلك لا يلزم منه تفضيل كل فقير على كل غني ، إنما أراد أن يعلمهم أن التفاضل لا يقوم أبداً إلا على المعاني الباطنية ، وما يتبعها من أعمال .

وتطرح هذه الآية الكريمة مسألة خطيرة في حياة الإنسانية بعامة وحياة المسلمين بخاصة ، هي قضية العلاقة بين الشكل والمضمون ، أو الجوهر والمظهر (٣) .

ونعني بالجوهر ابتداءً : مجموع الخصائص الخُلُقيّة والنفسية والصور الذهنية ، والخبرات ، والموازنات العميقة للفرد .

أما المظهر : فإنه مجموع ما يحمله الفرد من الصفات الجسمية ، وما

---

(١) تفسير القرطبي ١٨ / ١٢٤ .
(٢) أخرجه البخاري .
(٣) ننصح بالرجوع إلى كتاب « الإنسان بين الجوهر والمظهر » الصادر ضمن سلسلة عالم المعرفة في الكويت . وقد أفدت منه هنا في بعض ما كتبت .

يمتلكه من الأشياء ، وما يتحمله من وظائف ، مما لا يعد على صلة مباشرة بكينونته الذاتية .

في البداية ليس الجوهر والمظهر شيئين منفصلين انفصالاً تامًا ، بل بينهما علاقة تأثر وتأثير وأخذ وعطاء ، وقد ورد ما يدل على هذا فقد كان النبي ﷺ كان يمسح مناكب أصحابه في الصلاة ، ويقول : « استووا ، ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم » (١) . والمرء حين ينشرح صدره يظهر ذلك على مُحيّاه ، ومن ثم قيل : « من كثرت صلاته بالليل ضاء وجهه في النهار » .

وإذا كان بين الظاهر والباطن مثل هذا التجاذب والتلازم فإن من البدهي ألا يزهّد الإسلام الناس في الشكل ؛ فالصلاة موقف روحي بحت، ومع ذلك حرص النبي ﷺ على انتظام الصفوف فيها ، والأمر قريب من ذلك في صفوف القتال .

وحث الإسلام على النظافة ، كما امتنّ الله ـ تعالى ـ علينا بما نشعر به من التأنق عند غدوّ الأنعام ورواحها ، كما قال سبحانه : ﴿ **ولكم فيها جمال حين تُريحُونَ وحينَ تَسْرحُونَ** ﴾ (٢) ، وتلك مسألة شكلية . والأمثلة على هذا أكثر من أن تُحصى .

إذن ماهي المشكلة ؟

تكمن المشكلة في اختلال التوازن بين الجوهر والمظهر ، أو بين المضمون

---

(١) أخرجه مسلم وغيره .

(٢) النحل : ٦ . ومثل هذا قوله سبحانه : ﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ﴾ .

والشكل ؛ فالبشر متفقون على أنّ اللباب هو الأصل ، وأنه ينبغي أن يُعطى من الاهتمام والعناية والبلورة القسط الأكبر لأن كل الإنجازات الحقيقية التي تتم على السطح نابعة أساسًا من إنجازات تمت على مستوى الكينونة والجوهر . وهذا يتناسب مع حقيقة تسخير الكون الذي حبا الله ـ تعالى ـ به الإنسان ؛ كيما يظل حراً طليقًا يحكم ويأمر دون أن يُكَبَّل بشيء من صنع يديه !

وللمجتمع وما يقره من أعراف سلطانٌ كبير على الناس ، ولما كان الحكم الاجتماعي منصبًا على الشكل كان الانحدار نحو الاهتمام بالشكل هو الأمر الطبيعي المتبادر إليه ، أما العناية بالجوهر فيمكن أن تنمو عن طريق التربية الخاصة في الأسرة أو المدرسة ، لكن ذلك سيظل ضعيف التأثير ما لم يكن المجتمع كله خاضعًا لمبادئ عليا خارجة عن إنتاجه ، ولن يكون مصدر تلك المبادئ حينئذ الأرض ، وإنما السماء ! لكن حين يكون الدين عبارة عن بعض الرؤى الغيبية ، أو الدغدغات العاطفية ـ كما هو الشأن عند بعض الملل ـ فإنه لا يضع شيئا في مواجهة التيارات الاجتماعية العاتية ؛ لأنه لا يعدو آنذاك أن يكون عنصراً رخواً من عناصر الثقافة ! وإن الدين الذي يوجِّه ويقاوم هو الذي نُمحِّص حياتنا من أجله !

وحينما يضعف الوازع الديني لدى المسلم فإن الميزان يميل مباشرة لصالح المظهر . وبما أننا نعيش في عصر نتأثر فيه أكثر مما نؤثر فقد أضيف إلى ضعف الوازع الديني عند أكثر الناس الوقوع تحت تأثير الفلسفة الغربية في جوانب الحياة المختلفة ، تلك الفلسفة التي شكّلت من الإنتاج غير المحدود والحرية غير المحدودة والسعادة غير المتناهية دينًا جديداً اسمه التقدم ! واقتضى ذلك توجهًا كليًا نحو الطبيعة لاستثمار كل شيء فيها ! ثم استهلاكه بصورة

جشعة لم يسبق لها مثيل ناسين أن موارد الطبيعة محدودة ، وأن الطبيعة سوف ترد على ذلك ، بل إنها بدأت بالرد فعلاً !

وعلى صعيد الرمز فقد كان البطل المسيحي يستوحي شخصية الشهيد ، وهو عيسى ـ عليه السلام ـ حيث وهب حياته من أجل غيره ـ حين صُلب كما يزعمون ـ ، ثم انقلبت الأمور رأساً على عقب ، حيث صار العالم الغربي يستوحي شخصية البطل الوثني ، كما يتجسد في أبطال الإغريق والرومان ، ذلك البطل الذي يغزو ، وينتصر ، ويدمِّر ، ويسرق ، وينهب . وشتان ما بين شخصية الشهيد الذي يهب حياته من أجل غيره ، وبين المقاتل الذي غايته السيطرة على الآخرين وتضخيم الحياة الشخصية !!

وكانت النتيجة ولادة مجتمعات تعاني من الوحدة ، والقلق ، والاكتئاب ، والنزوع التدميري ، والخوف من المستقبل ، والأنانية الشخصية ، والتفكك الأسري ...

تأثرنا ـ نحن المسلمين ـ بهذا كله من حيث ندري ، ولا ندري ، وتوجهت قوانا الفاعلة نحو الخارج ، وأهملنا الجوهر ، وكانت حالتنا في بعض النواحي أسوأ ممن تأثرنا بهم ؛ لأن القوم صاروا إلى الشكل بعد أن حققوا ذواتهم بطريقة فعّالة وإن كان انحرافها يحمل في النهاية بذرة موتها ؛ أما نحن فقد غادرنا الجوهر لغمر أنفسنا بالشكليات !

والناظر في سيرة النبي ﷺ والحياة العامة لصحابته ـ رضوان الله عليهم ـ يجد أن السيطرة كانت للكينونة الداخلية ، وليس لما يمتلكه الناس من أشياء ؛ لأن المحور الأساسي للحياة الاجتماعية كان الإنسان ، وليس الأشياء ؛ أما الآن فقد صارت (الملكية) هي المحور ، ويتجلى ذلك واضحاً

في أمور عديدة منها :

١ ـ تناقصت الألفاظ المستعملة في الدلالة على الجوهر ، في حين زاد تداول الألفاظ الدالة على الأشياء ، فحديث المجالس لم يعد يتمحور حول البطولات ، والإنجازات ، والمواقف الكريمة ، والصفات الحميدة ، وإنما حول العقارات ، والسيارت ، وأسعار السلع ، وأثاث البيوت ، والأرصدة المالية ...

٢ ـ الرغبة في مزيد من الإنتاج لتحقيق مزيد من الاستهلاك جعل اعتماد الناس على الآلة يتزايد يوماً بعد يوم ، وصار الإنسان ترساً من تروسها ، وصار دوره مكملاً لدورها ؛ ومن طبيعة هذا الشأن أن يزيد اهتمامنا بالمظاهر ، ويشغلنا عن الحقائق .

٣ ـ كانت قيمة وجود الإنسان مستمدة مما يُحسن ويتقن ، وصارت المعادلة الجديدة : قيمة وجودي مستمدة من مقدار ما أملك ، ومقدار ما أستهلكُ ! وهذا ولَّدالخوف الدائم من ذهاب الملكية ؛ لأن ذهابها ذهاب لمالكها ؛ واقتضى ذلك مزيداً من الشح والأثرة والتقاطع ...

٤ ـ علاقتنا بالمعرفة تبدلت ؛ فقد كان حب العلم واكتساب المعرفة من أجل الفقه في الدين وتنمية الشخصية ومعرفة الحياة ... وكانت العملية التعليمية عبارة عن اندماج بين العلم وطالبه ، أما الآن فقد صارت علاقة طالب العلم بما يطلب علاقة تجارية بحتة ، فهو يتعلم ؛ لينال الشهادة ؛ وحفظه للمعلومات ظاهري ينتهي عند إفراغها على الورق في الامتحان !

٥ ـ السمات الأساسية للجوهر هي : الاستقلالية ، والحرية ، وحضور العقل النقدي ، والاستخدام المثمر للطاقة الإنسانية ، والنمو ، والتدفق ، لكن

العلاقات الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية الجديدة جعلت أنشطة الإنسان عبارة عن انشغال دائم مفصول تماماً عن قواه الروحية ، بل يقف ضدها ، ويحد من فاعليتها في كثير من الأحيان ؛ مما أدى إلى الاتكالية والسأم والتذمر ، وجعل الحياة تفقد طعمها الحقيقي بشكل عام .

٦ ـ كانت عواقب الاتجاه إلى الشكل والتغافل عن المضمون كثرة اللذائذ وانعدام السعادة ! واللذة إشباع الرغبة على نحو لا يتطلب نشاطاً ، مثل لذة الحصول على مزيد من الربح ، أو هي : تجربة لحظة من لحظات الذروة يعقبها في الغالب نوع من الكآبة ، ولا سيما حين تكون غير مشروعة ، حيث يبدأ التقريع الداخلي .

أما السعادة فهي : شعور مصاحب للنشاط الإنساني ؛ وهي أقرب إلى أن تكون حالة من الوجود المتصل على ربوة رحبة ؛ لأنها وهجٌ لكينونة الإنسان ، ونشاطه الداخلي .

ويمكن القول : إن السعادة في مقياسنا الإسلامي تتعاظم كلما ردم المسلم من الفجوة القائمة بين معتقداته وسلوكياته ، حيث يرضى المسلم عن أدائه ، ويستشرف عاقبة المتقين .

كل هذه التحولات باتجاه الشكليات جعلت كثيراً من أمة الإسلام قوة عددية ليس إلا ؛ لأن الذي يفقد الصلة بمكوناته الأساسية لابد أن يصبح شكلياً . فهل تعيد الصحوة المباركة الأمر إلى نصابه بإعادة التوازن من جديد بين الشكل والمضمون ، والجوهر والمظهر لنستأنف رسالتنا الحضارية ؟ ! هذا ما نرجوه . وعلى الله قصد السبيل .

يعرفون الحق ويرحمون الخلق

عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد :

إن من القضايا الملحة التي ينبغي الاعتناء بها علماً وعملاً موضوع الصفات السلوكية والأخلاقية عند أهل السنة والجماعة . فإن الناظر إلى واقع كثير من دعاة أهل السنة يرى ماهم عليه من تفرّق وخصومة وتناحر بل ربما تجاوز ذلك إلى حد التضليل والتفسيق .

ويبدو أن من الأسباب الرئيسية المؤدية إلى هذا الواقع المحزن الغفلة عن الالتزام بالصفات السلوكية والأخلاقية لأهل السنة ، فأنت ترى أن أولئك الدعاة على توجه واحد ، ومنهج واحد في الاستدلال ، ومع ذلك كله فلا اجتماع ولا وئام ، بل تشرذم وتناحر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

لقد اعتنى السلف الصالح بالجانب السلوكي الأخلاقي علماً وفقهاً ، كما حققوه عملاً وهدياً ، بل إن أئمة السلف يوردون الصفات السلوكية والأخلاقية لأهل السنة في ثنايا كتب العقيدة ، وعلى سبيل المثال فهذا قوام السنة إسماعيل بن محمد الأصبهاني (ت٥٣٥ هـ) يقول :

« ومن مذهب أهل السنة التورّع في المآكل والمشارب والمناكح،والتحرز من الفواحش والقبائح ، والتحريض على التحاب في الله عز وجل ، واتقاء الجدال والمنازعة في أصول الدين ، ومجانبة أهل الأهواء والضلالة ، وهجرهم ومباينتهم ، والقيام بوفاء العهد والأمانة ، والخروج من المظالم والتبعات ، وغضّ الطرف عن الريبة والحرمات ، ومنع النفس عن الشهوات ، وترك شهادة الزور وقذف المحصنات ، وإمساكُ اللسان عن الغيبة والبهتان ، والفضول من الكلام ، وكظم الغيظ ، والصفح عن زلل الإخوان ، والمسابقة إلى فعل الخيرات ، والإمساك عن الشبهات ، وصلة الأرحام ، ومواساة الضعفاء ، والنصيحة في الله ، والشفقة على خلق الله ، والتهجد لقيام الليل لا سيما لحملة القرآن ، والبدار إلى أداء الصلوات » [1] .

والحديث عن تلك الصفات السلوكية حديث طويل ، ولكن حسبي في هذه المقالة أن أشير إلى إحدى تلك الصفات المهمة ، ألا وهي أن أهل السنة يعلمون الحق ، ويرحمون الخلق ، فإنهم أصحاب هدي واتباع ، وأرباب عمل واقتداء ، ومن ثم كانوا أعلم الناس بالحق ، وأحرص الناس على تبليغ الدين والدعوة إليه ، ومنابذة أهل الأهواء والبدع ، وفي الوقت نفسه فإنهم يرحمون الخلق ، ويريدون لهم الخير والهدى ، ولذا كانوا أوسع الناس رحمةً وأعظمهم شفقة ، وأصدقهم نصحاً .

يقول ابن تيمية في هذا المقام :

« وأئمة السنة والجماعة وأهل العلم والإيمان فيهم العلم والعدل والرحمة، فيعلمون الحق الذي يكونون به موافقين للسنة ، سالمين من البدعة ،

---

(1) الحجة في بيان المحجة ٢ / ٥٢٨ . وانظر عقيدة السلف للصابوني (ت ٤٤٩ هـ) ص ٩٧ ـ ٩٩ واعتقاد أئمة الحديث للإسماعيلي (ت ٣٧١ هـ) ص ٧٨ ، وانظر آخر مبحث في العقيدة الواسطية لابن تيمية .

ويعدلون على من خرج منها ولوظلمهم ، كما قال تَعالَى : ﴿ **كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى** ﴾ ويرحمون الخلق ، فيريدون لهم الخير والهدى والعلم ، لا يقصدون الشر لهم ابتداء ، بل إذا عاقبوهم ، وبيهوا خطأهم وجهلهم وظلمهم ، كان قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق » [1] .

ويقول ابن رجب في هذا الصدد :

« كان خلفاء الرسل وأتباعهم من أمراء العدل وأتباعهم وقضاتهم لا يدعون إلى تعظيم نفوسهم البتة ، بل إلى تعظيم الله وحده ، وإفراده بالعبودية والإلهية ، ومنهم من كان لا يريد الولاية إلا للاستعانة بها على الدعوة إلى الله وحده .

وكانت الرسل وأتباعهم يصبرون على الأذى في الدعوة إلى الله ويتحملون في تنفيذ أوامر الله من الخلق غاية المشقة وهم صابرون بل راضون بذلك ، كما كان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول لأبيه في خلافته : « إذا حُرِص على تنفيذ الحق وإقامة العدل يا أبت لوددت أني غَلَت بي وبك القدور في الله عز وجل » وقال بعض الصالحين : « وددت أن جسمي قُرِّض بالمقاريض ، وأن هذا الخلق كلهم أطاعوا الله عز وجل » ومعنى هذا أن صاحب ذلك القول قد يكون لحظ نصح الخلق والشفيقة عليهم من عذاب الله ، وأحب أن يقيهم من عذاب الله بأذى نفسه ، وقد يكون لحظ جلال الله وعظمته ، وما يستحقه من الإجلال والإكرام والطاعة والمحبة ، فود أن الخلق كلهم قاموا بذلك ، وإن حصل له في نفسه غاية الضرر » [2] .

---

(١) الرد على البكري ص ٢٥٧ .

(٢) شرح حديث « ما ذئبان جائعان » ص ١٩ .

إن التزام أهل السنة بالعلم والعدل أورثهم هذه الخصلة الرفيعة ، فمسلك أهل السنة قائم على العلم والعدل ، لا الجهل والظلم ، حتى كان أهل السنة لكل طائفة من المبتدعين خير من بعضهم لبعض « بل هم للرافضة خير وأعدل من بعض الرافضة لبعضهم ، وهذا مما يعترفون هم به ، ويقولون : أنتم تنصفوننا ما لا ينصف بعضنا بعضا لقد تلقى أهل السنة هذه الصفة الحميدة من صاحب الخلق العظيم نبينا محمد ﷺ ، فلقد كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ أعلم الناس بالحق ، وأعظم الناس رحمة ورأفة ، فمن أجل إظهار الحق بلّغ الرسالة ، وأدى الأمانة ،وجاهد في الله حق جهاده ، ومن أجل نصرة الحق نجده ﷺ يغضب أشد الغضب ، فكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب ، وكل ذلك حين رأى بعض أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ يتخاصمون في القدر ، ثم قال : « مهلاً يا قوم بهذا أهلكت الأمم من قبلكم ، باختلافهم على أنبيائهم ، وضربهم الكتب بعضها ببعض : إن القرآن لم ينزل يكذّب بعضه بعضا ، وإنما نزل يصدّق بعضه بعضا ، فما عرفتم منه. فاعملوا به ، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه » (1) .

ومع ذلك كله فقد كان ﷺ هو الرحمة المهداة ، قال تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ .

وفي الصحيحين عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ « قالت : ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه ، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها ».

---

(1) أخرجه أحمد ٢ / ١٨١ ، ١٩٥ وابن ماجه (٨٥) .

وتأمّل ــ أخي القارئ ــ ما لقيه ﷺ من أنواع الأذى في سبيل دعوته ونصحه للخلق ، ولما سألته عائشة رضي الله عنها قائلة : « يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد » فقال : « لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم استفق إلا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي ، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، قال فناداني ملك الجبال وسلّم عليّ ثم قال : يا محمد ، إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني إليك لتأمرني بأمرك فما شئت ؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ، فقال له رسول الله ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ، لا يشرك به شيئاً » ، أخرجه الشيخان .

ولقد سار سلف الأمة على ذلك ، فهذا أبو أمامة الباهلي ــ رضي الله عنه ــ يقول الحق ، ويرحم الخلق ، فإنه لما رأى سبعين رأساً من الخوارج ، وقد جزت تلك الرؤوس ونصبت على درج دمشق ، فقال رضي الله عنه إعلاماً بالحق : « سبحان الله ، ما يصنع الشيطان ببني آدم ، كلاب جهنم ، شر قتلى تحت ظل السماء » .

ثم بكى قائلاً : « بكيت رحمة لهم حين رأيتهم كانوا من أهل الإسلام » [1] .

وهذا الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل ــ رحمه الله ــ يثبت على كلمة

(١) انظر تفصيل ذلك في الاعتصام للشاطبي ١ / ٧١ ــ ٧٣ .

الحق لا يخشى في الله لومة لائم ، فيقول بكل يقين : القرآن كلام الله غير مخلوق ، ويصبر الإمام على ما أصابه من أنواع الإيذاء والفتنة من قبل رؤوس المعتزلة ـ آنذاك ـ ، ومن تبعهم من خلفاء كالمأمون ، والمعتصم ، والواثق .

« ولما جاءه أحدهم وهو في السجن فقال : يا أبا عبد الله عليك رجال ، ولك صبيان ، وأنت معذور ـ كأنه يسهل عليه الإجابة ـ، فقال الإمام أحمد: إن كان هذا عقلك فقد استرحت » (١) .

ومما قاله الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ في شأن محنة الإمام أحمد :

« الصدع بالحق عظيم ، يحتاج إلى قوة وإخلاص ، فالمخلص بلا قوة يعجز عن القيام به ، والقوي بلا إخلاص يخذل ، فمن قام بهما كاملاً ، فهو صدّيق ، ومن ضَعُفَ ، فلا أقل من التألم والإنكار بالقلب ، وليس وراء ذلك إيمان ، فلا قوة إلا بالله » (٢) .

لقد كان الإمام أحمد بن حنبل رجلاً ليناً ، لكن لما رأى الناس يجيبون ويعرضون عن الحق ، عندئذ ذهب ذلك اللين ، وانتفخت أوداجه ، واحمرت عيناه (٣) .

ومع ذلك البطش والجدل والسجن من قبل أولئك الخلفاء إلا أننا نجد هذا الإمام يقول :

« كل من ذكرني ففي حلّ إلا مبتدعاً ، وقد جعلت أبا إسحاق ـ يعني المعتصم ـ في حل ، ورأيت الله يقول : « وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم » وأمر النبي ﷺ أبا بكر بالعفو في قصة مسطح ، ـ ثم قال ـ

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح ٢ / ٢٤ .
(٢) أسير أعلام النبلاء ٩ / ٢٣٤ .
(٣) المرجع السابق ٩ / ٢٣٨ .

وما ينفعك أن يعذِّبَ الله أخاك المسلم في سبيله؟ » [1] .

وهاك مثالاً ثالثاً لأئمة أهل السنة ، فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يقرر عقيدة السلف الصالح ، ويجاهد بلسانه وسنانه طوائف الزيغ والانحراف ، فيرد على أهل الكتاب ، ويقمع أكاذيب الباطنية ، ويناظر الصوفية وأهل الكلام ... وكل ذلك من أجل بيان الحق وتبليغه .

وفي الوقت نفسه فقد كان رحمه الله من أعظم الناس شفقة وإحساناً ، وإليك المشاهد الدالة على ذلك :

يقول ابن القيم : « جئت يوماً مبشراً له (أي لابن تيمية) بموت أكبر أعدائه ، وأشدهم عداوة وأذى له ، فنهرني وتنكر لي واسترجع ، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم ، وقال إني لكم مكانه ، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه ، فسروا به ودعوا له » [1] .

ولما مرض ابن تيمية ـ مرض الوفاة ـ دخل عليه أحدهم ، فاعتذر له ، والتمس منه أن يحلله ، فأجاب الشيخ : « إني قد أحللتك وجميع من عاداني وهو لا يعلم أني على الحق . وإني قد أحللت السلطان المعظم الملك الناصر من حبسه إياي ، كونه فعل ذلك غيره ... » [2] .

وقال أحد خصومه (ابن مخلوف): « ما رأينا مثل ابن تيمية ، حرّضنا عليه فلم نقدر عليه ، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا » [3] .

وأخيراً أدعو إخواني إلى ضرورة معرفة الحق ورحمة الخلق ، وأن نهتم بتحقيق العلم والعدل في هذا الشأن ، وأن نسعى جادين صادقين إلى تحقيق منهج أهل السنة عقيدة وسلوكاً ، والله المستعان .

---

(١) مدارج السالكين ٢ / ٣٤٥ .
(٢) الأعلام العلية صـ ٨٢ .
(٣) الباب الثالث ١٤ / ٥٤ .

سد الذرائع

(١)

هيثم الحداد

من خصائص هذه الشريعة وميزاتها صلاحيتها لكل زمان ومكان ، وهو ما يُعبّر عنه ـ أحيانا ـ بالشمولية .

فأدلتها الأساسية وهي نصوص الكتاب والسنة ، وما ثبت من الإجماع ـ الذي هو بمثابة النصوص أيضًا ـ محصورة ، لكنها مع ذلك صالحة للاستدلال على الوقائع المتجددة ، التي لم تكن جزءاً من الواقع عند تنزل النصوص .

ولقد بذل علماء هذه الأمة جهودا عزّ نظيرها في خدمة هذا الدين ، وإن من أعظم جهودهم في ذلك استقراءهم نصوص الكتاب والسنة ، وإعمال النظر فيها ، فألفوا بين النصوص ذات الدلالات المتشابهة ، وخرجوا بقواعد كلية ، تنتظم تحتها جملة من الفروع الفقهية ، فإذا صحت هذه القواعد على ما وقع ، فإنها تصح كذلك على ما يقع ، سواء أتى النص بحكمه أم لا .

ومن هذه القواعد ، قاعدة « سد الذرائع » وهي قاعدة عظيمة ، لها تطبيقات عديدة ، سيما في عصرنا الحاضر ، حيث كثرت نوازله ، وتعقدت مسائله ، فهي جديرة بالبحث .

* **تعريف « الذرائع » لغة :**

الذرائع جمع ذريعة ، وهي الوسيلة ، والسبب إلى الشيء ، أصلها لغة من ذرع [1] .

فـ « سد الذرائع » لغة : سدّ الطرق حتى لا تؤدي إلى نتائجها وآثارها ، بصرف النظر عن كون هذه الآثار محمودة أو مذمومة [2] .

* **تعريف « الذرائع » اصطلاحًا :**

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ : « الذريعة هي الوسيلة ، لكنها أصبحت في عرف الفقهاء عبارة عمّا أفضى إلى فعل محرّم » [3] .

وعرفها القرطبي ــ رحمه الله ــ بقوله : « عبارة عن أمر غير ممنوع في نفسه ، يخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع » [4] . وهذا من أرجح التعريفات [5] .

وعلى هذا فالذريعة بالمعنى الاصطلاحي هي أحد أفراد الذريعة بالمعني اللغوي ، يؤكد ذلك ما قاله القرافي ــ رحمه الله ــ : « اعلم أن الذريعة كما يجب سدها يجب فتحها ، وتكره ، وتندب ، وتباح ، فإن الذريعة هي الوسيلة ، فكما أن وسيلة المحرم محرمة ، فوسيلة الواجب واجبة ، كالسعي للجمعة والحج . وموارد الأحكام على قسمين : مقاصد ، وهي المتضمنة المصالح والمفاسد في أنفسها ، ووسائل ، وهي الطرق المفضية إليها ، وحكمها حكم ما أفضت إليه من تحريم ، وتحليل ، غير أنها أخفض رتبة من المقاصد في حكمها ، والوسائل إلى أفضل المقاصد أفضل الوسائل ، وإلى أقبح المقاصد أقبح الوسائل ، وإلى ما يتوسط متوسطة » [6] .

فللذريعة ـ إذن ـ ثلاثة أركان ، هي : الوسيلة ، والمتوسَّل إليه ، والواسطة بينهما ، أو إفضاء الوسيلة إلى المتَوسَّل إليه .

ومثال ذلك : بيع العنب ، فهو وسيلة غير ممنوعة في نفسها ، واستخدام هذا العنب في صناعة الخمر هو المتوسَّل إليه ، ودرجة الإفضاء هو قوة ثبوت استخدام هذا العنب الذي بيع في صناعة الخمر ؛ ولهذه درجات متفاوتة .

وعلى هذه الأركان تُبنى جلّ مباحث الذرائع : تقسيماتها ، وأحكامها ، بل حتى تعريفها ، ولذلك فإن دراسة كل ركن من هذه الأركان على حدة من الأهمية بمكان .

الركن الأول : الوسيلة :

وهي الأساس الذي تقوم عليه الذريعة ، فبوجودها توجد باقي الأركان.

والتعبير عن هذه « الوسيلة » بأنها « أمر غير ممنوع في نفسه » يدخل المباح ، والمندوب ، والواجب ، ويُخرج ما كان ممنوعًا في نفسه ، كشرب الخمر ، فهو ذريعة للفرية ، والزنى ، فهو ذريعة لاختلاط الأنساب ، لكنهما محرمان في أنفسهما ، حتى ولو لم يؤديا إلى تلك المفاسد .

الركن الثاني : المتوسَّل إليه :

ولابد أن يكون أمرًا ممنوعًا ، إذ لو كان أمرًا جائزًا ، لانتقلنا من الحديث عن الذريعة بالمعنى الاصطلاحي إلى الذريعة بالمعنى اللغوي .

ويُفهم من عبارات العلماء إرادة مطلق المنع أو التحريم ، ولم يحددوه بدرجة معينة ؛ إذ المنع تختلف درجاته ـ كما هو معلوم ـ ، فيتبع ذلك اختلاف قوة منع الوسيلة المفضية إليه ، فما كان المنع منه أقوى كالاعتداء

على الضروريات الخمس ، كان المنع من الوسائل المفضية إليه أقوى ؛ فالشريعة ـ مثلا ـ جاءت بسد أي وسيلة تؤدي إلى المساس بالدين ، سواء أكان بالابتداع فيه ، أو التساهل في أمره ، ولو كان في المحافظة عليه ذهاب الأنفس والأموال ، لأنه أهم الضروريات .

الركن الثالث :

إفضاء الوسيلة إلى المتوسل إليه ؛ وهو الذي يصل بين طرفي الذريعة : الوسيلة والمتوسل إليه .

والبحث في هذا الركن يكون في قوة الإفضاء هذه ، فهناك وسائل يكون إفضاؤها إلى المحذور ضعيفًا ، كزراعة العنب مطلقًا ؛ فإنه وسيلة إذ قد يتخذه بعض الناس لصناعة الخمر ، فهل تُمنع زراعته ؟ وإذا بيع لمن يصنع منه الخمر ، فإنه يصبح ذريعةً إفضاؤُها إلى المتوسل إليه قوية .

وضابط هذا الركن من أهم أسباب الخلاف في تعريف العلماء للذريعة ؛ لأن قوة الإفضاء تختلف ، ودرجاتها ثلاثة : ضعيفة ، وقطعية ، وما بينهما .

وعلى هذا فالمقصود بسدّ الذرائع شرعًا : « حسم مادة الفساد بقطع وسائله » (٧) .

أقسام الذريعة وأحكامها :

بالنظر إلى التعريف السابق للذريعة ، وإلى حال كل ركن من أركانها على حدة نحصل على الأقسام الآتية :

القسم الأول :

وضابطه أن قوة الإفضاء فيه نادرة ، سواء أكانت الوسيلة :

أ ـ واجبة ؛ كالذهاب إلى صلاة الجماعة في المساجد لسامع النداء ؛ إذ قد يتعرض بيته وماله إلى السرقة.. وهكذا .

ب ـ أو مندوبة ؛ كالصدقة على عموم المسلمين الذين لا يُدرى ما حالهم .

جـ ـ أو مباحة ؛ كالتجاور في البيوت ؛ فإنه يفضي نادراً إلى الزنى .

وحكم هذا القسم الجواز في صوره الثلاث ؛ لأن النادر لا حكم له .

القسم الثاني :

وهو أنواع ، تشترك في أن قوة الإفضاء : إما قطعية ، أو غالبة ، أو كثيرة ولكن ليست بغالبة ، فيحصل لدينا ثلاثة فروع :

١ ـ وسيلة مباحة تؤدي إلى محرّم ، كالسفر إلى البلاد التي تكثر فيها المنكرات ، وارتياد الأماكن العامة إذا أدى ذلك إلى رؤية المنكرات وعدم إنكارها أو أدى إلى النظر إلى العورات . وكقيام ذي الهيئة الذي يُتخذ في الناس قدوة بفعل مباح على وجه يسئ الجاهل فهمه ، فيعتقد حل محرم أو تحريم حلال ، ومن ذلك تولي الولايات في الجهات أو المؤسسات التي يلتبس أمرها على العامة ، فإن رأوا فيها الديِّنَ الثّقة ، ظنوا صلاحها وشرعيتها .

أما حكم هذه الذريعة فهو السدّ ؛ لأنها تؤدي إلى مفسدة أكبر من المصلحة المترتبة على فعلها .

٢ ـ وسيلة مندوبة تؤدي إلى محرّم ، كالسفر إلى الحج النافلة ، أو إلى الدعوة غير الواجبة إذا كان ذلك يؤدي إلى تضييع حق الأولاد ، أو يغضب الوالدين .

وحكم هذه الذريعة المنع أيضًا ؛ لأن مفسدتها أعظم من مصلحتها .

٣ ــ وسيلة واجبة تؤدي إلى محرم ، وهذه موطن رحب للاختلاف ، وإعمال الاجتهاد ، فمن العلماء من يرى منعها مطلقا ، تغليبا لجانب الخطر على الإباحة .

والأمر يحتاج إلى نوع تفصيل ، يعتمد على القاعدة الأساس في الحكم على الذرائع ، وهي : « إذا تعارضت مفسدتان دُفع أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما » .

ومن صور هذا الفرع ، إذا كانت الوسيلة واجبة ضرورية متعلقة بفرد واحد ، تؤدي إلى متوسَّل إليه ممنوع متعلق بأمرٍ ضروري أيضا ، لكنه متعلق بمجموعة ، فما الحكم ؟

والأمثلة الواقعية على ذلك كثيرة ، وكل مسألة تحتاج إلى دراسة مستقلة حسب ظروفها ، وملابساتها ، وما يحيط بها .

*** تحرير محل النزاع بين العلماء في سد الذرائع :**

تنقسم الذرائع من حيث الحكم عليها إلى ثلاثة أقسام :

أ ــ قسمٌ أجمع العلماء على سده ، بصرف النظر : هل يُعتبر من باب « الذرائع » أم لا ؟ فبيع العنب لمن يتخذه خمراً ، وإلقاء السُّمِّ في أطعمة المسلمين ، ونحوهما من الأعمال ممنوعة سواء أسميت « ذرائع » أم لا ، وسواءً أكان الاستدلال على منعها بقاعدة « سد الذرائع » ، أو بقواعد شرعية أخرى ، كاستدلال ابن حزم ــ وهو ممن لا يرى العمل بسد الذرائع ــ على حرمة ما ذُكر بقاعدة تحريم التعاون على الإثم والعدوان .

فالخلاف المتعلق بهذا القسم خلاف لفظي لا ثمرة له ، ومنشأ الاختلاف مبسوط في كتب الأصول .

ب ـ قسم أجمع العلماء على عدم سدّه ، سواء سمي ذرائع أم لا ، وذلك مثل زراعة العنب مطلقًا ، فلا تمنع خشية أن يستخدمه بعض الناس لزراعة الخمر .

جـ ـ القسم الثالث هو موطن النزاع ، الذي وقع فيه خلاف حقيقي ، والخلاف فيه بالتحديد في صورتين :

الأولى : ماهي درجة الإفضاء التي يحكم عندها بمنع الوسيلة ، هل هي الدرجة القطعية ، أم الظنية ظنا غالبا ـ وإن لم يكن كثيرا ـ ، أم الدرجة الكثيرة ؟ بمعنى هل يُلحق الكثيرُ غيرُ الغالب ، بالغالب ، فيأخذان حكم القطعي ؟ الظاهر ـ والله أعلم ـ أنهما يلحقان بالقطعي ، فيحكم عندئذ بسد الذرائع ، وذلك من أجل الاحتياط ، ولأن كثرة وقوع المفاسد مع قابليتها للتخلف يجعلها قريبة الوقوع ، ثم إن الشرع ورد بتحريم أمور كانت في الأصل مباحة ؛ لأنها تؤدي في كثير من الأحيان إلى مفاسد ، حتى وإن لم تكن غالبة [٨] .

الثانية : هل العبرة في العقود بمجرد الظاهر ـ كما يرى ذلك الشافعية ـ أو أن للقصد تأثيراً في الحكم على الذريعة ؟ بمعنى : هل يمنع الفعل الذي يؤدي إلى ممنوع حتى وإن لم يقصد صاحبه ذلك الممنوع ؟ كمن يسب آلهة المشركين أمامهم ، غيرة على دينه ،مع أن ذلك يؤدي إلى سب الله ـ تعالى ـ الذي لا يقصده مسلم . الراجح أن القصد ليس له تأثير في الحكم على الذريعة ، خصوصا قبل الفعل ، فالكلام في المنع الذي يكون قبل الفعل ، لا

في التأثيم الذي يبحث فيه بعد الفعل ، وذلك حتى لا يفتح الباب لفعل ذلك مرة أخرى ، وحتى لا يتساهل الناس في ذلك ، أو يظنوا حِل ذلك الفعل (٩) .

الهوامش :

(١) انظر : مادة (ذرع) في : القاموس المحيط ، ومختار الصحاح .

(٢) انظر : سد الذرائع للبرهاني ٥٢ وما بعدها .

(٣) الفتاوى المصرية الكبرى ٦ / ١٧٤ .

(٤) انظر : سدّ الذرائع للبرهاني ٧٤ .

(٥) وهناك تعريفات أخرى انظرها في : البحر المحيط للزركشي ٦ / ٨٢ .

(٦) الفروق ٢ / ٣٣ ، وقارن بما في إعلام الموقعين ٣ / ١٤٧ .

(٧) تقريب الوصول لابن جزي ١٤٩ .

(٨) أصول الفقه وابن تيمية لآل منصور ٥٠٣ .

(٩) المصدر نفسه ٥٠٣ .

الهروب إلى الأمام

عندما تكون وطأة الواقع ثقيلة قوية ، وعندما لا يقوم المسلمون بواجبهم من الأخذ بالأسباب الشرعية والاهتمام بالعدد والعدة ، وعندما يفشلون بسبب أخطائهم المتكررة ، أو مخططاتهم القاصرة ، عند ذلك يلجأ بعضهم إلى ما يسمى في علم النفس بسياسة (التعويض) ، فتوسوس لهم نفوسهم تخيلات موهومة ، وحكايات عجيبة ، وأشياء مضطربة ، تتملكهم وتسيطر عليهم ، حتى يظنونها شيئا وهي ليست بشيء ، وإنما هي أوهام وظنون . فيركضون ــ مثلاً ــ وراء (خليفة) وهمي ، أو يقعون في حالة اليأس والإحباط وينتظرون (المهدي) ، أو يذهبون إلى عالم آخر ، عالم الجن والشياطين ، فقد حدثني أحد الثقات أنه قد أُلف في بلده وحدها في السنوات الأخيره حوالي سبعين كتابًا أو كتيبًا عن الجن والشياطين ، وغالبًا ما تكون النوايا طيبة في مثل هذه الحالة ، ولكن ليس هذا هو الطريق . وقد يهرب أناس من هذا الواقع الذي يدعوهم للتحدي والتعب والنصب إلى الإغراق في تفاصيل العلوم ، الذي هو من قبيل (تلبيس إبليس) والذي غيره أفضل منه وأولى .

إن حالتهم هذه شبيهة بما وقع للمسلمين بعد القرون المفضلة ، عندما هرب بعضهم إلى التصوف والزوايا والتكايا ، ينذرون للأولياء النذور،

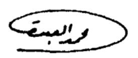
ويطلبون منهم الحاجات ، فوقعوا في الشرك والكسل والبطالة ، كما وقعوا في الأفكار الغامضة المشوشة .

تكَالب العالمُ في هذه الأيام على المسلمين ، ورماهم عن قوس واحدة ، وأظهر ما كان يخفيه من قبل ، وبانت عداوته صريحة لا التواء فيها ، فماذا يفعل المسلمون ؟

هل يجابهون هذا بافتعال أمور ليست صحيحة ؟ أم أن الأولى بهتم دراسة هذا الواقع ، والتأمل فيه ، ومعرفة مكامن القوة ومكامن الضعف ، ومجابهة هذا الواقع بالإمكانات الذاتية والقدرات الموجودة بعد تنميتها وصقلها .

لابد من البحث العميق في نفسية المسلم وعقله وأخلاقه التي تعيق النهوض والتمكن ، والبحث العميق في أسباب التفرق وأسباب التوحد ، والإخلاص في ذلك كله لله . ولابد من تملك ناصية كل العلوم المفيدة التي يأمر بها الإسلام ويحبذها ، لتكون وسيلة من وسائل ﴿ وأعدوا .... ﴾ ولابد من المال الذي يساعد على تحقيق هذه الأهداف حتى يكون الدين كله لله .

لاشك أن هذه الأمور أصعب على النفس التي تلجأ إلى أحلام اليقظة ، وتستروح رفقة يؤيدون هذا الهروب ويشجعونه سواء أكان عن جهل ، أو عن خفيات الهوى ونزغاته ..



الكُفْر

بقلم / عثمان جمعة ضميرية

- ١ -

الكفر في اللغة هو الجحود . وأصله من الكَفْر ، وهو السَّتْر والتغطية .

يقال : كـفْرتُ الشيء : إذا غطيتـه . ومنه قيل للَّيل : كـافر ، لأنه يستر الأشياء بظلمته .

وسمى الزارع كافـرا لأنه يستر الحبَّ بالتراب . وليس الكافـر اسما لليل أو الزارع ، ولكنه وصف لهما .

والكفـر : ضد الإيمان ، سمى بذلـك لأنه تغطية وستر للحق ، فالـكافر ساتر للحق ، أو ساتر لِنعم الله تعالى عليه .

ويقـال : كفـر بالله ، يكفُر كُفراً ، وكُفـوراً ، وكُفْراناً . وأكـفر فـلانا : دعاه كافراً .

وتستعـمل كلمة « الكُفْر » في الدين أكـثر من استعـمالهـا في كـفران النعمـة ، « والكُفران » في جحود النعـمة ، و « الكَفور » فيـهما جمـيعا . و« الكافـر » عند الإطلاق ـ متعـارف فيمن ـ يجـحـد الوحـدانية أو النبـوة أو الشريعة ، أو يجحدها جميعا (١) .

وأما تعريف الكفـر اصطلاحا ، فيقول ابن تيمـية في ذلك : ـ « الكفر : عدم الإيمان ، باتفـاق المسلمين ، سواء اعتـقد نقيـضه وتكلم به ، أولم يعتـقد شيئا ولم يتكلم » مجموع الفتاري ٢٠ / ٨٦ .

ويقول أيضا : ـ « إنما الكفر يكون بتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به ، أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه ، مثل كفر فرعون واليهود ونحوهم » درء تعارض العقل والنقل ١ / ٢٤٢ .

ويعرف ابن حزم الكفر بهذه العبارة :

وهو [أي الكفر في الدين] : صفة لمن جحد شيئا مما افترض الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجة عليه بقلبه دون لسانه ، أو بلسانه دون قلبه ، أو بهما معا ، أو عمل عملا جاء النص بأنه مخرج له بذلك عن اسم الايمان .

ويقول السبكي : « التكفير حكم شرعي سببه جحد الربوبية ، أو الوحدانية ، أو الرسالة ، أو قولٌ أو فعلٌ حكمَ الشارع بأنه كفر ، وإن لم يكن جحدا » (فتاوي السبكي ٢ / / ٥٨٦)

فالكفرُ اعتقادات ، وأقوال ، وأعمال ، حكم الشارع بأنها تناقض الإيمان.

والكفر حكم شرعي ، والكافر من كفره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فليس الكفر حقا لأحد من الناس ، بل هو حق الله تعالى .

يقول ابن تيمية : ـ ولهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم ؛ لأن الكفر حكم شرعي ، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله ، كمن كذب عليك ، وزنى بأهلك ، ليس لك أن تكذب عليه ، ولا تزنى بأهله ؛ لأن الكذب والزنا حرام لحق الله تعالى . وكذلك التكفير حق ، الله فلا يُكفر إلا من كفّره الله ورسوله » الرد علي البكري ص ٢٥٧.

ويقول ابن الوزير : ـ « إن التكفير سمعي محض لادخل للعقل فيه ، وإن الدليل على الكفر لا يكون إلا سمعيا قطعيا ، ولا نزاع في ذلك » العواصم والقواصم ٤ / ١٥٨ .

والكفر نوعان : كفر أكبر ، وكفر أصغر .

أما الكفر الأكبر ؛ فهو ما يضادُّ الإيمان من كل وجه ، ويخرج صاحبه من الدين والملة ، ويوجب له الخلود في النار . قال الله تعالى : « إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها » (البينة ، ٦)

وهذا الكفر يأتي في النصوص الشرعية مقابلا للإيمان فيكون ضده . وإذا أطلق لفظ « الكفر » فإنه ينصرف إلى هذا النوع ، فهو الكفر الأكبر الذي يجبط العمل ، ولا يغفره الله لصاحبه إذا مات عليه .

ويتنوع الكفر إلى ستة أنواع ، من لقي الله تعالى بواحد منها لم يغفر له، وهي (١) :

١ ـ كفر الإنكار ، وهو أن ينكر بقلبه ولسانه ، ويزعم أنه لا يعرف الله أصلا ولا يعترف به ، ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد ، قال الله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ (البقرة٦) : أي كفروا بتوحيد الله وأنكروا معرفته .

٢ ـ كفر الجحود ، وهو أن يعرف الله بقلبه ، ولا يقرّ ولا يعترف بلسانه ، فهو كافر جاحد ، مثل كفر اليهود وجحودهم لنبوة نبينا محمد ﷺ ، وكتمانهم لصفاته في كتبهم : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ (البقرة ، ١٥٩)

وهذا الجحود قد يكون عاما بأن يجحد جملة ما أنزله الله تعالى أو يجحد إرسال الرسل ، وقد يكون خاصا مقيدا ، بأن يجحد فرضا من فروض الإسلام ، أو يجحد تحريم مُحرَّم من محرماته .

٣ ـ كفر الشك ، حيث لا يجزم بصدق رسول الله ولا بكذبه ، بل يشك في أمره ، ولا يستمر هذا الشك إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عن آيات

الله ، ودلائل صدق الرسول .

٤ ـ كفر الإعراض ؛ بأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول ـ ﷺ ـ ، فلا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه . وبينه وبين ما سبق صلة .

٥ ـ كفر النفاق ، بأن يظهر بلسانه الإيمان ، وينطوي قلبه على التكذيب، وهو النفاق الاعتقادي .

٦ ـ كفر العناد ؛ وهو أن يعرف الله بقلبه ويعترف ويقرّ بلسانه ، ويأبى أن يقبل الإيمان أو أن يدين به ، فهو كفر إباء واستكبار ، مثل كفر إبليس ـ وما أكثر الأبالسة اليوم ! ـ فإنه لم يجحد أمر الله تعالى ، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار . وكذلك كفر فرعون وأبي طالب إنما هو من هذا اللون .

وأما الكفر الأصغر فهو مخالفة لحكم من أحكام الشريعة ، ومعصية عملية لا تُخْرج عن أصل الإيمان ، وإنما توجب لصاحبها الوعيد بالنار دون الخلود فيها ، وسميت كفرا لأنها من خصال الكفر . (٢)

ويمكن تعريفه بأنه كل معصية أطلق عليها الشارع اسم الكفر ولم تصل إلى حد الكفر .

وهذا النوع من الكفر يسميه بعض العلماء : الكفر العملي ، الذي يقابل الكفر الاعتقادي . وهو أيضا : كفر النعمة ، مع العلم أن الكفر العملي ينقسم إلى : ما لا يخرج عن الملة كالطعن في الأنساب والنياحة على الميت .

وقسم يخرج عن الملة كالسجود لغير الله ، وإهانة المصحف .

ومن الأمثلة الظاهرة على الكفر الأكبر في عصرنا الحاضر : الامتناع عن الحكم بشريعة الله تعالى ، وتطبيق القوانين الوضعية بدلا عنها .

إن الحكم بما أنزل الله تعالى وحده هو إفراد الله بالطاعة ، قال تعالى : ﴿ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ (يوسف آية ٤) .

والإشراك بالله في حكمه ، والإشراك به في عبادته كلها بمعنى واحد ، لا فرق بينهما البتة ، فالذي يتبع نظاما غير نظام الله ، وتشريعا غير تشريع الله، كالذي يعبد الصنم ، ويسجد للوثن ، لا فرق بينهم البتة .

ويكون الحكم بغير ما أنزل الله كفرا أكبرا في عدة حالات منها :

١ ـ أن يجحد أو ينكر الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الشريعة .

٢ ـ أن يفضل حكم الطاغوت على حكم الله تعالى .

٣ ـ أن يساوي بين حكم الله تعالى حكم الطاغوت .

٤ ـ أن يجوز الحكم بما يخالف حكم الله وروسوله ، أو يعتقد أن الحكم بما أنزل الله تعالى غير واجب ، وأنه مخير فيه .

٥ ـ من لم يحكم بما أنزل الله إباءً وامتناعاً ، فالكفر ليس تكذيبا فحسب ، بل قد يكون امتناعا عن اتباع الرسول مع العلم بصدقه ، والإيمان قول وعمل ، وتصديق وانقياد ، فلا يتحقق الإيمان مع ترك الانقياد والطاعة .

الهوامش : ـ

١ ـ انظر : الزاهر للأزهري ص : (٣٧٩) ، معجم مقاييس اللغة : ٥ / ٩ ، لسان العرب : ٥ / ١٤٤ الكليات للكفوي : ٢ / ٥٣٥ ، مفردات القرآن للراغب ص (٤٣٤) ، المغُرب للمطرزي : ٢ / ٢٢٤ .

٢ ـ هذا التقسيم نجده عند علمائنا قديما ، فهو في « الزاهر » للأزهري ث (٣٨٠ ـ ٣٨١) وتفسير البغوي : ١ / ٦٤ طبعة دار طيبة . وشهره ونشره الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن قبله ابن القيم ـ رحمهم الله تعالى .

٣ ـ فتح الباري لابن حجر : ١ / ٨٣ ـ ٨٤ ، شرح النووي على صحيح مسلم : ٢ / ٤٩ ـ ٥٠ .

دعوة إبراهيم عليه السلام ـ ٣ ـ

أساليب إبراهيم عليه السلام في نشر دعوته

محمد بن عبد العزيز الخضيري

١ ـ تقرير توحيد الألوهية ببيان دلائل الربوبية :

جميع دعوات الرسل قائمة على تقرير توحيد الألوهية الذي من أجله خلق الله الثقلين ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ ، وهو الذي اختلف الناس فيه ، ووقع لديهم بسببه زيغ عظيم ، ولذلك أخبرنا الله عن هدف بعث الرسل بقوله ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ .

أما توحيد الربوبية : فأكثر الناس متفقون عليه ، وهو الإقرار لله بالخلق والتدبير والملك ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله** ﴾ وتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية ، فالذي يستحق العبادة وحده هو الذي يخلق ويرزق ، ويحي ويميت ، وينفع ويدفع ، ويملك ويدبر ، وقد بيّن الأنبياء لأقوامهم هذا أتم بيان ، ومنهم إبراهيم ﴿ **إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكًا إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقًا ، فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له ، إليه ترجعون** ﴾ فبين أن الله هو الرزاق ، فهو إذن المستحق للعبادة دون سواه ممن لا يملكون لأنفسهم ـ فضلاً عن غيرهم ـ رزقًا ولا نفعًا ولا ضرًا ، وقال : ﴿ **أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ، الذي خلقني فهو يهدين ، والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين ، والذي يميتني ثم يحيين ...** ﴾ وأمثلة ذلك كثيرة .

٢ ـ التصريح بقصد النصيحة وأنه لا هدف للداعي إلا نفع المدعوين وأنه لا يريد على ذلك حظا من الدنيا :

إن إعلان الداعية عن هذا للمدعوين من شأنه أن يلين قلوبهم ، ويدعوهم إلى تأمل ما يدعون إليه ، ولقد درج على ذلك الأنبياء جميعًا ، فقال نوح : ﴿ **ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً ، إن أجري إلا على الله ..** ﴾ وقال هود : ﴿ **يا قوم لا أسألكم عليه أجرًا إن أجري إلا على الذي فطرني** ﴾ وفي سورة الشعراء ذكر الله : ﴿ **وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على الله رب العالمين** ﴾ ذكرها عن نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ، وقال محمد ﷺ : ﴿ **قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ، إن أجري إلا على الله ، وهو على كل شيء شهيد** ﴾ .

وحكى الله عن إبراهيم أنه قال لأبيه : ﴿ **يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليًا** ﴾ فهو لا يريد شيئا من أبيه ، وإنما يخاف عليه من عذاب الرحمن ، فيكون وليًا للشيطان ، وتأمل في العبارات التي نطق بها إبراهيم : (**أخاف**) و (**يمسك**) و (**عذاب من الرحمن**) تلفها تعبر بصدق عما يكنه إبراهيم لأبيه .

٣ ـ الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة :

وقد جاءت جلية في دعوته لأبيه وخطابه الرقيق الحاني المتدفق ليناً ــ وعطفًا ولطفًا ، اتباعًا للحكمة التي تقرب المدعو من الدعوة وتلين قلبه للاستجابة .

٤ ـ التشنيع على المعبودات الباطلة وعابديها :

لما بين إبراهيم لقومه دعوته ، وألان لهم الخطاب ، لعلهم يستجيبون ، وما زادهم ذلك إلا التمادي في باطلهم ، فما كان من إبراهيم إلا أن أظهر تهافت معبوداتهم وأحنق النكير عليهم ، فقال : ﴿ **ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون** ﴾ فسماها تماثيل ولم ينعتها بوصف (الألوهية) ، ولما ظهر له أنهم لا يعتمدون فيما فعلوا على حجة وبرهان قال لهم : ﴿ **لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين** ﴾ وزاد فقال : ﴿ **أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون** ﴾

ولقد برهن لهم على سفههم ماسوغ في تهكمه بتصرفاتهم حيث سألهم : ﴿ **هل يسمعونكم إذ تدعـون ، أو ينفعونكم أو يضرون** ﴾ فإن أقل مـا يقال في هؤلاء المعبـودين أنهم لا يسمـعون كعـابدين فكيف يجلبـون لهم نفعًا أو يدفعـون عنهم ضرًا ؟

٥ ـ التذكير بنعم الله على عباده :

جبلت النفوس على حب من أحسن إليها ولذلك عنيَ الدعاة إلى الله بتذكير الخلق إحسـان الله إليهم ليكون ذلك أدعى إلى قبـول الدعـوة فهـذا هود يقول : ﴿ **واذكـروا إذ جـعلكم خلفـاء من بعـد قوم نوح ، وزادكـم في الخلق بسطة ، فـاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحـون** ﴾ . وقـال صـالح : ﴿ **واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد ، وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورًا وتنحتـون الجبـال بيـوتًا ، فـاذكـروا آلاء الله ولا تعثـوا في الأرض مـفـسـدين** ﴾ وأمـا إبراهيــم فقال : ﴿ **أفرأيتم مـا كنتم تعبدون ، أنتم وآباؤكم الأقدمـون ، فإنهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين ، والذي هو يطعـمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين** ﴾ .

٦ ـ التـذكـيـر بأيّــام الله :

مـا من أمـة تَخلْف في الأرض إلا وتنظر في أحـوال من سلف من الأمم تتـبع مواطن العبرة فيهـا ، فتستفيد من الإيجابيات ، وتحذر من السـلبيات ، وكان أنبياء الله يذكرون أممهم بأحـوال الغابرين ممن كذبوا أو آمنوا ، فيـذكرونهم بعاقـبتهم ، وينذرونهـم أن يحل بهم مـا حـل بمن كـفـر من أمم الأرض ، لعلهم يتـعظون أو يرتدعون ، ولذا قال إبـراهيم لقومه : ﴿ **وإن تكذبوا فقد كـذب أمم من قبلكم ، وما على الرسـول إلا البلاغ المبين** ﴾ أي فقـد كذبت أممٌ أنبياءهم فحـل بهم ما تعلمون من العذاب ، فإن فعلتم عوقبتم بمثل عقابهم ، وما على الرسول إلا البلاغ المبين .

٧ ـ المناظرة والتدرج في إفحام الخصم :

قـال ابن القـيم في مـناظرات إبراهيم : « وهو الذي فـتح لـلأمـة باب مناظرة

المشركين وأهل الباطل ، وكسر حججهم ، وقد ذكر الله مناظرته في القرآن مع إمام المعطلين ، ومناظرته مع قومه المشركين ، وكسر حجج الطائفتين بأحسن مناظرة ، وأقربها إلى الفهم وحصول العلم [1] » وسنذكر هنا مناظرتين وقعتا لإبراهيم ، وذكرهما القرآن الكريم :

ـ **الأولى** : مناظرته لعبدة النجوم قال الله تعالى ﴿ **وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين ، وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل رأى كوكباً ، قال : هذا ربي ، فلما أفل قال : لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال : هذا ربي ، فلما أفل قال : لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي ، ، هذا أكبر ، فلما أفلت قال : ياقوم إني بريء مما تشركون ، إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا ، وما أنا من المشركين ، وحاجه قومه قال : أتحاجوني في الله وقد هدان** ... الآية ﴾ إلى قوله ﴿ **وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ، إن ربك حكيم عليم** ﴾ *

لقد عني إبراهيم بإخوانه من الأنبياء بالتوحيد وإيضاحه ، والاستدلال له أيما عناية ، وسلك في سبيل بيان الحق ، وتزييف الباطل كل وسيلة تؤدي إلى ذلك ، ومنها هذه المناظرة التي قامت بينه وبين قومه لبيان حقيقة ما هم عليه من الضلال .

فأنكر على أبيه اتخاذ الأصنام آلهة ، ولما أشرك قومه معه شدد في إعلان الفكر عليهم ، وبين أن ما هم فيه ما هو إلا ضلال يبين عن نفسه ، وذلك ليثير عواطفهم ، ويدفعهم إلى التفكير الجاد العميق فيما هم فيه ، وكان إبراهيم قد بصره الله بالدلائل الكونية الدالة على وحدانية الله تعالى ، فأراه آياته في ملكوته ، ليعلم حقيقة التوحيد ، أو ليزداد علما به ، ويقينا إلى يقينه .

وأرشده إلى طريقة الاستدلال بها على المراد من العباد .

ودخل إبراهيم مع قومه الصابئة الذين يعبدون النجوم ، ويقيمون لها الهياكل

في الأرض ، دخل معهم في مناظرة لبيان بطلان ربوبية هذه الكواكب المعبودة ، ولم يشأ أن يقرر التوحيد مباشرة ، بل جعل دعوى قومه موضوع بحثه ، وفرضها فرض المستدل لما لا يعتقده ، ثم كر عليها بالنقض والإبطال ، وكشف عن وجه الحق ، فحينما أظلم الليل ورأى النجم قال : هذا ربي فرضا وتقديرا ، وقال : أهذا ربي ، فلما غاب عن أعينهم علم أنه مسخر ليس أمره إليه ، بل إلى مدبر حكيم يصرفه كيف شاء ، ثم انتقل بهم في البحث إلى كوكب هو في أعينهم أضوأ وأكبر من الأول ، وهو القمر ، فلما رآه قال مثل مقالته الأولى ، فلما ذهب عن أعينهم تبين أنه ليس بالرب الذي يجب أن تألهه القلوب ، ويضرع العباد إليه في السراء والضراء ، ثم انتقل بهم إلى معبود لهم آخر أكبر جرماً من السابقين فلما أفل ، قال : يا قوم إني بريء مما تشركون ، إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ، فاستدل بما يعرض لها من غيرها على أنها مأمورة مسخرة بتسخير خالقها .

فإذا كانت هذه الكواكب الثلاثة في نظرهم أرفع الكواكب السيارة وأنفعها قد قضت لوازمها بانتفاء سمات الربوبية والألوهية عنها ، وأحالت أن تستوجب لنفسها حقا في العبادة فما سواها من الكواكب أبعد من أن يكون لها حظ ما في الربوبية أو الألوهية ، ولذا أعلن إبراهيم في ختام مناظرته براءته مما يزعمون من الشركاء ، وأسلم وجهه لفاطر السماوات والأرض ومبدعهما ، دون شريك أو ظهير ، وضمن إعلان النتيجة الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية ، وهذا هو معنى (لا إله إلا الله) فإن ما فيه من البراءة من الشركاء نظير نفي الإلهية الحقة عن الشركاء في كلمة التوحيد ، وبهذا يكون إبراهيم قد سنّ للدعاة إلى الله أسلوبا متميزا في دعوة المنحرفين ، وذلك بالتنزل معهم بالتسليم بأباطيلهم فرضا ، ثم يرتب عليها لوازمها الباطلة ، وآثارها الفاسدة ، ثم يكر عليها بالنقض والإبطال ، فإن الدعوة إلى الحق ـ كما تكون بتزيينه ، وذكر محاسنه ـ تكون بتشويه الباطل ، وذكر مساويه ومخازيه (بتصرف من مقالة الشيخ عبد الرازق عفيفي في مجلة التوعية الإسلامية عدد ٦ ، ٧) .

الثانية : مناظرته للملك في قوله تعالى ﴿ **ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم في**

ربه أن آتاه الله الملك ، إذ قال إبراهيم : ربي الذي يحي ويميت قال : أنا أحيي وأميت ، قال إبراهيم : فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغـرب فبهت الذي كفر ، والله لا يهـدي القوم الظـالمين ﴾(البقرة / ٢٥٨) .

لقد جادل الملكُ إبراهيم في ربه ، وفي ذكر الرب وإضافته إلى الضمير العائد على إبراهيم تشريف لإبراهيم وإشعار بأن الله سيتولاه وينصره .

ولماذا يجـادله ؟ لأن الله آتاه الملك ، فحـمله كـبره وبطره على طلب المخاصمة ، ولم يكن بسبب إيثاره الحق وطلبه له .

وكان الملك قد طلب من إبراهيم عليه السلام أن يقيم له الدليل على وجود الرب الذي يدعو إليه ، فقال إبراهيم : (ربي الذي يحيي ويميت) أي أن الدليل على وجوده هو : هذه المعجزة المتكررة الظاهرة المستترة ، معجزة الحياة والموت ، عندئذ قال الملك (أنا أحيي وأميت) فآتي برجلين استحقا القتل فأمضيه في أحدهما دون الآخر ، فأكون قد أحييت الثاني ، وأمت الأول ، وهذه مكابرة صريحة ، وعناد ظاهر ، يعلمه كل ذي عقل ، ولذلك ترك إبراهيم الخوض معه في مكابرته ، وجاءه بواقعة لا يحير معها جوابا ، قال : (فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) أي إذا كنت قادرا على الإحياء والإماته ، وهما من صفات الرب ، فيلزم أ ن يكون بمقدورك التصرف في الكون ، وأن تأتي بالشمس من المغرب ، عندئذ بهت الذي كفر ، والله لا يهدي القوم الظالمين .

إن انتقال إبراهيم من دليل إلى آخر دون مناقشة لإجابة الملك الساذجة ليس عن هزيمة ؛ لأن حجته كانت قائمة ، إذ إبراهيم وكل عاقل يعلم أن المراد حقيقة الإحياء والإماتة ، أما ما فعله الملك فأمر يقدر عليه كل أحد ، حتى إبراهيم كان يمكن أن يقول له : إني أردت حقيقة الإحياء والإماتة ، أما هذا فأنا أفعل مثله ، ولكن إن قدرت على الإماتة والإحياء فأمت هذا الذي أطلقته من غير استخدام آلة وسبب ، وأحي هذا الذي قتلته ، فيظهر به بهت اللعين ، إلا أن القوم لما كانوا أصحاب ظواهر ، وكانوا لا يتأملون في حقائق المعاني خاف إبراهيم الاشتباه والالتباس عليهم ، فضم إلى الحجة الأولى حجة ظاهرة ، لا يكاد يقع فيها أدنى اشتباه .

وهذا الانتقال من أحسن ما يكون ، لأن المحاجج إذا تكلم بكلام يدق على سامعيه فهمه ، ولجأ الخصم إلى الخداع والتلبيس جاز له أن يتحول إلى كلام يدركه السامعون ، وأن يأتي بأوضح مما جاء به ، ليثبت ما يريد إثباته ، وهذا لأن الحجج مثل الأنوار ، وضم حجة إلى حجة كضم سراج إلى سراج ، وهذا لا يكون إلا دليلا على ضعف أحدهما أو بطلان أثره .

٩ ـ استثارة الخصم :

والمقصود بذلك : تحريك نفوس المدعوين ، وتنبيه عقولهم ، ولفت أنظارهم إلى الأمر الذي يدعوهم إليه الداعية .

لقد فعل إبراهيم ذلك حين ترك كبير الأصنام بلا هدم (فجعلهم حطاما إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون) وذلك من أجل أن تدور في أذهانهم الأسئلة التالية ؟

ـ من فعل هذا بآلهتنا ؟

ـ لم لم يدافع الصنم الكبير عن صغاره ؟ وهل كان ذلك عن عجز أو عدم إدراك لما يقع حوله ؟

ـ لِم لمْ يوقع الصنم الكبير سوءاً بمن فعل ذلك ؟

ثم استشارهم مرة أخرى حينما جاؤا إليه يسألونه عمن أوقع ذلك بآلهتهم فقال :

ـ بل فعله كبيرهم هذا ، فنسب التكسير إلى جماد لا يتحرك ، ليقولوا له مباشرة : إنه لا يفعل شيئا ، وليقروا بضعف هذه الآلهة .

ـ ولم يكتف بذلك ، بل أمرهم أن يوجهوا إليها الأسئلة إن أخبرهم بمن أوقع بها ذلك ، ولذلك أجابوا بكل سذاجة : (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) وعند ذلك انطلق مبادرا (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ، أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) .

ثانيا الأساليب العلمية :

وهي كثيرة نختار منها :

١ ـ القدوة : لقد كان إبراهيم مثالا يحتذى في الخير ، ولذلك وصفه الله بقوله ﴿ **إن إبراهيم كان أمة** ﴾ أي جامعا للخير ، كلفه الله بأمور فقام بها خير قيام ﴿ **وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن** ﴾ وكان الجزاء : ﴿ **إني جاعلك للناس إماما** ﴾ فالسبب الذي أهله للإمامة إتمامه الكلمات التي ابتلاه ربه بها ، ومن أجل ذلك أمر نبينا ﷺ باتباع ملته (ثم أوحينا إليك ان اتبع ملة إبراهيم حنيفا) وأمرت هذه الأمة أن تأتسي بربراهيم ومن معه ، لكونهم قدوة (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه) والأمر الذي نهينا عن الإقتداء بإبراهيم فيه استغفاره لأبيه (إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك ، وما أملك لك من الله من شيء) وقد تقدم ذكر بعض من صفات هذا النبي الكريم وأساليبه وأعماله وماكان به قدوة للمصلحين من بعده (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) .

٢ ـ البداءة بالأهم : بدأ إبراهيم بالدعوة إلى توحيد العبادة ، وهو أهم ما يدعي إليه ، وأول ما يبدأ به (وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) .

٣ ـ اللين والشدة : وهذا ظهر جليا في دعوته لأبيه ، وفي دعوته لقومه ، فقد دعا كلا منهم باللين والاستعطاف ، لعل كلامه يتخلل قلوبهم ، ولينه يعطف أفئدتهم لقبول الحق الذي جاء به ، ولكن ما زادهم إلا عتوا ، فما كان منه إلا أن أغلظ لهم القول ، وشدد اللهجة ، ففي اللين قال : ﴿ **يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا** ﴾ وفي الشدة قال : ﴿ **وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين** ﴾ وقال لقومه : ﴿ **لقد كنتم أنتم وأباؤكم في ضلال مبين** ﴾ .

٤ـ البراءة والمعاداة : التي تعني البراءة من الشرك وأهله واعتزالهم ، وهي أصل من أصول العقيدة ومن مستلزمات (لا إله إلا الله) . قال رسول

الله ﷺ : « أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله » ومفاصلة خصوم الدعوة ارتفاع بالنفس والعقيدة إلى المستوى اللائق بهما ، فلا يستوي حزب الله الذي كتب الله له العزة والكرامة وحزب الشيطان الذي كتب الله له الذلة والهوان ، وفيها إشعار لأولئك الخصوم بأنهم على باطل ، وأن الأمر ما وصل بالداعية إلى المقاطعة إلا لحق يعتنقه ويدعو إليه ، فيكون ذلك ردعا لهم عما هم فيه . وفيها قطع لآمال أعداء الدعوة في الحصول على تنازلات من الدعاة ، يستدرجونهم بها .

وقد قال إبراهيم لأبيه حين استكنف واستكبر : (واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي ...) وجعله الله في براءته من المشركين قدوة ، فقال : **﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم ، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده ، إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ، ربنا عليك توكلنا ، وإليك أنبنا وإليك المصير ﴾** . وقد اشتملت هذه الآية على أمور نوجزها فيما يلي : ــ

ــ أن البراءة قائمة على الإيمان بالله فمن كان مؤمنا بالله أحب في الله.

ــ أنها نهج الأنبياء ، فمن أراد النجاة فليلحق بركابهم ، ويستن بهديهم .

ــ أن البراءة ليست من أشخاصهم فحسب ، بل ومن آلهتهم ، وأفكارهم ، ومذاهبهم .

ــ أنها مستمرة علنية ، وليست مجرد شعور قلبي إلا عند الضرورة .

ــ أنها مما اتفقت عليه الشرائع ، وليست لهذه الأمة الخاتمة فحسب .

ــ أن دعامتها التوكل على الله والدعاء كما ذكر في ختام الآية **﴿ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ﴾** .

ــ أنه لا فرق في البراء بين قريب أو بعيد مادام قد وحد بينهم كفر أو شرك.

٦ ـ **الدعاء والتضرع** : وهو السلاح الذي لا يحق للمؤمن أن يسير في ركاب الحياة بدونه ، وقد امتدح الله خليله بدعائه فقال : ﴿ **إن إبراهيم لحليم أواه منيب** ﴾ وقد تقدم معنى (الأواه) ، ولذا تل أن نجد موطنا تذكر فيه دعوة إبراهيم إلا ويذكر معها جانب من تضرعه ودعائه ومن ذلك : ﴿ **ربنا وابعث فيهم رسولا ...** ﴾ ، ﴿ **ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** ﴾ ، ﴿ **وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم** ﴾ ، ﴿ **واجنبني وبني أن نعبد الأصنام** ﴾ ، ﴿ **رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء** ﴾ ، ﴿ **ربنا اغفر لي ولوالدي ...** ﴾ ، ﴿ **رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات ...** ﴾.

إلى آخر ما هناك من الدعوات المباركات ، التي تضرّع بها إبراهيم ، وخلدها القرآن ، فكان قدوة في اللجوء إلى الدعاء .

٧ ـ **تحطيمه للأصنام** : لم يكتف إبراهيم في دعوته بالكلمة والحجة التي أبطل بها حجج الخصوم ، بل عضد ذلك بعمل كبير ، أقدم عليه بشجاعة وعلو همة ، وهو تحطيم الأصنام التي تعلق بها قومه ، حتى صرفهم تعلقهم بها عن التفكير في حقيقتها ، والنظر في ماهيتها ، فأراد إبراهيم أن يبين عن ذلك بالقول والفعل فكان بيانه القولي الذي شرحنا طرفا منه فيما تقدم ، وكان بيانه الفعلي بما أقدم عليه من تحطيم الأصنام ، وجعلها جذاذاً ﴿ **إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون** ﴾ . والآية هذه تشير إلى مدي البيان الذي أراد إبراهيم إبلاغه لقومه ، فلم تأخذه فورة التكسير بتحطيمها كلها ، بل ترك كبيرها لا لعجز ولا لخوف بل لعلهم إليه يرجعون ، فيحقق إبراهيم غرضه من هذا الأسلوب الدعوي الرائع ، وفعلا لقد كان ما أراده إبراهيم حين قالوا : ﴿ **لقد علمت ما هؤلاء ينطقون** ﴾ وحينها انقض عليهم كالشهاب : ﴿ **أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون** ﴾ وتحقق لإبراهيم مراده حين قالوا : ﴿ **قالوا : حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين** ﴾ فالآلهة تحتاج إلى من ينصرها ، ويدافع عنها ، وتحقق له كذلك حين (رجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون) ولكنه التعصب الذي ردهم على أعقابهم (**ثم نكسوا على رؤوسهم ، لقد علمت ما هؤلاء ينطقون**) .

٢ ـ الهجرة : ذكر الله تعالى هجرة الخليل في ثلاثة مواطن فقال : ﴿ ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ﴾ ﴿ وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين ﴾ .

فهو أول من هاجر لله ـ كما ذكره بعض المحققين ـ وكانت سنة لمن بعده من الأنبياء وأتباعهم ، وممن عمل بها محمد رسول الله ﷺ وصحبه ، فكانت هذه من ثمرات تلك التجربة الإبراهيمية ولونا من الإقتداء به .

إن الهجرة أسلوب يلجأ الدعاة إليه لأن أرضهم ما عادت تقبل الكلمة الطيبة ، فهم يبحثون عن أرض طيبة تحمل دعوتهم ، أو لأن القوم المعرضين بدأوا يناوشون الداعية ، ويوصلون الأذى إليه فهو يفر بدينه من الفتن ﴿ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ﴾ .

الهوامش

* [والصحيح ان إبراهيم في هذا الموطن كان مناظرا لقومه لا ناظرا بنفسه ويدل على ذلك :

أ ـ قوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل ﴾ والمراد بالقَبْلية ما كان قبل النبوة على الصحيح ، وأي رشد آتاه الله إبراهيم إن لم يكن موحدا مؤمنا بالله .

ب ـ قوله تعالى : ﴿ وما كان من المشركين ﴾ يقتضي نفي الشرك عن إبراهيم في كل مراحل عمره السابقة .

جـ ـ أن الله ذكر هذه الحادثة بعد إنكاره على أبيه وقومه ، مما يدل على المناظرة .

د ـ أن الله تعالى ذكر القصة بعد أن ذكر منته على إبراهيم برؤية ملكوت السماوات والأرض ليكون من المومنين ، ولذلك ذكر الفاء التعقيبية ﴿ فلما جن عليه الليل ﴾ .

هـ ـ أن الله ذكر فيها ﴿ وحاجه قومه ﴾ مما يدل على قيام المناظرة بينه وبينهم .

و ـ أن الله تعالى ذكر في خاتمتها ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ﴾ فقال (على قومه) ولم يقل (على نفسه) .

وبهذا القول قال كثير من علماء السلف والخلف وهو الذي تدل عليه الأدلة .

(١) جلاء الأفهام صـ ١٥٩ .

من إيجابيات الدعوة الإسلامية
« مقاومة التغريب »

د / عابد السفياني

« التغريب » مصطلح يستعمله بعض الكتّاب للدلالة على جهود الغرب في نشر أفكاره وقوانينه ونظمه في أقطار العالم الإسلامي .

لقد بذل الكفار ـ على اختلاف مللهم ونحلهم ـ جهدا كبيرا في نشر التغريب الذي يمثله النموذج الغربي في مجالات الحياة المعاصرة في التشريع والنظم الوضعية ، وفي مجال الإعلام ، والاقتصاد ، وفي مجالات أخرى متذرعا تارة بالديمقراطية ، وتارة بالمحافظة على حقوق الإنسان ، وتارة بالمشاركة في تنمية أحوال « العالم الثالث » بشرط الالتزام بتلك النظم نفسها .

وأكبر عائق يقف في وجه « النموذج الغربي » هو تطبيق الشريعة الإسلامية ، ولهذا كانت جهود الكفار تبذل في تغيير مفهوم تطبيق الشريعة.

يقول المستشرق « جب » في كتابه « الاتجاهات الحديثة في الإسلام » ص ٢٦ ، « ليس لدى الإنسان أنظمة كبرى في العقيدة ، والفكر ، والارادة من شأنها أن تظل ثابتة أكثر من عشرة قرون » .

والبديل عن الشريعة الإسلامية هو بزعمهم انتشار العلمانية :

يقول أيضا في ص ٧٤ « إن انتشار العلمانية في البلدان الإسلامية طيلة المئة سنة الماضية قد جعل مثقفي المسلمين عرضة لنفس التأثيرات التي زعزعت التفكير الغربي بالنسبة للمسائل الدينية » .

ويرى هذا المستشرق أن تكوين « الرأي العام » على الطريقة الأوروبية عن طريق نشر التعليم « العلماني » أي الغزو الفكري الأوروبي ، وذلك هو السبيل الوحيد لإدخال التطور والتحرر من سلطان الدين ، « وجهة الإسلام » ص ٢١٤ ـ ٢١٧ .

وعندما يتحدث عن استبدال القوانين الوضعية بالشريعة الإسلامية ، وأن ذلك قد أدى إلى تمكن القوانين الوضعية وانتشار النموذج الغربي فإنه يحذر قومه من الاطمئنان القائم على هذه المكاسب ، ويطالبهم بإدخال الاقتناع بها إلى قلب كل مسلم عن طريق التعليم ص ٢١٣ ـ ٢١٤ وهذا الطريق هو « التغريب » وتغيير المفاهيم وأما تغير مفهوم تطبيق الشريعة ، فبدلا من أن يكون مفهوم الحكم بالشريعة شاملا لجميع المجالات ، فلا بأس أن يكون قاصرا على جوانب معينة ، وبقية الجوانب يحكمها « التغريب » ، المهم أن يكون له سلطان مع الشريعة .

ولذلك يقول هذا المستشرق ـ وهو من المستشرقين الذين يعرفون هذا الدين كما يعرفون أبناءهم كما قال الله ـ تعالى ـ عنهم : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون** ﴾ ٢٠ ـ الأنعام يقول في كتابه السابق الذكر ص ١٢١ ، « إن قبول القانون الإسلامي كان منوطا بقبول الشريعة الإسلامية ، كما كان ذلك النتيجة الحتمية لكون المرء مسلما » وبالنسبة للذين يتمسكون بهذا المعتقد

تعتبر فكرة تعديل هذه القوانين الأساسية أو إلغائها من باب الكفر » ١٢٣ - ١٢٤ .

وأمامكم هذه العقيدة الإسلامية التي هي أكبر عائق في وجه التغريب ، لابد - كما يقول هذا المستشرق - من نقد تاريخي خاص ، فعجز الإسلام من طريق اللجوء إلى عناصر قد سبقت نتائج التغريب وما على العالم الإسلامي أن يعيش من جديد مجمل التطور الذي صادف العالم الغربي الحديث » [1] .

وخلاصة ما يخطط له الأعداء للتمكين للتغريب هو أن يصبح النموذج الغربي سائدا ومنتشرا في العالم الإسلامي ، ويكفي أن تبقى معه بعض أحكام الشريعة ، وأما مفهوم التحاكم إلى الشريعة الإسلامية في جميع المجالات - والاعتقاد بأن ذلك واجب ، وأن قبوله شرط لصحة الإسلام فمفهوم يمكن أن يغير ويبدل ، ليصبح مقصورا على بعض المجالات ، وحينئذ لا يكون قبول الشريعة - في جميع المجالات - شرطا لصحة الإسلام ، ولا يكون التشريع من دون الله كفرا ، فيأمن حماة التغريب والقوانين الوضعية من وصمة الكفر ، وهذا ما يريده الاستشراق .

وللمشرعين من دون الله أن يحكموا ببعض أحكام الشريعة ، ويحكموا بالأنظمة القانونية ، ويأذنوا تارة للناس بأن يتحاكموا تارة إلى هذا وتارة إلى هذا ، فالشريعة والحالة هذه ليست حاكمة بإطلاق بل هي محكومة ، والدين ليس كله لله ، بل بعضه لله ، وبعضه لغير الله ، وحينئذ يستقر التغريب في العالم الإسلامي . ولاريب أن أئمة المستشرقين - وهذا أحدهم - يعرفون هذا الدين ، ويحسنون التخطيط للتمكين للنموذج الغربي في العالم الإسلامي ، وقد عملوا لذلك دهرا طويلا .

وإذا أدركنا هذا المكر والدهاء منهم علمنا أن من أعظم ايجابيات الدعوة الإسلامية مقاومة ذلك التغريب ، وقد سخرت الصحوة ـ ولله الحمد ـ كثيرا من طاقتها وفي جميع المجالات لمحاربته وتحذير الناس منه ، وتنشأ في هذه المرحلة بالذات أسئلة كثيرة أمام حملات الإبادة التي يتعرض لها المسلمون ، فيقول قائلهم : ماذا يريد الكفار منا ؟ ألم تنتشرمذاهبهم وتحكم قوانينهم ، وينتشر سلطانهم ، ويقطعو الطريق على المسلمين كل ما أرادوا أن يتميزوا بشريعتهم ، بل ويلاحقوهم بالفساد عن كل طريق ؟ والآن ـ وفي هذه المرحلة بالذات ـ يقتلون بصورة لم يسبق لها نظير ، ويهجرون ، ولا خيار لهم ، فإما الخضوع للقوانين الوضعية ، وعبادة النموذج الغربي ، والتمكين لشهواته ، وإما تدمير الإنسان المسلم وحقوقه باسم حقوق الإنسان الغربي . والنتيجة أن المسلمين لا حق لهم في الحياة إلا تحت إشراف حقوق الإنسان الغربي ، وانتشار مذاهبه وأفكاره ، وهذا يمثل قمة الصراع بين النموذج الغربي والشريعة الإسلامية ، فلا عجب أن تبذل الدعوة الإسلامية من خلال علمائها ودعاتها وأنصارها في هذا المجال كل غال ونفيس ، وأن تستنهض همم المسلمين في كل مكان لمناصرتها ، وأن تنادى بإخراج آثار التغريب من مجال التربية ، والإعلام ، والإقتصاد ، وجميع المجالات التي حاولوا التغلل فيها .

ولنضرب أمثلة محدودة تدل على حتمية الصراع بين الصحوة الإسلامية ودعاة التغريب ، وأن على جميع المسلمين مناصرة علمائهم ودعاتهم ؛ ليتمكنوا من إقامة الدين الحق ، وتقديمه لسائر الملل بصورته الشامله الصحيحة، لعل ذلك يكون سببا في هداية الكثيرين منهم للإسلام .

المثال الأول : ـ يتسلط « النموذج الغربي » على الناس ويعطي باسم

حقوق الإنسان « الحق » للقوانين الوضعية ، لتتستر على مظاهر الشرك والكفر، وتمنع الدعوة الإسلامية من أن تنتشر مبادئها ، وتعبد ربها ، وأن تظلل الأرض بتحكيم شريعته ، وفضح دعاة التغريب ، الذين يعتبرون قتل المجرم وحشية، وتحريم الزنى تدخل في الحرية الشخصية ، والفوائد الربوية ضرورة اقتصادية .

المثال الثاني : ـ يبذل دعاة التغريب جهودهم لاستمرار الاختلاط والخلاعة ، ومحاربة التستر والفضيلة .

والشريعة الإسلامية تأمر اتباعها بالتستر ، كما قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ﴾ (الآيات من سورة النور ٣٠ ـ ٣١) .

وحرم الله سبحانه وتعالى الزنى بقوله ﴿ **ولاتقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا** ﴾ ، الاسراء ٣٢) .

فهل يقتنع الكفار الغربيون ، وغيرهم من دعاة التغريب بأن يسلمو ويتبعوا الشريعة الإسلامية ، وينبذوا الجاهليات التي زينوها للناس ؟

وهناك أمثلة أخرى في مجال الاقتصاد وغيره من المجالات لا يتسع المقام لذكرها .

ولقد كان من جهود الدعاة والعلماء والمصلحين أن يبينوا للناس أحكام الشريعة ومقاصدها ، ووجوب التحاكم إليها ، ونبذ ما سواها والكفر به ، ودعوة الكفار للإسلام ، ونصحهم وجدالهم بالتي هي أحسن ، وقد استفاد

الناس من جهود الصحوة الإسلامية التي تواترات بها الأخبار في كل مكان ، والتي أصبح همها إحياء صفات النموذج القدوة ـ جيل السلف الصالح ـ ليكون منهجهم هو الطريق العملي لمقاومة آثار النموذج الغربي ، وقد تربى كثير من المسلمين ـ ولله الحمد ـ على هذه الصفات ، وانتشرت طريقة السلف في مجال الاعتقاد ، والتربية ، والتعليم ، والصبر ، والورع ، والعطاء ، والبذل ، والولاء ، والبراء ، ونشر الدعوة ، والاحتساب ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والتعاون على مناصرة الدعوة ، وحذر العلماء من الجاهلية الحديثة ومسائلها وقوانينها ، ودعوا إلى وجوب إزالتها وتغييرها ، وأجمع العلماء أيضا في هذا العصر على وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية في جميع المجالات ، وانتشرت ـ ولله الحمد ـ جهودهم عن طريق الكتب ، والمقالات ، والأشرطة ، والبحوث العلمية ، والإفتاء والرسائل العلمية ، والمجلات الإسلامية ، وهذا قليل من كثير أشير إليه مجرد إشارة لأذكّر بالجهد المبارك الذي بذلته الدعوة الاسلامية في مقاومة التغريب ، متمنين لجهود العاملين لنصرة الإسلام التوفيق لمزيد من العمل والصبر ، حتى تزول آثار التغريب من العالم الإسلامي من كل مجال دخلت فيه ، ويحل محلها الأحكام الشرعية والاعتقادات الصحيحة ، ومن المعلوم أن من أحب شيئا تمسك به ، وقدمه على غيره ، وأن من أبغض شيئا تركه ، فيجب على جميع الدعاة بيان الحق للناس ، حتى يؤمنوا بأن الله هو وحده المستحق للعبادة ، وأن شريعته هي الحاكمة على أمورهم بإطلاق ، فيحبوا الله سبحانه وتعالى ، ويحبوا شريعته ورسوله صلى الله عليه وسلم : **﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾** آل عمران ، ويبينوا لهم ويبشروهم بأن لهم جنات تجري من تحتها

الأنهار ثوابا من عند الله .

وفي الوقت نفسه يجب عليهم أن يحـذروهم من أسباب الشرك والكفر وأثاره وقوانينه ، فيبغضون أثار « التغريب » والقوانين الوضعية وجميع مظاهر البدع والشـرك ، القديم منهـا والجديد ، ليعرف ذلك الجميـع ، وعلى الدعاة إلى الله والمصلحين بذل الجـهـد والصبـر حتى يجـتمـع الناس على عبـادة الله وحـده بلا شـريك ، ويحكمـوا شريعتـه في جـميع أمـورهم ، وحـتى يزول سلطان الجاهليات والأديان الباطلة والفساد الذي صنعته وزينته للناس الأفكار المنحـرفــة والأهواء المضلة ، ويـكون الدين كلـه لله ، ولا يكون مـنه شيء للأرباب المتفرقين ، وللشرائع المتفرقة ، كما قال يوسف عليه السلام وهو يبين هدف دعـوتـه للناس : ﴿ **ياصاحبي السجن أأرباب متـفرقون خـير أم الله الواحد القهار ، مـا تعبدون من دونه إلا أسماء سميـتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ سورة يوسف .

هوامش :

(١) الاتجاهات الحـديثة في الإسـلام ١٧٥ ، وانظر مناقشة هذه الأفكار بالتفـصيل في كتابي المستشرقون وموقفهم من ثبات الشريعة .



عبد الوهاب عبد الله

ـ أ ـ

لماذا أريد ؟ !

لماذا الهدير يمُزِّق ضعفَ الوليدْ ؟

ويبغي المزيدْ !!

ويُنبِت جمرَ الوريدْ !

أيبقى اللهيبُ على بابنا ينتظرْ ؟

ألم ينتصرْ ؟

أيَخنقُ عاصفةَ الجمر صمتٌ أشِرْ ؟ !

— ب —

هـــــــــراءٌ

صباح السلامْ !!

وريشُ الحمائم يابرقعاً

قاتماً في الظــلامْ

هـــــــــراءٌ

صباحُ الكلامْ

أيصحو المسافرُ عند اصطدامِ

السفينة ؟

ويحظى من الرحلةِ الحالمةْ

بماءٍ وملحْ !!

ويَطرحُ عن كاهليه شجونَهْ

ويغفو بقاع المحيطِ

ويُكفى المئونةْ !

- ج -

سلامٌ لعصف الرياحْ

سلامٌ يَهُزُّ جذوعَ المطرْ

سلامٌ لموج الرمالْ

سلام يبث الدماءَ

حريقَ السؤالْ

هـــراءٌ هـــراءْ

هراءٌ صباحُ السلامْ

سيورقُ فينا صباحُ اللهيبْ

ويَنتحرُ الليلُ فوق الكثيبْ

ويعلو الحبيبْ

ليخضب من دمِهِ ... قدميهْ .

مدرستي الكبرى

الشيخ : عائض القرني

أنا الحجاز أنا نجد أنا يمن ... أنا الجنوب بها دمعي وأشجاني

بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا ... بالرقمتين وبالفسطاط جيراني

وفي ربى مكة تاريخ ملحمة ... على ثراها بنينا العالم الفاني

دفنت في طيبة روحي ووالهفي ... في روضة المصطفى عمري ورضواني

دمي تصبب في كابول منسكبًا ... ودمعتي سفحت في سفح لبنان

فأينما ذكر اسم الله في بلد ... عددت ذاك الحمى من صلب أوطاني

والوحي مدرستي الكبرى وغار حرا ... ميلاد فجري وتوحيدي وإيماني

بدر أنا وسيوف الله راعفة ... كم حطمت من عنيد مارد جاني

كتبت تاريخ أيامي مرتلة ... في القادسية لا تاريخ شروان

وما استعرت تعاليما ملفقة ... من صرح واشنطن أو رأس شيطان

وما سجدت لغير الله في دعة ... وما دعوت مع معبودنا ثاني

وما مددت يدي إلا لخالقها ... وما نصبت لغير الحق ميزاني

فقبلتي الكعبة الغراء يعشقها	روحي وأنوارها في عمق أجفاني
وليس لي مطلب غير الذي سجدت	لوجهه كائنات الإنس والجان
ليت المنايا تناجيني لأخبرها	أن المنايا أنا لا لونها القاني
ليرم بي كل هول في مخالبه	ما ضرني وعيون الله ترعاني
ممزق الثوب كاسي العرض ملتهبٌ	أنعى المخاطر في الدنيا وتنعاني
وعزم عمار في دنيا فتوته	أسقي شبابي من ينبوعه الداني
عصى الكليم كفى كي أهش بها	على تلاميذ فرعون وهامان
في حسن يوسف تاريخي وملحمتي	من صنع خالد لا من صنع ريجان
داود ينسج درعي والوغى تحتدم	لا يخلع الدرع إلا كف أكفاني
دعني ألقن قومًا ما لهم همم	إلا على العزف من دان ومن دان
قوم مخازنهم نهب ومطعمهم	سلبُ موكبهم من صف فئران
يا جيل يا كل شهم يا أخا ثقة	يا ابن العقيدة من سعد وسلمان
يا طارقًا يا صلاح الدين يا ابن جلا	يا عين جالوت يا يرموك فرقاني
يا با ئعي الأنفس الشماء في شهب	من الرماح على دنيا سجستان
يا من بنوا المجد من أغلى جماجمهم	في شقحب النصر أو في أرض أفغان
يا من سقوا دوحة الإسلام من دمهم	من كل أروع يوم الروع ظمآن
يا صوت عكرمة المبحوح يقطعه	قصف العوالي من سمر ومران
هيا إلى الله بيعوا كل فانية	فصوت رضوان ناداكم وناداني



ـ كامب أريحا

التحرير

ـ واقع المسلمين المعاصر في الهند

أحمد بن عبد العزيز أبو عامر

ـ ما هكذا تكون إرهابياً أيها الأسمر

د / عبد الله عمر سلطان

ـ مجاهدو مورو لم يهزمهم الاستعمار لكن هزمتهم مائدة المفاوضات

التحرير

كامب أريحا

التحرير

في الوقت الذي كان « جنين » السلام الذي سمى «بغزة ، وأريحا : أولا» يخرج إلى النور ويرى الحياة ، كان أبواه يمهدان لحفلة القدوم بطريقة مختلفة .

الأب الأسرائيلي هو الطرف الأقوى والأغنى والأقدر على رسم خريطة الأحداث وتضاريسها ، بينما كانت المنظمة الأم ـ كالعادة ـ تتقن فن الوقوف في الجانب الخاسر ... ، المنظمة / الأم كانت تضع آمال القضية المركزية الأولى للعالم العربي وتاريخها وعرق الأمة ودمها وفداءها على طاولة المباحثات السرية حيث أنها تحلم « بطفل » ، بعد أن شارفت على بلوغ سن اليأس ، وهي التي تعد الجميع بالمولود في كل عام ، ومع كل مناسبة ، لكن عوارض سن اليأس قاسية واضحة مؤلمة ، وهذا ما دفع الأصدقاء قبل الأعداء إلى التهامس بأن السيدة / المنظمة عاقر .. عاقر .. عاقر ....

حتى أشد التقدميين الماركسيين لم يستطع أن يخفي تشاؤمه وحنقه ، فكتب خطاب استقالته إلى الزعيم ، وأرفقه بقصيدتين تقول إحداهما :

« لم نعد قادرين على اليأس أكثر مما يئسنا

والنهاية تمشي إلى السور واثقة من خطاها » (١)

نعم الجميع يتحدث عن اليأس ، وسنه ، ومظاهره وأعراضه ، وحتى يحافظ الزعماء التاريخيون على مناصبهم ومسؤولياتهم ، فقد خرجو بحل عبقري لم يسبقوا إليه .

هذا الحل يقول : لابد من إنجاب طفل حتى ولو كانت ملامحه إسرائيلية صارخة ، وهكذا ولد العار في صيف لافح ، وفي ليالي أغسطس الخانقة ،

وتسربت أنباء الوليد / الفضيحه ، الذي اعتبرته الأم دليلاً على عنفوانها ، وعنوانا لقدرتها على البقاء حية ، حتى ولو سفكت في سبيل ذلك سبب بقائها ، وأس وجودها : قضية الشعب الفلسطيني . أما الولد المتعجرف فقد كان يتحدث بلهجته المعتادة شاتما إياها مهددا بوأدها أسلوبه الرديء ... ومع أن المنظمة / الأم أخذت في كيل الثناء والمدح ، ورسم صورة مشرقة باهرة زهرية عن الغد القادم في ظل حراب صهيون ، فإن إسحاق رابين قد أفسد عليهم متعة الاحتفال ، وها هو يصرخ ، فيقول : « كثيرون حاولوا أن أعترف بالمنظمة قبل هذا الاتفاق ، لكنني أقول لهم الآن : إن المرء لا يبيع قبل الحصول على الثمن ، وقد حصلنا عليه . إننا وقعنا اتفاقا لن يزال بموجبه أي مستوطنة إسرائيلية ، وسنصر على إبقاء « القدس » عاصمة أبدية لإسرائيل ، ثم إنه في حالة تدهور الأوضاع ستعود الأمور على ما كانت عليه !!

إننا لن ندفع الثمن الذي دفعته ليكود في اتفاقيات كامب « دايفيد » وأضاف في كلمة ألقاها في ٤ سبتمبر ١٩٩٣في عهد وايزمان للعلوم وبعيد إعلان الاتفاق الإسرائيلي ـ الفلسطيني : « إن على اليهود أن يصيغوا السلام مع الأعداء ، وأحيانا مع أعداء سفلة » (٢)

وفي ظل الحديث عن « علاقة » و « وتعاون » و « مشورة » طفح بها اتفاق خروج الجنين إلى النور بدا واضحا من هو الطرف العاجز المستسلم ، بل الخائر القوى الذي يصف جلاديه وقاهريه ومهينيه بأنهم « شجعان » و « أصدقاء » و « متفهمون للأوضاع » وبين الطرف الآخر في هذه العلاقة المثيرة للجدل ، والذي يصف شريكه بالسفالة ، والنذالة ، والهمجية ...

سفر الإنهيار أم أُم الإتفاقيات ؟ :

قبل الدخول في متاهات الاتفاق ، وتفضيلات الإتفاقية ، هناك حقائق ثابتة ناصعة ، لا يستطيع الفريق المؤيد أو الفصيل المعارض للاتفاقية أن يحجبها ، أو

يلغيهـا من الإطار التاريخي الواقعي والتـحليلي للقضية الفلسطينـة، وهذه الحقائق والمعطيات لن يستطيع أحـد أن يشكك فيها ، أو في أهميـتها. ولعل المرتكز الأول الذي يصلح مـدلفـا للـمـوضـوع ، ومفـتـاحـا له هـو أن يعي الجـمـيع ـ مـؤيدين ومعـارضين ـ أن العدو الذي نتحـدث عنه لم يهبط علينا فـجأة من سطح المريخ ، أو تجـاويف المشـتـرى ، إنه عـدو حـدثنـا عنه رب الأرباب ، وخـالق الأرض والسماوات ، عدو شاء المولى ـ عز وجل ـ أن يواجهه أهل هذا الدين ، وهو في بداية مـساره ، ثم واجـهوه مـرة بعد مـرة، وأثبـتت كل هذه المواجهـات حقـائق صارخـة ، لا تجدي معـها تصريحـات الساسة ، أو نخـاسة السلام ، أو المتـاجرين بالأوطان . حـدثنا المولى عنهم فـقـال : « لتجـدن أشـد الناس عـداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » ، وصدق الله ، فقد أرانا إحدى آياته البينات الواضحات في هذا العصر حينما أذاق الله أمـة الإسلام الشاردة ألوانا الهول والذل على أيدي الصهـاينة اليهود ، الذين طردوا المسـتضعفين ، وحرقـوا الديار ، وجزروا الآمنين ، واستولوا على بيت المقدس ، وحرقـوا المزارع ، وشردوا الأحرار ، وظهر حقدهم وعـداؤهم لهذا الدين وأهله ، كـما أبانـت الآيات أن المكر يجمع أهل الكتـاب ، ولذا جاء النص القرآني المعجز جامعا لهذين الفريقين معا ، وهي آية أخرى تحققت في هذا العصر ، حـيث لم ير تاريخ البشرية تعـاونا وتنسيقا بين اليـهود والنصارى كـما نرى اليـوم ، وصـدق الحق القائل : « ياأيهـا اللذين آمنوا لا تتـخـذوا اليهـود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين . فـترى الذين في قلوبهم مرض يسـارعون فيهم يقـولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنـده فيصبحوا على ماأسروا في أنفسهم نادمين » .

أمام هذه الآيات المزلزلة ينبغي أن نعرض القضية برمتها :

ـ قـضيـة الحلف اليهـودي النصراني ، الهـادف إلى تجريد الأمـة من هويتـها ومعتقدها ...

ـ ومصير المسارعين إلى أعدائهم ، يقدمون رقابهم ، لتجز في سلوك هستيري ، يرى النار جنة ، والهلاك نعيماً ، والموت حياة سرمدية ...

ـ ومصير الصابرين العاملين بصمت ، لتحقيق وعد الله بفتح من عنده .

ثم على ضوء ما نستعرض حقائق قائمة ، تحمل تفاصيل المشهد التحليلي :

أولا : إن الكيان الصهيوني على الأرض المحتلة يشكل أبشع عملية إستعمارية في تاريخ العالم المعاصر ، حيث وظفت القوى الصهيونية والغربية المشاعر الدينية والاستعمارية في سبيل إقامة كيان لا يمت إلي المنطقة وثقافتها وهويتها بصلة ، في سبيل إضعافها ، وفرض السيطرة الصهيونية الصليبية عليها . ورغم مرور ثلاثة أرباع القرن على هذه الإشكالية ، وبالرغم من نيل كثير من الشعوب المستضعفة والمستعمرة حقوقها ـ وآخرها الشعب الأسود في جنوب إفريقيا ـ فإن مأساة الشعب الفلسطيني ظلت خلال الحرب الأولى والثانية ، والحرب الباردة وما تلاها تأخذ نفس النمط : دعم المشروع الصهيوني بلا نهاية من قبل الدول الغربية ـ لا سيما بريطانيا وأمريكا وروسيا ـ بطريقة تدل على أن المخطط المرسوم لا يتأثر حتى بأهم المعطيات الدولية والأقليمية .

ثانيا : إن شعبا قد طرد من أرضه وسلبت ممتلكاته في ظل المخطط الصهيوني وإن ثقافه يهودية توراتية عنصرية قد أزاحت ثقافة عربية إسلامية ، وأخذت تعمل يد التغيير في كل شيء انطلاقا من صراع حضاري بين اليهودية المدعومة بفهم ورؤية إنجيلية ، وبين الإسلام الذي كان يعيش فترة تراجع رهيبة فى بداية القرن ... هذا الصراع الحضاري انتهى في جولته الأولى بانتصاراليهود بلا شك ، وذلك لضعف المسلمين وشتاتهم ، وبعدهم عن دينهم ، فكان طعم الهزيمة والانكسار يملأ الأفق : ضيعت يافا وحيفا، وانتصبت تل أبيب رمزا يهوديا موحياً، وكانت الفاجعة أن سقطت القدس بنصفها الغربي ، ثم سقطت كاملة بعد أقل

من عشرين عاما ...

ثالثا : إن المجتمع الدولي بأدواته الهزيلة المضحكة قد أدان دولة الصهاينة أكثر من مرة ، وبدا واضحا أن هذا المجتمع لا قيمة له ولا وزن إذا كان الأمر يتعلق بجزاري الشعوب الإسلامية ، واتضح للشعب الفلسطيني أنه لا سبيل لاستعادة حقوقه سوى بانتفاضة شعبية ، ترتكز على معاني الجهاد ، ومنطلقات الإسلام ليس إلا :

رابعا : صادف بروز الانتفاضة في عام ١٩٨٧ م إفلاس الحلول العلمانية ، الوطنية والتلفيقية . لقد كانت منظمة التحرير الفلسطينية المثال الأوضح لحالة الإفلاس العلماني ، البعيد عن خط الإسلام ، ما شكلت حالة إدانة واضحة للواقع السياسي في العالم العربي ، الذي يشكو من الاغتراب الفكري والسياسي ، والتبعية للقوى الخارجية ، وسوء القيادة ، وقصر نظرها .

خامسا : لأول مرة منذ بدء الصراع يتبنى الشعب الفلسطيني ـ لا سيما في قطاع غزة ـ حلا إسلاميا للمشكلة ورؤية عقدية للصراع . ومن السخرية أن دماء شباب الانتفاضة وجهادها شكل الوقود الحقيقي للحل السلمي المطروح ، فالجميع يعرف أنه لولا الانتفاضة لما فكرت إسرائيل في طرح الحل السلمي ، بل ولما نادت بالانسحاب من غزة دون شروط .

إذن فهذه المعطيات السابقة تدلل بصورة قاطعة على وجود هوة عميقة بين فهم إطار المشروع الغربي / الصهيوني المثقل بأنهار الدم وضحايا قنابله العنقودية ، وعجرفته العسكرية ، وآلته الصماء ، التي امتدت آلتها من تونس حتى المفاعل النووي في العراق ، وبين المقاومين من رجال المنظمة ، الذين نجحوا في تحويل القضية إلى قضية السيادة على نظافة المدن : وحصص الدراسة ! وملاحقة المجاهدين ! اللذين يرون في الصراع سلسلة م حلقات الصراع الحضاري ، الذي يتحدث الغرب ومنظروه عنه بلا حياء أو موارية، ويركز على أمور معينة بإيحائية شديدة ، تصل إلى حد المباشرة ، كما يحدث الآن في الحديث عن القدس ، التي

تشكل رمزا للماليزي ، كما تشغل بال السنغالي المسلم ، والتي جعلها الاتفاق سلعة كاملة للتفاوض في مرحلة لاحقة ، بينما يصرح الجانب الأقوى في وجه اللاهث عرفات : « القدس عاصمة أبدية لإسرائيل » !

لقد وصف أحد مساعدي عرفات الاتفاقية بأنها « أم الإتفاقيات » اقتباسا من القطب العلماني ، والصديق الحميم لعرفات : صدام حسين ، بينما كان أشد المقربين من عرفات يشهدون ـ والحق ما شهد به حاشية عرفات الماركسية ـ بأن الأتفاق جزء من سفر يكبر يوما بعد يوم هو (سفرالتنازلات) ! :

« من سينزل أعلامنا : نحن أم هم

ومن سيتلو علينا معاهدة الصلح ... »

والجواب إنه المناضل الختيار الأراجواز أبو عمار، الذي يخاطبه زميله في التيه مضيفا :

« لم تقاتل لأنك تخشى الشهادة ، لكن عرشك نعشك فاحمل النعش كي تحفظ العرش يا ملك الانتظار .

إن هذا السلام سيتركنا حفنة من غبار » (٣)

ـ ياسقى الله الكامب الأول !

ما بين الكامب الأول (كامب ديفيد) والكامب الثاني (كامب أريحا) هناك فاصل زمني يقارب الخمسة عشر عاما ، كما أن هناك مساحة عريضة من التنازلات والاستسلام ، تجعل من (كامب ديفيد) إنجازا بكل المقاييس عند مقارنته بالاتفاق الأخير ... ، وبالطبع فإن عرفات وجوقته قد غيروا من إيقاع نشيدهم المبحوح ، فبعد الهجاء ، والشجب ، والاستنكار ، والنواح ، واللطم ، والتخوين غدت الخيانة إنجازا ، والهجاء مدحا ، والشجب احتفالا ، والنواح « دبكة » !

الكامب الأول الذي رفضوه عادوا ليقبلوا بمعشاره أو أقل ، وهناك أسباب لا يمكن إغفالها ، تدعو المنظمة وقيادتها المعزولة للقبول بهذه الاتفاقية، وأهمها ضعف المنظمة ، وابتعاد الشارع الفلسطيني عنها ، بل وصل الأمر إلى القمة ، حيث استقال الشيخ السائح ، ثم هدد ثلاثة من الوفد المفاوض بالانسحاب ، ثم استقال محمود درويش ، وشفيق الحوت : عضوي اللجنة التنفيذية ، للمنظمة مما دفع مجلة الأيكونمست البريطانية للقول « لو لم يعقد عرفات هذا الاتفاق اليوم فإنه حتما لن يكون المتحدث باسم الفسطينين بعد عام واحد من الآن ، حيث أن شعبية المنظمة آخذة في التبخر »

وفي الجانب الإسرائيلي فإن الإتفاق يحل لها العديد من المشكلات الخانقة ،كوجود مناطق توتر مكتظة كغزة التي شكلت بؤرة صداع مستمر لإسرائيل ، وربما شكلت المناطق الجديدة « أرضا لإلقاء العناصر المشاغبة ، بدلا من طردهم للبنان ، حيث يضر هذا بسمعة إسرائيل ، التي تريد مأمورا فلسطينيا كعرفات ، يقوم بدور تأديب أعداء السلام »

ولا شك أن الوضع المالي المتأزم للمنظمة ساهم في إسراعها إلى عقد صفقة يخرج بها فريق عرفات بأقل الخسائر ، وفي الوقت ذاته يرى بعض الفلسطينين ــ لاسيما النافذين في المنظمة ــ أن عرفات أوجد هذه المشكلة طمعا في تركيع الشعب الفلسطيني ، وتجويعه للقبول بأي حل يكفل زعامته ! انطلاقا من الحكمة التي تؤمن بها الزعامات العربية منذ العصور الجاهلية «جوع كلبك يتبعك » .

لكن التركيع بهذه الصورة لن يأتي بالنتائج المطلوبة ، خصوصا إذا عرفنا أن الشعب الفلسطيني مسيّس ، وصلب العود ، لا سيما في السنوات الأخيرة .

إن الاتفاقية التي وقعت تترجم مرحلة جديدة يُراد للمنظمة وعرفات أن تشارك فيها ، من أجل خنق الخيار الإسلامي ، وهذا ما صرح به المسؤولون الإسرائيليون الذين وضعو الاتفاق كمخرج لتضاؤل عرفات وجماعته ، حيث

العدو المشترك (كما يصورون) للمنظومة العلمانية والصهيونية يزداد ظهورا وشعبية . لقد رضي عرفات ـ الجائع للزعامة ـ بقبول دولة الـ ٤٠٠ كم ٢ المسلوبة السيادة ، والبعيدة عن القدس والتي أججبت من حدة الخلافات في البيت الفلسطيني ، وامتدت لتشغل التفاعل الغاضب في قلب كل مسلم يتعبد الله بحب بيت المقدس ومسرى المصطفى صلى الله عليه وسلم .

لقد لخص شيخ فلسطيني هذه المأساة بقوله : « إن مصير المسلمين في فلسطين سيكون مشابها لمصيرمسلمي البوسنة ... » وإحقاقا للحق فإن علي عزت بوجوفتش يرفض حتى الآن اتفاقية الدويلة الممسوخة ، التي تشكل إنجازا بجانب دويلة أريحا ، حيث إن غزة مغرم ولست مغنما .

وهذا ما دفع إدوارد سعيد المفكر النصراني الفلسطيني الأمريكي للقول : « إن المرء يتساءل : لماذا هذا الضعف أمام المشروع الإسرائيلي الذي يتطلب نوعا من السجود المطلق أمام الإسرائليين والأمريكيين إلي هذه الدرجة ؟ ونحن شعب مقاتل ... »

إنها مأساة القيادة المتعبة المريضة المضطربة ، المنحرفة البعيدة عن نبض شعبها ، التي خاطبها أحد قيادتها في لبنان قائلا : « إذا كنتم تعبتم من النضال فتنحوا لغيركم أو أتركو النضال لغيركم » .

هوامش :

(١) من قصيدة الشاعر الفلسطيني الماركسي محمود درويش بعنوان (للحقيقة وجهان والثلج أسود).

(٢) وكالات الأنباء ٤ / ٩ / ١٩٢٣.

(٣) قصيدة : (للحقيقة وجهان والثلج أسود) لمحمود درويش ، وقد قدمها مع خطاب استقالته .

واقع المسلمين المعاصر في الهند

أحمد بن عبد العزيز أبو عامر

(١)

المسلمون في الهند أكبر الأقليات في العالم ،إذ يزيد عددهم على ١٢٠ مليون نسمة في بحر من السكان الوثنيين من هندوس وسيخ وبوذيين وغيرهم . وكانت وجهة نظر بعض علماء ومفكري المسلمين في الهند قبل الاستقلال عدم تقسيم البلاد بين المسليمن وغيرهم ، وكان على هذا الرأي العلامة : أبو الكلام آزاد ، والعلامة : أبو الأعلى المودودي ، وغيرهما . لكن الرأي الآخر المنادي بالتقسيم وإقامة دولة مستقلة للمسلمين هي (باكستان) قد تَغلّب فيما بعد ، وبقي من بقي من المسلمين في الهند أقلية ، مما أفقدهم الكثير من عناصر قوتهم . ومعاناتهم اليوم ــ التي سأشير إلى بعض منها فيما بعد ــ إنما هي نتيجة طبيعية لذلك التقسيم ، الذي انقسم بموجبه المسلمون في الهند إلى قسمين كما هو معروف . والحق أن المسلمين في الهند هم أحسن شعوبها خلقا وتعاملا ، ويتميزون عن غيرهم من شعوب القارة الهندية بسمات مميزة منها :

١ ــ الكرم وبذلهم ما يستطيعونه لإكرام ضيوفهم ، مع ما يعانيه أكثرهم من فاقة وضعف حال ، وهذه الخصلة أكسبتهم إعجاب غير المسلمين ، ودفعتهم للإسلام إعجابا بهذا الخلق الرفيع ، وقد ذكر (أبو الحسن الندوي)

صوراً من تلك المواقف في كتابه : (المسلمون في الهند) .

٢ ـ حبهم للإسلام ، ولنبيه عليه السلام ، ولديار الإسلام لا سيما (الديار المقدسة) ، وتمردهم على العنصرية والنزعات القومية والوطنية الضيقة ، وتفاعلُهم مع إخوانهم المسلمين معروف وملموس .

٣ ـ امتيازهم بأخلاقهم وأدائهم لأعمالهم على أحسن وجه ، ومجانبتهم لرذائل الأخلاق في تعاملهم .

٤ ـ بسبب كثرة الطرق الصوفية في بلادهم تأثر الكثير منهم بها وبما هي عليه من غلو في الصالحين والتمسح بالأضرحة والقبور، وبخاصة العامة منهم من مريدي تلك الطرق المبتدعة .

(ثورة الهند الكبرى ١٢٧٣ ـ ١٨٥٧ م) :

بدأ ضعف الدولة المغولية المسلمة الحاكمة آنذاك للهند منذ أواخر القرن السابع عشر الميلادي ، حينما بدأت الأحوال تتغير بتدخل (شركة الهند الشرقية) الانجليزية ، التي سيطرت على معظم أنحاء الهند في بداية القرن التاسع عشر الميلادي ، وانحسر أمر المملكة المسلمة في العاصمة (دهلي) وبالذات في (الحصن الأحمر) ، وأمام هذا التدخل المريب تنادى العلماء والدعاة للجهاد ضد أولئك الغزاة ، وتفجرت الثورة وامتد لهيبها ، واستولى المجاهدون والأهالي على معظم الأماكن الاستراتيجية ؛ حتى كادت السلطة الإنجليزية تسقط أمام عنفوان الجهاد ، إلا أن الأنجليز ومن بقي معهم من الجيش الهندي استطاعوا أن يمسكوا بخناق المجاهدين ، وأن يلتفوا عليهم عام ١٢٧٣ هـ بما لديهم من إمكانيات عظيمة تفوق ما لدى المسلمين ، وبذلك تلاشت المملكة المسلمة من خارطة الهند ، واستولى الانجليز على الحكم

وانتهى حكم الشركة الانجليزية . وقد سام الانجليز المسلمين سوء العذاب ، وصادروا أموالهم ، وانتهكوا حرماتهم ؛ لأنهم كانوا في طليعة الثورة ضدهم، فخططوا للقضاء على المسلمين قضاءاً مبرماً بوسائل منها : إبعادهم عن المناصب الحكومية ، ووضع نظام تعليمي يصادم دينهم وصارت كلمة (وهابي) لفظة يخوف بها المسلمون ، فاستغل الهندوس ذلك الموقف الحرج للمسلمين ، فانتقموا منهم شر انتقام ، وتحولت حياة المسلمين الدينية والسياسية تحولا كاملا للأسوأ ، وبقي العامة لا قادة لهم حينما انقطع جل العلماء للحلقات والزوايا بينما الأعداء يستولون على الأراضي بالحديد والنار، وصار المسلمون في حال لا تسر الصديق حيث أصبحو فئتين متناقضتين هما :

أ ــ فئة آمنت بالعلوم الغربية ، ورأت الأخذ بالحياة الغربية على علاتها سبيلا للنهضة .

ب ــ فئة أخرى رأت التمسك بما ورثوه من علوم جامدة وأساليب متوارثة رأت أنه لا يمكن العدول عنها .

وكاد الدين يضيع بين جاحد وجامد كما سنرى ، ويمكن تلخيص التيارات والحركات التي سادت بين المسلمين بالهند كما يلي :

أولا : حركة السيد أحمد خان :

لما رأى الرجل انهيار الحكومة المغولية المسلمة ، وإخفاق الثورة الكبرى ، واطلع على أسباب ذلك الإخفاق ، ورأى سطوة المستعمر الذي سيطر على مقاليد البلاد وهوان شعبه ، ولماكان له سابق علاقة بالانجليز بحكم عمله معهم أعجب بمدينتهم ؛ فصار يدعو لتقليدهم والسير على منوالهم ، والحث

على التشبه بهم في عاداتهم وأساليب حياتهم . وقد أُثر عنه قوله : « لابد من قبول الحضارة الغربية بكاملها حتى لا تزدرينا الأمم المثقفة » ، فأسس كلية (عليكرة) الشهيرة ، التي أصبحت فيما بعد جامعة كبرى ، وشرع الرجل في تفسير القرآن محرفا الكلم عن مواضعه ليوافق ما لدى فلاسفة الغرب ؛ فأنكر المعجزات والجن وتعدد الزوجات وغير ذلك مما هو معروف لدى أصحاب المدرسة العقلية .

ـ **جوانب الضعف في منهاج الرجل** : تبين من استقراء منهج الرجل مظاهر ضعفه المتمثلة فيما يلي :

١ ـ نقله المنهاج التعليمي الغربي بحذافيره من دون إخضاعه لمبادىء الاسلام ، وتجاهله لطبيعة المجتمع المسلم الذي يريد إصلاحه والنهوض به .

٢ ـ اقتصر في منهاجه التعليمي على اللغة والآداب ، ولم يعن بالعلوم والفنون التطبيقية العناية الواجبة ، بل عارض ذلك بشدة بدعوى أهمية الثقافة الفكرية على غيرها ، وهو في ذلك واهم ولا شك .

لقد تنبه السيد أمير علي الزعيم الهندي المسلم لم اعترى خطة السيد أحمد خان من قصور ، ومع إيمانه بالمنهج التربوي الثقافي في الإصلاح إلا أنه أبرز الدور السياسي بتأسيه عام ١٨٧١ م (الجبهة الوطنية الإسلامية) للدفاع عن حقوق المسلمين بالهند ، وتحديد وضعهم السياسي بما يتفق وعددهم ، وأهميتهم ، وتاريخهم وتمثيلهم عادلا . وفي هذه الظروف ظهر الزعيم المسلم أبو الكلام آزاد وكان له من ثقافته الإسلامية والعصرية ما مكنه من بلورة برنامج إصلاحي متكامل لمواجهة مشكلات المسلمين الخطيرة ، وكانت مجلته (الهلال) لسان حال حزبه . ومما يؤخذ عليه نزعته القومية

التي جعلته يدعو إلى تعاون المسلمين والهندوس ضد بريطانيا .

ثانيا : مدرسة ديوبند الإسلامية :

وكان لمدرسة السيد أحمد خان ردود فعل معاكسة لدى بعض العلماء المسلمين ، الذين رأوا فيها خطرا على مستقبل الإسلام وأهله بالهند ، وضياعا لشخصيتهم بتقليدهم لأعدائهم ، لاسيما بعد سطوع نجم المدرسة السلفية بشخصي الشيخ : أحمد السرهندي والشيخ : أحمد بن عرفان ــ اللذين استشهدا في الجهاد ضد الانجليز ــ فآثر أولئك المشايخ فتح مدارس دينية في القرى والأمصار ليس للحكومة عليها يد ، فكانت نواتها مدرسة ديوبند التي نمت وترعرعت برعاية أهل الرأي من علماء الكلام ومتعصبة الحنفية ، الذين فتحوا باب التأويل للحديث لترجيح مذهبهم ، وتأثروا بمثل الشيخ الكوثري الذي ناصب أهل السنة العداء ، وهذا ما ظهر في كتابات علمائهم: حبيب الرحمن الأعظمي ، ويوسف النبوري ، وأنور شاة الكشميري ،ولم يرضوا بأي تعديل أوتغيير في مناهجهم لمواجهة عواصف التغريب والإلحاد، ومن متأخري هذه المدرسة (جماعة التبليغ) ومن أشهر رجالها الشيخ : محمد زكريا مؤلف (تبليغي نصاب) المحشو بالشركيات والطوام ، وكذلك محمد حسن السنهلي ، وحسين أحمد المدني ، وغيرهم : ومازال لكثير من علماء هذه المدرسة مواقف مغرضة وحاقدة ضد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لا لشيء إلا لكونها فضحت منهجهم القبوري وعقائدهم الشركية : ولمزيد من الاطلاع على هذا الاتجاه انظر كتاب (دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب في القارة الهندية بين مؤيديها ومعارضيها) للأستاذ أبو الكرم بن عبد الجليل السلفي وكذلك كتاب الشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف عن مناوئي الدعوة السلفية بنجد ، وهما مطبوعان .

ثالثا : المدرسة الوسطى في الإصلاح :

لما استمر حال تلك المدرستين على ما هما عليه من منطلقات فكرية تخرجت أجيال من الاتجاهين يكره كل منهما الآخر ، مما جعل الشعب المسلم في الهند يضيق ذرعا بالشقاق والصراع بينهما ، فنادى نفر من العلماء الصالحين وذوي الرأي بالاعتدال ، وضرورة الجمع بين الأصالة والمعاصرة فكان نشوء (ندوة العلماء) عام ١٣١٠ هـ بعد ربع قرن من نشوء عليكرة وديوبند حينما اجتمع أولئك النفر من العلماء برئاسة الشيخ محمد علي المونكيري الذي تبنى فكرة (ندوة العلماء) وتولى تأسيسها ، ووضع قواعدها في جلسة حضرها ١٤ من كبار العلماء بمدينة (كانفور) وأيدوا الفكرة بالإجماع ، وتم التأسيس لها لتكون جبهة قوية لمواجهة أخطار الحضارة الغربية وقمع مفترياتها ، ورد أسطورة (فصل الدين عن الحياة)) وإعادة ثقة المسلمين بدينهم الخالد ومستقبلهم المشرق ، وأدرك الشيخ المونكيري أهمية إصلاح التعليم ، وضرورة وضع نظام شامل متزن يجمع بين التربية والتعليم ، وبين أصالة العلوم الإسلامية وأهمية العلوم التطبيقية ، فوضع خطة لتأسيس (دار العلوم) وتم عرضها على المجلس التأسيسي في ١٧ / ١ / ١٣١٣ فوافقوا عليها بالإجماع .

ولما اتسع العمل على جهود الشيخ المونكيري قيض الله له رجالا أكفاء ذوي خبرات وفي مقدمتهم العلامة شبلي النعماني الذي أشرف على نظام التعليم وعلى تنفيذ برامجه ومراقبة سيره ، فاستطاع أن يكسب لها شهرة واسعة . وما لبثت هذه الجامعة فيما بعد أن خرجت أعلام الإسلام المعاصرين في الهند ، ومنهم : سليمان الندوي ، ومسعود الندوي ، وأبو الحسن الندوي، وغيرهم كثير من العلماء العاملين ، ومن أشهر مطبوعات هذه

المؤسسة : مجلة (البعث الإسلامي) .

رابعا : المدرسة السلفية ودورها في حفظ العقيدة :

حينما ضعف الاهتمام بالحديث وعلومه في البلاد العربية وكاد يتلاشى قيض الله له الحفظة من العلماء بالهند ، حيث أسست مدارس خاصة بالحديث وعلومه منها : مدرسة شاهي بمراد آباد ، والمدرسة الأحمدية في لهريا سراي ، والمدرسة الرحمانية في دربهنكا ، وغيرها .

ومن أشهر علماء المدرسة السلفية بالهند الشيخ العلامة : ولي الله الدهلوي الذي درس السنة على علماء الحرمين أمثال أبو طاهر الكردي ، و محمد حياة السندي استاذ الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) وقد سار أبناؤه على نهجه السلفي ، واعتنوا بالحديث النبوي ، وهم : ابنه الشاه عبد العزيز الذي حل محل والده ، وكذلك إخوانه : رفيع الدين ، وعبد الغني ، وعبد القادروكذلك ابن أخيه الشاه إسماعيل بن عبد الغني ، وكان لهم دور كبير في نشر السنة ومحاربة البدع والمبتدعة . ومن علماء المدرسة السلفية الآخرين بالهند العلامة : صديق حسن خان ، والسيد ندير حسين ، وأبو الوفاء ثناء الله الامر تسري ، ومحمد بشير السهسواني ، وغيرهم : ومن جهود أهل الحديث بالهند تأسيسهم (جمعية أهل الحديث) عام ١٣٨٣ هـ، وإنشاء (الجامعة السلفية) في بنارس ١٣٨٥ هـ ، (مجمع البحوث الإسلامية) وهو تحت إشراف مركز أبي الكلام آزاد للتوعية الإسلامية ويرأس المركز الشيخ عبد الحميد الرحماني ومن أهم أهدافه العلمية ما يلي :

١ ـ إحياء نفائس تراث سلفنا الصالح .

٢ ـ نشر الثقافة الأصلية المستمدة من الكتاب والسنة .

٣ ـ الدعوة إلى العودة بالأمة للاعتصام بالوحيين ونبذ الشرك والكفر والإلحاد .

٤ ـ معالجة القضايا الجديدة في ضوء الكتاب والسنة وبفهم السلف الصالح .

٥ ـ محاربة البدع والأهواء والعادات المستنكرة في أوساط المسلمين وتبصيرهم بالحق ودليله ومن جهود الجامعة السلفية العلمية إقامتها ندوة علمية عالمية عام ١٤٠٨ هـ عن شيخ الإسلام ابن تيمية ومآثره التجديدية وأعماله الخالدة ، وفي عام ١٤١٢ عقدت مؤتمرا عاما للسيرة النبوية شارك فيها الكثير من علماء ومفكري الأمة الإسلامية ، وألقيت فيها العديد من الدراسات العلمية الهامة .

ومن أبرز شباب التيار السلفي في الهند صلاح الدين مقبول أحمد ، وعبد الرحمن الفريوائي ، وأبو المكرم السلفي . ولهم أبحاث هامة عن دور الدعوة السلفية في الهند مذكورة ضمن مراجع هذا المقال ، ومن أهم مجلات الدعوة السلفية بالهند مجلة (صوت الأمة) ويرأس تحريرها الشيخ مقتدى حسين الأزهري ، وهو وكيل جامعة بنارس السلفية بالهند .

الواقع الاجتماعي والتشريعي للمسلمين بالهند

المجتمع المسلم هناك مجتمع محافظ متمسك بآداب الإسلام ، لا سيما في النواحي الاجتماعية التي هي محل اهتمام أعداء الإسلام لمحاولة هدم مجتمعهم وتغريبه .

ولقد اهتم المسلمون بالمرأة وتكريمها في الوقت الذي كانت المرأة

الهندوسية فاقدة لإنسانيتها ، بل قد تضطر لإحراق نفسها تفاديا لإهانات الهندوس .

ومع اهتمام المسلمين بتعليم الفتيان إلا أنهم لم يهتموا بتعليم المرأة كالفتى ، وكل ما حصل في بدء تعليمها أنها لقنت شيئا من القرآن الكريم لكسب الثواب ولأداء العبادة ، دون أن توجه إلى فهمه وإدراك مراميه . ومن هنا وجد المستعمر والمبشرون ثغرة استغلوها بجلب فتيات متعلمات لتدريس بنات الأمراء والأعيان ، وتربيتهن على الأسس الغربية ، ثم أقنعوا بعض الأهالي بتدريس بناتهم في تلك المدارس التي تبث السم في الدسم ، ولذلك حث (كارسان دتاسي) الانجليزي في خطبته الحولية عام ١٨٧١ على التعليم النسوي ، وحصر النتائج بقولهد « إن النشء الجديد سيملك السبق في الفكر ، وينجو من ضيق الأفق ، ويلغي جميع التقاليد البالية » وتحت ضغط القيم الإسلامية السائدة بدأ تعليم البنات غير مختلط ، ولم يستطيعوا الدعوة للاختلاط إلا عام ١٩٧٤ حيث تقبّل الناس ذلك وأصبح مألوفا .

وصدرت خطة التعليم الخمسية عام (١٩٤٧ ـ ١٩٥١) ، ومن أهدافها : « أن تبذل الدولة الجهود بواسطة الدعاية التعليمية للقضاء على التعصب في الأوساط الريفية ضد التعليم المختلط » وحينما استطاع دعاة التغريب استغلال تعاليم الإسلام للترويج لتوجهاتهم نجحوا في خداع المرأة والدعوة لفرنجتها ـ كما فعل دعاة التغريب في الشرق العربي أمثال قاسم أمين وبطانته ـ مما ساهم في تخلي الكثير من النساء المسلمات عن قيمهن الإسلامية تحت دعاية تحرير المرأة ، والدعوة لمساواتها بالرجل ، فشقين أولئك المخدوعات زمنا ، ولما رأينا نتيجة ذلك انحرافاوتدهورا ظهرت صحوة إسلامية في محيطهن ؛ فتمردت الكثيرات على تلك الأحابيل ، وعدن إلى

الله وتحجبن طاعة لله ورسوله ، فلله الحمد والمنة .

النظم التشريعية وكيف انحرفت :

بدأ الانحراف بالقضاء على التشريع الإسلامي علنا على يد الانجليز عام ١٧٧٢ م حين أسند منصب رئيس القضاة لملك انجلترا . وبدأ التشريع الوضعي يأخذ طريقه لساحة القضاء . والمتتبع لحركة هذا الإنحراف لا يخفى عليه أن الانجليز قد هيأوا الأسباب لنقض التشريع الإسلامي عروة عروة ، بدءا بتحديد مجال تطبيق الشريعة .

وبعد قرن غمر الإنجليز البلاد بتشريعاتهم الوضعية منذ بداية العقد السابع من القرن ١٩ وكانت سياستهم على حد قولهم : (بطيء ولكن أكيد المفعول) ففي خلال ٣٠ سنة من القرن الماضي وضعت جل التشريعات البشرية بعدما استفادوا من التشريعات الإسلامية خوفا من الصراع مع المسلمين .

ما هكذا تكون إرهابيا ... أيها الأسمر !

د / عبد الله عمر سلطان

وأخيراً عملت آلت التصنيف عملها ، حين أدرجت السودان في قائمة الإرهاب العتيدة ...

هذه القائمة تصغر عاماً ، وتنمو بصورة مذهلة في عام يليه ، دون أن يكون هناك قانون ثابت يحكمها أو ناموس واضح يفسرها ... ولهذا فإن على المشبوهين المسجلين في قائمة الانتظار أن يتحلوا بشيء من الصبر ، وكثير من الدهاء ، حتى ينجوا من « العقوبة » التي تطاردهم ... إن ناظر المدرسة الأمريكي ــ الذي هوطالب يتمتع بكثير من العضلات المفتولة ــ قرر بعد أن انتقل من مقاعد الطلبة إلى مكتب الإدارة « الدولية » أن يسلط بعض « قوته » و « جبروته » حين يمنح شهادة حسن السيرة والسلوك لزملائه ... هذه الشهادة تمثل فكرة جميلة ، ويُمنح بموجبها العضو المنضم إلى محيط المجتمع الدولي شهادة حضارية على نبل سلوكه ، وبعده عن اللجوء إلى أساليب الإرهاب والبطش ... صحيح أن الفكرة جميلة وحضارية وراقية إلا أن همساً يدور بين أوساط الأقران في « المدرسة الدولية » يقول : كيف يمكن لعضو ندٍّ لنَا أن يمارس علينا دور الأستاذية ، بغض النظر عن نبوغه وقدراته وثروته ... إنها مسألة مبدأ ، فالأقران من الطلبة والأفراد ، والجماعات

والدول متفاوتون حتماً ... بعضهم نابغ ، وثانٍ ورثَ ثروة لم يتعب في تحصيلها ، وثالث جاد مجد غير موفق ، ورابع محظوظ ... لكنهم في النهاية أقران مشتركون في مساحة معينة وثابتة ، ولذا فليس من حق التلميذ القوي أن يفرض جبروته على الضعيف لمجرد أنه مفتول العضلات ، أو أنه يملك أسلحة رعب ودمار ، ويذكر بأنه صبها على رأس الملايين من الأبرياء قبل خمسين عاماً في هيروشيما وناجازاكي ؛ لمجرد إثبات جنون الدمار المتمكن في ذاته ، أو تكريس مبدأ الهزيمة والعار للجانب المستسلم تحت ظلال الدخان النووي المدمر !!

من الطبيعي إذن ــ والحالة هذه ــ أن يتساءل المتابع لقائمة الإرهاب السنوية وأن يلقي بعض الملاحظات بعد أن يتجاوز إشكالية شرعية إصدار قائمة للإرهاب من قِبل جهة تتهمها جهات كثيرة بأن لها تاريخاً طويلاً في استخدام العنف وتكريسه ...

لقد خلت القائمة الأمريكية من ذكر دولتين تمارسان الإرهاب وقذف الرعب في قلوب الأبرياء قبل صدور اللائحة في صورتها النهائية وأثناءه وبعده ؛ فإسرائيل قامت خلال صيف هذا العام بغزو بربري لجنوب لبنان بحجة ضرب حزب الرافضة المسمى بحزب الله ، في الوقت الذي شردت فيه أكثر من نصف مليون مدني بريء ، وطاردت طائراتها الأطفال والنساء والشيوخ حتى مشارف الشمال السني ... ! دع عنك ما تردده منظمات حقوق الإنسان من إدانة دامغة لسلوك إسرائيل العدواني تجاه سكان الأراضي المحتلة ، واستخدام أساليب إرهابية مبتكرة ، كتدمير منازل المشتبه بهم ، وتبنى المجتمع الدولي لقرار يجبر إسرائيل على إعادة المبعدين المدنيين إلى

ديارهم شاهدُ آخر على قبح السلوك الإرهابي الإسرائيلي ، الذي يصب جام غضبه على أبناء الأمة منذ أكثر من نصف قرن . فإذا لم تكن إسرائيل إرهابية فمن الإرهابي إذن .. ؟؟ ربما يقول ساذج : الصرب الذين دمروا المساجد الآمنة وهتكوا عرض ١٠٠,٠٠٠ امرأة ، ومارسوا التطهير العرقي ، وأبادوا الحرث والنسل ، وبقروا البطون ، ومثلوا بالأحياء والأموات ... ! والجواب بـ «كلاّ.. » كبيرة جداً ، فالصرب الهمج لا تشملهم قائمة الإرهاب الأمريكية ، مثلهم مثل اليهود ، والسبب يتضح ببساطة حيث أن المقصود بهذه القائمة إرهاب الشعور النصراني ـ اليهودي ليس إلا !

* معظم الدول التي جاءت بها القائمة دول إسلامية ، ابتليت بجزارين وطغاة ، صنعتهم مبادئ الغرب وقيمه ، سواء أكانت وطنية ، أو قومية ، أو اشتراكية ، فالعراق يسدد جرائم البعث ، وليبيا عليها أن تقاسي من جراء انفصام شخصية القذافي ، أما إيران فإن حكم الملالي لا يتورع عن استخدام العنف لتحقيق أحلام الخميني الهالك ، أو بروتوكولات حكام (قم) . وقس على ذلك ... إن القائمة إن شملت كوريا الشمالية فإنما يصب إدخالها في خانة الإسقاط النفسي القائل بأن الإرهاب هو سلوك يرتبط بالإسلام والشعوب التي تدين به!

إن أمريكا بأقمارها الصناعية ، وطائراتها التجسسية ، وعملائها المبثوثين في الأرض ، والبحر ، والجو ، عجزت عن أن تقدم دليلاً واحداً لهذا السلوك السوداني الإرهابي ، والمعروف عن أجهزة التجسس الغربية أنها تُتبع التهم بالأدلة حتى ترسخ التهمة بالنسبة للشعوب التى تحكمها ، وتثير الفزع في قلب الضحية والمتهم ! فهل عجزت الأجهزة التى تراقب مستودعات تخزين

الأسلحة ، ومواقع صواريخ محددة عن الإتيان بدليل مقنع ومبرر مقبول ، أم أن الاتهام سياسي في أساسه كما قال (وليم كوانت) الخبير بشؤون الشرق الأوسط الذي يرى أن إدراج السودان هو إشارة سياسية ضاغطة للحد من التوجه الإسلامي في هذا البلد ؟ !

كان بإمكان (جون جرنج) أن يستمر في ممارسة تمرده ، وما يصاحبه من تقتيل ، وتشريد ، وإرهاب ، جعل الجنوبيين أنفسهم يبتعدون ، وينشقون عنه وعن حركته البربرية ، التي لا تراعي حقوقًا إنسانية أو أخلاقية . فـ (جرنج) صنيعة مجلس الكنائس العالمي مدعوم بصورة مكشوفة ، بالرغم من أنه يقود حركة تمرد ضد حكومة معترف بها دوليًا ، ورغم ذلك فلم يرف جفن خبراء الإرهاب في وزارة الخارجية الأمريكية ؛ لأنه مضموم ضمنًا إلى قائمة إسرائيل وصربيا لا ضير من ممارساتها الإرهابية ؛ طالما أن الضحايا من الذين يحملون شهادة التوحيد في صدورهم ....

فالسودان الشمالي المسلم إذن لم يعرف كيف يفهم أن يكون محاكيًا لرابين ، أو بيجن ، أو شارون ، أو ميلوسيفتش ، أو كارفاجيش و من الفصيل « الحضاري » الذي يعلي من شأن حضارة الرجل المسيحي الأبيض ، والذي قد يقبل في زمرته أتباع الكنيسة السُمر ، كجون جرنج ، ونيريزي من قبل ، اللذين افتتحوا فرعًا كنسيًا جنوبيًا يهدد بخنق منابع النيل والانتشار الحضاري للإسلام في القارة السوداء . ولو رضي السودان الأسمر بزعامة عصابات « جون » فإن اسمه سيُمحى من القائمة آليًا ؛ لأن من يريد أن يمارس الإرهاب كما يريد التلميذ الفُتوَّة ، فإن بإمكانه أن يفعل ذلك ، حتى ولو كان أسمرًا !! أما إن كان أسمرًا ومسلمًا في الوقت نفسه فإن همسًا يجري تداوله في

محيط الأسرة الدولية يحذر من الجمع بين سمرة البشرة ، والإسلام ، والقبول في المحيط الدولي المتحضر ، الذي لا يفهم إلا القوة والجبروت حين تصبان ضد سودان (أسمر مسلم مستقل) وهي صفات يستحق من يحملها أن يسارَع إلى رميه بشتى النعوت والتهم ! ولكن السودان الأسمر لو انحرف عن توجهه فإنه حتماً سيكون مقبولاً بكل بشاعته وإرهابه ، حتى ولو كان في قبح جون قرنق وأفراد عصابته إن القانون يريد إرهابيا كهذا ! يرحب به ويقول له : « هكذا تكون إرهابيا ... أيها السودان الأسمر ! » .

مجاهدو مورو لم يهزمهم الاستعمار

لكن هزمتهم مائدة المفاوضات

التحرير

وردنا البيان رقم (٢١) (٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م) من لجنة الإعلام الخارجي لجبهة تحرير مورو الإسلامية ، وفيما يلي عرض لأهم ما تضمنه ذلك البيان :

أكد لنا التاريخ أن الاستعمار الصليبي ـ رغم جهوده ـ لم يهزم مسلمي مورو في ميدان الحرب ، ولكنه هزمهم في مائدة المفاوضات . لقد خاض مسلمو مورو أطول حرب في التاريخ كما قاله المؤرخ الأمريكي فيك هارلي في كتابه (هسهسة السيف) ، وفيما يلي مقتطفات وترجمة من الكتاب المذكور : « تعتبر بلاد بانجسا مورو من أقدم ميادين الحرب في العالم ، فقد خاض مسلمو مورو حروبًا مريرة استمرت ٣٧٧ عاما ضد الحملات الأسبانية المتتالية التي شهدتها الأجيال المتلاحقة ، ولعل العالم لم يسجل حروبًا دامية مريرة أطول من حروب مورو ضد الأسبان . وقد فشلت محاولات المعتدين للسيطرة على شعب مورو الشجاع ، وفي عام ١٨٩٩ م ألقى المعتدون سلاحهم وغادروا المنطقة خائبين ذليلين ، وانتصر السيف على البندقية ، وبقى شعب مورو وبقيت عقيدته حيث انتصر الإسلام على الصليب في أرض بانجسامورو » . هذه ترجمة ما قاله المؤرخ الأمريكي في

كتابه المذكور . ومضى قائلاً : « وفي غرة القرن العشرين جاء الأمريكيون ، وحاولوا عبثا أن يخضعوا مسلمي مورو لحكمهم ، وعندما أدرك الأمريكيون أن مسلمي مورو لا يعرفون الاستسلام ، بل يحبون الموت (الاستشهاد في سبيل الله) ، ولن يتوقفوا عن الجهاد إلى آخر رجل منهم ، عرض عليهم الأمريكيون وقف القتال والمفاوضات معلنين أنهم لا يريدون السيطرة على البلاد ، وإنما يريدون التعاون في المجالات الاقتصادية والتعليمية والصحية ، فوافق المسلمون ، وبذلك نال الأمريكيون غرضهم ، ولم يهزموا المسلمين في ميدان الحرب ، ولكنهم هزموهم في مائدة المفاوضات ، ووقعت بلادهم تحت حكم الولايات المتحدة الأمريكية . وقد فشل الحديد والنار في قهر شعب مورو المسلم وإخضاعه ، وأصبحت بلاد مورو تحت الحكم الأمريكي عام ١٩٣٥ م ؛ بسبب دخول شعب مورو في المفاوضات مع الأمريكان ، ثم ضمتها أمريكا إلى الفلبين عام ١٩٤٦ م حين منحت الأولى الثانية استقلالها في ذلك العام ، أي أن أمريكا أعطت شعب مورو للفلبين جزاء لمساعدتها لهم في حرق هذا الشعب » .

هكذا لم يهزم شعبنا المسلم أمام القوات العسكرية التي فاقت قواتها مئات المرات إمكانياته المادية ، ولكنه انهزم عن طريق الحيلة والمكر وبواسطة المفاوضات المقرونة بالخداع ، وقد ذكرنا ما تقدم تنبيها لكل من يدفعون جبهة مسواري الوطنية إلى المفاوضات ويشجعونها ، وتذكيراً لهم بأن شعب مورو فقد استقلاله بسبب المفاوضات . صحيح أننا لم نعارض مفاوضات مسواري إعلاميا ولكن لم نشجعها ولن ندفعها إلى الأمام ، فإن قيل : إن عدم المعارضة نوع من التشجيع قلنا : عدم معارضتنا إعلاميا ليس تشجيعاً،

ولكنه سياسة .

ـ مفاوضات الاستسلام وقضية مسلمي مورو

مفاوضـات جبهة مسواري الـوطنية العلمانية الحاليـة مع حكومة راموس الصليبية هي سلسلة من المفاوضات التي استمرت أكثر من ثمانية عشر عاما ، لقد تفاوض مسـواري مع جميع حكومات الفلبين المتعاقبة ابتداء من حكومة الديكتـاتور مـاركوس مـروراً بحكومـة زوجتـه إلى حكومـة الثعلب المحتـال رامـوس الحـاليـة ، التي ليس لهـا هدف في مـفـاوضـاتها مـعـه سـوى إقناعـه بالاستـسلام ، وعرض منـصب حكومي عليه ، ومبلـغ من الأموال . والشيء المضحك أن حكومة الفلبين ـ التي تعتبر من أفقر الحكومـات في العالم ـ ما زالت قـادرة على دفع الملايين من الأموال للاحـتيـال والمكر والرشـوة وشراء ضعـاف الإيمان والنفوس كـما فـعلت أثناء الانتخابـات الأخيرة فـيمـا يسمى الحكم الذاتي ، فقد أنفقت الملايين من أجل إنجـاح ذلك المخطط ، كما أنفقت أيضًا الملايين لشراء ضعاف النفوس من الثـوار العلمانيين من أتباع مسواري ، وقد استسلـم عـدد من هـؤلاء مقابل بعـض المبـالـغ التي دفعت لـهم ، فإلى الله المشتكى.

والله نسـأل أن يوفق المجـاهديـن لقطف ثمـار الجـهـاد ، وأن يكفـينا شـر الراكبين موجات الجهاد لمصالحهم .

والله المستعان .

الصحوة الإسلامية وأزمة المثقفين في ديار الإسلام

(١)

جمال سلطان

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وبعد :

فإن الحركة الإسلامية إذا شئنا التقييم الموضوعي النزيه ، هي أهم وأعظم حركة اجتماعية فكرية سياسية ، شهدتها المنطقة الإسلامية ، على مدار القرن الفائت كله ، وذلك بالنظر إلى « الفكرة » التي قامت عليها هذه الحركة ، ومحورها الإسلامي ، الذي يمتاز بالأصالة والتجديد والإحياء والنهوض ، وهي المعاني التي سرقتها طوائف أخرى من تيارات الحركات العلمانية السياسية والفكرية والاجتماعية ، وحاولت نسبتها إلى ذاتها ورفعها شعاراً تتجمل به ، وتخدع به المسلمين ؛ وأيضا بالنظر إلى البعد الجماهيري واسع النطاق لهذه الحركة ، ورغم أنها حركة بعيدة عن السلطة أغلب الأوقات ، فلم يعرف المسلمون حركة اجتماعية وفكرية وسياسية ، استطاعت أن تكسب هذا الامتداد الجماهيري الهائل ، رغم كل الضغوط والترهيبات ، والقمع بأنواعه المختلفة . إن قبول الحركة الإسلامية واجتذاب الناس خلف شعار أو فكرة ـ في حد ذاته ـ ليس دليلاً كافياً على صدقيتها ، ولكن أن تحشد هذه الجموع خلف لواء الإسلام من جديد ، وتتحدى شياطين الإنس ، في الداخل والخارج ، وتستطيع أن تحرك الناس بهذا القدر للمطالبة بعودة الإسلام ، دينا ودنيا ، عقيدة وشريعة ، مصحفاً وسيفاً ، فهذا ـ بكل المقاييس ـ حدث فذ .

أيضًا ؛ فالحركة الإسلامية حدث فذ وفريد ، من جانب الهبة الإلهية لأبنائها أن تمتد هذه الحركة وتياراتها ، لتخترق الحدود المصطنعة ، لكنها القاسية والصارمة ، بين أقطار الإسلام ، لتصبح الحدث الاجتماعي الأكبر في بلاد المسلمين كافة ، كلا ، بل الحدث البارز والمثير للانتباه والبحث والتفكير في قارات العالم أجمع ؛ وحيثما وُجد إنسان يشهد أن لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ﷺ .

أيضًا ؛ فالحركة الإسلامية حدث فذ ، من حيث أنها أول تيار فكري سياسي اجتماعي في العالم الإسلامي الحديث ، يقوم وينتشر ، متطهراً من عقدتي : الغرب ، والتخلف ، وهذا ما أفزع دوائر الغرب ومراصده من هذه الحركة ، لأنه ـ لأول مرة ـ يشهد مثل هذه الحركة الجماهيرية التي تعلن ـ في جرأة وثقة ـ أنها تقبل التقنيات والعلوم البحتة ، فهي تراث إنساني مشاع ، ؛ وتكفر بالمناهج والنظريات والقيم والأفكار الغربية ، ويقول أتباعها : إن في ديننا وإسلامنا غناءً لنا ، وفيه حاجتنا ، وهدانا ، ورشدنا ، ومنهاجنا للنهوض والتحضر .

ومن جانب آخر ؛ كانت الحركة الإسلامية ، متجاوزة لعقدة « التخلف » ، التي أثارت الخلل المنهجي والعقلي والسلوكي في أجيال عدة من بني الإسلام لا سيما مثقفيه ، فمنهم من رأى التخلف قدرنا ، ومنهم من جعله ناتج تراثنا ، ، ومنهم من جعله بسبب تمسكنا بديننا ، ومنهم من جعله بسبب ترددنا في الالتحاق بالغرب ، وها هي الحركة الجديدة ، تقلب كل المفاهيم ، لتؤكد أن « التخلف » ليس قدرنا ، بل هو ما جنت أيدينا ، فإذا ما عدنا لما صلح به أولنا ، صلح واقعنا ، وارتفعت عنا وصمة « التخلف » ، كما أن التراث هو جهد الإنسان ، فيه ما في الإنسان ، من خير وشر ، وصحيح وباطل ، ونهضتنا لا تقوم إلا بعودتنا إلى تراث سلفنا

الصالــح ، ورفـض مـا عــداه مـن الانحرافـات والبـدع ، والموبقـات الفكرية والسلوكية والسياسية ، حاكِمًا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، ثم من بعد ذلك حاجات واقعنا الجديد .

ثم ها هي الحـركـة الجـديدة ، تصل إلى تحـديد منطلق التـصحـيح والنهـوض ، وذلك بـالتـأكـيـد على أن سـبب تخلفنا ، كـان هـو بعـدنا عن الإسلام ، وهجرنا لمعالمه ، وخور العـزائم في الدفاع عنه ، ومن ثم فإن سبيلنا هو إحيـاء الدين في الـنفس وفي الواقع ، والدفـاع عن السـنة ، وتعـزيز إيمان المسلم بأن الإسلام هو السبيل ، والإسلام هو الحل .

وإذا كـانت الحركـة الإسلامـيـة بهذا القـدر من الخطر والشـأن بشهـادة خصومها ، بل بشهادة الواقع الذي لا يكذب أبدًا ، فإنها ـ بالمقابل ـ كانت من أكـثر الحركـات ظلمًا لدى بعض البـاحثين والناقـدين والمؤرخين ، وذلك لأسباب عديدة لا مـجال للتفصيل فيهـا هنا ، ولكننا ـ في هذا المقام ـ نعتب على بعض الإسلاميين أنفـسهم الذين استهوتهم مـوجـات النقد ، ودعــاوي النقــد الذاتي ، حــتى غـرقـوا في بحــاره ، وما عـاد أحــد يسـمــع عــن « إيجابيـات » للحركة الإسـلامية ، وأنا زعيم بأن تسعين بالمائة مما يكتب في تقـيـيم الحركة الإسلامـية ينحى باتجاه إبراز « سلبيات الحركـة » ، ويبقى نزر يسير ، يشـير إشارات عجلى إلى « إيجابيات » الحـركة ، وهذا خلل خطير ، على الأقلام الإسلامية بالذات أن تتنبه له ، وتعيره اهتمامها .

والآن من الضــروري أن نحـدد أبرز إيجـابيـات الحركـة الإسـلاميـة مما يتـعلق بسـياقنا الحـالي ، ليس من قـبـيل التزكـيـة ، أو مـجرد التـذكـير بهـذه الإيجابيات ، وإنما لما لهـذه المعالم التي سنذكرها من أهمية كبـيرة في كشف خلفيات العداء الذي أسفر عن وجهه أخيراً ببشاعة بين تيارات الثقافة المغتربة

بمختلف فصائلها ، وبين الحركة الإسلامية ، وبعد ذلك ، نرصد بعض مظاهر « الفجور في الخصام الثقافي » لدى بعض المثقفين العرب وغير العرب من أبناء المسلمين ، في موقفهم من الإسلام والحركة الإسلامية ، ثم نخلص بعد ذلك برؤية مستقبلية للعلاقة بين الحركة الإسلامية والمثقفين في ديار الإسلام .

معالم الحركة الإسلامية وإيجابياتها :

أولاً : الحركة الإسلامية عندما تقدمت إلى الواقع منذ عدة عقود ، لم تتقدم إليه ، بصفتها جمعية دينية ، بالمفهوم الضيق لمعنى الدين ، وإنما تقدمت بصفتها مشروعاً للنهضة والتجديد ينطلق من الإسلام وحده .

وبالتالي ، فظهور العمل الإسلامي بهذه الصورة لم يمكن العلمانية ومثقفيها من خوض معاركها مع الحركة الإسلامية على أساس « التقسيم الأوروبي التاريخي » بين الحكم الثيوقراطي والحكم المدني ، وبين رجال الدين ورجال النهضة والتجديد ، لأن الإسلاميين كانوا « رجال نهضة وتجديد » ، والحركة الإسلامية كانت حركة نهضة وتجديد ، وهذا ما أضعف كثيراً تشويشات العلمانيين العرب على الحركة الإسلامية ، وجعل حديثهم عن الكهنوت ، والثيوقراطية ، والحكم الديني ، ونحو ذلك ، أشبه بالمزاح أو العبث الثقافي ، فضلاً عن فقدانه أي تأثير على القطاعات الثقافية الواسعة وعموم الناس .

ثانيا : أن الحركة الإسلامية هي ــ بشهادة الواقع والخصوم ــ صانعة الموجة الثقافية الحالية في ديار الإسلام كافة ، ويستطيع القارئ المتأمل أن يلحظ ذلك الأمر على الفور ، من خلال الاطلاع على مختلف النشاطات الثقافية ، فكرية وأدبية وفنية ، إذ يجد أن « قضية الإسلام » و « الصحوة

الإسلامية » ، هي القاسم المشترك الأعظم في النتاجات الثقافية المتصلة بهذه الجهود كافة ، سواء كان ذلك بالسلب أو بالإيجاب ، إن المعادين للإسلام والصحوة الإسلامية ـ أو أبناء الصحوة ورجالاتها ونساءها والمتعاطفون معها أو المتأثرين بها . في كل هذه الأحوال تبرز الحقيقة ناصعة ، لتثبت أن الحركة الثقافية الآن في ديار الإسلام تدور حول قطب واحد هو « الإسلام » ، وذلك نصر كبير للحركة الإسلامية ، رغم أن العديد من الإسلاميين أنفسهم لا ينتبهون إلى خطره وقيمته .

لقد كانت الثقافة في ديار الإسلام ـ حتى عهد قريب ـ تدور حركتها حول قطب « الغرب » والفكر الغربي والحضارة الغربية ، سواء بالتبعية ، أو النقد ، أو المواءمة ، المهم أن القطب صاحب الحيوية الثقافية الذي يصبغ الحركة الثقافية بصبغته ـ سلبًا أو إيجابًا ـ كان هو الغرب والفكر الغربي والآن أصبح « الإسلام » هو القطب ، والفكر الإسلامي هو الذي يصبغ الحركة الثقافية بصبغته ـ سلبًا أو إيجابًا ـ ، المهم أن الجميع الآن يدورون في فلكه ، أرأيتم حجم النقلة وروعتها ؟

ثالثــا : إن مثقفي الحركة الإسلامية اليوم هم الرواد الحقيقيون للجماهير المسلمة ، وهم الأكثر التصاقًا بالناس ، وتعبيراً عنهم ، وجاذبية لديهم ، وهم الأكثر نفوذًا في العقل العربي والإسلامي الجديدين بوجه عام .

والكلام هنا لا نقصد به أبدًا ، التفاخر ، أو التفريط أو المباهاة ، فليس المقام مقام ذلك ، وإنما نحن نرصد « ظاهرة » ثقافية ، من حقنا بل من واجبنا أن نبني عليها ، ونضعها في اعتبارنا عندما ندرس حياتنا الثقافية الجديدة .

إن الحركة الإسلامية في ديار المسلمين لا تملك السلطة ، بل هي ـ غالبًا ـ مضطهدة من السلطة ، ومع ذلك نجد إقبال الناس على الدعاة ـ

شبابًا كانوا أو شيوخًا ـ بالغ الإدهاش ، وإقبـال طلبة الجامعات والمثقفين على الكتب الإسـلاميـة والمحاضـرات طاغـيًا بوضوح ، حـتى أنه لم يعـد من قبـيل المفـاجأة أو الجـديد أن يزور القارئ مـعرضًا من مـعارض الكتب الرسـميـة ، فيجـد دور النشر العلمانية بل الشـيوعية تضع في صـدر أجنحتها كـتب سيد قطب ، وأبي الحـسن الندوي ، وأبي الأعـلى المودودي ، ناهيك عن كـتب السلف الصـالح ، وقـد شـاهدت ذلك بـنفـسي في مـعـرض القـاهرة الدولي للكتاب .

بالمقابل ؛ تجد المثقف العلـماني أو المتغرب ، قوميا كان ، أو شـيوعيا ، أو ليبراليا شبه معزول عن واقعه ، محرومًا من الإحساس بجمهور الناس ، حانقًا على شـعبـه . إن أحداث الجـزائر وما تـلاها ، ، كشـفـت بوضوح أن المثـقف العلماني ، قد تحول إلى عدو صريح للشعب ، وللجـماهير ، يصرح باحتقاره للناس ، وبعدم أحقية الشعوب ـ الآن ـ في اختيار حكامها ، واتهام الجماهير بالتخلف والغباء ونحو ذلك .

كـمـا تحـولـت لقـاءات المثقـفين العلمـانيين إلى مـا يشـبه « نوادي أدبيـة » محدودة العـدد ومحفوظة الوجوه ، المتـحدث فيها هو المسـتمع ، ولا يخرج صوتهم ـ أبدًا ـ إلى الشارع ، ولا ينفذ إلى عقول الناس وقلوبهم ، ولا يكاد يسمع الناس بأسمائهم إلا عبر الصحف الحكومية التي « أُجِّرت » لهم ، نظير سب الإسلام والصـحوة الإسلامـية ورموزها وتـشويههـا ، ودعوة الناس إلى الانصراف عنها .

إن الحصـار الذي يفرض الآن على الحركة الإسـلامية ـ سيـاسيًا وفكريًا واجتـماعـيًا ـ هو بالمقـياس الثـقافي العـام « مدمّر » و « قـاتل » ، ومع ذلك ؛ تصل دعوة الحـق وصوت الإسلام إلى الناس فـي كل مكان ، وتتأبي الحـركة

الإسلامية على الموات ، بفضل الله ورحمته .

رابعـــا : الحركـة الإسـلاميـة وصـحـوتهـا أدت إلى بلورة الموقف الثقافي ، ودفعت الحركة الثقافية إلى درجات حادة من التمايز والوضوح ، وبالمصطلح الإسلامي ، فإن مسألة « الولاء والبراء » قد انتقلت بالفعل إلى الحياة الثقافيـة ، وفرضت على الرموز الثقافية حسم مواقفها وخياراتها ، بعد أن ذابت المناطق المحايـدة ، وتمايزت السـبل ، وأصبح الانتماء الثقافـي محصوراً في وجهتين : الأصالـة والإسـلام من جانب ، والتـقليـد والتأورب من جانب آخر .

وفي الحقيقة فإن الطرح الجديد للحركة الإسلامية ، كان نقلة ضخمة في الوعي الإسلامي الحديث كله ، إذ نادى الإسلاميـون بأن الإسلام ـ والإسلام وحده ـ هو السبيل ، وهو الحل ، وهو حضارتنا ، وأن الإسلام كل متكامـل ، ومنهـاج شـامـل ، عـقيـدة وشـريعة ، دينًا ودنيـا ، وأن للإسـلام خصوصيته التي لا تشبه شيئا من أفكار البشـر ، ومناهجهم ، ومذاهبهم .

هذا الطرح قطع الطريق على المزورين ، والملفقين ، الذين احترفوا تمييع المواقف الفكرية ، بمحاولات المزاوجة بين الإسلام والفكر الغربي ، ونظرياته السياسية والاقتصادية ، ونظمه التشريعية ، ونسقه القيمي ، وهي المحاولات التي أسهم فيها ـ بحسن نية ـ قطاع واسع من المفكرين المسلمين على مدار القرن الأخير ، زعمًا أنهم ـ بذلك ـ يجملون الإسلام في عين الإنسان الجديـد ، ويستجلبون تأشيرة دخول للإسلام إلى نادي الحضـارة الأوربية الطاغية !

وعلى الرغم من أن نفراً من المفكرين المسلمين اليوم ، مازال أسير هذا

الموقف الساذج والمهزوم ، إلا أنهم أصبحوا « ندرة » وشبه معزولين عن المجرى العام للصحوة الإسلامية الجديدة .

هذا الموقف والطرح الفكري الحاسم والواضح ، جعل المثقفين أمام أحد خيارين ، لا ثالث لهما ؛ إما الإسلام ، وإما الاغتراب ، وكان من نتائج ذلك على الصعيد العملي ، تعدد حالات التحول الفكري لرموز ثقافية كبيرة إلى الإسلام ، على ما شاب بعضها من بعض الغبش ، وبالمقابل سفور عداء المثقف العلماني للإسلام ، والانحدار الخطير في لغة الحديث عن الإسلام وتاريخه وشريعته ورموزه المقدسة ، ومن ثم ؛ نذكر ، ونؤكد ، أن ازدياد عنف مثقفي العلمانية والاعلام المؤازر لهم ، وطغيان هجومهم على الإسلام ورموزه ودعاته ، هو مؤشر طيب ، وإيجابي ، وليس سلبيًا ، هو شعور « الظلاميين » باقتراب الفجر ، وتميز الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، وكلما ازداد موقف الإسلاميين وضوحًا ، وكلما نجحوا في نقل هذا الوضوح إلى « الناس » وإلى عامة المثقفين ، كلما ازداد السعار العلماني ، وكلما تواتر انحداره الأخلاقي والفكري بصورة متسارعة ومتخبطة .

خامسًا : لقد شاء الله تعالى أن يعلو مد الحركة الإسلامية ، ويشتد عودها ، في الوقت الذي كانت فيه أكبر تجربة أوربية عقائدية جديدة تذوي وتنهار ، وتنتهي بفضيحة سياسية واقتصادية وإنسانية لا حدود لها ، وأعني بذلك المشروع الماركسي ـ وهو نبت فلسفي أوربي كما هو معروف ، أي أنه إفراز لحضارة أوربا ومع سقوط الماركسية وتتابع انهيار نماذجها في أوربا وآسيا وإفريقيا ، بدأت حقائق التاريخ تعود من جديد ، لتؤكد ما حاولوا تغطيته وستره طوال قرن أو أكثر من تاريخنا الحديث ، عادت حقائق التاريخ ، لتبرز العداء الغربي تجاه الإسلام ، والحقد الغربي على المسلمين ، والقلق الغربي من ظهور دولة الإسلام من جديد ، وأصبحنا اليوم نسمع الكلام

سافرًا عاريًا ، من الدوائر الغربية ، الإعلامية أو السياسية ، بأن « الإسلام » هو العدو الجديد / القديم ، للغرب ، ومن ثم ؛ فإن الحركة الإسلامية أو « الأصولية » كما صاغوها ، هي حائط الصد الذي يحول دون إعلان السيادة الأوربية على العالم أجمع ، وإعلان النصر النهائي للحضارة الأوربية في الأرض .

إن المواجهة مع الغرب اليوم ، قد بدت مواجهة مع الكيان الإسلامي بوصفه أمة ، فليست القضية قضية يمين أو يسار ، أو ليبرالية أو اشتراكية ، أو ديكتاتورية أو ديمقراطية ، وإنما القضية أصبحت قضية الوجود الإسلامي بكامله ، فإما أن ينمحق في المشروع الغربي ، أو يكون عدواً للحضارة والمدنية ، وأصوليًا وإرهابيًا ، و ... إلى آخر قائمة الاتهام .

ومن ثم ؛ تبدو الحركة الإسلامية اليوم في موقف الدفاع عن « الأمة » وعن « الوجود » وعن « الهوية » ، كل أولئك بالقدر نفسه في دفاعها عن « الدين » . إن التحالف الغربي الصليبي والصهيوني ، يتجلى اليوم واضحًا في فلسطين ، وفي البوسنة ، وفي جمهوريات آسيا الوسطى « السوفيتية سابقًا » ، وفي الصومال ، وفي غيرها من المواقع الديار ، وعندما نجحت جبهة الانقاذ في الجزائر ، وحازت ثقة الشعب ، وأصبحت صاحب الشرعية لقيادة الجزائر ، فزعت الدوائر الغربية ، وكان محور الفزع ليس الوضع الداخلي للجزائر ، وإنما « آثار ما يحدث على أوربا ومصالحها في المنطقة » ، ومازلنا نذكر تصريحات سياسية من أعلى الدوائر الغربية ، التي تؤكد بأنها لن تسمح بقيام حكم « أصولي » في الجزائر .

هذه الحقيقة ، جعلت الحركة الإسلامية بمثابة الممثل الشرعي الوحيد لثقافة الدفاع عن الأمة ، وعن وجودها ، وتراثها ، وحاضرها ، ومستقبلها ،

واستقلالها ، كما أنهـا الممثل الشرعي عن دينهـا وعقيدتها ، وبالتـالي أصبح معظم المعادين للصحـوة الإسـلاميـة اليـوم ، لا يستـحـون من الكشف عن ولائهم الفـاضح لأعـداء الأمـة ، إلى الحـد الذي يتحـدث فيـه الشـيوعيـون والعلمانـيون المصريون ـ مثلاً ـ عن عـميل للمخـابرات الأمريكيـة ، وكأنه بطل قومي لأنه تجسس على معارض إسلامي ، كما أن الذاكرة مازالت تحفظ آخر برقية أرسلها طاغية أفغانستان المخلوع « نجيب الله » إلى الرئيس الأمريكي، والتي قال فيها « ادخرني لعدوك .. ! » وعلقت الصحافة يومها على البرقية بالقول : « إن نجـيب الله عرض على الولايات المتحـدة أن تساعده في مـقابل أن يقف صخـرة في طريق المد الإسلامـي « الأصولي » في آسيـا الوسطى » ، وإلى الحـد الذي يبشـرنا فيـه بعض المعـارضين السودانيين مـن فلول العلمانيـة والشـيـوعيـة بقـرب التـدخل الغـربي في السـودان ، لتـحـريره من « الجبـهـة الإسلامية » !!!

رؤية جديدة للدين الاسلامي*

روبن رايت

في آخر أيام شهر رمضان وفي اللحظات الباردة التي تسبق انبلاج الفجر وشروق الشمس تأتى إلي الأسماع أصوات المؤذنين من آلاف المساجد بالقاهرة تلك المدينة القديمة قدم الزمن ، تقول : « الله أكبر الله أكبر » ، تنطلق من مكبرات الصوت من خلال شوارع المدينة الضيقة والملتوية ، بعدئذ تبدأ الشوارع التي كانت خالية من الناس في الحركة .

لقد كان هذا صباح يوم عيد الفطر .

انطلقت أصوات الناس بالتهليل ، تحمل في طياتها أدعية الحمد والثناء . «الحمد لله وحده صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، لا اله إلا الله » إنها واحدة من أكبر المدن في العالم العربي تمثل منطقة حضارية هائلة تضم بين جنباتها كل الأشياء .

إنها أيضا مدينة عربية ، قريبة من قلب الصحوة الاسلامية المتنامية ، التي تدعو مسلمي العالم إلى أن يصبحوا على علاقة أوثق بجذور دينهم أكثر من أي وقت مضى خلال التاريخ الاسلامي ، الذي استمر ١٤٠٠ عام حتى الآن .

يشكل الإسلام ـ الذي يبلغ عدد أتباعه بليون نسمة في كافة أنحاء العالم ويعيش ملايين منهم كأقليات في الغرب ـ يشكل اليوم قوة سياسية

وثقافية دولية ، تقف لتعيد تحديد علاقة الغرب بالعالم الثالث ، وتتحدى مفاهيمه عن التقدم ، وتضع المعايير للنظام العالمي الجديد .

في الشهور الأخيرة احتلت الأخبار الإسلامية العناوين الرئيسة في الصحف ، بعد المكاسب الانتخابية التي حققوها في الجزائر ، والأردن ، والكويت ، بعد أن فجر الإسلاميون المتطرفون القنابل في نيويورك والقاهرة (1) .

وإذا مانحينا العناوين الرئيسية في الصحف جانبا فان الحقيقة الأكثر أهمية تتمثل في أن الدين أصبح بشكل متزايد جزءا لا يتجزأ من نسيج الحياة اليومية للمسلمين ، من أفريقيا إلى آسيا ، ومن نيوجيرسي إلى مانيلا ، حيث تأتي عملية التجديد للدين بمصدر جديد للهوية الثقافية ، والعمل السياسي في عالم يشهد تغييرا كبيرا .

ففي الجمهوريات السوفيتية السابقة في أوزبكستان وطاجيكستان نجد أن مدارس قرآنية جديدة قد فتحت أبوابها كي تحل محل المؤسسات التعليمية العلمانية التي قامت إبان الحكم الشيوعي ، وفي الأردن نجد أن الخمور قد منع تقديمها على طائرات الخطوط الأردنية ، وفي جنوب شرق آسيا نجد أن ماليزيا تحاول بتردد تطبيق الشريعة الاسلامية ، في حين تجابه الفيليبين خطر الحروب الانفصالية بتحديد مناطق للحكم الذاتي ، يعيش فيها المسلمون .

ومن تونس إلى الأردن يحصل الأب المسلم النشط على أصوات الأغلبية في الانتخابات المحلية لاتحادات الطلبة والنقابات والمجالس البلدية ، كما أن المساجد في مصر تضيق بتدفق المصلين إليها ، حتى أنهم صاروا يؤدون

صلواتهم في أقبية المباني ، وفي الحجرات الخلفية لها ، وحتى في الممرات الجانبية التي يسير فيها الناس .

لكن هذه الصحوة الإسلامية قليلاً ما يفهمها الغرب ، الذي تنبع تصوراته عن الاسلام من ثورة ايران في ١٩٧٩ ، وجموعها الغاضبة التي كانت تهتف: « الموت لأمريكا » كما تنبع من أحداث لبنان ، التي قام خلالها جيل من المحاربين المسلمين بعمليات قتل أو إرهاب للغربيين الذين غامروا ، واقتربوا من قلب الحرب الأهلية في لبنان .

وفي الواقع فإن الارتباط التاريخي للإسلام بالسيف يجعل البعض من الغربيين يرتعد حينما يرى كلمات تقول : « لا اله إلا الله محمد رسول الله » مكتوبة فوق سيف مسلول على العلم السعودي وفي الوقت نفسه فإن هؤلاء لا يبالون بالعبارة التي تقول « نحن نثق في الله » المنقوشة على ظهر الدولار الأمريكي .

الافتراءات و المفاهيم الخاطئة :

يعتبر الربط بين الإسلام والمحاربين من رجال القبائل العربية الذين نشروا الإسلام في بدايته واحدا من العديد من المفاهيم الخاطئة ، التي لها مفعولها اليوم. فالعرب في التسعينات يتزايد وضعهم كأقلية بين الـ ٧٥ دولة التي تشكل « دار الاسلام » ، والتي تقع مراكزها الكبرى حاليا في أندونيسيا ، وباكستان ، وبنجلاديش ، والهند ، وجمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق في آسيا الوسطى .

إن خمس سكان العالم ينتشرون عبر منطقة تمتد مسافة ١١٠٠٠ ميل من غرب أفريقيا إلى جنوب شرق آسيا ، وهؤلاء جميعا يشهدون بأن محمدا

هو خاتم أنبياء الديانات السماوية . ولم يقتصر الأمر على الربط بين الإسلام والسيف ، ذلك أن هناك أيضا خرافات وافتراءات أخرى منها قولهم :

ـ إن الدين الاسلامي دين « بربري » ؛ لأنه يطبق حدودا مثل : قطع الرأس ، وبتر الأعضاء ، والرجم ، كعقوبات لبعض الجرائم . وفي الحقيقة فإن المملكة العربية السعودية ، وإيران عموما ، والسودان من حين لآخر يطبقون هذه العقوبات إلا أن قطع الرأس في الرياض لا يمكن أن يكون أكثر بربرية من الإعدام بالكرسي الكهربائي .

إن كل المواطنين اعتبارا من سائقي سيارات الأجرة إلى أساتذة الجامعات يثنون على هذا الأسلوب العقابي ، ويردون على المنتقدين بالإشارة إلى الفارق بين معدلات الجريمة في الرياض ، ومعدلاتها في نيويورك .

ـ إن الوجه الصارم لآية الله روح الله خميني ـ الذي حكم بالموت على المرتدين ـ يمثل غالبية رجل الدين من المسلمين ، لكن يتعين علينا أن نجرب مشاهدة رجل دين حكيم على شاشة التلفزيون هو الشيخ محمد متولي الشعراوي ، الذي يجلس متربعا مساء كل يوم جمعة ، ويقوم بروح طيبة بتفسير القرآن الكريم للملايين من المشاهدين .

ـ إن الإسلام الجهادى يسير على طريق التصادم العنيف مع الغرب .

وفي هذا الصدد يمكن القول بأن الاسلام قد يكون على خلاف مع الغرب في نواحي معينة ، لكن أسلحته بالنسبة للمستقبل تأخذ شكل المؤتمرات ، والمنتديات الفكرية ، وصناديق الاقتراع ، أكثر من أن تأخذ شكل الإرهابيين الملتحين ، حتى في مصر التي عانت من أسوأ أعمال العنف الإسلامية في السنوات الأخيرة .

في الواقع فإنه في الوقت الذي يبدو فيه أن العالم الاسلامي صار الجبهة التالية للصراع بعد الحرب الباردة ، فإن ذلك لا يرجع إلى حد كبير إلى أن المسلمين يمثلون تهديدا عسكريا أو إرهابيا ، لكن لأنهم يطرحون تحديا أساسيا : يتمثل في قوة اجتماعية سياسية متنامية ، تثير تساؤلات حول بعض مفاهيم الغرب ؛ عن الواقعية ، وعن طبيعة التقدم ، والعلاقة بين الله والبشر ، ودور التقنية ، والعصرية ، والمبادىء الأخلاقية في حياة الإنسان .

هناك جيل جديد من الإسلاميين الذين درس الكثير منهم في الغرب على استعداد للاستفادة من المفاهيم الديمقراطية .

إن هؤلاء الإسلاميين يتسلحون بالكتابات القديمة من القرآن ، التي جرى تعديلها لتتواءم مع احتياجات الحاضر في إطار الإصلاح العصري ، وهي تمثل واحدة من أهم القضايا الفكرية في التاريخ الاسلامي .

وفي هذا الصدد يقول أحد المفكرين « إنها ليست مسألة إحياء روحية فقط ، إنها مسألة إحياء أيضا للقرآن ، كما أنها تجديد للفكر ذاته ، إنها صحوة لنشاط الطاقة الإسلامية الكامنة ، وهي على الأغلب صحوة تقودها الصفوة العصرية ، التي تعرضت لتأثير الغرب ولتحدي ثقافة الغرب ذاتها »

ويضيف :

« أما مسألة أن قدر العالم الإسلامي المحتوم هو الصراع مع الغرب فإن ذلك يعتمد على مدى استعداد الغرب لقبول مستوى من النزاهة والعدل يسمح بسيادة الديمقراطية في العالم الثالث ، حتى ولو تولدت عنها الحركة الجهادية الإسلامية ، وضمان معاملة المسلمين في البوسنة والهرسك ، وفي فلسطين ، وليبيا بالمعاملة نفسها التي يلقاها اليهود في إسرائيل ، والنصارى

في أي مكان من العالم » .

ويقول آخر « المفروض أن نتحدث عن الاستقلال الفعلي ، لا الاستقلال الاسمي : عن الاستقلال الاقتصادي ، وعن الاستقلال في الأنظمة التعليمية ، والأنظمة السياسية إلا أن هذا قد يتعارض بشكل أو بآخر مع مصالح الغرب.

إن قيام علاقة بناءة بين الغرب والعالم الثالث يعني وضع جداول أكثر عدلا لسداد ديون الدول المدينة في العالم الثالث ، وإقامة علاقات تجارية أكثر عدالة ، وتحقيق قدرة أفضل من جانب الدول النامية على الاستفادة من مواردها الطبيعية » .

ومن جهة أخرى يقول مفكر آخر اقتفى الحركة السياسية من ثورة مصر في عام ١٩١٩ التي استمر المصريون بعدها في تبني التقاليد الغربية في مجالس الأعمال والثقافة حتى ثورة جمال عبد الناصر في ١٩٥٢ التي اقامت الاستقلال الاقتصادي الاجتماعي على مذاهب قومية علمانية ماركسية .

« أعتقد أننا الآن في المرحلة الحديثة من حركة التحرير الوطنية وفي إطار هذه المرحلة اكتشفنا أننا قد انغمسنا كثيرا في التقاليد الغربية إلى الحد الذي نسينا فيه حقيقة أننا نختلف عنه أي : عن الغرب ، وأننا حينما نتحدث عن شخصيتنا ، وعن هويتنا الوطنية ، فإننا نأتي حتما إلى الإسلام » .

ويضيف إن أول شيء نرفضه في الغرب هو إصرار أصحاب الثقافة الغربية على أنهم يحتكرون مفهوم التقدم ، وأنهم يحددون هوية التقدم والعصرية بربطها بالحياة الغربية ، ونحن نتساءل لماذا ؟! » .

ويضيف : « إن المسلمين إذا ما تولوا زمام الحكم فانهم قد يضعون لدى الآخرين نموذجا يجعل المعايير هناك تختلف ، كما أنه لن يكون لديك معيار واحد للقياس يتمثل في معدل النمو الاقتصادي إننا لا نعبد معدل النمو الاقتصادي » إنها فكرة الاستقلال الثقافي ، الذي ربما يمثل أكثر التهديدات للغرب ، وهو الاستقلال الذي يبني بديهات التقدم والعصرية على تحكم العقل ، والسعي إلى تحقيق الازدهار الاقتصادي ، وهي المفاهيم التي سادت الحضارة الغربية لأكثر من ثلاثة قرون .

إن الإسلام يتيح نموذجا آخر يتمثل في نظام شامل للإيمان ، يمتزج فيه الدين ، والحكم ، والزواج ، والعمل امتزاجا كاملا في نسيج واحد متداخل ، تحل فيه الأفكار الراسخة والمحددة للأخلاق والقيم محل لغة الاستيعاب ، وتسود فيه سلطة التشريع على الأفكار الغربية العصرية عن القانون ، الذي يسن وفقا للضرورة والظروف المتغيرة .

يقول أحد المفكرين الفرنسيين ويدعى (فرانسوا بورجا) : « إن هذه الحركات الاسلامية تسبب لنا الجنون لأنها تؤذينا في الصميم .

لقد أجبرونا على أن ندرك الحقيقة التي تقول : إننا لا نملك احتكار النظام الرمزي ، إننا لسنا الوحيدين الذين يمكن أن يتعاملوا مع الأمور الكونية فهل صار ميزان القوى يتغير في هذا المجال ؟ نعم ــ وهل هذا التغير في صالحنا ؟ والإجابة طبعا : « لا » ويضيف (فرنسوا بورجا) إلى ذلك قوله «لكن إذا كنا نفقد احتكارنا لهذه الأمور فهل يتعين علينا أن نواجه ذلك بالتدخل في العمليات التي تتم في محيطنا ومن حولنا ، إننا بذلك نربي عداوات أكثر » .

إن الصحوة الاسلامية تعكس جزئيا ظاهرة متنامية على المستوى العالمي ، أصبح فيها الدين قوة للتغيير ، تتسم بالطاقة والديناميكية .

وفي المجتمعات التي تناضل في محاولاتها تخليص نفسها من الإفلاس ، أو من الأنظمة التي تنقصها الكفاءة ، أو البحث عن بدائل قابلة للبقاء فإن الدين يوفر المُثُل ، والهوية ، والشرعية ، كما يتيح البنية التحتية أثناء عملية البحث ، ويتم ذلك بدرجات مختلفة في كل أنحاء العالم ، وعلى سبيل المثال فإن البوذيين في شرق آسيا ، والكاثوليك في شرق أوربا وأمريكا اللاتينية والفلبين ، والسيخ والهندوس في الهند ، وحتى اليهود في إسرائيل ، كل هؤلاء تحولوا إلى دياناتهم حتى يتمكنوا من تحديد أهدافهم ، ولتعبئة قواهم .

وفي أغلب مناطق العالم العربي نجد أن الإسلام يطرح طريقة لمعالجة عقود من الفشل : الاجتماعي ، والاقتصادي ، والعسكري ، والاضطراب الذي حدث مؤخرا بسبب حرب الخليج .

في حقبة الضياع هذه نجد أن الإسلام يبعث الحياة من جديد في صورة الماضي ، التي وحد أثناءها منطقة تعيش فيها قبائل متصارعة ، في إطار لغة واحدة ، ودين واحد .

ومنذ الفترة التي هاجر فيها الرسول (٢) من مكة في عام ٦٢٢ م ، وبدأ في إقامة أول دولة إسلامية على أرض الصحراء العربية في المدينة المنورة فإن الإسلام بدأ عصرا ذهبيا من الصعود السياسي والفني غطى عدة قرون ، وتم نقل التعاليم الاسلامية مع الذين قاموا بفتح أسبانيا ، ومع الأتراك العثمانين الذين فتحوا استانبول ، وعادوا عن طريق البلقان إلى أوروبا .

أما في آسيا فإن التجار العرب قاموا بإدخال أجيال كاملة من المتعاملين معهم في جاوه ، وسومطرة ، وبورما ، وماليزيا ، وتايلاند ، والهند ، والصين ، والفلبين ، في الإسلام خلال الفترة من القرن السادس حتى القرن الثاني عشر ، وبعد ذلك بمئات السنين انتقل الاسلام على السفن التي كانت تنقل العبيد من إفريقيا إلى أمريكا .

إن تلك هي الحقبة التاريخية التي تحول فيها العديد من المسلمين خاصة في المنطقة التي تمثل القلب من العالم الإسلامي ، لقد خدعت أجيال من العرب بسلسلة من المذاهب السياسية المتتالية ، التي تمثلت أساساتها في الماركسية والقومية اللتين جعلتهم يعيشون في أحلام الوحدة والاستقلال الذين لم يتحققا قط .

وكانت نقطة التحول للعديد من هؤلاء هي الهزيمة العربية في عام ١٩٦٧ على أيدي الإسرائيليين ، وهم شعب يعرف الكثير من المسليمن عنه أنه شعب يحقق النصر ؛ لأنه لم يفقد صلته بجذوره الدينية .

إن العالم الإسلامي مشغول الآن بفكرة جديدة عن الجهاد ، وهي تعني رد العدوان ، وليست الفكرة التقليدية ، التي تعني شن الحرب المقدسة ، وهي تنطوي أيضا على معنى النضال من أجل الإنجاز وبناء الأفضل ، وإقامة مجتمعات أخلاقية ، وتحقيق كفاية الإنتاج لتحقيق الاستقلال الاقتصادي .

وفي الحقيقة فإن المسلمين زادت مقاومتهم كثيرا ، وسوف يردون العدوان عن أنفسهم بالطبع إذا ما حاولت أوربا أن تفرض نموذجها عليهم .

إننا نعلم أن أوربا لا تؤمن بالديمقراطية إيمانا مطلقا ، فهم يكبحون الديمقراطية حينما تأتي بالإسلام إلى الحكم ، ويقضون عليها . لقد فعلوا

ذلك في تركيا ، وفي الجزائر ، وإذا ما تعرض الإسلام للظلم والاضطهاد فإن المسلمين سوف يتحولون إلى الجهاد ، ويعني هذا الجهاد المقاومة ، ولا يعني الحرب ؛ لأنه إذا وجه شخص اليك فعلا ، فانك توجه إليه بالتالي فعلا آخر » .

هوامش

* للكاتب (روبن رايت) في مجلة (لوس أنجلوس) الصادرة في ٦ أبريل ١٩٩٣.

(١) أثبتنا في الترجمة ألفاظ الكاتب وتعبيراته دون تدخل منا ، حتى تتسق أفكاره أمام القارىء المسلم ، ويكمل تصورنا عن نظرة الغرب إلى الصحوة ، ولا يعني ذلك ــ كما هو واضح ــ موافقتنا على تعبيراته واتهاماته .

(٢) صلى الله عليه وسلم .

خاطرة حول خواطر في الدعوة

طالعت ما كتبتم في ركن ـ خواطر في الدعوة ـ مجلة البيان عدد ٦٥ محرم ١٤١٤ هـ .

فخطرت لي خاطرة سجلتها لكم مبينا قضية ليست غائبة عنكم ولا بالجديدة عليكم أو عندكم ، ولكن أردت بها التبيين والتوضيح والتركيز أكثر :

صحيح أن الفئة العريضة من المجتمع الإسلامي اليوم هم ممّن ذكر فضيلة الشيخ العبدة تسمية ابن القيم ـ رحمه الله ـ لهم ولأمثالهم بـ « أصحاب العقل المعيشي » فلا يهمهم إلا زينة الدنيا وبريقها . ولا ذكر لهم غير المسكن والملبس والسيارة والأثاث والراتب .

وجيد كذلك أن توجه دعوة للدعاة للاهتمام بهؤلاء ونقلهم مما هم فيه إلى ما هو أفضل لهم في الدنيا والآخرة ولكن هناك حقيقة لا يمكن إنكارها ، ولا نغض الطرف عنها ، وهي أن الفئة العريضة أيضا في المقابل من دعاتنا وللأسف يشغلهم شغل الفئة الأولى ، فمن من دعاتنا وعلمائنا ـ طبعا إلا من رحم الله ـ ممّن يتبوؤون المناصب العليا في المؤسسات الرسمية ، والمراكز الإسلامية ، والجمعيات الخيرية والعلمية وغيرها ... ، من مِن هؤلاء من لا يهتم بامتلاك المساكن العديدة والسيارات المختلفة ، والسعي إلى الحصول على أرفع الرواتب والوصول إلى أعلى الدرجات والمناصب ... ؟!

إن السعي في تحصيل رزق الأطفال واجب ، وتأمين مصالح الأهل كذلك . ولكن أن نبالغ في كل ذلك وننغمس في تحصيل الكماليات بدرجات أرفع وكميات أكبر فهذا ما يأباه العقل .

إن على دعاتنا وعلمائنا إذا أرادوا حقا أن يُخرجوا هذه الفئة مما هي فيه

وينتـقلوا بهـا إلى بـر الأمـان ، عليـهـم أن يتـورعـوا هم ـ أولا ـ عن هذه الشبهـات ، وأن يبتعدوا عن حيـاة البذخ والترف المبررة ، وأن يعيـشوا هموم مجتـمعاتهم ، ويشاركـوها حياة المعاناة ، وعبء الحيـاة ، ثم يكونوا لهؤلاء قدوة في الاعتدال في العيش والبساطة في الحياة ؛ ليتّم لهم من خلال ذلك ـ بإذن اللـه عـز وجل ـ الولوج إلى قلوبـهم ، وجـرّهـا إلى الخيـر في الدنـيا والآخرة ، وليتـذكر كثير من دعاتنا أن رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يورّث لأهلـه دينارا ولا درهمـا ، رغم أنـهم أعـز وأرفع عند اللـه منّا ومن أهلنا وأولادنا .

وليذكر هؤلاء ـ كذلك ـ أنّ رسول هذه الأمة ـ عليه الصلاة والسلام ـ كانـت تمر عليه الأيام تلو الأيام فـلا تُشعل نار طهي في بيـته ، كـما روت أُمنّا عائـشة ـ رضي الله عنهـا ـ كمـا كان ـ عليـه الصلاة والسلام ـ يسأل أصحابه إكرام ضيوفه لافتقاده ما يطعمهم به عليه الصلاة والسلام .

وإنها لوقفة جديرة بالتأمل من كل داعية إلى الله ، والله المستعان

أخوكم نبيل الأميري

إلى الأستاذ عادل التل مع التحية

لست ممن يفضل النقاش والحوار عبر صحف المجلات ، إلا أنني وبعد قراءة مقالة الأخ عادل التل « أخطار النزعة المادية في العالم الإسلامي ، نقد كتابات جودت سعيد » في عدد البيان « البيان » (٦٥ ـ محرم ١٤١٤) رأيت أن أكتب هذه الرسالة. وما أذكر هنا يقتصر فقط على ما قرأته في هذه المقالة ، وهي الثالثة من مجموعة مقالات متعددة لم ينته نشرها بعد :

إنه لأمر مؤلم أن نفتقد في عالمنا الإسلامي الجو العلمي الهادىء النظيف الذي يتيح المجال للحوار الفكري دون التعرض للإخلاص والنيات . فنجد أن الأخ عادل يقول : « هل هذا الطرح خروج من الدين أم لا ؟ » (ص ٣٦) إن عد الأستاذ جودت في عداد « الماديين » و« الماركسيين » ظلم كبير لمن يؤمن ويعيش على الإيمان بالله ورسوله ، ومجانبة للحقيقة ، وتشويش للقارىء المسلم و: خاصة لمن يطلع بشكل واسع على كثير من الكتابات الإسلامية . ويظهر هذا التشويش من رسالة « صدمة وحيرة » المنشورة في نفس العدد من البيان (٦٥) .

من قرأ كتابات الأستاذ جودت يلحظ أن ما ورد في مقالة النقد هذه فقرات أخذت من سياقها ، ليعيد الأخ عادل صياغتها بأسلوبه ، وبما يوافق رأيه حول « المدرسة المادية » لقد اتهم الأستاذ جودت بأنه « يلغي مكان الدليل في القرآن » (ص ٣٤) وما أظن الكاتب قد فهم المقصود من مجال الأفكار المعروضة .

وحتى لا أعقد الأمور ، وأطيل فيها سأذكر مثالا واحدا وهو قضية «الشورى » لأشير إلى موضوع الإستفادة من« عالم الآفاق والأنفس » والذي يؤكده الأستاذ جودت ، وأظن أن الأخ عادل قد أخطأ في فهمه فأخذه على أنه إلغاء للنص : اختلف علماء المسلمين ومنذ القديم حول كون الشورى « ملزمة » أم « معلمة » والذي يقرأ ما كتب يجد أن هذا الأمر لم يحسم عبر السنين . ولكن إذا نظرنا إلى عالم الشهادة والواقع والتاريخ وتجارب البشر رأينا أنه من الحكمة والأنسب لحفظ مصالح العباد وأمور الحياة في هذا العصر أن يشترك المتشاورون في صنع القرار ، بعيدا عن الفردية والجزئية في اتخاذ القرار . هل في الاستفادة من عالم الواقع إعراض عن الآيات والآحاديث ؟ لا أظن هذا وهو ما حاول الأخ عادل أن يفهمه للقارىء .

وأخيرا أدعو الله أن يلهمنا الفهم الصحيح لتغيير ما بأنفسنا (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .

وأدعو إخوتي من شباب الإسلام إلى العناية الجادة بالقراءة والبحث والحوار .

وأدعو أخي عادل التل إلى قراءة ثانية وثالثة لكتب مفكرينا وعلمائنا ، وإن شاء الله لنا لقاء للحوار المباشر ، وتبادل الأفكار ، والمعايشة الأخوية .

د . مأمون مبيض

ردود قصيرة :

* الأخ أبو محمد رشيد ــ لندن

وصلتنا مشاركتك بعنوان « نداء العودة » نحييك على عاطفتك الإسلامية . وننتظر مساهمتك الجديدة على أن تكون في حيز مناسب . وننصحك بالإكثارمن قراءة الشعر العربي ـ الحديث منه والقديم مما يضاعف من معجمك اللغوي ويعطي حسك الجمالي العمق المطلوب .

* الأخ خالد عبد الرحمن المسبحي ـ الرياض ـ وصلتنا مساهمتان منك وسوف ننشر مساهمتك « وحدة الصف في الأعداد المقبلة بإذن الله ، شاكرين لك اهتمامك .

* الأخ الدكتور محمد عبد المجيد خليل ـ الإسكندرية ـ : وصلتنا مساهمتك ، ولعلك تشاركنا في أن حساسية موضوعها يجعلها غير ممكنة للنشر ، كما أن لنا ملاحظات أخرى على المساهمة من جهة العمق البحثي ونحو ذلك ، نرحب بمساهمتك القادمة .

اعتذار واجب

تعتذر البيان لقرائها عن سقوط سطرين من آخر مقال : « حقيقة التطرف في العدد (٦٧) ص (٢٥) والسطران الساقطان هما ما يلي : « فنحن نقول فعلا بأن الغلو هو الآخر خطر على الإسلام كما أن التفريط خطر ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفَيْ قصد الأمور ذميم » وتحرص البيان على تصويب الخطأين في صف الآيتين التاليتين في العدد نفسه وتصويب الخطأين هو : « وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء .. » ص ٢٦ « قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم...» ص ٢٩

من نشاطات المنتدى الصيفية (١)

بعون الله وتوفيقه ، اختتم المنتدى الإسلامي أنشطته الصيفية لهذا العام ، وتشمل عددا من الملتقيات الدعوية ، والدورات الشرعية في كل من : بريطانيا ، وكينيا ، وغانا ، ومالي ، وبنجلادش ، ونعرض فيما يلي جانبا منها :

أولا : بريطانيا : أقام المنتدى الإسلامي الملتقى الثقافي الخامس عشر . السبت والأحد ١٩ ــ ٢٠ صفر ١٤١٤ هـ وعقد في مدينة (ليستر) في وسط بريطانيا، وشمل الموضعات التالية :

١ ــ الأصولية ... ستار جديد لمحاربة الإسلام ، للشيخ جعفر شيخ إدريس .

٢ ــ المرأة والعمل الإسلامي ، للشيخ محمد بن إسماعيل .

٣ ــ الحركة الإسلامية وأزمة المثقفين في ديار الإسلام للأستاذ جمال سلطان كما شارك المحاضرون الثلاثة في ندوة عن التيارات الجهادية ، أشرف عليها الأستاذ محمد العبدة .

وقد زاد الحضور عن ٣٥٠ مشارك من الإخوة والأخوات .

والمنتدى يعلن لعموم الإخوة عن توافر محاضرات الملتقى على أشرطة الكاسيت أو الفيديو . واستمرارا للخطوة المباركة التي بدأها المنتدى منذ سنوات، عقد في هذا العام سادس الدورات الشرعية في الفترة من ٢١ صفر إلى٢ ربيع الأول ، وقد استفاد من هذه الدورة حوالي ثمانين دارسا قدموا من بريطانيا ، وبعض الدول الأوربية المجاورة ، والمغرب العربي . وقد شملت الدورة على دروسا في علوم القرآن ، ومصطلح الحديث ، والعقيدة ، والفقه ، وأصول الفقه ، والتاريخ ، والدعوة . كما نظم خلال الدورة مسابقة في حفظ القرآن ، وأخرى في بعض البحوث العلمية . والمنتدى الإسلامي يشكر جميع الأساتذة الأفاضل ، الذين حاضروا في هذه الدورة ، وأشرفوا على نشاطاتها ، ويسأل الله أن ينتفع الإخوة الدارسون بموضوعاتها المتنوعة ، وأن تكون زادا لهم في الدعوة إلى الله .

ــ يتبع ــ

بنــــاء الإنســــان

أحمد عبد الرحمن الصويان

لقد شرّف الله الإنسان ، وكرمه على سائر المخلوقات بنعمة العقل ، وجعل ذلك مناطًا للأمر والتكليف ، ولذا فليس غريبًا أن يوجد في كتاب الله ــ عز وجل ــ عشرات الآيات ، التي تدعو إلى التفكر والتعقل ، والنظر في ملكوت الله سبحانه وتعالى ، من مثل قوله عز وجل :

﴿ إنَّ فِي خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ﴾ (سورة آل عمران / ١٩٠) .

ولكن هل يجوز أن يكون عقل الإنسان انعكاسًا لأفكار المجتمع من حوله .. ؟ فيتأثر بنمط التفكير السائد ، ولا يفكر إلا فيما يفكر فيه الناس ، ولا يعمل إلا ما يعمله الناس .. !

إنَّ البيئة الاجتماعية والفكرية التي يعيش فيها الإنسان تؤثر تأثيرًا بالغًا على تصوارته وأفكاره ، وهي التي تصنع في الغالب أطروحاته وهمومه . والأمة الإسلامية تعاني من فراغ مدهش ، جاء نتيجة تخلف عقود متتابعة ، وزاد في ترسيخه وتعميق جذوره الغزو الثقافي الغربي ، قبل الاستعمار وبعده . وإننا نعاني من أدواء عديدة في البيئة التي نعيش فيها ، ومن ملامح ذلك على سبيل المثال :

ــ قصور بيِّن في طريقة التفكير .

ـ قصور في نوعية المسائل التي يفكر فيها الإنسان ، ويشغل نفسه بها .

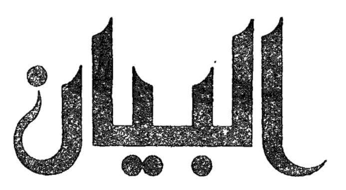
ـ قصور في طريقة بحث الأفكار ، ومناقشتها مع الآخرين .

ـ قصور في توظيف الأفكار في ميادين العمل والبناء .

وأبناء الصحوة الإسلامية جزء من هذا المجتمع يتأثرون به كغيرهم سلبًا وإيجابًا ، ومن مهمات الحركة الإسلامية استثمار هذه الإيجابيات وتنميتها ، ومقاومة السلبيات ، وتقليلها قدر الإمكان . ولقد قامت الحركة الإسلامية بجهد مبرور مشكور في هذا الميدان ، ولكنه أقل بكثير ممَّا يجب ، وأقل بكثير من الإمكانات التي تملكها ، وكما قال الشاعر :

ولم أر في عيوب الناس عيبًا كنقص القادرين على التمام

إنَّ بناء الإنسان المفكر القادر على التمييز والنظر من أصعب الصناعات التربوية ، ولكنها في الوقت ذاته من أهم الصناعات . ومهما كثرت الضغوط على الصحوة الإسلامية ، وتزايدت عليها المحن ، وتكالب عليها الأعداء ، وتشعبت بها دروب العمل ، فيجب أن يكون ذلك من أولويات البناء والتكوين . حتى تضمن بفضل الله تعالى بقاءها وصلابتها من جهة ، ونقاءها وسلامة توجهها من جهة أخرى . وإنَّ غياب المنهج العلمي ، وفقدان الضوابط الشرعية في الفهم ، والتلقي ، والعمل ، يؤدي جزمًا إلى هذا القصور والخلل الذي نعيشه . والنهوض بالأمة من هذه الكبوة لن يكون إلا وفق الأسس والقواعد الشرعية ، المبنية على الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح . والعاملون للإسلام لا ينقصهم ـ في الغالب ـ الصدق والإخلاص ، وإنَّما يحتاجون إلى العلم الدقيق بمحكمات الشرع وأصوله ، ليتسنى لهم تنزيلها على مقتضيات العصر .. ولذا كان التحدي الكبير الذي تواجهه الصحوة الإسلامية هو بناء الإنسان المفكر .. !



مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن

المنتدى الإسلامي

(لندن)

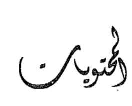
AL BAYAN MAGAZINE
7 Bridges Place .
Parsons Green
London SW6 4HR U.K.
Tel : 071-731 8145
Fax : 071 -371 5307

كلمة صغيرة

المتداعون على السلام مع العدو الصهيوني كتداعي الذباب على الشراب هل هم حقاً يعرفون (يهود) حق المعرفة؟ أم أنهم تعبوا من (الكفاح الصوتي) منذ عام ١٩٤٨م؟!. الحقيقة أنهم لا يعرفون (العدو) فعلاً لا سيما حتمية وقوع ملحمة كبرى بيننا وبينهم سيكون النصر فيها للمسلمين. وحتى ننتصر على هذا العدو لا بد أن نعرفه حق المعرفة وإلا نضلل أجيالنا بالأكاذيب مثل (حتمية السلام) و (الدعوة لإزالة الحاجز النفسي) و (التفريق بين اليهود والصهاينة) فلا بد من إعداد العدة، وما علينا أن ندرك شرف (نداء الشجر والحجر) بل حسبنا أن نكون عاملين في سبيل الوصول إليه ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾

العدد ٦٩ - جمادى الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣/١١ م


بسم الله الرحمن الرحيم


المحتويات

من كان يظن أن لن ينصره الله

التحرير

والآن، أسفر صباح الحقيقة، وتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود في مستقبل قضية فلسطين، واستسلمت كل الرايات، ورضي رئيس منظمة التحرير أن يبيع كل شيء، التاريخ، والحق، والعدل، ودماء الشهداء، ومستقبل الأجيال، والقدس، مقابل أن ينصبه إسحق رابين رئيسًا لبلدية "أريحا"، وفوقها «غزة» مجانًا، إذ من المعلوم أن إسرائيل قد عرضتها مجانًا لمن يقبل منذ أشهر، لولا تدخل بعض الوسطاء بطلب التأجيل حتى لا تقع في يد الأصوليين. إذن لقد نُكست الرايات جميعها، الوطنية، والشيوعية، والاشتراكية، والقومية ،والثورية عدا بعض الجهات اليسارية المعارضة ، وموقفها ظل لموقف إحدى الدول العربية ، والمتوقع تغييرها له بتغير رأي تلك الدولة نفسها، وبقيت راية واحدة تعلن الرفض، وتتمسك بثوابت التاريخ والحق، وتفي وتحمل الأمانة إلى الأجيال القادمة، تلك هي راية الإسلام، وأولئك هم أبناء الصحوة الإسلامية المجاهدة في فلسطين وفي أرض الله الواسعة كذلك.

ومما هو جـدير بالتـذكر الآن، أن هذه الرايات المنكـوسة، هي ذاتهـا التي حاربت راية الإسلام على مدى نصف قرن، وقهرت كل من حاول رفعها في العديد من ديار الإسلام ، وذلك باسم "قضية فلسطين" ، «ولا صوت يعلو فوق صوت المعركة»، ومنذ ذلك التـاريخ، وفلسطين تضيع قطعة قطعة، حتى أتى (آخر الثوار) ليسلم رايته مقابل "عزبة"!.

إن الغضب الإسـلامي مشـروع ولا ريب.. الغضب لله ولدينه ولحـرماته ولمسجـده الأقصى، ولكن الذي يـنبغي الحذر مـنه، أن يصبح الغـضب فورة عاطفة، وانفلاتـة أعصاب ومشاعر، دون أن تقنن هذه العاطفـة وتلك المشاعر في خطط جديدة طويلة الأمد، ندير من خلالهـا صراعنا الجديد/ القديم مع اليهود، ونظام الظلم العالمي الجديد.

إن ما حدث أخيراً، هو مفتتح جـديد للتاريخ، بالقدر نفسه الذي يمثل نهاية مرحلة وتاريخ، وهذا الـتاريخ الجديد، يتـحمل فيـه الإسلاميـون-وحدهم- عبء المواجهـة، وتبعات الجهـاد الأكبر، وفي الصـفحة الأولى من صفـحات التاريخ الجديد، نقرأ المعالم التالية:

أولاً: إن قضية فلسطين ليست- كما يدعي الساقطون اليوم- شأنًا فلسطينيًا مجردًا، وذلك ليقطعوا فلسطين- حكمًا- عن الإسلام وعالمه ومجاهديه، بعد أن قطعوها عمليًا عنه ، بل إن (فلسطين) شأن كل مسلم، والإثم يلحق الأمة بأسرها إذا فرطت فيها.

ثانياً: إن فضية فلسطين ليست قضية جيل من الأجيال، يبيع فيها ويشتري، وإنما هي ميراث أجـيال مضت، وحقـوق أجيال قادمة، وإذا عـجز جيل عن الوفاء بحـقها، فـحسبه أن يعلن عـجزه، ويخلي السبـيل لغيره من الأجـيال الجديدة، فـالعجز ليس - دائمًا عيبًا، طالما استنفذت الجـهود، وأدى المؤتمنون

الأمانة، وإن العيب كله أن يأبى العاجز، إلا أن يفرض عجزه وهزيمته على الأجيال كلها، سابقها ولاحقها.

ثالثاً: إن شيئًا كبيرًا من الجهاد المتعلق بفلسطين، لا بد أن يتوجه إلى العقول والمشاعر، لكي تظل رسالة الجهاد والتحرير في خواطر الأجيال لأن "الخطر" ليس في الهزيمة على الأرض، أو ضياع جزء منها في زمان ما فهذا كله من عوارض المواجهة، وتداول الأيام، وإنما الخطر كله أن تصبح الهزيمة في النفوس والعقول والأفكار، فهذا هو الضياع وهذا هو "القبر" الحقيقي لقضية فلسطين.

إن التجبر الذي بلغه "يهود" الآن، واستعلاءهم في الأمة، والأوضاع التي آلت إليها موازنات القوى في العالم اليوم، بما في ذلك المنطقة العربية، يؤذن بصعوبة المهمة، وجسامة التحدي، وأيضًا - وهذا هو المهم - يؤذن بأن "الوقت" هو سلاح جوهري في هذه المواجهة، فالواضح حتى الآن، أن الأمر سيطول، وصاحب النفس الأطول هو المؤهل لكسب السباق، وقصر النفس واستعجال النصر واستصعاب المسافة، كلها مورِّثات للعجز، ومثبطات للعزائم، وعجز العاجزين ينتهي- عمليًا- إلى ذات النتيجة التي ينتهي إليها فجور الفاجرين.

عن حذيفة بن اليمان- رضي الله عنه - قال: "كيف أنتم إذا انفرجتم عن دينكم، كما تنفرج المرأة عن قُبُلها لا تمنع من يأتيها"، قالوا: لا ندري!، قال: "ولكني والله- أدري- أنتم يومئذ بين عاجز وفاجر" (١)

نسأل الله البراءة من عجز العاجزين، وفجور الفاجرين.

رابعًا: إن الثقة بنصر الله، وعونه ووعده الحق لمن جاهد في سبيله، هي زاد الطريق، ومفتاح الأمل، ونور الأجيال الإسلامية التي تبصر بها آفاق

زاد الطريق، ومفتاح الأمل، ونور الأجيال الإسلامية التي تبصر بها آفاق الرحلة، وتبقى "لحظة النصر" و "بشارة التمكين" حية شاخصة في رؤى المجاهدين ومشاعرهم، وإن من فقد هذه الثقة بالله ونصره، فقد خسر خسرانًا مبينًا، ومن تشكك فيها لحظة، فقد تأخر عليه النصر على قدرها. ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ، وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد﴾. (٢)

---

(١)رواه ابن ابي شيبة في مصنفه ، والحاكم في المستدرك وصححه على شرط الشيخين وهو عند أحمد « المسند » بلفظ قريب ، وصححه أحمد شاكر في التعليق على المسند .

(٢) سورة الحج / الآيتان ١٥ ، ١٦ . .

الشـــرك

عثمان جمعة ضميرية

خلق الله تعالى هذا الإنسان على فطرة التوحيد والإسلام متهيئًا لقبول الدين ، فلا يعدل عن هذا وينـحرف إلا لآفة تنحـرف بهذه الفطرة وذلك عندمـا تتضافـر جملة من العـوامل التي تساعـد على الانحـراف ، فيـقع الإنسـان عندئذ في واحدة من صـوره كالشرك والنفاق . وسنقف ـــ إن شـاء الله تعالى ـــ على كل واحدة من هاتين الصورتين بكلمة تعريفـية موجزة ، تحدد معناها اللغـوي والاصطلاحي ، وأصل نشأتها ، وبعض صورها .

ـــ ١ ـــ

إذا استنطقنا كتب اللغة وجدنا أن « الشين والراء والكاف» أصلان يدل أحدهما على اقتران وعدم انفراد . . . وهو أن يكون الشيء بين اثنين ، لا ينفرد به واحد منهما .

يقال : «شـاركتُ فلانًا في الشيء ؛ إذا صـرتُ شريكه . وأشـركتُ فلانًا : إذا جـعلته شريكًا » .

والشرك أيضًا : إسناد الأمر المختص بواحدٍ إلى من ليس معه أمره . يقال : أشرك بالله : جـعل له شريكًا في ملكه ـــ تعـالى الله عن ذلك ـــ . . . ومن عدل باللـه تعالى

شيئًا من خلقه فهو كافر مشرك ؛ لأن الله وحده لا شريك له ، ولاندّ له ولا نديد [1]

ـ ٢ ـ

وفي الاصطلاح الشرعي : يطلق لفظ الشرك على نوعين :

أحدهما : إثبات شريك لله تعالى ، وهو الشرك الأكبر .

والثاني : مراعاة غير الله تعالى في بعض الأمور ، وهو الشرك الأصغر .

فالشرك الأكبر وهو أن يتخذ مع الله تعالى ، أو من دون الله ، إلهًا آخر ، يعبده بنوع من أنواع العبادة .

قال ابن القيم : « والشرك الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه وهو أن يتخذ من دون الله ندًا يحبه كما يحب الله ، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين». [2]

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ :

« الشرك قد عرّفه النبي ﷺ بتعريف جامع ، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال يارسول الله : أي الذنب أعظم ؟ قال : « أن تجعل لله ندًا وهو خلقك » أخرجه البخاري ومسلم ، والند : المثل والشبيه ، فمن صرف شيئًا من العبادات لغير الله فقد أشرك به شركًا يبطل التوحيد وينافيه ». [3]

(١) معجم مقاييس اللغة : ٣ / ٣٦٥ ، لسان العرب : ١٠ / ٤٤٩ ـ ٤٥٠ .

(٢) مدارج السالكين : ١/٣٣٩ .

(٣) الدرر السنية : ٢/١٥٣ .

وعرّف الشيخ عبد الرحمن السعدي هذا الشرك بتعريف جامع مانع قال :

« إن حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده أن يصرف العبد نوعًا أو فردًا من أفراد العبادة لغير الله ، فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع ، فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص ، وصرفه لغيره شرك وكفر ، فعليك بهذا الضابط الذي لا يشذ عنه شيء ».[1]

وهذا أعظم الشرك والظلم ، ولا يغفره الله لصاحبه إن مات عليه ، لأنه يناقض أصل التوحيد ويخرج صاحبه عن الملّة ، ويحبط عمله ، ويخلّد في النار. وإذا أطلقت كلمة الشرك فإنها تنصرف إلى هذا النوع منه .

ـ ٣ ـ

وأصل هذا الشرك ومنشؤه هو : تسوية غير الله بالله تعالى ، أو هو تشبيه غير الله بالله تعالى في صفة من الصفات التي يختص بها ؛ مما لم يعهد في جنس الإنسان ، فالذي يعبد كائنًا ما من دون الله فيدعوه أو يطلب منه الشفاعة أو يخافه ، أو يتخذ حكمه شرعًا له . . . إنما يفعل ذلك لأنه يعتقد أنه صاحب سلطة وحكم على الخلق . .

يقول ابن تيمية : « وأصل الشرك أن تعدل بالله تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده ، فإنه لم يعدل أحد بالله شيئًا من المخلوقات في جميع الأمور ، فمن عبد غيره أو توكل عليه فهو مشرك ».[2] والصورة الواضحة الجلية لهذا الشرك هي عبادة الأصنام ، التي كانت تتخذ سابقا في عصور الجاهلية القديمة من حجر أو خشب . . . ولكنها تظهر

(١) القول السديد : ٤٣ .

(٢) الاستقامة : ١/ ٣٤٤

في عصور أخرى بمظاهر شتى قد تكون مـذهبًا من المذاهب الفكرية، أو الاقتصادية وقد تكون أهواء وشهوات يخضع لهـا الناس فيتخذونها آلهة . . وقد تكون الأصنـام مجموعة من القيم الاجتماعيـة والمادية التي تسيطر على الناس ، على ما حكاه الله تعالى عن أقوام فقال: ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضلَّه اللَّه على علم ﴾(الجاثية/ ٢٣)

﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفِّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار، وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾ .

(هود / ١٥ ، ١٦) .

ـ ٤ ـ

ويبحث العلماء تحت هذا الشرك أنواعًا من العبودية لغـير الله ، كشرك الدعاء سواء كان دعـاء عبادة وثناء، أو دعـاء طلب ومسألة ، مما لا يـجوز أن يتوجـه به إلا لله تعالى وحده ، لأن الدعاء هو العبادة .

وكذلك شرك العبادة والتقرب الذي يظهر جليًا وواضحًا في عبادة الأصنام وإعطائها بعض خصائص الألوهية ، أيًا كانت هذه الأصنام وبأي صورة ظهرت. ولا يقل عن هذا اللون من الشرك ما يسمى أيضًا بشـرك طلب الشفاعة من غير الله ، فيـما لا يقدر عليه إلا الله تعالى . . وكتب العقيدة والتوحيد أفاضت في بيان ذلك كله .

وتبقى ألوان أخرى من الشرك الأكبر قد تكـون اتسعت دائرتها في العصور الأخيرة ، أكثـر مما كانت في عصـور سابقة ، وذلكم هو شرك الـطاعة والاتباع ، وشرك المحـبة والنصرة .

فقـد اتفق العلماء على أن الحكم لله وحده سـبحانه وتعـالى ، فهو المتـفرد بالخلق فينبغي أن يكون متفردًا بالأمر . فـلا أحد يستحق أن ينفذ حكمه على الخلق إلا من كان له الخلق والأمر ـ سبحانه وتعـالى ـ فإنما النافذ حكم المالك على مملوكه ، ولا مالك إلا الله الخالق ، فلا حكم ولا أمر إلا له . أما غيـره سبحانه ، فلا يجب شيء بإيجابه ، بل بإيجاب الله تعالى طاعتهم (١) .

وقد تواردت النصوص الشرعية تؤيد هذا المنطلق السليم وتؤكده ، فهي تُلْزِم البشر باتباع ما جاء من عند الله تعالى ، وتحرِّم عليـهم تحريمًا قاطعًا اتباع ما يخالفه: ﴿ اتبع مـا يوحى إليك من ربك لا إله إلا هـو ، وأعرض عـن المشـركين ﴾ (الأنعـام / ١٠٦) ، ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ﴾ (الأعراف / ٣) . . .

والآيات في ذلك كثيرة تعزُّ على الحصر . . توجب الحكم بما أنزل الله وتحكم بالكفر والفسق والظلم على كل من يخالف حكم الله تعالى .

ولذلك كان كل من أطاع مخلوقًا في تحريم الحـلال أو تحليل الحرام ـ وهو متبع له في هذا التبديل ـ فهو مشرك شرك الطاعة والانقياد والاتبـاع (٢) .

---

(١) المستصفى لغزالي: ١/٨٣، الإحكام في أصول الأحكام للآمدي: ١/٧٦، مسلم الثبوت: ١ /٢٥ ، وشرح الكوكب المنيـر: ١/٤٨٤ ، قواعد الأحكام للعز بن عـبدالسلام: ١/١٥٧- ١٥٨.

(٢) انظر: مجمـوع فتـاوى ابن تيـميـة: ١/٩٧، ٩٨، ١٤/ ٣٢٨، ٧/ ٧٠. وتيـسير العزيز الحميد (٥٤٣).

وقد حكم الله على اليهود والنصارى بالشرك لاتباعهم الأحبار والرهبان واتخاذهم أربابًا من دون الله ، ثم بيّن النبي ﷺ ذلك بيانا واضحًا ببيان ما هية العبادة التي وقعوا فيها. (١)

وهذا النوع من الشرك يعم اليوم أصقاعًا وبقاعًا كثيرة في بلدان العالم ، بعد تنحية الشريعة الإسلامية عن الحكم في شؤون الحياة كبيرها وصغيرها ، وحصرها في جوانب ضيقة ، واستبدلوا بها القوانين الوضعية التي ارتضاها الناس لأنفسهم بمعزل عن دين الله تعالى وشرعه . ولذلك كان من الواجب العناية بهذا اللون من الشرك وبيان خطورته ، وإن كان ذلك سيؤدي إلى تكاليف باهظة يحتسبها المسلم عند الله تعالى .

وأما شرك المحبة والنصرة والولاء فيكون عندما يتوجه الإنسان بالمحبة لغير الله تعالى ، إذ من مقتضيات التوحيد وأصول العبادة أن نفرد الله تعالى بالمحبة التي لا تصلح إلا له « وهي حب طاعته والانقياد لأمره » وإلا وقع الشرك الذي جاء التحذير منه ، عندما تكون المحبة لأعداء الله ، ،عند موالاة الكافرين ونصرتهم ، لأن في ذلك نقضًا للميثاق ولكلمة التوحيد ، وخروجًا على مقتضيات الإيمان : **﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ﴾** (آل عمران / ٢٨) **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾** (المائدة / ٥١) .

وأما تعريف الشرك الأصغر فهو ما أتى في النصوص الشرعية أنه شرك ، ولم يصل إلى حدّ الشرك الأكبر.

---

(١) انظر: تفسير الطبري ١٤/ ٢١٠-٢١١، والبغوي: ٤/ ٣٩، تفسير ابن كثير: ٣/ ١٢٢-١٢٣. مفاهيم ينبغي أن تصحح، للأستاذ/ محمد قطب، فصل "مفهوم لا إله إلا الله

.ومن أمثلة هذا الشرك : التطير ؛ وهو التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ والبقاع وغيرها .

ومن الشرك الأصغر : شرك الألفاظ كالحلف بغير الله ، وقول أحدهم : ما شاء الله وشئت ، ولولا الله وفلان . . . إلخ .

ومن الشرك الأصغر : يسير الرياء لقوله ﷺ : (إن يسير الرياء شرك) . وفي ختام هذه المقالة ندعو بما صح عن رسول الله ﷺ في قوله : « اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم واستغفرك لما لا أعلم » .

سد الذرائع

- ٢ -

هيثم الحداد

استدل العلماء على هذه القاعدة (سد الذرائع) بالنقل والعقل، والمتأمل في هذه الأدلة يجدها تفيد القطع بصحة القاعدة في الجملة.

أما النقل : فيستدل به من عدة أوجه: [1]

أولاً: الله عز وجل إذا حرم شيئًا حرم أسبابه ووسائله، ولا يعقل كما يقول ابن القيم- رحمه الله- أن يحرم الله شيئًا ويبيح أسبابه ووسائله المفضية إليه وهذا واضح في أمور كثيرة. بل إن الشريعة تؤكد على تحريم الوسائل والأسباب إذا كان ما تؤدي إليه من الكبائر، وأمثلة هذا النوع وشواهده كثيرة جدًا، فقد حرم الله عز وجل الكفر، وحرم أسبابه ووسائله حتى يصون المؤمنين، ويبعدهم أشد البعد عن هذا الظلم العظيم. ومن أهم أسباب الكفر اتباع خطوات الشيطان ووسائله، فحذر الله- عز وجل- من هذه الوسائل، بعدة طرق، وفي مواطن كثيرة جدًا، قال الله تعالى:- ﴿ **ياأيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيبًا، ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوٌ مبين**﴾ [2] ونهى الله- عز وجل- عن اتخاذ المشركين أولياء، لأن هذا من أسباب محبتهم ومحبة دينهم

وهو من ذرائع الكفر، قال تعالى﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ [٣] وقال﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾[٤] وبيّن سبحانه وتعالى علة النهي فقال: ﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء، فلا تتخذوا منهم أولياء﴾ [٥]

كما نهى سبحانه وتعالى عن الإقامة بين أظهرهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، قالوا: يارسول الله ولمَ؟ قال: لا تراءى نارهما (٦) عن مخالطتهم، لأن مخالطتهم تؤثر على الإيمان، وتضعف بغضهم وبغض دينهم، قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم:- " لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم، فمن ساكنهم أو جامعهم فهو مثلهم". [٧]

بل إنه سبحانه وتعالى نهى عن مشابهتهم للأسباب نفسها أيضًا واستفاضت النصوص في التحذير من ذلك، قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: " من تشبه بقوم فهو منهم" [٨]، بل قد حرمت الشريعة أمورًا لكونها تشبها بالكفار، ومن ذلك تحريم التشبه بهم في الملبس والمأكل، ومنها الصلاة في أوقات معينة، وغير ذلك كثير.

وبعد فقد حذرت الشريعة أشد التحذير من المعاصي ومقارفتها لأنها بريد الكفر.

ومثل ماتقدم في تحريم الكفر وذرائعه، والزنا وذرائعه، كان تحريم الربا وشرب الخمر وذرائعهما، إلى غير ذلك من المحرمات.

وكل هذه الشواهد تفيد القطع بأن الشريعة إذا حرمت شيئًا حرمت ذرائعه.

ثانيًا: وهذا الوجه من أقوى وجوه الاستدلال على هذه القاعدة وأوضحها؛ إذ جاء الشرع بتحريم وسائل لاشك في إباحتها لو تجردت عما أفضت إليه- وقد تتجرد فترجع إلى أصل الإباحة. وإنما حرمها الشارع، لعلة إفضائها إلى محرم وأدلة هذا الوجه كثيرة أيضًا، لكن دلالاتها تختلف قوة وضعفًا، بل قد نازع فيها بعض العلماء؛ لأن تلك العلل

غيـر منصوص عليهـا، فلم يتفقـوا مع غيرهم عـلى أن علة التحريم هي إفـضاؤها إلى محرم، فكأنهم جعلوا النهي تعبديًا، أو بنوه على علة أخرى.

من أجل هذا سـأقتـصر هـنا على تلك الأدلة التي نصت على أن علة تحـريم هذه الوسائل إفضاؤها إلى محرم.

الأدلة من الكتاب:-

١- قال تعالى ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم ﴾(٩).

ووجه الاستـدلال أن الله -عز وجل- حـرّم سب الآلهة مع أنه عـبادة، وعلل هذا المنع بكونه ذريعة إلى سبهم له -جل وعلا- فمصلحة تركهم سب الله - سبحانه- راجحة على مصلحة سبنا لآلهتهم. (١٠)

فالوسيلة هنا هي سب آلهـة المشركين، وأقل أحوالها الاستـحباب، ويغلب على الظن إفضاؤها إلى سب المشركين لله- عز وجل-.

٢- قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشـياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ (١١)

وجه الاستـدلال: أن هذا النص ظاهر في المنع من السؤال المباح، إذا خـيف إفضاؤه إلى محظور، خـاصة إذا علم سبب نزول الآية: وهو أن رجلاً قـال: يا رسول الله من أبي؟ قال: فـلان، فقالت له أمه: مـا سمعت بابن أعق منك أظننت أن تكون أمك قـارفت ما يقارف نساء الجاهلية، فتفضحها على أعين الناس فقال: والله لو ألحقني بعبد أسود للحقت

وأما السنة فالشواهد كثيرة جدًا منها:

١- تركه- صلى الله عليه وسلم - قتل المنافقين، مع أن في قتلهم مصلحة كبيرة، ثم علل ذلك بقوله "حتى لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه". (١٢)

٢- وكذلك قـوله- صلى الله عليه وسلم- لعـائشة رضي الله عنهـا-: "لولا قومك

حـديثو عـهد بكفـر لنقضـت الكعبـة فجـعلت لها بـابين، باب يدخل منه الناس، وباب يخـرجـون" [١٣] وقد ترجم البخـاري لهذا الحديث بقوله "باب من ترك بعض الاخـتيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه، فيقعوا في أشد منه" [١٤].

ثالثًا: جاءت الشريعة بالحث على ترك الشبهات؛ لأن ارتكابها ذريعة إما إلى الوقوع في الحرام بغير قصد، وإما إلى اتخاذها مطية لأغراض فاسدة، فمن احتاط لنفسه، لم يقرب الشبـهات، فلا يقع فـي واحد من هذين المحظورين. وقد حث رسـول الله- صلى الله عليه وسلم- على ترك الشبهات في أكثر من حـديث، منها الحديث المشهور عن النعمان بن بشير- رضي الله عنه-، وموطن الشاهد منه: " فمن ترك الشـبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام" [١٥]، وحديث " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك" [١٦]

ومظاهر العـمل بترك الشبـهات، الذي هو عـمل بسد الذرائع، كـثيـرة جدًا يطول استقصاؤها ومن صورها:

١- أن الشرع حث المسلم على اجـتناب مواطن التهم حتى لا يتـعرض لإساءة الظن بدينه، ومن ذلك قصـته- صلى الله عليـه وسلم- وصفيـة رضي الله عنها حين أراد أن يودعها إلى أهلها فرآه اثنان من الصحابة، فأسـرعا، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: "على رسلكما، إنهـا صفية بـنت حيي" فقالا: سـبحان الله، فقـال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا" [١٧]

٢- حديث امتناعه- صلى الله عليه وسلم- أن يأكل التـمرة التي رآها ملقاة خشية أن تكون من الصدقة" [١٨].

رابعًا: أن الله- عز وجل- توعد بالعقاب من يحتال إلى الممنوع بفعل جائز فدل ذلك على تحريم الفعل الجائز إذا كان يتوسل به إلى ممنوع، وهذا هو عين سد الذرائع.

ومن أشهر أمثلة ذلك: أن الله- جل وعلا- ذم أصحاب السبت؛ لأنهم احتالوا على ما حرمه عليهم من صيد الحيتان يوم السبت، وابتلاهم الله- عز وجل- بأن جعل الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعًا (ظاهرة)، ولا تكون على هذه الحالة باقي الأيام، فاحتالوا على ذلك؛ بأن حفروا لها حفرًا في البحر تحجزها ليسهل عليهم صيدها في باقي الأيام. (١٩)

وأما العقل: فيمكن إجمال اعتبار العقل لقاعدة سد الذرائع بكلام ابن القيم- رحمه الله- حيث يقول: " لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها، كانت طرقها وأسبابها تابعة لها، معتبرة بها، فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غايتها، وارتباطها بها ووسائل الطاعات والقربات في محبتها والإذن بها بحسب إفضائها إلى غاياتها، فوسيلة المقصود تابعة للمقصود وكلاهما مقصود، لكنه مقصودٌ قصدَ الغايات، وهي مقصودةٌ قصدَ الوسائل، فإذا حرم الرب تعالى شيئًا وله طرق ووسائل تفضي إليه فإنه يحرمها، ويمنع منها تحقيقًا لتحريمه، وتثبيتًا له،ومنعًا أن يقرب حماه، ولو أباح الوسائل المفضية إليه لكان ذلك نقضًا في التحريم، وإغراء للنفوس به، وحكمته تعالى تأبى ذلك، بل سياسة ملوك الدنيا تأبى ذلك، فإن أحدهم إذا منع جنده أو رعيته أو أهل بيته من شئ ثم أباح لهم الطرق والأسباب والذرائع الموصلة إليه فقد أفسد منعه ، ولحصل من رعيته وجنده ضد مقصوده.

وكذلك الأطباء إذا أرادوا حسم الداء منعوا صاحبه من الطرق والذرائع الموصلة إليه، وإلا أفسد عليهم ما يرومون إصلاحه، فما الظن بهذه الشريعة الكاملة التي هي فى أعلى درجات الحكمة والمصلحة والكمال؟ ومن تأمل مصادرها ومواردها علم أن الله تعالى ورسوله سدا الذرائع المفضية إلى المحرمات بأن حرماها ونهيا عنها" (٢٠)

أمثلة وتطبيقات على سد الذرائع:

قبل ذكر هذه الأمثلة لابد من التنبيه على أمر مهم جدًا، وهو أن تطبيق هذه القاعدة والعمل بها- وهو ما يُعرف بتحقيق المناط الذي من معناه تحقيق وجود العلة في الواقعة

حتى يُبنى عليها الحكم- لايمكن أن يكون صحيحًا إلا بمعرفة واقع المسألة معرفة جيدة، وهو ما أطلق عليه ابن القيم- رحمه الله- الفقه في الواقع، فحتى نخرج بتطبيق صحيح لهذه القاعدة، لابد أن نميز درجة إفضاء الأمر الجائز إلى الممنوع، وتحديد درجة الإفضاء هذه تختلف فيه التقديرات اختلافًا كبيرًا، كل بحسب ما وصل له، أضف إلى ذلك أن تقدير متعلق الوسيلة بأمر حاجي أو ضروري، وكذا المتوسل إليه، أمر قابل لاختلاف وجهات النظر.

فمن أمثلة تطبيق هذه القاعدة في حياة السلف مما يشابه واقعنا:

١- الحرص على الوحدة والائتلاف، ونبذ أسباب الفرقة والاختلاف.

وهذا من أعظم الأصول التي دعت إليها الشريعة وطبقها السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم، فظهرت آثار المحافظة على هذا الأصل في مواقف كثيرة، منها مثلاً تركهم بعض المباحات، بل بعض السنن من أجل عدم التفرق والاختلاف، وهذا من فقههم رحمهم الله تعالى، فواجب على من سار على سبيلهم أن يقتدي بهم في ذلك، ومن أمثلة ما نقل عنهم في هذا الباب، قصة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في صلاته خلف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه بمنى إتمامًا مع أن السنة القصر، فلما قيل له في ذلك قال: "الخلاف شر".

ومن أجل ذلك نرى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يقرر أنه "يستحب للرجل أن يقصد إلى تأليف القلوب بترك مثل هذه المستحبات لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل مثل هذا".

ومن هذا ما يقع الآن بين الدعاة وطلبة العلم من رد هذا على ذاك. إن الرد على المخالف، مشروع في الجملة، وهو سنة الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن سار على هذا من أكابر العلماء، إلى يومنا هذا.

لكن هل هذا الأمر على إطلاقه؟ فهل يكون الرد على المخالف مشروعًا حتى وأن

أفضى إلى فساد، أو منكر أكبر؟

إن الرد على المخالف وسيلة ، القصد منها إظهار الحق وإزهاق الباطل، وإعلاء كلمة الدين، لكن هذه الوسيلة قد تأتي بضد ما شرعت لأجله، فيحصل بسبب هذا الرد تفريق الأمة، واقتتالها فيما بينها ومن ثم ضعفها، واستطالة الأعداء عليها، ومن ثم ذهاب بيضة هذا الدين، فهل يبقى الرد عندئذ على المخالف مطلوبًا مشروعاً ؟

هذه مسألة تحتاج إلى بحث ونظر، حسب القواعد والضوابط الشرعية، وحسب الواقع، ولا يتسع المجال لعرضها في هذا المقال، وأدعو الأخوة الباحثين والدعاة وطلبة العلم، أن يبحثوا هذه المسألة بحثاً علميًا مؤصلاً.

ولا مانع هنا من أن نعرض بعض ما يجب مراعاته في دراسة هذه المسألة مما له صلة ببحثنا.

الرد على المخالف في المسائل الاجتهادية كطرائق الدعوة مثلاً، أكثر ما يقال فيه أنه وسيلة مشروعة، لا تصل إلى الوجوب، إذا غلب على الظن أداؤها لحدوث تدابر وتباغض بين المسلمين وإنما تسد ؛ لأنها ذريعة إلى أمر ممنوع.

لكن ما حكم الرد على المخالف في غير المسائل الاجتهادية، إذا أدى إلى حدوث ذلك الفساد؟ ينبغي أن ينظر إلى حجم المخالفة، ثم مدى تأثر الناس بها، وحجم المصلحة الناتجة من هذا الرد، ثم حجم الفساد الذي أفضت إليه هذه الذريعة، وكذلك درجة إفضاء هذا الرد لهذا الفساد.

الأمر بمجانبة أهل الأهواء والفساد، لقد سبق القول إن الشرع حث المسلم على عدم مخالطة المشركين، لأن ذلك ذريعة لمحبتهم أو محبة دينهم، وكذلك فإن مخالطة أهل الأهواء ذريعة إلى التأثر بهم، أو دخول بعض شبههم إلى قلبه، وأقل ذلك الخوض معهم في باطلهم، ومثل مخالطتهم، قراءة كتبهم والنظر فيها، لذلك فقد جاءت نصوص كثيرة عن الصحابة والتابعين وأئمة السلف في التحذير من ذلك، وأقوالهم في ذلك كثيرة

حتى كانت مجالاً رحبًا للتصنيف، وما ذلك إلا عملاً بسد الذرائع، من أشهر ذلك قصة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مع صبيغ بن عسل، حينما كان يسأل عن متشابه القرآن في أجناد المسلمين، فأمر الناس باعتزاله، حتى رجع عن ماهو فيه، ثم أذن عمر للناس بمخالطته.

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: (لا تجالس صاحب هوى فيقذف في قلبك، ماتتبعه عليه فتهلك، أو تخالفه فيمرض قلبك).

وعن أبي قلابة رحمه الله تعالى (لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالاتهم، أويلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون) قال أيوب: وكان والله من الفقهاء ذوي الألباب.(٢١)

حدثوا الناس بما يعرفون كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال ابن حجر معلقًا: "وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة..." ثم قال: "وعن الحسن أنه أنكر تحديث أنس للحجاج قصة العرنيين لأنه اتخذها ذريعة إلى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي، وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة ،وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب والله أعلم". (٢٢)

ليس كل ما يعلم يقال وإن كان حقًا، كما قال كثير بن مرة الحضرمي: (إن عليك في علمك حقًا كما أن في مالك حقًا، لا تحدث بالعلم غير أهله فتجهل ،ولا تمنع العلم أهله فتأثم، ولا تحدث بالباطل عند الحكماء فيقتلوك)(٢٣). وهذا واضح في حديث معاذ. "أفلا أبشر الناس؟ قال: "لا فيتكلوا". وعن عبد الرحمن بن عوف أنه قال محدثًا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (لو شهدت أمير المؤمنين أتاه رجل فقال: إن فلانًا يقول لو مات أمير المؤمنين لبايعنا فلانًا، فقال عمر : لأقومن العشية، فأحذر هؤلاء الرهط، الذين يريدون يغضبوني، قلت: لا تفعل، فإن الموسم، يجمع رعاع الناس، ويغلبون على مجلسك، فأخاف أن لا ينزلوها على وجهها فيطيروا بها كل مطير،

وأمهل حتى تقـدم المدينة، دار الهجرة، ودار السنة، فتخلص بأصـحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار، ويحفظوا مـقالتك وينزلوها على وجهها، فقال: والله لأقومن في أول مقام أقومه بالمدينة).

وتطبيـقات سد الذرائع أكثـر من أن تحصى، ولهذا قـال ابن القيم رحمـه الله تعالى (وباب سد الذرائع أحد أرباع التكليف، فإنه أمر ونهي والأمر نـوعان، أحدهما مقصود لنفسه، والثاني وسيلة إلى المقصود، والنهي نوعان أحدهما ما يكون المنهي عنه مفسدة في نفسه والثاني ما يكون وسيلة إلى المفسدة ، فصار سد الذرائع أحد أرباع الدين).

هذا ما تيسر والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

(١) انظر:- الفتاوى الكبـرى (المصرية) لابن تيمية: وأعلام الموقـعين لابن القيم ٣/١٠٣، وسد الذرائع للبرهاني ٣٢٩.

(٢) البقرة: آية ١٦٨

(٣) آل عمران: آية ٢٨

(٤) الممتحنة: آية ١

(٥) النساء: آية ٨٩

(٦) رواه أبوداوود ، كتاب الجـهاد ٣/١٠٥ رقم ٢٦٤٥ ، والترمذي في الـسير ٥/٣٢٩ رقم ١٦٠٤ ، وحسنه الألباني كما في صحيح الجامع رقم ١٤٧٤.

(٧) رواه أبوداوود ، كتـاب الجهاد ٣/ ٢٢٤ رقم ٢٧٨٧ ، وحسنه الألبـاني كما في صحـيح الجامع رقم ٦٠٦٢ .

(٨)رواه أبوداوود ، كتاب اللباس ٤/ ٣١٤ برقم ٤٠٣١ ، والإمام أحمد في المسند ٧/ ١٤٢ رقم ٥١١٤ (تحقيق أحمـد شاكر) وقال الشيخ أحمـد شاكر : إسناده صحيح ، وقال شـيخ الإسلام : إسناده جيّد كما في اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٣٦ .

(٩) الأنعام: آية ١٠٨

(١٠) الفتاوى الكبرى ٦/ ١٧٤

(١١) المائدة: آية ١٠١

(١٢) انظر: تفسير القرطبي ٦/ ٣٣٠ وما بعدها

(١٣) انظر مناسبة الحديث في الاستيعاب لابن عبدالبر ٣/ ٩٤١

(١٤) رواه مسلم وغيره

(١٥) رواه مسلم

(١٦) رواه أحمد والنسائي والطبراني في المعجم الكبير

(١٧) أعلام الموقعين ٣/١٤٧ .

(١٨) انظر : مجموع الفتاوى ٢٢/٤٠٥- ٤٠٧

(١٩) الاعتصام ١٣٠ ، وانظر اللالكائي في السنة رقم ٢٤٤ ، وعبدالله بن أحمد في شرح السنة ١٨ .

(٢٠) فتح الباري ١/٢٧٢

(٢١) الاعتصام ٢/١٤

(٢٢) الموافقات ٤/ ١٩٠

(٢٣) أعلام الموقعين ٣/١٧١

فن معالجة الأخطاء

عبدالله آل سيف

ترصد الشركات الغربية الكبرى أموالاً ضخمة لدراسة علم العلاقات الإنسانية، الذي يشمل: فن معالجة الأخطاء، وفن التعامل مع الآخرين، وفن كسب القلوب ،وفن الإقناع، وفن قيادة الآخرين، وتنشئ لهذا الغرض معاهد مستقلة، وتدعم البحوث والدراسات المتعلقة به؛ لأنه يخدم مصالحها وأهدافها في الاتصال بالجماهير، ولا تكاد تخلو شركة من الشركات من قسم العلاقات العامة الذي يوظف فيه أناس متخصصون في هذه العلوم، أو ما يحلو [لديل كارينجي] أن يسميهم: "كاسحي الألغام"، الذين يتولون أمور زبائن الشركة المشاغبين والمتعبين، ويحلون مشاكلهم، ويكسبونهم إلى صفهم، ولا شك أن الدعاة أولى الناس بدراسة هذه العلوم، لأن طبيعة عملهم هي الاتصال بالآخرين، ومعالجة أخطائهم. وسوف أحاول هنا طرق أبواب ذلك العلم لإبراز بعض القواعد المهمة في ذلك، ومحاولة شرحها، وتأصيلها بالدليل الشرعي ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

القاعدة الأولى:

اللوم للمخطئ لا يأتي بخير غالباً:

تذكَّرْ أن اللوم لا يأتي بنتائج إيجابية في الغالب، فحاول أن تتجنبه، وكما يقول أنس بن مالك رضي الله: إنه خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنوات ما لامه

على شيء قط، وإذا حدثه في ذلك بعض أهله قال: "دعوه فلو كان شيء مضى لكان"، وفي رواية للطبراني قال أنس بن مالك: "خدمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم عشرسنين فما وُريت شيئًا قط وافقه، ولا شيئًا خالفه" [1].

واللوم مثل الطيور مهيضة الجناح، التي ما إن تطير حتى تعوْد إلى أوكارها سريعًا، أو مثل السهم القاتل الذي ما إن ينطلق حتى ترده الريح على صاحبه فيؤذيه، ذلك أن اللوم يحطم كبرياء النفس البشرية ويكفيك أنه ليس أحد في الدنيا يعشق اللوم ويهواه.

وكم خسر العالم كثيرًا من العباقرة وتحطمت نفسياتهم؛ بسبب اللوم المباشر الموجه إليهم من المربين [2] قال معاذ بن جبل: "إذا كان لك أخ في الله فلا تماره" [3]

القاعدة الثانية:

أبعد الحاجز الضبابي عن عين المخطئ:

المخطئ أحيانًا لا يشعر أنه مخطيء، وإذا كان بهذه الحالة وتلك الصفة فمن الصعب أن توجه له لومًا مباشرًا وعتابًا قاسيًا، وهو يرى أنه مصيب. إذن لابد أن يشعر أنه مخطيء أولاً حتى يبحث هو عن الصواب؛ لذا لابد أن نزيل الغشاوة عن عينه ليبصر الخطأ.

جاء شاب يستأذن النبي - صلى الله عليه وسلم - في الزنا بكل جرأة وصراحة فهمَّ الصحابة أن يوقعوا به؛ فنهاهم وأدناه وقال له: "أترضاه لأمك؟! قال: لا، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "فإن الناس لا يرضونه لأمهاتهم "قال: "أترضاه لأختك؟!" قال: لا قال: "فإن الناس لا يرضونه لأخواتهم" (٤). فكان الزنى أبغض شيء إلى ذلك الشاب فيما بعد.

وكذلك في قصة معاوية بن الحكم حيث قال: بينما أنا أصلي مع رسول الله صلى الله

عليه وسلم - إذ عطس رجل من القوم فقلت: "يرحمك الله"، فرماني القوم بأبصارهم فقلت:

-"ما شأنكم تنظرون إلي" فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني سكت، فلما صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبأبي هو وأمي- ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه - فو الله ما نهرني ولا ضربني ولا شتمني قال: "إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شئ من كلام الناس، إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن. (٥)

القاعدة الثالثة:

استخدم العبارات اللطيفة في إصلاح الخطأ:

إذا كنا ندرك أن من البيان سحرًا فلماذا لا نستخدم هذا السحر الحلال في معالجة الأخطاء !فمثلاً حينما نقول للمخطئ لو فعلت كذا "ما رأيك لو نفعل كذا " أنا اقترح أن تفعل كذا "عندي وجهة نظر أخرى ما رأيك لو تفعلها؟" وغيرها . . .فلا شك أنها أفضل مما لو قلت له: " يا قليل التهذيب والأدب، وعديم المروءة والرجولة" . . "ألا تفقه" . . "ألا تسمع" . . "ألا تعقل" . . "أمجنون أنت" . "كم مرة قلت لك" . . فلا شك أن الفرق شاسع بين الأسلوبين، وعندما نسأل أنفسنا أي الأسلوبين نحب أن يقال لنا، فلا شك أننا نختار الأول فلماذا لا نستخدمه نحن أيضًا مع الآخرين؟! ولهذا كان النبي الكريم صلى الله عليه وسلم يستخدم مثل هذا ،ففي حديث عائشة مرفوعًا "لو أنكم تطهرتم ليومكم (٦) . وروى مسلم أيضًا مرفوعًا: "لوأعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك" (٧). والسر في تأثير هذه العبارات الجميلة، أنها تشعر بتقدير واحترام وجهة نظر الآخرين، ومن ثم يشعرون بإنصافك فيعترفون بالخطأ ويصلحونه (٨).

القاعدة الرابعة :

ترك الجدال أكثر إقناعًا من الجدال:

تجنب الجدال في معالجة الأخطاء، فهو أكثر وأعمق أثرًا من الجدال نفسه وتذكر أنك عندما تنتصر في الجدال مع خصمك المخطئ فإنك تجبره في الغالب أو على الأقل يحز ذلك في نفسه، ويجد عليك ويحسدك، أو يحقد عليك فحاول أن تتجنب الجدال، ولذلك فإن النصوص الشرعية لم تذكر الجدال إلا في موضع النفي غالبًا، والمحمود منه ما كان محاورة هادئة مع طالب للحق بالتي هي أحسن.

ذُكر عن مالك بن أنس أنه قيل له: "يا أبا عبدالله الرجل يكون عالمًا بالسنة أيجادل عنها ؟" قال : لا ولكن يخبر بالسنة فإن قبلت وإلا سكت(٩). وفعلاً فإن طالب الحق إذا سمع السنة قبلها، وإن كان صاحب عناد لم يقنعه أقدر الناس على الجدل، لكن إن سلم بها وذكرت له السنة بلا جدال فقد يتأملها ويرجع.

وبالجدال قد تخسر المجال، والداعية ليس في حاجة إلى أن يخسر الناس ولذا يقول عبدالله بن حسن رحمه الله: "المراء يفسد الصداقة القديمة، ويحل العقدة الوثيقة، وأقل ما فيه أن تكون المغالبة والمغالبة ،أمتن أسباب القطيعة (١٠). حتى ولو كان المجادل محقًا، فينبغي له ترك الجدال، وفي الحديث الذي رواه أبو داود مرفوعًا "أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا"(١١)

وتذكَّر أن المخطئ قد يربط الخطأ بكرامته، فيدافع عنه كمن يدافع عن كرامته، وإذا تركنا للمخطئ مخرجًا سَهُلَ عليه الرجوع وجعلنا له خيارات للعودة فلا نغلق عليه الأبواب (١٢).

القاعدة الخامسة:

ضع نفسك موضع المخطئ ثم ابحث عن الحل:

عندما نعرف كيف يفكر الآخرون، ومن أي قاعدة ينطلقون، فنحن بذلك قد عثرنا على نصف الحل.

حاول أن تضع نفسك موضع المخطئ، وفكر من وجهة نظره هو، وفكر في الخيارات الممكنة التي يمكن أن يتقبلها، فاختر له ما يناسبه (١٣).

القاعدة السادسة:

ما كان الرفق في شيء إلا زانه:

عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا: "إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه" (١٤). وفي رواية أخرى له: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا نُزِعَ من شيء إلا شانه".

وتذكَّر قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، وكيف عالجها النبي صلى الله عليه وسلم بالرفق كما في الحديث المتفق عليه عن أنس (١٥).

القاعدة السابعة:

دع الآخرين يتوصلون لفكرتك:

عندما يخطئ إنسان، فقد يكون من المناسب في تصحيح الخطأ أن تجعله يكتشف الخطأ بنفسه، ثم تجعله يكتشف الحل بنفسه فإن هذا أدعى للقبول.

ومن الشواهد على هذا ما ذكره الشيخ محمد بن إبراهيم من قصة الشيخ عبدالرحمن البكري، حينما ذهب إلى الهند، وسمع أحد العلماء الهنود يلعن الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نهاية كل درس، فقام الشيخ البكري ونزع غلاف كتاب التوحيد، ودعا الشيخ لمنزله ثم استأذنه ليأتي بالطعام، وكان الكتاب قريبًا من الشيخ الهندي

فأخذ يتصفحه وأعجبه قال: فلما رجعت وجدته يهز رأسه عجبًا فقال: لمن هذا الكتاب؟ هذه التراجم عناوين الفصول شبه تراجم البخاري، هذا والله نفس البخاري، فقلت: ألا نذهب للشيخ الغزوي لنسأله- وكان صاحب مكتبة- فأخبرهم أنه للشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ فصاح العالم الهندي بصوت عال: الكافر!! فسكتنا وسكت قليلاً ثم هدأ غضبه، واسترجع ثم قال: إن كان هذا الكتاب له فقد ظلمناه ثم صار كل يوم يدعو له ويدعو معه تلاميذه، وتفرق تلاميذه في البلاد وهم على عادة شيخهم يدعون له في دروسهم(١٦).

والإنسان عندما يكتشف الخطأ ثم يكتشف الحل والصواب فلا شك أنه يكون أكثر حماسًا؛ لأنه يحس أن الفكرة فكرته (١٧).

القاعدة الثامنة:

عندما تنتقد اذكر جوانب الصواب:

حتى يتقبل الآخرون نقدك المهذب، وتصحيحك الخطأ، أشعرهم بالإنصاف بأن تذكر خلال نقدك جوانب الصواب عندهم، ففي البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل"، قالت: حفصة فكان بعدُ لا ينام إلا قليلاً (١٨)

وقال صلى الله عليه وسلم: "ثكلتك أمك يا زياد إن كنت لأعدك من فقهاء المدينة"(١٩).

فعندما يعمل إنسان عملاً فيحقق نسبة نجاح ٣٠٪ فإنني أثني عليه بهذا الصواب، ثم أطلب منه تصحيح الخطأ، ومجاوزة هذه النسبة (٢٠).

القاعدة التاسعة:

لا تفتش عن الأخطاء الخفية:

حاول أن تصحح الأخطاء الظاهرة ولا تفتش عن الأخطاء الخفية لتصلحها لأنك بذلك تفسد القلوب، وقد نهى الشارع الحكيم عن تتبع العورات فقد روى الإمام أحمد عن ثوبان مرفوعًا "لا تؤذوا عباد الله، ولا تعيروهم، ولا تطلبوا عوراتهم، فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته"(٢١)

وعن معاوية مرفوعا "إنك إنْ تتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم (٢٢).

القاعدة العاشرة:

استفسر عن الخطأ مع إحسان الظن والتثبت:

عندما يبلغك خطأ عن إنسان فتثبت منه، واستفسر عنه مع إحسان الظن به، فأنت بهذا تشعره بالاحترام والتقدير، كما يشعر في الوقت نفسه بالخجل وأن هذا الخطأ لا يليق بمثله ويمكن- مثلاً- أن تقول له: زعموا أنك فعلت كذا، ولا أظنه يصدر من مثلك، كما قال عمر رضي الله عنه: "يا أبا إسحاق زعموا أنك لا تمشي تصلي".

القاعدة الحادية عشرة:

امدح على قليل الصواب يكثر من الممدوح الصواب:

وقد أخذ بهذه النظرية محترفو السيرك، فنجحوا في ترويض بعض الحيوانات الضخمة أو الشرسة ودربوها على القيام بأعمال تدعو للدهشة والاستغراب وطريقتهم في ذلك أنهم يطلبون من هذا الحيوان عملاً معينًا، فإذا حقق منه نسبة نجاح ٥٪ أعطوه قطعة لحم، وربتوا على جسمه دلالة على رضاهم عنه، ثم يكررون العملية عدة مرات

مع قطع لحم أخرى أيضًا، وتزداد نسبة النجاح شيئًا فشيئًا حتى يتوصلوا للمقصود فإذا نجحت هذه النظرية مع الحيوانات ؛أفلا تنجح مع الإنسان وهو من أكثر المخلوقات ذكاء واستجابة وقدرة على تفادي الأخطاء؟!.

مثلاً: عندما تربي ابنك ليكون كاتبًا مجيدًا، فدربه على الكتابة، وأثن على مقاله الأول، واذكر جوانب الصواب فيه، ودعمها بالثناء فإن قليل الصواب إذا أثني عليه يكثر ويستمر(٢٣).

القاعدة الثانية عشرة:

تذكر أن الكلمة القاسية في العتاب لها كلمة طيبة مرادفة تؤدي المعنى نفسه:

عند الصينيين مثل يقول: "نقطة من العسل تصيد من الذباب ما لا يصيد برميل من العلقم"، وهذا واقع والكلمة الطيبة تفعل وتؤثر ما لا تفعله أو تؤثر به الكلمة القاسية التي هي في حقيقتها برميل أو براميل من العلقم المر القاسي الذي لا يطيقه أكثر الناس.

القاعدة الثالثة عشرة:

اجعل الخطأ هينًا ويسيرًا وابن الثقة في النفس لإصلاحه (٢٤).

القاعدة الرابعة عشرة:

تذكر أن الناس يتعاملون بعواطفهم أكثر من عقولهم:

وهذه غريزة بشرية فـالإنسان عبارة عن جسد، وروح وهوملئ بالعـواطف الجياشة، وله كرامة وكبـرياء، فالإنسان لا يحب أن تهان كرامته، أو يجرح شـعوره، حتى ولو كان أثقل الناس، ولذلك لما بلغ أبا أسيـد الساعدي فتوى ابن عـباس في الصرف أغلظ له أبو أسيد فـقال ابن عباس: مـا كنت أظن أن أحدًا يعرف قـرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لي مثل هذا يا أبا أسيد(٢٥).

هوامش

(١) الشمائل المحمدية للترمذي [٢٧٣]

(٢) ديل كارينجي [٢١]

(٣) بهجة المجالس لابن عبدالبر [٢/ ٤٣٢]

(٤) رواه أحمد بإسناد جيد، المسند [٥/ ٢٥٦]

(٥) رواه مسلم [١/ ٣٨١]

(٦) رواه مسلم [٢/ ٥٨١]

(٧) صحيح مسلم [٢/ ٦٩٤]

(٨) ديل كارينجي [٢٢٠]

(٩) جامع بيان العلم وفضله [٤١٢]

(١٠) جامع بيان العلم وفضله [٤٢١]

(١١) مسند أبي داود [٤/ ٢٥٣]

(١٢) كيف تكسب الأصدقاء. ديل كارينجي

(١٣) كيف تكسب الأصدقاء. ديل كارينجي

(١٤) رواه مسلم [٤/ ٢٠٠٤]

(١٥) بلوغ المرام، صحيح مسلم [١/ ٢٣٦]

(١٦) فتاوى ابن إبراهيم [١/ ٧٥]

(١٧) كيف تكسب الأصدقاء [١٧٣]

(١٨) رواه البخاري [٣/ ٦]

(١٩) رواه الدارمي [المقدمة ٢٩]

(٢٠) كيف تكسب الأصدقاء

(٢١) مسند أحمد [٥/ ٢٧٩]، الترمذي [البر/ ٨٣]

(٢٢) مسند أبي داود [٤/ ٢٧٢] رياض الصالحين (٤٤٢) قال النووي: إسناده صحيح

(٢٣) كيف تكسب الأصدقاء [٢٢٨]

(٢٤) كيف تكسب الأصدقاء [٢٣]

(٢٥) التمهيد لابن عبدالبر [٢/ ٢٤٥]

مَنْ .. للمشاريع العلمية والدعوية ؟

محمد العبده

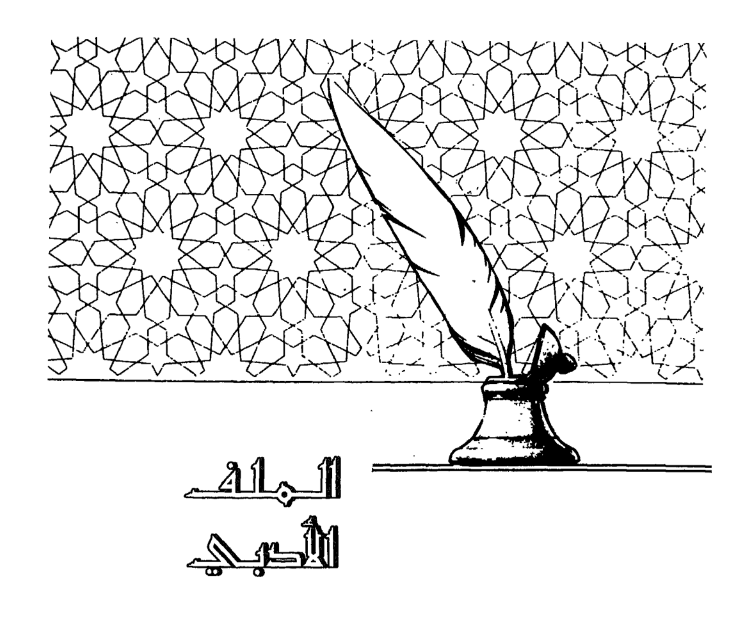
بعُد العهد بالمؤسسات، التي كانت من أقـوى الأسباب في استمرار التعليم الإسلامي والمدارس القائمة عليه ، والتي استطاعت أن تمد المجتمع الإسلامي بطلبـة العلم والعلمـاء، حتى فـي عهـود الانحدار السـيـاسي ، نسي الناس الأوقاف الإسلامية التي كـانت مؤسسة كبيرة ساعـدت في الحفاظ على البعد الحضـاري - الاجتمـاعي للإسلام ، وكان بإمكـانها أن تستـمر في أداء هذه المهمة لولا أن الدولة القُطْرية الحـديثة - وغالبا ما كـانت عسكرية - ساءها أن يكون للمسلـمين مثل هذا العمل الاجـتماعي فـراحت تعيث فسـادا بأوقاف المسلمين، ووجدتها فـرصة لنهب الأراضي والأموال وتلاشت الأوقاف شـيئا فشـيئا حـتى لم يبق لها أثر . كـانت المدارس والجامعـات العريقـة فى العالم الإسلامي تستفـيد من هذه الأوقاف فيتوافد الطلبة إليـها من جميع الأقطار ، وعندما دعم المسلمون هذه المؤسـسات الكبيرة ، إنما كانوا يعوِّضون بالتـقصير الواقع من جانب الدول التي كانت غارقة في المنازعات والتهارش على الدنيا، ومع ذلك فإن هذه الـدول لم تتجرأ على نهب الأوقـاف كمـا تجرأت الدول الحديثـة . وكانت هذه الأوقاف تمثل نوعا من الحـماية للمجتـمع الإسلامي،

ولذلك مرت على المسلمين قرون كان العالم فيها متقدماً ، وقابل ذلك تدهور سياسي عجيب ، واستمر تدريس العلوم الشرعية من غير أن يخضع للأهواء والأمزجة .

لم يقتصر نفع هذه الأوقاف على التعليم، بل تعداه إلى أمور كثيرة تتصل بحياة الناس ومعاشهم ، ومن يقرأ عن مصارف هذه المؤسسات سيأخذه العجب من المدى الذي وصل إليه المسلمون في تقديم الخدمات الإنسانية.

إننا اليوم أشد حاجة مما مضى إلى مثل هذه الأعمال ذات النفع الدائم بإذن الله وذلك حماية للدعوة وتشجيعًا للعلم والبحث العلمي، ويجب أن نتذكر أن دعم التبشير النصراني والمؤسسات العلمية في أوربا إنما كان وراءه جمعيات كثيرة جدًا، وكان من أثر هذه الجمعيات ظهور جامعاتهم المشهورة.

إن هذا الحديث عن وقف المال لمشاريع دعوية وعلمية، وإن كان موجهًا إلى كل المسلمين الغيورين إلا أنه موجه بشكل أخص إلى الدعاة الذين يتحملون عبء إيجاد مثل هذه الأعمال، وحتى لا تبقى الدعوة أسيرة لأشخاص يجودون أو يبخلون.


الملف
الأدبي

نجمة الاعتصام

تركي المالكي

(١)

رقصَ الحبلُ بالراقصينْ . .

بعد (دبكتهم) نصف قرنٍ عليهْ

فانهمرْ ، يا سلامْ !

« عارض ممطرٌ ! »

وانتشرْ يا شررْ

يا سعادتهم بالمطرْ !

(٢)

أصبح (البحرُ) كالخمرِ ! عذبْ

بينمـا (الغيـثُ) ســـامٌ !

« دعْ (سفينةَ نوحٍ) وكـــنْ

(واقعيًا) تُجيـــدُ الكـلامْ !

وادَّرِعْ معنا نجمةً لا تُضامْ . . !

نجمةً ودَهَاليزُها ستةٌ . .

نجمةً لاعتصامٍ ! فموجُ التطرفِ هبْ ! »

(٣)

نصفَ قرنٍ ! وهم ينهشونْ

مضغوك وكنت تِجارتَهمْ . .

ثم ها هم يبيعون حتى العظامْ !

(٤)

« مرحبًا يا ابن جَدّيَ (سامْ) !

خذ فديتُكَ لاحجب القدسُ عني رضاكْ

أنا أنت ولكنني (الغمدُ) أنتَ الحُسام !

أنا أنــت ولكننـي (الذّيلُ) . .

فاحقــنْ سمـومَــك فــيّ . .

سوف أدفعُ عنك (لحى) الانتقامْ !

أنا أنت فصُغْ نزفَ قوميَ حبرًا ، وخُطَّ بهِ . . .

هـيـكــــلاً للســــــــلامْ !

ثم خذ من يدي بصمةً في الخِتَامْ

إنني (واقعيٌّ !) وداعًا زمان القتال / الكلامْ !

ها أنا أتذوقُ صقع النعالْ !

من يديك (المعمَّدتين !) حلالْ !

وحلالٌ حلالٌ حلالْ . .

فأنـا عـاقـــلٌ وذكـــيٌّ . .

وأفهـمُ فـي (الاعتـــدالْ) !

وأنـا أنـــت يـا أســـدي . .

مُرْ فبين يديـك الغـــزالْ ! »

وانغمدْ يا حسام !

(٥)

جبلٌ من غبارْ ! . .

مسجدٌ للضرارْ ! .

مِزَقٌ من فمي ونُثارْ !

عطشٌ يملأ الأرض ملحًا وطينْ . .

وعواصفِ رملٍ و (ريحَ) سلامْ !

يا (رياحُ) فهزّي جذوع غيوثِ اليقينْ

في دمائيَ رعدٌ وبرقٌ وتوقْ !

فاسقهـا أيهـا المُـزنُ غيثًا ..

ترى دربها بين هـذا الحُطـامْ !

اسقها (قبسًا) فرعُهُ صاعدٌ ..

والجذورُ توهَّجُ في العمقِ ثابتةً لا تُرامْ !

(٦)

« ها تضلَّعْتُ إني أرى ــ رغم هذا الظلامْ ! ــ

في عروقي دمَ الفاتحين ..

يتَدَفَّقُ بالطهرِ ، كالورد ، كالجمرِ ..

يسقي جذوعَ الكلمْ !

هو ما بينها يضطرمْ !

وهْـي تمنحـهُ نبضـهُ ..

وتُهمِّـش فـيه العـدمْ !

ثم تزرعُ من لونه الأرجوانيِّ شمسَ النهارِ

وأفْقَ الحياةِ وشوقَ القممْ !

كلُّ قَطرة دَمْ . .

نقَشتْ تَوقَها فوقَها :

(فيارب لا تجعلْ حيـــاتي مهينةً

ولا ميتتي بين النســـاء النـــوائح

ولكن شهيدًا تدرجُ الطيرُ حــولهُ

وتأكل غربانِ الفلا من جوانحي)

ويارب لا تجعل من القيد معصـــمًا

أجرُّ به خزيي ! وتُطـوى مطامـحي

ولكن لظىً يغلـــي ليدفـــنَ تحتـه

تواريخ من مدُّوا يدًا نحو ذابحي ! »

للموت مليون طريقة

عبير عبدالله الطنطاوي

البيت مليء بالصراخ والنحيب.. الكلمات اليائسة هي الحوار الرئيس بين الجارات في الداخل، ورائحة الموت التي تناقلتها النسوة في الحي إنها تدور حول ابن عم أو خال أو صديق أو قريب مات تحت القصف المعادي، أو من الخوف. أو.. أو.. وأنا مللت هذه الأحاديث، إنها تعاد مختلطة بتنهدات حارة، منتهية بنحيب مقيت، وعبارات مذعورة خائفة من الموت غداً، إن للموت مليون طريقة في هذا الجو البائس، المشحون بالقتل والتدمير.

بلدي يا زهرة في القلب عبيرها، ويا بسمة على الشفاه مرسمها، ويا أملاً في الأحلام مرآته، ويا قُبلة على الوجنة نطبعها. لم أكن أعرف أني أحبك .. نعم أحبك. وفي الأزمات نعرف معنى الحنين إلى الأحباب، ونكتشف مدى تعلقنا بهم.. نعم ففي الأزمات تتكشف للإنسان مشاعر خفية وغامضة، وفيها يعرف ما استتر، أو ما حاول ستره. إنني غريبة في وطني قَدِمْتُ إلى ترابه وأنا طفلة، ووجدت في أحضانه أحلى وأرقّ الأيام والذكريات.

- شجون، أنت هنا !

انتبهت على هذا الصوت الرخيم، التفت إلى الخلف راسمة ابتسامة انتزعتُها

انتزاعًا، وقلت:

- منتهى.. أهلاً.. هل كنت تبحثين عني؟

- بالطبع وهل لي صدر حنون كصدرك؟

ضممتها إلى صدري الحنون- كما قالت- ضـمة أحسست فيها بحرارة صادقة ومودة قديمة. قالت بعد أن أفلتت من بين ذراعي:

- فارس يا شجون فارس..

- فارس حبيبي الصغير.. ماذا به؟

-الحليب..!!

-الحليب؟!

قلت مستغربة، .وأنا أنظر إلى صدرها الذي كان يعلو ويهبط، ثم أردفت:

- وحليب الأم اين هو؟!

-ذهب منذ خبز استشهاد (وليد) ابن خالتي.

- والأسواق ألا يوجد فيها حليب؟

- الأسواق لا يوجد فيها طعام! فكيف سيكون فيها حليب لابن عشرين يومًا؟ !

- والعمل؟

- "دبريني" يا شجون..!!!

وبدأت الدموع تتساقط من مقلتيها كأنها لآلئ تنحدر من صدفتين سوداوين.. ربّتُّ على كتفها وقلت:

- الله معنا، ولن يخذلنا إن شاء الله.

قبلتني ودعت لي بالنجاح والستر، وأثنت عليّ، ثم غـادرت المكان إلى بيتها وطفلها، وجلست أنا.. "تعتمد عليّ!! من أين سأحصل على الحليب"؟

نظرت إلى معصمي، وجدت فيه أساور ذهبية رفيعة، لازمت يدي منذ صغري، كنت أكبر ويكبّرها لي أهلي، حتى لا تصير كالقيد يحز معصمي. أنا أحب هذه القطعة الذهبية، لكنني أحب منتهى وفارس أكثر من الأساور.

دخلت إلى البيت، أخذت أسأل الموجودات عن حليب لصغير لم يتجاوز العشرين يومًا.. جميعهُنّ أجبْن بالنفي، متأسفاتٍ لعدم وجوده. لبسْت ملابس الخروج الشتوية، وقاومت عصف الرياح المختلط بهدير الطائرات وقصفها.. خرجت إلى جارنا البقال، سألته عيوني قبل لساني، ولكنه أبدى أسفه وهوَحزين. خرجت إلى الشوارع حزينة مرتعشة ألتمس طعامًا لذلك الثغر البسام الصغير والجميع يتأسفون!. عدت إلى البيت أخيرًا متجهمة الوجه، قابلتني أمي باللوم. كيف أخرج في هذا الجو والطائرات تحوم حولنا و.. وا!! وما كادت تكمل تأنيبها حتى أسكتت صوتها غارة جديدة. إن تشبثنا بالحياة يولد كلما شنّتْ غارة جديدة!.

وتكرر خروجي للبحث عن الحليب لفارس يومًا بعد يوم، وفي اليوم السابع أخبرني جارنا البقال أنه يستطيع تأمين بعض الحليب بعد يومين.. أشرق الأمل من جديد بعد أن كادت شمسه تذهب وتغيب، وولدت البسمة على شفتي بعد أن قتلها اليأس.. عدت إلى البيت، وسألت عن منتهى وابنها، فأخبرتني أمي -كالعادة- بما لا يسر: الطفل جائع، والعائلة فقيرة ولا تعرف من أين تؤمّن معيشة الصغير.. منتهى تبكي..

يا إلهي اللآلئ تساقط.. وزوج منتهى لم يعد من الجبهة. وهي تسأل عني باستمرار.. بأي وجه أقابلها وهي التي اعتمدت بعد الله عليّ!!

بعد يومين عدت إلى البقال، فوجدت دكانه مغلقًا، نظرت إلى الساعة في معصمي إنها لا تزال السابعة صباحًا وهو بالتأكيد لم يعد بعدما ذهب لجلب الحليب.. بقيت في مكاني قرب الحانوت لا أتحرك رغم البرد الشديد الذي كان يحثني على الحركة لأمنع

دمي من التجمد، لكني كنت أغذيَ دمي بحرارة الأحلام ،حيث أتصور لألئ منتهى قد جفت، والبسمة تعلو وجهها الشاحب، وطفلها يرضع الحليب الذي لم آل جهدًا في إحضاره !.

في الساعة الواحدة ظهراً عاد البقال، وعلى وجهه ابتسامة الأمل والفرح لأني -كما قال - كنت حقًا أمًا لمنتهى رغم إنني أصغر منها ببضعة أشهر.. وقدم لي الحليب، وطلب مني ثمنًا لم أكن أتوقعه، وحين استفسرت أخذ يشرح ويعيد ويزيد، فلم أجد بُدًا من إسكاته، وجدت النقود ضئيلة جدًا أمام المبلغ الذي طلبه، فقد جلب لي حليبًا دسمًا، وبكميات كبيرة. فلم أتردد ساعتها في نزع الأساور، وتقديمها لبائع الحليب قائلة:

- هذه تنفع؟

ضحك قليلاً ضحكة هزت جسمه، ثم قال:

- تنفع يا بنتي.. "زين".. لكن هذه تساوي الآن ضعف المبلغ.

- وماذا نفعل؟. قل بسرعة.

- سأعطيك الباقي .

- أعطاني النقود حتى يخلص ضميره - كما قال-.. لم ألتفت إليه، المهم أني حصلت على بغيتي.. عدت إلى البيت، ثم ذهبت إلى بيت منتهى، فلم أجد فيه أحدًا، فاتجهت نحو بيتنا.

الفرح يصنع لي أجنحة بيضًا تحملني إلى الأرض التي فيها فارس ومنتهى صديقتي ورفيقة دربي. دخلت حديقة المنزل وإذا بي أفاجأ بعينين كصدفتين ودموع كأنها لألئ، تنحدر على خدين أسيلين.

- منتهى!!

صرخت بصوت عال، والفرح باد على كل بقعة من جسدي.

- منتهى خذي، هذا حليب لفارس..

نظرتُ إليها.. ما هذا؟ حزن صامت وعينان فقدتا لمعانهما، وصارتا باردتين كأنهما زجاج.

- منتهى.. الحليب!.

-قالت بكبرياء: لمن؟!

كاد قلبي يقف، فقد توجست أمرًا، غير أني تمالكت نفسي وقلت متعجبة:

- لمن؟!طبعًا لـ..

فَصَرَخَتْ: اسكتي ياشجون، اسكتي أرجوك..

صحت: ويلك أين فارس؟

وكان الجواب بكاءً يقطع نياط القلوب.. ندّت من قلبي صرخة موجعة باكية:

- لا.. الأطفال لا يمكن أن يموتوا بهذه السرعة من الجوع.. الجوع.. كم أكرهها هذه الكلمة.. الجوع..

غرقت لحظة في بحار الحزن والألم، وسادت لحظات صمت، قطعتها أصوات القنابل والصواريخ وصفارات الإنذار وصراخ الانفجارات.. نظرت إلى منتهى وجدتها تدخل البيت.. تركتني وحيدة كما تركها فارس وحيدة.. نظرت إلى أعلى.. إلى السماء وهتفت:

- يارب... يا أمان الخائفين!

المتجدة

علي بن موسى

هذي سراييفو تموتُ ولا نصيرْ.
الطلُّ غادر صبحهُ
وانحاز للبارود
وانكفأ الشروقْ.

قلبي الطريدةُ
والجموع تُتابع الصيادَ
والصيادُ يقتنصُ الجموعْ !.

ها أنت يا "عثمانُ"..
تُلقى في الطريقِ..
مقطعَ الجسد الصغيرْ
ونحن نغطُّ في لغط القشورْ !
وأنت تسبحُ في بحار الدمْ
أنت المستجيرُ ولا نصيرْ !

ها أنت يا ليلى
فريسةُ ألفِ وحشٍ
ألفِ خنزيرٍ
ولا من يستجيبُ . .
وكلُّنا غرقى ومركبنا هناكَ
لدى التتار! .

هذي سرايفو
نواح لا يكفُّ !
والفُ ألفِ قذيفةٍ زُرعتْ هنا ولا مغيثَ
سوى مزاعمهم عن الطير "النعامةْ"! .

النارُ تأتي تحتوينا
ونظنها في البعد نائيةً
لكنها في القلب تحرقُنا !
تُحاصِرُ أمننا . . تقتات أحلامَ الطفولةْ . .
وتغلُّ أشجارَ الإيابْ ! .

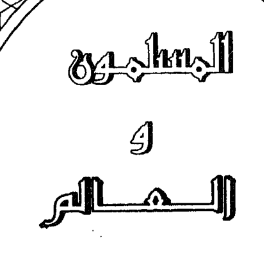
يا مجلس الأمن المصّمم بالصليب وللصليب
يامجلس الشيطانِ تقتلُنا وتمنعنا الرصاصة ؟!
وتُقضُّ مضجعَنا بأوهام الوكالات التي عبرتْ جسورَ عقولِنا . .
وتربعّت في سوحنا
يامجلس الأعداء
تقتلنا وتقتلنا، وتَمنحُ خصمنا ليلاً من البارود يحرقُنا وقوفا ! .

هذي سَرايِيفو تدُكُّ سلامَها نار الصليب
ونحن نمضغ عجزنا !
عذرًا.. فإنك ما انتفعتِ بأن أبوحْ
وما انتفعتِ بأن أُطيِّر نحو وجهك..
ألف قافية تنوحْ !

عذرا سرايِيفو وباقي السربِ
إنك منذ جاؤوا صامدةْ
ونحن هناك نأكل خبزنا المعجونَ باللذات !
ونقول: ما فوق التراب ترابْ.

يا أمة الإسلامِ
هل مازال حاوي القومِ يُذهِلُنا..
فيُخرِجُ من جرابِ الوهم آلافَ الطيورْ !
ونحن نعجب: "كيف يأتي بالطيور ولا طيورْ ؟!
وكيف يزرعُ فوق أعيننا التلذذَ والحبورْ ؟!
ونحنُ نضحكُ مثلما الأطفالُ
والدنيا تدورْ!

عذرًا سرايِيفو
سئمنا ليلَنا
لكننا – عذرًا– سئمْنا أن نملَّ من السأمْ !.



شؤون العالم الإسلامي.

ملف السلام العربي/الإسرائيلي.

طاجكستان تدخل النفق الأفغاني.

حواشي
على متن الاستسلام

د/ خالد الجابر

ويسأل السائل، ويلح في السؤال عن الموقف الصحيح الذي يجب أن يتخذه المسلمون قاطبة، حول ما يُسمى بمباحثات السلام مع العدو اليهودي. وخاصة حول الاتفاقية الأخيرة " غزة وأريحا أولاً".

والجواب واضح بيّن - بحمد الله تعالى- لمن آتاه الله العلم، والبصيرة، وستراه هنا في جملة من المسلَّمات والحقائق التالية.

المسلَّمة الأولى: إن من لوازم التوحيد، ومقتضيات الشهادتين: الانقياد المطلق والاستسلام التام لله رب العالمين، والشريعة التي أنزلها على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة، إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** ﴾ (الأحزاب / ٣٦) فلا يعارض أمر الله وأمر رسوله بعقل، أو قياس، أو هوى، أو عواطف، أو غير ذلك، بل يُحذر كل الحذر من مخالفة أمره ﴿ **فليحذر الذين يخالفون**

عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾.

ألا وإن من مستلزمات هذا الكلام أنه إذا عرضت للمسلم حادثة، أو مسألة، أو نازلة، فإنه قبل أن يصدر حكمه فيها، لا بد أن يعرضها على كتاب الله وسنة رسوله كما فهمهما علماء الأمة، وأئمة الدين، فإذا عرف حكم الله في المسألة سار بموجبه.

ومن هنا تعلم ضعف الحال الذي آلت إليه الأمة لما أعرضت عن علمائها وفقهائها في كثير من البلدان، فصاروا لا يُستفتون في الأمور العظيمة الجليلة، بل لعلهم آخر من يعلم! فإذا تم الأمر طُلب منهم أن يصدروا ما يثبت صحة ذلك القرار!!، فإن أبوا وأفتوا بخلاف ذلك، أهملت فتواهم وبُحث عن غيرهم!.

ومن هنا تعلم أيضًا ضعف كلام من يبيح ما حرم الله بسبب العنت والمشقة والآلام، ويذكرك ببكاء الصبية وترمل النساء، وتشرد الناس، وهدم بيوتهم ونحو ذلك مما تحركه العاطفة، وتبعثه المعاناة. وهذه الأمور كلها إن كان لها اعتبار عند الله، فإن المفتي لن يلغي قيمتها، بل ستكون من معالم الفتوى، وإن لم يجعل الشارع لها اعتبارًا فلا وزن لما أهمله الشارع وألغاه.

وخلاصة هذه المسلَّمة أنه لابد من عرض أي حادثة وأي مسألة على الشرع قبل البت فيها، فإذا تبين حكم الله وحكم رسوله وجب الانقياد والاتباع.

المسلمة الثانية: لا اعتبار شرعي ولا قيمة ولا وزن لما يعقد وعقد وسيعقد من عهود واتفاقيات مع اليهود لأمر ظاهر بيّن، روضت الأمة على نسيانه والغفلة عنه، بل واستغشاء الثياب، وصم الآذان عن سماعه ألا وهو أن

هؤلاء المتنفذين على مصالح الأمة، والمبرمين لمثل هذه الاتفاقيات لا يمثلونها ولا يعبرون بلسانها، ولا يصدرون عن رأيها، [بل إنا نذهب إلى ما هو أشق قبولاً عند الظباء المروضة- وقد قاله بعض العلماء- من أنه لا كبير فرق بين أن يسوس المسلمين مرتد علماني مفسد، أو كافر أصلي، والواقع يشهد بذلك].

فلا داعي إذن للاكتراث بما يفعلونه ويقررونه، فالأمة إذا استفاقت واستعصت على المروّضين، وتمنعت على التنويم المغناطيسي، فإنها لن تعدو أن تحرق هذه الأوراق !.

ثم إن ثوابت الملة، ومقررات الشريعة لا يستطيع أن يسقطها أو يعدّل فيها العلماء والفقهاء، فضلاً عن الجهلة بأساسيات الدين وقواعده، أو المعرضين عنها بالكلية، الجاعلين إياها خلف ظهورهم ، ومن هذا أنه لا يحق لهم أن يحددوا معالم علاقة الأمة المسلمة بغيرها من الأمم، وقد بين الله ورسوله حدودها ومعالمها، واكتملت أركانها بتطبيق رسول الله صلى الله عليه وسلم لها، هذا هو الأصل، فإن ضعف المسلمون عن حماية بيضة دينهم أن تكسر، وحوزة مملكتهم أن تقتحم وكانوا أذل من ذلك، واستباحهم الكفار " فلأهل الحل والعقد " فيهم أن يمنعوا هذا بما تبيحه الشريعة من صلح أو عقد، على أن يكون مضروبًا إلى أجل. أما أن تباع أرض المسلمين فلا!، إذ الأرض لله، ولا يجوز بيع ما لا تملك!

[وخلاصة المسلمة الثانية أن مايبرم الآن من عهود باطل شرعًا ؛ لأن من أبرمه فاقد الأهلية، فلا يقبل منه ذلك، كما أنه لايقبل منه أن يحدد العلاقات مع الآخرين، فقد بينها الله ورسوله].

المسلَّمة الثـالثة: إن مصيبتنا في فلسطين، على فداحـتها وعظمها، وشدة هولها، ليست إلا عرضًا واحدًا من الأعراض الـكثيرة لمرض الأمة الكبير، وليست هي المرض ذاته!.

فكما أن مصـيبتنا في فلسطين عرض، فـمصائبنا في أفغانسـتان، والبوسنة وكشـمير ،والحبـشة، والفلبين، والهند، وطاجكستـان، والأندلس، كلها من أعراض مرض الأمة الكبير.

وإن كانت هذه أعـراضًا ظاهرة، يراها كل أحد، فلمرض الأمـة أعراض أخرى لا يراها إلا طبيب. وهذه الأمـة أمامك: قد كثر فيـها الخبث الدائر بين الكفر والشرك والكبائر وعطلت الشريعة وارتفعت رايات العلمنة، وهبت رياح التغريـب، وعم الفساد حتى صار المـوحِّد سابحًا ضد التيار، ومـع هذا فقد ضعف التـقي وتخاذل المؤمن، وتفرق الأخـيار، وهذه الأمة أمـامك: حمى مستباح وباب مخلوع، وسور قصيـر مهدَّم. قد بث العيون على أطرافها، لا ليحـذروها لكن لينبئوها بمقـدم الأوامر العليا، من طرف الأرض الآخـر! قد تعلمت فنَّ الترجمة، واستدانت لذلك قلمًا.

فآلت الأمة إلى نبوءة الصـادق المصدوق: غثاء كغثاء السيل، وصـدق فيها وصف عدوها لها أنها الرجل المريض. فمن ثمَّ، فالأمة من ضعفها في ذهول ومن ذلتها وهوانهـا في شرود، ومن الضغوط التي عليها، والبـلايا التي فيها، في حالة من اللاوعي. فـما تصدره من قرار، أو ترسـمه من خطة، إنما هي حـيلة العاجـز ووسيلة الغـريب المضطر. وحين تعـود لوعيـها، ويزول عنهـا ذهولها، ستزمُّ الشفتين عجبًا، مما فعلته في «زمن التيه».

[وخلاصـة هذه المسلمـة: أنه لا يصح أن تصرفنا الآلام والأعـراض إلى

تسكينها وتهدئتها، ونهمل المرض الأصل، ومهما سكّنا الآلام، والمرض لم يعالج فلن ننتفع بشئ].

المسلَّمة الرابعة: أما وقد استبان لك ما مضى، إن شاء الله، فلك أن تسأل الآن وتلح في السؤال، لا عن الاتفاقية، وتفاصيلها السياسية، فهذا آخر ما ينبغي أن تفكر فيه. نعم إننا نحتاج ولا شك لمعرفة التفاصيل والخفايا، لكنها تكون كحجج أهل المنطق، لا لنثبت بها الدين، إنما لنرد بها على أهل الباطل. ولك أن تسأل الآن، وتلح في السؤال عن علاج مرض الأمة الكبير، وكيف يكون؟ فإنك إن سألت هذا السؤال تكون قد خطوت خطوتك الأولى في الطريق الصحيح، الطريق إلى الأقصى. ألا فاعلم أيها المبارك غير مجهَّل : أن داء أمتنا منها ، وأنها مصابة بداء نقص المناعة الذاتي، فصارت تتلف نفسها، وتتأبى على أطبائها ، والله قد أنبأنا عن الداء، فقال تعالى﴿ **وما أصابك من سيئة فمن نفسك**﴾ النساء (٧٩)وقال عز وجل ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ الرعد (١١) ثم وصف لنا الدواء ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم** ﴾ محمد (٧) ،وقال ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات: ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون. وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون**﴾.

النور (٥٤، ٥٥) .

إنه الطريق الذي سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم، الطريق الذي لا يُلقاه إلا الذين صبروا، ولا يلقاه إلا ذو حظ عظيم.

ومن معالم هذا الطريق:

- صرف الجـهود في تربـية الجيـل، وتزكيتـه، والسعـي لرفع مسـتواه، بالدعوة الدؤوبة، والمتابعة الدقيقة.
- ومنها نشـر العلم الشرعي، المبني على الكتاب والسنة، وتعليـمه الناس وتقريبـه لهم. ومنها الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكـر، والأخذ على أيدي المفسدين، ومقارعة الظالمين، وفضح كيد الخائنين.
- ومنها الاسـتفـادة من كل الخبـرات، والعلوم العصريـة، والحرص على تعلمها واتقانها والتفوق فيها.
- ومنها التعاون بين فئات الدعـاة إلى الله تعالى وتنسيق الجهود، وترتيب القدرات، والاجتماع والتآلف.
- ومع هذا كله فلا بد من الصـبر، فالصبر ثم الصـبر وهذا هو الطريق الذي لا يمر عبـر البيت الأبيض ولا غـيره فضـلاً عن أن يبدأ منه، إنما قبلته البيت العتيق.

هذا هو الطريق . . إنه الطريق إلى الأقصى.

من نبأ «السلام» في الصحافة العربية

– التحرير –

لا يبالغ أولئك الذين يؤكدون أن انكساراً حاداً في التاريخ السياسي العربي المعاصر بدأ يُحدث فعله، من خلال ما يجري هذه الأيام. إننا أمام رحلة تيه أخرى، تُكرس فصولها، وتُرسم باسم واقعية مزعومة، تجعل من الاسترخاء فوق فراش الهزيمة شجاعة لا تُدانيها شجاعات الزمن (الثوري) السابق!، وتدفع بمن يبيعون كل شيء – حتى آخر القطرات من ماء وجوههم- رموزاً للتعقل والاعتدال، تعرف – وحدها- من أين تؤكل الكتف.

إننا نرى فصول الهزيمة الجديدة بكل حدتها، غير أننا ندرك مع ذلك أن إفرازاتها القادمة ربما تجاوزت ظلام الهزائم العربية السابقة، وكانت أشد قتامة من كل ما مضى في زمن المد الثوري البائد. وما اتفاق "غزة وأريحا أولاً" إلا الحجر الذي كسر الباب، لتدخل من بعده عواصف الهيمنة الإسرائيلية فيتبع بعضها بعضاً. وقد حرصنا هنا أن ننقل للقارئ بعضاً مما كتب عن هذا الاتفاق في الصحافة العربية، بعد أن قدمنا موقفنا منه – إجمالاً-، ورؤيتنا تجاهه في موضع آخر، وسنكتفي هنا بذكر النص المنقول كما هو دون تعليق وفي الإشارة مايغنى عن العبارة.

– البيان-

❑ بين قيادتين : في الحالة الفلسطينية القيادات المعنية، تعيش حالة تتجاوز ظاهرة اليأس. إنها تفتقد الرؤية التاريخية وتستسهل التعامل مع القضايا المصيرية، وتعتبر الدور (دورها)، أهم من الحفاظ على القضية والهدف. إنها تقبل التوقيع على صيغة غامضة مجحفة، وتترك كل ما يتعلق بالمستقبل غامضاً عائماً،معلقاً برقبة جملة مُطلقة، لا معنى لها، يسمونها "الحل النهائي". إنهم لا يريدون منا التوقيع على تسوية سياسية فقط؛ بل يريدون أن نغير عقلنا وفكرنا وتراثنا الثقافي وسيحصل. لماذا لا نسمع لحظة لصوت الخصم وهو يشرح الاتفاق في الكنيست؟ أليس هو شريكنا في الاتفاق؟ أليس هو شريكنا في المصالحة التاريخية، كما تقول

مقدمـة الاتفاق؟. استـمعوا إليه جـيداً : "ما هو الشيء الذي أصررنا عليـه؟" يسأل رابين ويجيب قائلاً: "أولاً: هذا اتـفاق ثنائي بيننا وبين الفلسطينيين، وليس مشـروطاً بما قد ننجزه مع لبنان أو سورية أو الأردن.

ثانياً: أصررنا على أن الاتفـاق لا يشمل القدس، لا في إطار التسويـة الجزئية، ولا في إطار التسوية الشاملة. القـدس لن تكون مشمولة في أي مجال من صلاحيـات المجلس أو الهيئة التي ستـدير شؤون الفلسطينيين في المناطق المحـتلة. القدس باقيـة تحت السيادة الإسـرائيلية وكعاصمـة لإسرائيل". وقال إسحق رابين- خصمنا وشريكـنا في الاتفاق-: "لهذا الاتفاق تقسيم: الجزء الأول للتنفـيذ هو قطاع غزة، حيث المستوطنات ستـبقى، والجيش الإسرائيلي سيبقى للدفاع عن المستوطنات. أما أريحا فبشرط أن تكون المقر للهيئة التي ستدير بدايةالحكم الذاتي. هذا هو الشـرط لأريحا، الأفـضل أن يكون المقر هناك في أريحـا من أن يكون في مكان قريب من القـدس. يجب إبعاد المقر عن الـقدس. لقد وعدنا بأنـنا نذهب إلى تسوية جزئيـة مع الفلسطينيين: دون المسـاس بالاستـيطان اليهودي ، دون المـساس بالأمن ، دون الالتزام بصورة أو بشكل الاتفاق النهائي".

من مقال لبلال حسن - الشرق الأوسط ١٣/ ٩/ ٩٣

□ **إسرائيل الكبرى باتساع النفوذ** : "تعالوا نراجع كل التصريحات لرابين وبيريز، وكل من يتحدث في إسرائيل عن السلام، ليتضح التمسك بأن السلام معناه: إقامة كل العلاقات بين الدول العربيـة وإسرائيل. هذا الإصرار الذي يضـغط في كل تصريح إسرائيلي على إقـامة علاقات كاملة هو الـدافع الحقيقي، الذي دفع رابين وحكومته وحـزبه إلى عرض اتفاق غزة وأريحا. حلم رابين هو أن تستـغل إسرائيل كل مجالات الخبرة والتفـوق في تسريب نفوذها تحت ستار "تقديم المساعدات للدول العربية، وتقديم الخبرة" بحيث تصل في يوم من الأيام إلى السيطرة الفنية والتـجارية والزراعية والصناعية في الدول العربـية، وهكذا تقوم" إسرائيل الكبرى" لا باتساع الأرض، بل باتساع النفوذ، والسيطرة على الاقتصاد والثقافة، وعلى كل حال فـإن حلم إسرائيـل الكبرى من النيل إلى الفـرات عن طريق ضم كل هذه المسـاحات الشاسعة من الأرض، يقتضي توفر أعداد ضخمة جداً من اليهود ليقيموا في هذه الأرض، أما السـيطرة الاقتـصادية فلا تحـتاج لهـذا العدد، بالإضافـة إلى أن ضم كل هذه الأرض

يقتضي خوض إسرائيل حروبًا بالغة الخطورة في زمن يكره العالم فيه قيام الحروب، بينما السيطرة الاقتصادية تتم بنعومة ولا تستثير النفوس كالحروب، فهي تسرب تحت ستار فضفاض كادعاء تبادل الخبرات، والتعاون من أجل الشعوب".

أحمد أبوالفتح: الشرق الأوسط ٣/ ٤/ ١٤١٤ هـ

□محور إسرائيلي / فلسطيني: "مرحلة جديدة فعلاً في تاريخ الشرق الأوسط تبدأ مع توقيع الاتفاق الإسرائيلي الفلسطيني في واشنطن ماهو الجديد فيها؟ قيام محور (فلسطيني/ إسرائيلي) مدعو إلى صياغة تعايش (عربي/ إسرائيلي) أولي يشمل مختلف شؤون الحياة اليومية والاقتصادية العامة والسياسية، وعبارة "محور" في هذا المجال غير دقيقة لأن قوة أحد القطبين- أي القطب الإسرائيلي- تتجاوز وزن القطب الآخر، وهي في أقصى الضعف. إن الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات اختار لفلسطينيي الأرض المحتلة ارتباطًا استراتيجيًا نهائيًا بإسرائيل والعالم الغربي. وهذا الواقع لن يتبدل في جوهره، مهما كانت صورة النظام الجديد، الذي قد ترسو عليه التوازنات المقبلة في المنطقة، مهما حصل وانطلاقًا من أرض الواقع ذاته ومن نصوص هذا الاتفاق - وهي استراتيجية مع أن الاتفاق مؤقت (وهذه إحدى المفارقات) - سيظل المحور الإسرائيلي/ الفلسطيني جسمًا مرتبطًا بما يدعى الشمال، ومنفصلاً استراتيجيًا عن المنطقة الجنوبية. الخلاصة: أن الصراع العربي/ الإسرائيلي مسألة انتهت وفق منطق هذا الاتفاق الإسرائيلي/ الفلسطيني ، وهذا ما يؤكده محمود عباس (أبو مازن) أحد مهندسي هذا الاتفاق ، وليس الأمر بحاجة إلى تأكيد، في أي حال. وبديل الصراع العربي/الاسرائيلي مرحلة تعامل جديد - على ما يبدو بين المحور الإسرائيلي/ الفلسطيني الجديد ،والأطراف العربية الأخرى. وهنا اختلال آخر. المحور الجديد موحد ومدعوم من القوى العظمى في حين أن الأطراف العربية الأخرى، هي أطراف لا تنسيق جديًا بينها، مع العلم أن بعض هذه الأطراف - أي مصر- اختار الارتباط مبكرًا بما يدعى الشمال وهذا هو بالفعل المعنى الاستراتيجي الأساسي لاتفاق "كامب ديفيد" ، كما أراده السادات.

ليس هناك أحد يدافع عن نص هذا الاتفاق بجرأة وصراحة، حتى أبرز مهندسيه وعبارة "أولاً "في تعبير "غزة- أريحا أولاً" تتضمن اعترافًا بأن قيمة هذا الاتفاق الأول المفترضة

ليست فيه، بـل بما قد يعقبه. هل تكون هذه الـ "أولاً" نواة كيـان فلسطيني؟ أم أنها مرحلة أولى من حكم ذاتي فصل وفق الرغبات الإسرائيليـة وقد لا يتحقق حتى على بعض أجزاء من الضفة الغـربية؟. الوقائع المادية المختلفة- بما فـيها السياسيـة- تُرجح أن ما يعقب "أولاً" سيكون أيضًا وفق الـرغبات الإسـرائيلية. فليس لإسرائيل مـا تخشـاه حاليًا إذا لم تقم وزنًا لرغبات الجانـب العربي، أي لرغبات العرب عمـومًا، بمن فيهم أولئك الذين باتوا وفق نص الاتفاق الأخير في العالم الأستراتيجي الثقافي الشمالي عبر القطب الآخر الذي هو إسرائيل. أما إذا كـان ما يدعى "التـحول الاسـرائيلي" الذي يتحـدثون عنه قائمًا فإن مـرحلة هدوء وسلام قد تبدأ. وإذا حصل المرجح- وفق المعـادلة الراهنة وأبرز عناصرها نصوص الاتفاق ذاته- فإن الفوضى هي ما ينتظرنا جميعـاً في المنطقة، لا السلام الذي يتحدث عنه أبو مازن بابتهاج تام في القاهرة. بعض هذه الفوضى ينجـم حكمًا عن مصير ثلاثة ملايين فلسطيني، لن يفسح لهم المحور الإسرائيلي/ الفلسطيني الجديد مكانًا، وبعضها الآخر سينجم عن سؤال قد يطرح ولو تجـاوزًا: إذا تبين أن السلام المقبل إسـرائيلي وحسب ، على حساب حـقوق العرب ولو بحدها الأدنى، فـما الذي يحول دون توليده لحروب عديدة بين القـوى الرافضة حاليًا ومعظمـها إسلامي وأكثر من حكومـة في المنطقة؟! وفي أي حال لن يكون مسـتغربًا طرح بعض الإسلاميين سـؤالاً على بعض الحكومات وهو "لماذا تتقـبلون إسرائيل وتـضيق صدركم بنا؟" خصوصًا إذا كان هؤلاء الإسلاميون من غير دعاة العنف وممارسيه".

الأسبوع العربي ١٣/ ٩/ ٩٣

❑**سياسة الإخفاء:** "لاتوجد صفقة سرية بين شريك قوي للغاية، وآخر ضعيف للغاية، إلا وتنطوي بالضرورة على تنازلات، يحـرص الأخير - من فرط الارتباك - على إخـفائها. إذ أنه لا تزال هناك تفاصيل كثيرة، مما يتعين التفـاوض بشأنه، وهناك بالمثل أشياء عدة غير قابلة للوزن بدقة، يتعين إيضاحـها، بل ثمة آمال إما أن تتحقق أو يتم القـضاء عليها. وعلى رغم كل شيء فإن الصفقة التي بين يدينا تنبئ عن تعب قيادة منظمـة التحرير الفلسطينية وعزلتها، وعن دهاء إسرائيل، فكثير من الفلسطينيين يسألون أنفسهم: لماذا يتعين علينا بعد سنوات من التنازلات أن نتنازل مـرة أخـرى لصالـح إسرائيل والولايات المتحـدة، في مـقابل وعـود وتحسينات غامضة في ظروف الاحتلال، لن تحدث حتى إجراء محادثات الوضع النهائي بعد

فترة تراوح بين ثلاث وخمس سنوات، بل ربما لا تحدث حتى ذلك الوقت؟!. ولم نر حتى إقراراً واضحاً من جانب إسرائيل (التي لم تعترف بعد بأنها سلطة احتلال) بإنهاء الاحتلال، الذي تواكبه سلسلة من القوانين والأنظمة الجزائية المعقدة، ولم يرد شيء عن الـ ١٣ ألف معتقل سياسي فلسطيني، الباقين في السجون الإسرائيلية".

إدوارد سعيد: الحياة ١/ ٩/ ٩٣

❑ رحلة في المجهول: "لا يريد أحد أن يطرح السؤال الصعب: ماهي آثار الاتفاق على الشرق الأوسط؟؛ لأن سؤالاً كهذا يوقظ الجميع من سطوة الحلم، أو يفضح تفاهة الغنيمة. أخطر ما في الاتفاق الفلسطيني/ الإسرائيلي أنه يرهن مستقبل المنطقة بأكملها بمستقبل كانتون صغير اسمه "أريحا- غزة" ويعطيه وظيفة الكلية الاصطناعية، التي يعاد فيها غسل كل مدخلات المنطقة ومخرجاتها. إن الاتفاق الفلسطيني/ الإسرائيلي مبني على أساس إنجاح جزء مرحلي، هو في حد ذاته جزء من مرحلة انتقالية، هي في حد ذاتها تفتقد الوضوح في النهايات والأهداف! بمعنى أنها "رحلة في المجهول"؛ المهم أن ليس هناك ضمانات أبداً للانتقال من الحل الجزئي إلى الحل الانتقالي الشامل، أي من كانتون أريحا- غزة إلى كانتون الضفة الغربية، وبعد ذلك الدولة المستقلة كما يطمح الفلسطينيون. ثم كيف سيكون رد فعل الفلسطيني على "قمع" السلطة الفلسطينية له علماً بأن الوظيفة الموضوعية الوحيدة المرشحة لها سلطة الكانتون هي القمع (؟!) بمعنى: حماية إسرائيل من إمكانية الاعتداء الفلسطيني عليها، وعلى مستوطنيها، وإذا فشل رجال الشرطة الفلسطينية في الأمر، فسيعود الاحتلال، الذي انسحبت قواته إلى مسافة كيلو متر (!) خارج أريحا أو خارج قطاع غزة. إن إسرائيل ومعها أمريكا ودول أوروبا تريد تسويق حل كانتون "غزة- أريحا" كحل يبرر الانفتاح الاقتصادي الشرق أوسطي وقبل ذلك يبرر البحث عن مصادر تمويل. وبالفعل بدأت عملية استحلاب المعونات من الدول الصناعية، ومن الدول العربية الغنية، وكأن حل كانتون غزة- أريحا هو الحل الشامل، وبذريعة إنجاح التجربة الفلسطينية دون وجود مخطط حقيقي وواضح لما يعنيه مشروع مارشال، سوى أنه فرصة أخرى لإيجاد مصادر تمويل، لبناء اقتصاد إسرائيل لمرحلة جديدة من وجودها في المنطقة، وبدور جديد.

ثانياً: اتجاه الإسراع في تطبيع العلاقات بين الدول العربية وإسرائيل، بلغ في بعض الأحيان

درجة الدعوة إلى إلغاء الجامعة العربية، وليس فقط رفع المقاطعة العربية عن إسرائيل لقد فتحت اتفاقية كامب ديفيد المنطقة على بحر العواصف، لكنها لم تكن كافية للعصف بالمنطقة، فهل يكون كامب أريحا مركز العاصفة الثانية؟. حقائق الاقتصاد السياسي للحل المطروح لا تتجاوز إعادة ترتيب ديمغرافية تخدم أهداف التنمية الاقتصادية الإسرائيلية في مرحلة انقلابها لعصر جديد، عصر قيادة النظام الشرق أوسطي. إن ما يفسر هذا هو طبيعة الحل المرحلي المقترح والمطروح في غزة وأريحا أولاً. وليس صدفة أن يتم اختيار المنطقتين حين تتم دراسة التوزيع الجغرافي للمناطق الصناعية في إسرائيل. بالنسبة لمنطقة غزة وما تشكله من مخزون عمالي كثيف، وبمستوى معيشي متدن أنشأت إسرائيل في العامين الماضيين أكبر منطقة صناعية تقع على الشرق من قطاع غزة وتتصل بالمعابر الثلاثة، التي تصل القطاع بإسرائيل. سيكون هم المشروع المعروف بمشروع مارشال في ما يخص الجانب الفلسطيني هو إعطاء قطاع غزة كل الاحتياجات التي يتطلبها الحفاظ على هذا القطاع، كممول للأيدي العاملة الرخيصة، وداخل نظام أمني يضبطه الفلسطيني قبل الإسرائيلي. وحين يطالب شمعون بيريز بتمويل لمشروع الحكم الذاتي، لاينسى أن للمشروع وجهًا إسرائيليًا، هو إيجاد عمالة للعمل الفلسطيني، حيث أن قطاع غزة لا يكفي سكانه، وهنا يتلخص المشروع بتحسين شروط الإسكان والمجاري في غزة، وتعمير بنايات عالية في مخيمات اللاجئين، بدل غرف الصفيح بأرضيتها الرملية، وتغطية قنوات الإسالة، وتجفيف المستنقعات. لقد جربت إسرائيل ذلك خلال ماسمي بفترة الحصار، وقبلها جربت استعمال البطاقات الممغنطة لضبط دخول عمال غزة إلى إسرائيل، وخرجت بنتائج مشجعة. فهل يمنع ذلك من تطوير معاهد تعليمية لتطوير مهارات الأيدي العاملة الفلسطينية، بما يتناسب وحاجة المصانع الإسرائيلية في المنطقة الصناعية؟. على الطريق من أريحا، وإلى القدس أقامت إسرائيل منطقة صناعية جديدة في المكان الذي يعرف باسم "الخان الأحمر"، أو بالعبرية الفصحى "معاليه أدوميم" وفي غربه أقيمت مدينة استيطانية كبيرة تحمل الاسم نفسه، وتشكل الحد الشرقي للقدس الكبرى. هذه المنطقة الصناعية بحاجة إلى تمويل من مشروع مارشال، الذي يرعاه شمعون بيريز باتجاهين: تمويل المنطقة الصناعية وحاجاتها، وتمويل إسكان الأيدي العاملة الفلسطينية في أريحا. وهنا تصبح عودة اللاجئين ضرورية، بل وتلبي حاجة سياسية، وليس إلى مخيمات هذه المرة بل إلى مساكن عصرية. الأمن مضمون، منطقة مغلقة في الأغوار اسمها "أريحا" يحتشد فيها

بفضل السلام، وبفضل اتفاق أريحا وغزة أولاً أكثر من ١٠٠ ألف لاجيء "عائد" ينطلقون صباحاً إلى الغرب لمسافة ١٠ كيلو مترات حيث "معاليه ادوميم" الصناعية، ويعودون في المساء إلى بيوتهم، أما إلى الغرب من ذلك- القدس- فممنوع".

الحوادث ١٧/٩/٩٣

❑ هزيمة ثالثة للعرب : "إن الاتفاق الإسرائيلي الأخير مع منظمة التحرير الفلسطينية بشأن الاعتراف المتبادل، وإعطاء المنظمة قريتين فلسطينيتين يعتبر في المقاييس السياسية والاستراتيجية هزيمة ثالثة للعرب في تاريخهم المعاصر. لم يقتصر الأمر على قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، وإنما هذا الاندفاع نحو مباركة الأنظمة العربية للاتفاق، وتسابق بعضها للسير على غرار اتفاق الهزيمة. وفيما يلي سنحاول رسم صورة انعكاسات ذلك الاتفاق / الهزيمة على الواقع العربي في المرحلة القادمة:

أولاً: إن هذا الاتفاق سينتج صراعًا فلسطينيًا / فلسطينيًا بسبب الاختلافات السياسية والأيديولوجية للقوى الفلسطينية، كما أن ذلك الاتفاق سيفرض على قيادة منظمة التحرير الفلسطينية قمع الانتفاضة الفلسطينية في الأراضي التي منحت لها، وفي الأراضي المحتلة الأخرى، يضاف إلى ذلك ستكون مهمتها ضبط المناوئين والمعارضين للاتفاق.

ثانيًا: إن غزة تقع على الحدود المصرية- الإسرائيلية وإن أريحا تقع على الحدود الاسرائيلية الأردنية، وإن طبيعة المناطق الحدودية هي مجال صراع حدودي دائم، ذلك يعني انتقال الصراع من حدود إسرائيل وداخلها وتحوله إلى صراع حدود مصري/ فلسطيني من جهة، وأردني / فلسطيني من جهة أخرى.

ثالثًا: انتهاء المطالبة بتحرير فلسطين للأبد، وأن المسألة لا تعدو كونها مسألة أراض عربية محتلة عام ١٩٦٧.

رابعًا: تطبيع العلاقات العربية - الإسرائيلية ويترتب على ذلك رفع المقاطعة لإسرائيل، وعلاقات اقتصادية ودبلوماسية مع الدول العربية، تكون السيطرة فيها للطرف القوي والمدعوم من قبل الغرب، وهو الطرف الإسرائيلي بدون أدنى شك.

خامسًا: إن مثل هذه الحالة بين العرب وإسرائيل تخدم المصالح الغربية في المنطقة، وتستطيع إسرائيل في المستقبل الاستغناء عن المساعدات الأمريكية وغيرها باعتمادها على نفسها وعلى جيرانها العرب.

سادسًا: أحد عناصر سيناريو الاتفاق وانعكاساته المستقبلية هو المتغير التاريخي الذي قد يقلب كل الموازين ويغير الأحوال، ويصعب على أحد أن يتنبأ به، فما يجري اليوم ليس نهاية القضية، وما يسمى بالسلام على حساب العرب ليس أمرًا حتميًا، فقد علمنا التاريخ بمتغيرات تحول مجرى الأحداث التاريخية سلبًا أو إيجابًا". القبس ٢٣/٩/٩٣

❑ **الاتفاق معلوم إسرائيليًا مجهول فلسطينيًا :** "المستوطنات موجودة والجيش سيبقى موجودًا على مشارف المدن، وكذلك مرجعية الأمن بما في ذلك مرجعية الأمن الفلسطيني، هذه نصوص موجودة في الاتفاق أما حل الإدارة المدنية، فهذا لايعني شيئًا لان هذه الإدارة أوجدها الليكود عام ١٩٨٢ ليحسن من صورة الاحتلال وفشله. نحن لا نعتبر أن الاحتلال في ضوء بنود الاتفاق قد رحل، لكننا نعتبر أن الاحتلال قد تكرس ولكن بصور أخرى وبأشكال أخرى". "هذا الاتفاق، من الناحية السياسية دفع بالقضية الفلسطينية إلى المجهول، وهو في اعتقادي مجهول فلسطينيًا، ومعلوم إسرائيليًا، ذلك لأنه أبقى السيادة على الأرض بيد إسرائيل، وكذلك مرجعية الأمن الداخلي والخارجي أيضًا، وعلق كل القضايا الخلافية إلى أمد غير معلوم، وبذلك يكون هذا الاتفاق قد أعطى الولاية الجغرافية لإسرائيل، ومنحها القدس ومستقبل الأرض. أما من الناحية الاقتصادية - وللأسف الشديد - يريد الاتفاق تحويل الفلسطيني إلى منصة انطلاق للاقتصاد الإسرائيلي للمنطقة العربية، عبر الفيدرالية الفلسطينية/ الإسرائيلية لمخاطبة الوضع العربي، علمًا بأن الفلسطينيين كانوا وما زالوا حريصين عبر نضالهم الطويل للاستقلال على محيطهم العربي، ولكن هذا الاتفاق حولهم إلى حربة موجهة إلى المحيط العربي.

باختصار جاء الاتفاق لاعادة تنظيم وترتيب الاحتلال، بشكل مريح للإسرائيليين، وكذلك توظيف السلطة الفلسطينية في المهمات التي تؤمن للاحتلال الاستقرار والأمن الاقتصادي".

عبدالرحيم ملوح (عضو الهيئة التنفيذية لمنظمة التحرير)

الوطن العربي ٢٤/٩/٩٣، الأسبوع العربي ٢٠/٩/٩٣

❑ المنظمة في الموقع الجديد: "اللعبة الحقيقية التي ستكون من نصيب منظمة التحرير هي اللعب على الصعيد المحلي المحدود مع سكان الضفة والقطاع فقط، وهو ما يتناسب مع حجم طموحات وأهداف ورغبات قيادة هذه المنظمة، وينسجم مع طموحات وأهداف ورغبات إسرائيل التي تلعب على نطاق حجم أكبر، هو نفسه حجم الوطن العربي. وتجد هذه اللعبة المحدودة أساسها الآن في الاهتمام بإقامة نقطة مراقبة عسكرية في أريحا وأخرى في غزة، تحتشد فيها شرطة منظمة التحرير للوفاء بتعهد السهر على راحة وأمن إسرائيل، وتجنيب الجندي والمستوطن الإسرائيلي آلام مواجهة الانتفاضة الفلسطينية، إذ سيكون قمع الانتفاضة الفصل الأول من هذه اللعبة المحدودة. الفصل الثاني: سيكون خوض صراعات السيطرة على مختارية هذه القرية أو تلك، وبلدية هذه المدينة أو تلك. وستكون خلفية المشهد هي الصراع على أموال المساعدات والمشاريع، التي سيقدمها المجتمع الدولي، والحصول على حصص فيها، تتحول إلى البنوك السويسرية فوراً. مثل هذه اللعبة المحدودة ستكون هي لعبة اللاعب الذي ألقى أوراقه كلها على طاولة الكيال، وانسحب ليقامر بالملاليم في أزمة القرى والمدن الفلسطينية. ولن ينسى في كل مناسبة أو شجار "طوشة" في قرية من هذه القرى أن يصرخ في وجوه المنافسين إنه "الممثل الشرعي الوحيد" للشعب الفلسطيني! وإذا لم يصدقوا، فسيفتش في جيوبه، ويخرج الشهادة الإسرائيلية، ويضعها أمام أعين المشككين (؟!) أما الفلسطينيون على الساحل "(٨٠٠) ألف سيحمدون الله ألف مرة أنهم بعيدون عن قبضة "الممثل الشرعي الوحيد" الذي ستكون متاعبه كثيرة: حماية المستعمرات الإسرائيلية وحماية نفسه وحماية نفسه من نفسه". الوطن ٩٣/٩/٢٢

❑ العدو المشترك: "من بين العوامل الرئيسية التي دفعت بكل من إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية للتوصل إلى معاهدة السلام بينهما، عامل مثير حقًا للدهشة الشديدة. فلم يكن بوسع الطرفين التوصل إلى مثل هذا الاتفاق أبدًا، لو لم يكونا مدفوعين له لمواجهة عدوهما المشترك، وهو "التطرف الإسلامي". ويقول المحللون من كلا الجانبين : إن اتفاق السلام الذي تم توقيعه مؤخراً بين إسرائيل والمنظمة – وهو الاتفاق الذي ربما يجعل من العدوين السابقين حليفين– هذا الاتفاق جاء لأن كلاً من إسحق رابين وياسر عرفات بدأ يستشعر الخطر الداهم هذه المرة من المسلمين الراديكاليين، الذين يرفضون أية مهادنة مع اليهود. ويقول "داني روبنشتاين" المعلق الإسرائيلي في "الديلي ستار" الإسرائيلية: "إن خوف

إسحق رابين من التطرف الإسلامي هو الذي دفعه لتغيير رأيه في منظمة التحرير، التي كان يصفها باستمرار بالإرهاب والرغبة في القضاء على إسرائيل". ويقول "زكريا القاق" المحلل السياسي الفلسطيني: هناك مصلحة مشتركة بين إسرائيل والمنظمة للوقوف في وجه التطرف الأصولي، الذي يرى عرفات وكل الزعماء العرب أنه يشكل تهديداً لهم".

(كريستيان ساينس مونيتور) نقلاً عن الوطن ٢٧/ ٩/ ٩٣

☐المصلحة أمريكية والتكاليف يدفعها العرب: "تحدث خالد الحسن (عضو لجنة فتح المركزية ورئيس لجنة العلاقات الخارجية في المجلس الوطني) في لقاء أجرته معه (الحوادث) عن الحياة الجديدة، التي تسعى السياسة الأمريكية إلى ضمانها لإسرائيل من خلال اتفاق السلام فقال: " السياسة الأمريكية الجديدة التي تحرك ما سماه بوش" النظام الدولي الجديد، في أداء شرطي العالم لا تستطيع الاستمرار في دعم الكيان الإسرائيلي بخسارة. فهذا - على مستوى المال - يكلف الخزينة الأمريكية نحو ١٥ مليار دولار. وأشار إلى تفاصيل هذه الفاتورة تقرير صادر عن أحد مراكز الأبحاث في واشنطن ونيويورك. ومن هنا كان ضرورياً إعطاء هدف جديد أو حياة جديدة لإسرائيل لتحقيق مصلحة أمريكية بمستوى التكاليف ووجدت واشنطن أن هذه المصلحة يمكن أن تتحقق بتكاليف يدفعها العرب، وهذا ظاهر في السعي إلى الإمساك بالمفاصل، وإدماج إسرائيل في الدورة الاقتصادية الإقليمية. وحين سألته الحوادث: "لماذا مقارعة المستحيل؟ الاتفاق قد يكون أفضل الممكن، ولعله خطوة تتبعها خطوات في مسار طويل وليس نهاية المطاف؟" أجاب قائلاً: "أتمنى أن يكون الاتفاق خطوة تتلوها خطوات، لكن الملاحق قيدت الفلسطينيين في شكل يوصد أمامهم أبواب إنهاء الاحتلال، وتبعًا لمواد هذه الملاحق، وخصوصًا ما يتعلق منها بالأمن، فالسيطرة في يد إسرائيل. إن الأمن الخارجي مثلاً في يدها. ما معنى ذلك؟ يقيني أن العرب لن يحاربوا إسرائيل، ولا أوروبا. الفدائي الفلسطيني هو الذي يحارب إسرائيل من الخارج، فضلاً عن الفدائي اللبناني. وهذا يعني أن لإسرائيل الحق في العودة بجيشها لحماية أمنها الخارجي ضد أي عمل وطني ونضالي، حتى ضمن غزة وأريحا. وهذا الحق تكرسه بنود في الملاحق، تقول: إن تل أبيب مسؤولة عن أمن المستوطنات والمستوطنين، ولها حرية استعمال الطرق في غزة وأريحا من أجل تحقيق أهدافها هذا لايمكن أن يسمى انسحابًا، حتى في القانون

الدولي، أو في المفهوم الأمريكي أو البريطاني، من حيث زوال الاحتلال. وهذا الاحتلال باقٍ حتى في حال شمول الحكم الذاتي كل الضفة الغربية وقطاع غزة".

الحوادث ٢٤/ ٩/ ٩٣

❑ **أريحا تصبح معتقلاً**: "مشروع (غزة وأريحا أولاً) أنهى هذه الانتفاضة، وأرى أن اختيار أريحا بالذات هو هدف إسرائيلي، لكي تتحول أريحا إلى معتقل واسع، لكل من يتحرك في الضفة الغربية مقاومًا الاحتلال، على الطريقة التي كانت متبعة قبل إقرار هذا المشروع. يعني: غدًا بدل أن تعتقل إسرائيل المناضلين من أبناء شعبنا، وتضعهم في سجونها، أو تطردهم إلى جنوب لبنان أو الأردن، الآن أصبح يوجد "شريط فلسطيني" سيتولى هو هذه المهمة باعتباره مرجعًا فلسطينيًا، حكومته -إن جاز التعبير- أو قيادته متفقة مع إسرائيل على خط سياسي معين، أحد أهم أبعاده إبقاء الأمن بيد إسرائيل. إن الفلسطينيين الذين يعيشون في الشتات باتوا يشعرون بأنهم غير عائدين إلى فلسطين، وأن الخيارات المتبقية لهم إما التوطين حيث هم، أو التهجير إلى ما هو أكثر بعدًا عن فلسطين، أي إلى استراليا وكندا وأمريكا، وغيرها من الدول، التي لاحظنا أنها بدأت تنتهج في المدة الأخيرة منهجًا جديدًا في تخفيف شروط القبول بالهجرة إليها.

الصراع تحول من صراع فلسطيني/ إسرائيلي إلى خلاف فلسطيني/ فلسطيني. فبدلاً - ويا للأسف - من إيجاد حل مشرف ومقبول لمشكلة شعبنا، نجد أنفسنا أننا أوجدنا الحل لمشكلة إسرائيل وقضية الاحتلال. اليوم إسرائيل هي أمام الرأي العالمي بلد متسامح أعطى وأعاد أرضًا وفرصة لحكم ذاتي، يفترض أن يتحول إلى دولة مستقلة مستقبلاً، بينما هي في الواقع أوجدت السكة أو الطريق الموصل إلى تفريغ الضفة الغربية، وإلى شطب قضية القدس، وإلى وأد الانتفاضة وإلى تحميل الفلسطيني نفسه مسؤولية ما قد يترتب عليه مثل هذا الحل. أعود مرة أخرى لأقول إننا كنا نبحث عن حل لمشكلة مستعصية، فإذا بنا نستخرج ونخترع مشاكل جديدة، قد لا تكون أقل صعوبة من المشكلة الأساسية وقد تفرز عنفًا وعدم استقرار أكثر مما شاهدناه في السنوات الأربعين الماضية. إن المنظمة لم تحقق سلامًا، بل استسلمت لحل مفروض بالضغط، والقوة والتآمر، وما جرى الآن قد يفرض استقراراً بمعنى قد يحول دون حروب جديدة في المنطقة. ولكن لنا في التاريخ عبراً كثيرة، هذا الوضع لا يمكن أن يستمر

إلا في ظل استمرار الهيمنة الأمريكية/ الإسرائيلية، وفي اللحظة التي تخف فيها هذه الهيمنة أو تضعف، فكل شيء في الشرق الأوسط سيكون مهيئًا للانفجار الكبير لإزالة آثار هذه النكبة الجديدة.

الآن نحن أمام مجهول جديد سيفرز حتمًا قوى جديدة مضادة لهذا المشروع التصفوي للقضية الفلسطينية ولقضية القدس ومصير شعب فلسطين. وبوادر هذا الأمر أن هناك تيارًا أصوليًا ينمو، وأعتقد أن الأجواء الجديدة ستفتح المجال أكثر وأكثر إلى نهوض مثل هذا التيار".

الدولية ١٥/ سبتمبر/ ٩٣

❑ **تحت راية إجهاض التطرف:** "ترفع الولايات المتحدة في سبيل إقناع الأطراف العربية بتقديم التنازل تلو الآخر راية التهديد بمن تسميهم المتطرفين والإرهابيين في البلدان العربية الذين يتربصون بالعملية السلمية الدوائر، ويخططون للانقضاض عليها إن فشلت، وتحت تلك الراية - راية إجهاض ما يسمى بالتطرف - تدفع الإدارة الأمريكية عجلة المسيرة السلمية وتزودها بالزخم اللازم. تتسع دوائر الاستفهام إزاء اللغز الأمريكي المتعلق بقضية الإرهاب وتعريفه، عندما تلاحق دوائر الأمن الأمريكية أي تصريح لشيخ هنا أو خطيب مسجد هناك لتصفه بالإرهاب وتتهمه بالتحريض عليه. وقد عجز القضاء الأمريكي إلى الآن على سبيل المثال عن إثبات أية تهمة حقيقية ضد الشيخ عمر عبدالرحمن - أيًا كان الموقف منه -، ولم تتعد الاتهامات الحقيقية إطار ملاحظة دعوات التحريض في خطبه وتصريحاته، وهي التي لا تقارن مع دعوات جيش "كاهانا حي" لإبادة العرب والمسلمين حيث كانوا، فضلاً عن مقارنتها بممارسات ذلك الجيش ومعسكرات تدريبه الفعلية. عمومًا، ليس من اليسير ولا من المتوقع فك سر هذا اللغز في تناقض الموقف والممارسة في هذه القضية إذا تمت المناقشة بشكل يفصلها عن مجمل السياسات الأمريكية العليا ازاء مختلف القضايا، بل يجب النظر إلى أن قضية (الإرهاب الدولي) والتصنيف بالإرهاب وغيره ليست سوى جزء مكمل من تلك السياسات، ولا علاقة له بموضوع الإرهاب كموضوع مجرد لا من قريب ولا من بعيد. والقرار بتصنيف هذا البلد أو ذاك أو تلك المنظمة أو غيرها هو قرار سياسي أولاً وآخرًا، له خلفيات ومعطيات ويرمي لتحقيق سياسات واضحة من خلال الضغط أو

التخويف أو الاحتواء أو التلويح بورقة التصنيف ضمن دول الإرهاب الدولي. وما البلاغة اللفظية الظاهرية في صلابة الموقف إزاء الإرهاب أو الحزم التمثيلي المرئي في توجيه الاتهام سوى نمط من أنماط أداء الكاوبوي المتغطرس الهادف لإخفاء حقيقة المرامي والغايات".

خالد الحروب، الحياة ٢٣/ أيلول/ ٩٣

❑ **التدخل المباشر تحت شعار حقن الدماء:** "لابد من العودة قليلاً إلى رد الفعل الأمريكي على هذا الاتفاق، وهو كما تؤكد جميع الدلائل، رد فعل مؤيد، ومرحب، ويتجاوز ذلك إلى الاعتقاد بأن اتفاق "غزة أريحا" هو بمثابة الجزء المهم من الترتيبات الأمنية الشرق أوسطية التي تدعو إليها وتعمل من أجلها الولايات المتحدة. هذا الاعتقاد الذي يجزم المراقبون الأردنيون بصحته، يدفع إلى الاعتقاد أيضًا بأن واشنطن ستعمل بكل قوتها على محاربة أي توجه يسعى لإفشال "اتفاق غزة أريحا" مثلما أنها ستسعى بكل قوتها إلى توفير الترتيبات العسكرية اللازمة لإنجاز هذا الاتفاق، ولو بالقوة، كما أنها ستسعى إلى توفير التمويل اللازم لمختلف المشروعات ،التي تشكل عناصر هذا الاتفاق ليصبح في يدها سلاحان اثنان: سلاح الترغيب الاقتصادي، والترهيب الأمني. كما ستسعى واشنطن للتدخل مباشرة إذا ما نشب أي نزاع بين الفلسطينيين أنفسهم، خاصة وأن التوقعات تشير إلى أن "حماس" لن تسكت، وسيكون التدخل الأمريكي تحت شعار "حقن الدماء" (؟!) ولكن بهدف تحجيم القوى الإسلامية الرافضة لاتفاق (غزة - أريحا). وستلعب الشرطة الفلسطينية دورًا بارزًا في تحجيم القوى الإسلامية وبخاصة عندما تشترك الشرطة الفلسطينية مع الشرطة الإسرائيلية في حفظ الأمن، انطلاقًا مما يدور من أحاديث حول تسيير دوريات شرطة مشتركة. كما سيلعب شعار "مكافحة الإرهاب" دورًا بارزًا في قمع القوى الإسلامية والراديكالية اليسارية، التي ما تزال تصر على الرفض".

الأسبوع العربي، ١٣/ ٩/ ٩٣

❑ **إسرائيل الاقتصادية الكبرى:** "إن إسرائيل لا تستعد لخوض معركة تصدير واستيراد من وإلى أسواق الدول العربية. فهذا النوع من التجارة ستمارسه إسرائيل لمجرد كونها تريد كسر حاجز الممانعة الشعبية العربية ضد وجودها أو انخراطها في المنطقة، على أن الهدف

الاقتصـادي الكبير لإسرائيل سـيكون إعادة صياغـة المنطقة اقتصـاديًا بطريقة تحتل فـيها (تل أبيب) مكانة عاصمة المعلومات التكنولوجية في السوق الشرق أوسطي الذي لن تنتهي حدوده عند تخوم ما كان يعرف حتى الأمس القريب بحدود الاتحاد السوفيتي، بل هو لأول مرة في العهد الإسرائيلي سيجـذب إليه - أي السوق - عالمًا استهلاكيًا وجغرافـيًا جديدًا اسمه آسيا السوفيتية والهيمنة الإسرائيلية على حركـة هذا السوق هي التي يقصدها شمعون بيريز حينما يقول بضرورة التـخلي عن "إسرائيل الجغرافية الـكبرى" لمصلحة قيام "إسرائيل الاقـتصادية الكبـرى" . ولعل أخطر ما في هذه الفكرة المرعـبة هو حـقيـقة أن عرفـات يراهن على أن الأموال الدولية المرصودة لإنضـاج إسرائيل الاقتصادية الكبرى، ستسـاعد في خلال تفاعل مساراتهـا على ولادة القزم الفلسطيني الشريك لإسـرائيل والمقطوع الصلة بالعرب، لأن من شأن ذلك، حسب بيريز مـحو سلوك العداء العربي لإسرائيل الذي قد يستمـر في المستقبل انطلاقًا من ذاكرة فلسطين" .

الشراع / ٩/ ٩٣

❏ وبعد كل هذا (الاعـتدال) ؟!: "الواقع أن اشتداد الحـملة العالمية في هذا الظرف على الإسلام كدين وكـعقلية يوحي بالريبة والشك في دوافع القائمين بهـا. ففي كل مكان حاكم مسلم، أو حكومة إسلامية، أو منظمة أو هيئة تدعو إلى التكيف مع النظام الدول الجديد(!) والتـعاون مـعـه ومع من هم على رأسـه بكل روح طيـبة، ولو كلف ذلك الـقسـوة على الذات(!) والتسامح مع الآخرين من أهل الطمع بالأرض العربية وثرواتها، والتخلي عن كل وسيلة غير سـلمية في حل الخلافات، بل تعريض النفس للخطر نتـيجة مفاجأة المجـتمعات التقليدية والشعـوب العريقة المتجذرة في معتـقداتها وأعرافها بضرورة مسـالمة العدو والتفاهم معـه على علاقة من نوع جـديد. ومع ذلك، لا أثر في إعلام الغرب ومنتـدياته السياسـية والفكرية لأي تفهم حقيقي وتقدير حقيقي للانقلاب السلمي الذي يحدث في العالم العربي، وفي العالم الإسلامي كله! الحكـومات الغربية تقبل بمسـالمة عدو مزروع بالأصل زرعًا على أرض لا يملكها، حبًا منها (؟!) بالتنسيـق مع الأسرة الدولية والاصدقاء الدوليين، ومع ذلك تستمـر الحملات عليهـا وكأنها تخوض الحـرب ضد العالم وضد اليـهودية وضد المسيـحية الغربية. منظمة التحرير الفلسـطينية تتخلى، بمبادرة تاريخية، عن السلاح وترضى بجزء بسيط

من وطن شعبها دفعة على الحساب وتؤجل كل نقطة خلافية، ومع ذلك يبقى المسلمون في إعلام الغرب وعند ساسته متطرفين! ". افتتاحية (الحوادث): ٦/٩/٩٣

لقطات إخبارية

□" كان البيت الأبيض قد أعد ثلاث صور خلف منصة التوقيع ، للعلم الأمريكي يتوسط العلمين الفلسطيني والإسرائيلي. واعترض إسحق رابين وشمعون بيريز لأن العلم يمثل دولة، وفي نظرهم أن فلسطين ليست دولة ، على الأقل بعد ، وأن رفع علمها يمثل اعترافاً ضمنيا. وانضم قسم البروتوكول في البيت الأبيض للجانب الإسرائيلي ، مُفتياً بأن رفع العلم الفلسطيني يشكل اعترافاً بوجود دولة فلسطينية. وحُل الإشكال بصرف النظر عن رفع الأعلام الثلاثة. ولم يكن مقررا تبادل المصافحة في أي مرحلة من مراحل الاحتفال ، إلا أن ياسر عرفات - مُدركاً أن أنظار العالم كله تتابع ما يحدث في «الحديقة الجنوبية» بالبيت الأبيض! - مد يده إلى رابين الذي أخذته المفاجأة وتردد لحظات ثم أدرك خطورة رفض اليد الممتدة له ، وصافح عرفات ، ومن بعده صافح عرفات بيريز بشكل غير متوقع فمد يده وانتظر ٤ ثوان ليلتقط يد بيريز! . وكان الرئيس كلينتون قد أعد لحفل عشاء رسمي في البيت الأبيض احتفالاً بالاتفاق ، ووجهت الدعوات بالفعل إلى ١٥٠ شخصاً من نخبة السياسيين والدبلوماسيين في العاصمة الأمريكية. ويوم الاثنين صباحاً ، أبلغ رابين كلينتون أنه لن يستطيع حضور حفل العشاء لأنه يريد العودة إلى إسرائيل في أقرب وقت ممكن بعد احتفال التوقيع. وأسقط في يد البيت الأبيض الذي لم يرغب في عقد حفل عشاء تكريماً لياسر عرفات ومحمود عباس وحدهما، وألغي الحفل في اللحظة الأخيرة! " .

"نقلت إذاعة العدو الإسرائيلي عن مسؤول فلسطيني في منظمة التحرير قوله بأن المنظمة ستعرف كيف تتعامل مع حركة حماس إذا سمح لها بإدخال قوات شرطة كافية إلى الضفة والقطاع. ومن ناحية أخرى قالت صحيفة هارتس الإسرائيلية: إن الحكومة الإسرائيلية قررت إعادة عدد من مبعدي حركة فتح ، وإطلاق سراح عدد من كبار زعماء فتح في السجون الإسرائيلية للوقوف في وجه حماس في الفترة القادمة" .

المجتمع ١٠ سبتمبر ١٩٩٣ م.

❑ موساد وشين بيت تحميان عرفات : "ازدادت المخاوف من احتمالات تعرض ياسر عرفات إلى الاغتيال في أعقاب التهديدات التي تلقاها من جهات عديدة. وذكرت صحيفة الواشنطن بوست أمس في تقرير لها من تونس أن عرفات قد يتلقى حماية أمنية من جهازي الاستخبارات الإسرائيلية الخارجي «الموساد» والداخلي «الشين بيت». ونسبت الصحيفة إلى مصادر رفيعة المستوى في منظمة التحرير قولها : إن بعض كبار المسؤولين عن أمن عرفات يخططون لعقد اجتماعات في أوروبا الأسبوع المقبل مع ممثلين عن الموساد والشين بيت".

الوطن ٢٥/٣/١٤١٤ هـ.

❑ المغرب الدور القديم / الجديد : "ليس من غريب الصدف أن تكون الرباط أول محطة لرابين بعد توقيعه اتفاقية السلام مع الفلسطينيين. فبعد توقيع اتفاقيات كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٩ م ، كانت الرباط أيضا أول محطة عربية للرئيس أنور السادات ، قبل ١٥ سنة ، إذ جاء السادات هو الآخر ليشكر العاهل المغربي على الجهود التي بذلها من أجل الوصول إلى إبرام أول اتفاقية سلام بين العرب وإسرائيل. ذلك أن العاهل المغربي لعب دورا كبيرا في ترتيب لقاءات سرية بين موشي ديان وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك ونائب الرئيس المصري حسن التهامي ، وهي اللقاءات التي مهدت لزيارة السادات للقدس عام ١٩٧٧م

المجلة ٢/١٠/١٩٩٣ م.

❑ أول تحرك لسهى عرفات : "أعلنت سهى الطويل قرينة الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات أنها ستعمل على تطبيق نصوص مجلة الأحوال الشخصية التونسية في منطقتي غزة وأريحا ، لأن المجلة التونسية تعطي المرأة حقوقا كبيرة!!. وطالبت السيدة سهى في تصريح أدلت به للصحفيين ، النساءَ الفلسطينيات بمساندتها".

الحوادث ١٤-٢٤/٩/١٩٩٣ م.

❑ صحيفة كويتية تنشر إعلانا لشركة سياحة إسرائيلية : "نشرت صحيفة «السياسة» الكويتية أمس إعلانا كبيرا في الصفحة الأولى لصالح إحدى شركات السياحة الإسرائيلية ،

تدعو فيه السياح الكويتيين لزيارة المسجد الأقصى بالقدس ومقام نبي الله إبراهيم بمدينة الخليل. وذكر الخبراء الاقتصاديون بالكويت : أن الأيام القادمة ستشهد نشاطا مكثفا لشركات السياحة الإسرائيلية ، للاستفادة من الانفراج النسبي في العلاقات العربية الإسرائيلية بعد اتفاق غزة - أريحا".

الجمهورية ٢٧/ ٣/ ١٤١٤ هـ.

❑" تناقلت مصادر عديدة هنا في باريس أن الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني قد وقعا اتفاقاً سرياً يقضي بتزويد حكومة رابين بقمر صناعي جديد تتكفل واشنطن بإعداده وإطلاقه لنقل كل تفاصيل ومراقبة ما يدور في «غزة وأريحا» على مدار ٢٤ ساعة ، بالإضافة إلى تزويد القوات الإسرائيلية بأجهزة رادار متطورة وأسلحة تعمل بأشعة الليزر لضبط الأمن في «الكيان الجديد مع التركيز على القوى الإسلامية وكل المعارضين للحلول الاستسلامية. مِنْ جهة أخرى تقول نفس المصادر: إن مصر تعهدت بإقامة نقاط تفتيش إسرائيلية - مصرية مشتركة للحيلولة دون عبور أي من الفلسطينيين من الأراضي المصرية من خلال قطاع غزة. إن الصهاينة توصلوا إلى تحقيق أغراضهم بالحفاظ على أمن إسرائيل عن طريق التأكد من استعداد الطرفين الفلسطيني [خط عرفات] المصري إلى التعاون مع القوات الإسرائيلية لخنق المعارضة الإسلامية ومنعها من تسديد ضربات قوية في قلب الكيان الصهيوني ، بعد أن قام هذا الأخير بتأمين حدوده الشمالية مع لبنان إثر الاجتياح الأخير للجنوب اللبناني".

المجتمع ١٤/ ٩/ ١٩٩٣م.

❑" قال السيد بسام الشكعة رئيس بلدية نابلس معلقا على اتفاقية «غزة - أريحا»: إنه لم يفاجأ لأن عرفات قال عام ٨٢ وأثناء حصاره في بيروت «إنني قررت أن أركب القطار الأمريكي ومن أراد أن يصعد معي فليتفضل»..!! أما مسؤول فلسطيني آخر فقد بشّرنا بأن رئيسه لم يقرر السير في هذا الطريق منذ عام ٨٢ بل قبل ٢٥ عاما وأنه أجرى مباحثات سرية مع مسؤولين إسرائيليين والتقى موشى ديان ..".

الإصلاح ٢٢/ ٩/ ١٩٩٣ م.

❑ "تولت القاهرة منذ وقت مبكر تدريب ١٥٠ ضابطا فلسطينيا على أعمال حفظ الأمن وفك الشفرات واكتشاف المخططات الإرهابية قبل تنفيذها ،فضلاً عن سبل انتزاع الاعترافات من المتهمين. ويعتقد أن اللجنة الأمنية التي سيتم تشكيلها بين مصر والإدارة الفلسطينية في غزة ، سيكون لها الأولوية على غيرها من اللجان".

الأسبوع العربي ١٣/ ٩/ ١٩٩٣ م.

تعليقات قصيرة

❑ **الأسير يجر فلسطين معه:** "إن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات ، هو الآن مجرد أسير لدى إسرائيل ، لكن بدلاً من أن يكون أسيراً منفرداً ، جرّ معه فلسطين كلها وتاريخها إلى الأسر ، وبدلاً من أن يكون أسيراً عاطلاً عن العمل ، فهي أسير عامل كشرطي تماماً في خدمة الدولة الصهيونية".

الشراع / ٩/ ٩٣ م

❑ **سوبرماركت عرفات :** "هذا الاتفاق هو ثمرة من ثمار كامب ديفيد .. وإني أتساءل: هل الهدف هو أن أقيم «سوبرماركت» لبيع المرطبات والحلوى في غزة ؟!..... هل الهدف هو إقامة بعض المنشآت الاقتصادية، أم الهدف أكبر من ذلك وهو تحرير الأرض والإرادة ؟! وأقول : إنه لا يحق لأي حكومة من الحكومات العربية أن تنتقد هذا الاتفاق ، فكلهم متعاونون مع أمريكا وكلهم يريد إنهاء المشكلة على أي وضع فلا يحق لهم أن ينتقدوا !!"

د. عبدالوهاب المسيري، المجتمع: ١٠/ ٩/ ١٩٩٣ م.

❑ **إرهابي ما بعد السلام :** "إن الإرهابي حاليا هو كل من يقف في طريق اتفاقية «غزة - أريحا». لقد أثبت احتفال توقيع الاتفاقية هزال تهمة الإرهاب التي أعلنت واشنطن أنها تحكم علاقاتها مع العديد من الدول والتنظيمات. آخر ما بحث عنه الأمريكيون (وقبلهم الإسرائيليون) في تعاملهم الأخير مع منظمة التحرير الفلسطينية كان هذا «الإرهاب» الذي

❑ دوّت الاتهامات بشأنه على مدى حوالي ربع قرن من الزمن. إن ماضي المنظمة «الإرهابي» سقط كله خلال لحظات حين قرر ياسر عرفات القبول بالشروط الإسرائيلية - الأمريكية المتعلقة بصيغة «الحكم الذاتي المحدود» وفق رغبات تل أبيب وواشنطن، والاستنتاج المنطقي في هذه الحال : إن المطلوب هو سياسة معينة والإرهابي هو الذي لا يستجيب لها".

الأسبوع العربي ٢٠/٩/١٩٩٣ م.

❑ "إذا سار هذا الاتفاق في طريق النجاح، وإذا بدأت المساعدات الاقتصادية تنهال على الشعب الفلسطيني، فإن عرفات سيكون قد نجح في «رشوة» شعبه لتأييد جهود المنظمة السلمية وزيادة شعبيتها وتكريسها كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني، وفي نفس الوقت ستسلم إسرائيل لعرفات، الإدارة الأمنية لمنطقتي غزة وأريحا، لأجل التعامل بنجاح مع موجة التطرف الأصولي في المنطقتين، وبذلك يكون عرفات قد أدى خدمة كبيرة لإسرائيل وأراحها من أعدى أعدائها في منطقة الحكم الذاتي، وهي حركة التطرف الأصولي التي ترفض التعامل أو التفاوض مع اليهود لأن الإسلاميين يهدفون إلى تدمير إسرائيل عاجلا أم آجلا !"

(صنداي إكسبريس) نقلا عن الوطن
٢٧/٩/١٩٩٣ م.

❑ **أيهما أصدق** : "أستطيع أن أقول للشعب الفلسطيني : إن لديه صديقاً كبيراً في البيت الأبيض.

ياسر عرفات، المجلة (٧١١)

يقول الرئيس الأمريكي كلينتون : "أؤكد على أن القدس عاصمة موحدة أبدية لدولة إسرائيل مع رفض كامل لإقامة دولة فلسطينية في الضفة والقطاع"

: ساكن البيت الأبيض(كلينتون)
القبس٢٣/٩/١٩٩٣ م.

الشرق أوسطية عنوان مرحلة

ولماذا وقع الأردن؟

د/ عبدالله عمر سلطان

الأردن يوقع اتفاق سلام مع إسرائيل.

مصافحة تاريخية بين الحسن ورابين تنهي نصف قرن من الصراع

مولود جديد للسلام برعاية كلنتون

هل هي كرة الثلج تبدأ عادة بكتلة صغيرة من ذرات الماء المتجمدة ثم تقذف بها عوامل خارجية إلى أسفل السفح فتتورم بإطراد وتكبر وهي تلقى مصيرها المنحدر؟

«لم يكن الاتفاق الأردني/ الإسرائيلي في المحصلة النهائية إلا انعكاسًا لوضع الذي يأخذ في التشكل هذه الأيام بعين اتفاق رابين / عرفات، ودليلاً آخر على أن من يحدد إطار اللعبة وحدود العلاقة في المنطقة هو طرف مستفيد من سقوط (قطع الدمينو العربية) واحدة بعد أخرى في سبيل ترسيخ النظام الشرق أوسطي الجديد. بهذه العبارات حدد أحد كبار المحللين الفرنسيين الوضع الحالي في المنطقة، وأضاف: " كل مافعله الحضور المسرحي لبيريز وحسن- ولي العهد- هو أنه أخرج الاتصالات الأردنية/ الإسرائيلية من حيز السرية والظلام إلى

السطح والواجهة الإعلامية.. لقد حاول الملك حسين أن يخفي هذه الاتصالات التي كان آخرها قبل يومين من توقيع الاتفاق حينما رتب مع بيريز لتفاصيل "الحفلة" ونصوص وثيقة العلاقة القادمة... لكن الجميع يعرف أن رائحة الصديق الإسرائيلي كانت تفوح بشره في الأردن بعد كل لقاء حميم

مهنته كملك...

قبل أكثر من عقدين تحدث الملك الأردني لصحافي فرنسي عن شخصيته وطموحاته وماذا ينتظر منه أن يقدم كملك للكيان الهاشمي ومشروعه القومي الذي فجره جده الشريف حسين تحت حراب رجال المخابرات البريطانية.

لقد كانت مخاوف الملك حسين منذ صعوده إلى السلطة وهو شاب لم يتجاوز الثامنة عشرة أن يحافظ على هذا الكيان المسمى بشرق الأردن، وهذه المخاوف تغذيها دومًا حقيقة مزعجة ظلت تلاحق جده الملك عبدالله تتمثل في أن هذا الكيان "صُنع" على عين الإنجليز و "أُقيم" في غرف وزارة المستعمرات البريطانية "كبديل" للوطن الفلسطيني الذي وُعد به الصهاينة دارًا لحلمهم وموطنًا لفكرتهم...و، وكأي "ثائر" صُنع وبَزغ في مشرقنا التعس فقد سارع الملك عبدالله إلى تبني مشروع المملكة الأردنية الهاشمية كمرحلة مؤقتة حتى يتحقق حلمه السلطوي الأكبر بأن يكون ملكًا لسوريا وما تبقى من بلاد الشام، هذا الوطن البديل لفلسطين كان ثمنه أن يقبل الملك عبدالله بالكيان الصهيوني على أرض فلسطين ويعترف به سرًا وتجري الاتفاقات مع الإنجليز واليهود مقابل تثبيت ملكه في ضفة الأردن الشرقية مع وعود مستقبلية بتوليته مقاليد سوريا مقابل حفظ أمن الكيان الصهيوني وضمان سلامته.

وفي خضم الاتفاقيات وتنفيذها سقط الملك عبدالله برصاص الاغتيال على بوابة الحرم المقدس وهو لم يهنأ بتحقيق حلمه الطموح وإن كان قد تولى ملك الضفة الغربية ثمنًا للمعركة الخاسرة التي أُطلق عليها "النكبة" وهي في حقيقتها "الصفقة" التي تاجر في سبيلها الشريف حسين وذريته بمقدرات ومقدسات وثوابت الأمة مقابل وهج السلطات وفي سبيل غرور الملك...

ألم يكن من السخرية أن يرفض الخليفة العثماني (التركي) عبدالحميد أن يبيع فلسطين لهرتزل وهو في أمس الحاجة للمال والدعم اليهودي والغربي، وأن يتنازل الملك عبدالله (العربي) عن مسرى جده الهادي صلى الله عليه وسلم بعد أن وثّق المعاهدات مع وايزمن وبن غوريون...؟!

وإن كان حُلم عبدالله كبيراً وجشعه مشهوراً فإن حفيده الذي تولى الملك بعد أبيه المريض كان ولا يزال يدفع ثمن فكرة الوطن/ البديل ويحاول أن يتمسك بشرق الأردن في ظل تسارع الخُطى نحو الحل النهائي الذي يقتبس فكرة خبراء وزارة المستعمرات القديمة والقائلة بإزاحة أهل فلسطين عنها وأحلامهم شرق النهر بعد أن عملوا على إقامة كيان وديع مسالم مستغرب يحكمه "هاشمي" لم يطلق رصاصة واحدة في وجه اليهود مما دفع إسحاق رابين للقول: "إن وجود الملك حسين ضروري لتحقيق السلام والأمن (أمن اليهود) حيث لم تشهد حدودنا حوادث إرهاب أو شغب في ظل حكمة العاهل الأردني".

هل عرفتم إذن ماذا يعني "جلالته" بمهنته كملك"؟؟

تحديات أضخم من الإمكانات:

بالرغم من النعوت والصفات والمواهب الشخصية التي يتمتع بها الملك

الأردني فإن الصحافي البريطاني الشهير (دايفيد هرست) صديق الحسين لخص الوضع في الأردن عشية عودة الحسين من رحلته العلاجية بالقول: إنه الملك الذي شهد أعنف التحديات في ظل التحدي الناصري والقومي وواجه بحسم الثورة الفلسطينية التي صفيت في أيلول الأسود عام ١٩٧٠م وفاقت شعبيته أي زعيم آخر في المنطقة أيام حرب الخليج حين وقف في صف العراق ليصبح في خانة الثوريين ولذا فقد أصبح يخاف من المستقبل حيث عوارض المرض الخبيث (السرطان)، وموجة الإسلام السياسي العاصفة، وأهم من ذلك وضع الأردن بعد السلام وهذا كله يجعل من موقف الحسين موقفًا صعبًا... وما لم يقله صديقه البريطاني ما قاله معلقون آخرون "إن الأردن أصبح مرتبطًا بوجود الحسين فبوجوده يبقى وبزواله ربما يضمحل..."

إن التحدي الحقيقي قد جاء من الجهة الأخرى من ضفة نهر الأردن حيث يسعى اليهود الذين تربطهم بالعرش الهاشمي صلات سرية وثيقة أن يكون الأردن هو البديل عن أرض الرسالات التي من المستحيل - في عرفهم- أن يحكمها سواهم، وفي ظل الوضع العربي العاجز والانهيار الذي انتاب قيادة المنظمة "العرفاتية" فلا يستبعد أن يحل "الناطور الفلسطيني" محل "العاهل الهاشمي" على المدى المتوسط/ البعيد...، وهكذا فقد يجد العاهل الأردني القادم أن "المملكة العربية" التي وعد ماكموهن جده بها قد انكمشت، وأن الوطن البديل قد أصبح فكرة قائمة وبعيدة عن حكم ذرية الحسين. التي أدت للمعسكر الغربي أكبر خدمتين في المنطقة خلال قرن : تصفية الخلافة الإسلامية العثمانية وتسليمها (مع غيرهم) فلسطين بقدسها لليهود.. وكل هذا يتم تحت لافتة ضخمة يحملها

"شريف" من آل البيت...!

الاتفاق الباهت!

في ظل السباق القائم بين عرفات والحسين بعد أن اتضح أن أمريكا وإسرائيل قد قبلتا يد عرفات المدودة بخنوع وذلة؛ وقع ولي عهد الأردن مع بيريز "سفر السلام" القادم حتى يضمن الأردن دوراً في النظام الشرق الأوسطي الجديد بالرغم من أن أول من انتقد اتفاق السلام الفلسطيني اليهودي كان "جلالة الحسين" لكنه سرعان ما ابتلع اعتراضاته وتهديداته وأصبح الإتفاق في نظره "خطوة شجاعة" و "علامة جريئة" تستحق أن تحظى بكل الدعم، فالمرحلة المقبلة هي مرحلة كسب الرضى الإسرائيلي، والأردن له سجل مشرف (في ظل قيادة الحسين) في حفظ أمن الدولة العبرية...

ومع كل هذا يظل التحدي أكبر من مهارة الحسين ودبلوماسيته ومراوغته السياسية، صحيح أن الحسين، كما قال هرست قد خاض بحر الظلمات العربية وخرج سالمًا حتى الآن، ولكن الصلح مع اليهود وعلاقة شرق الأردن بالدويلة الفلسطينية الرمزية في غزة وجزء من القطاع تقتضي أن يدلف "الصانعون" للكيان الأردني للموضوع دون رتوش أو مقدمات لأن المسألة تمس وجود الأردن ذاته الذي وُضع منذ البداية كوطن بديل لفلسطين، الحسين في هذه المرحلة لا يواجه الأشقاء العرب... إنه يواجه السادة الذين سمحوا له بالوجود! وإن كانت الظروف تقتضي "تأمير" وتمليك القميص الأردني للملك عبدالله وذريته في السابق ؛فإن الأردن منذ البداية في الفكر الصهيوني/ الصليبي هو الوطن

الفلسطيني على المدى البعيد، وإذا كان هذا الهدف يتعارض معه بقاء الأسرة الهاشمية وإحلالها بقبائل عرفات ومنظمته فإن هذا الحل سيجد طريقه للواقع وهذه التضحية بحسن أو حسين ليست غالبة حتمًا. . .مع ميل العواصم الغربية إلى تفضيل القيادة الأردنية الحالية المتمرسة في قياد اللعبة بمهارة وحنكة، خصوصًا أن عنى اللائمة موضوعًا يثير "مثلث السلام" الأردني/ الفلسطيني/ الإسرائيلي والمتمثل بتحجيم الحركة الإسلامية على ضفتي النهر، وهنا فربما خرج الحسين رابحًا ومنفذًا لهذا الهدف الثالث الذي يحلم الغرب بتحقيقه في مواجهته الحضارية الراهنة مع الإسلام، وتلك مهمة تستحق أن يندمج فيها الممثلون حتى لا تعرف في النهاية الحسين من عرفات من رابين. . . !

أليست المرحلة تحمل عنوان "الشرق أوسطية"؟.

طاجكستان
تدخل النفق الأفغاني

د. مالك إبراهيم الأحمد

توطئة

مع دخول العام الثاني لاستيلاء الشيوعيين على الحكم في طاجكستان، وما رافق ذلك من مأساة إنسانية بالغة، تدخل القضية الطاجكية النفق الأفغاني، حيث أصبحت أفغانستان منطلقًا للمجاهدين الطاجيك، ومكان استقبال لآلاف من اللاجئين، وقد وقعت الحكومة الأفغانية الوليدة في حرج بالغ يشبه وضع (باكستان) سابقًا، مع اختلاف طفيف وهو أن القضية الأفغانية كانت تمثل سابقًا ساحة صراع بين الأمريكان والسوفييت؛ مما تطلب دعماً أمريكياً غير مباشر للأفغان كي يقفوا أمام المد الشيوعي، أما في القضية الطاجكية فالتخوف من المد الإسلامي في الجمهوريات هو هاجس الغرب والشرق على السواء.

ونعرض هنا إلمامة بتطورات الأحداث الأخيرة ومواقف الفرقاء حولها.

الموقف الروسي

تعتبر روسيا نفسها وريثة الاتحاد السوفيتي، وبالتالي فهي مسؤولة عن الدول

التي خرجت من المظلة السوفيتية، وعلى وجه الخصوص تلك الدول الفقيرة والمتخلفة (الجمهوريات الإسلامية)، [1]وسبق للكثير من المسؤولين الروس الحديث عن الأمن القومي الروسي، وارتباطه بأمن الجمهوريات الإسلامية، فمثلاً صرح وزير الخارجية الروسي بقوله: "ظهرت بوادر عدم الاستقرار على طول الحدود الروسية وبالتالي فإن صون السلام أصبح من مقومات أمن روسيا القومي واضطلاع روسيا بمسؤوليتها الخاصة عن حفظ الاستقرار في أراضي الاتحاد السوفيتي السابق. . . ".

وبهذا المفهوم ينطلق التحرك الروسي بدءاً من الرئيس يلتسن بتصريحه "ليعلم الجميع أن هذه الحدود- يقصد الطاجكية/ الروسية- هي حدود روسية وليست طاجكية".

ولقد أيده البرلمان رغم اختلافه في كثير من القضايا مع الرئيس يلتسن والغريب أن الموقف الروسي واضح وصريح، بدءاً من التدخل المكشوف لإسقاط الحكومة الائتلافية، ودعمه ثانيًا للجبهة الشعبية الشيوعية حتى صعودها للحكم على أشلاء المسلمين.

ويتحدث المسؤولون الروس عن القضية الطاجكية، وكأنها جزء لا يتجزأ من روسيا ،ويقول وزير الخارجية الروسي: "لاحوار مع المعارضة- الطاجكية- إلا بالصواريخ" وكأنه يتحدث عن معارضة داخل روسيا.

وللتدخل الروسي في القضية الطاجكية مبررات لعل أهمها:

- **الخوف من الأفغنة:** فالتورط الروسي في أفغانستان سبب الكثير من المشكلات للروس، ولعلها من الأسباب الرئيسية لسقوط الاتحاد السوفيتي. وبالتالي فلا يريد الزعماء الروس أن تتحول طاجكستان إلى أفغانستان ثانية تكون مصدر قلاقل لهم مستقبلاً.

- الخـــوف من "المـد الأصـــولي" لاشك أن الانبـعـــاث الإســلامي في الجمهوريات عـمومًا، وفي طاجكستان خصوصًا، يمثل تهـديدًا للنصرانية في الشمال وبالتالي فإن قيام دولة إسلامـية في طاجكستان سوف يشعل الفتيل في بقية الجمهوريات وطاجكستان تمثل أضـعف دولة في الجمهوريات، وفيها أقوى حركة إسلامـية في المنطقة، والمد الإسلامي لو استـفحل في نظرهم قد يصل إلى روسيا نفسها حيث يوجد فـيها حوالي ٥٠ مليون مسلم مما يهدد بتـفكك وسقوط الاتحاد الروسي نفسه.

الجانب الاقتصادي والثقافي

كان الوضع الاقتصادي فـي الاتحاد السوفيتي سابقًا مرتبًا بطريقة خـبيثة جدًا فالجمـهوريات الإسلاميـة عمومًا مصـدر المواد الخام والجمهوريات النـصرانية مناطق الصناعـة والمدنية، ولقد امـتص الكثير من خـيرات هذه الجمـهوريات لصالح روسيا وجاراتها ، وطاجكستان إحدى هذه الأمثلة فالبلد متخلف جدًا من النواحي المدنية والصناعية، إنما هي فقط مصدر للمـواد الخام لروسيا ففيها اليورانيوم والفضة بكميات كبيرة فضلاً عن المعادن الأخرى ،والسيطرة الروسية العسكرية على المنطقة تضمن لها استمرار بقاء هذا الشريان خصوصًا أن روسيا هي مصـدر الطاقة لهذه الجـمهورية وغـيرها من الجـمهوريات، فـهي بالتالي تمسك بتلابيبهـا، وتنظر روسيا إلى هذه الجمهوريات على أساس أنهـا متخلفة وغيـر متـحضـرة ولا تحسن الديمقـراطية ونظرًا لكون روسـيا دولة مـتقـدمة وديمقراطية فإنها تشعر - كما تزعم- بمسؤوليتها الأدبية تجاه هذه الجمهوريات.

الوجود الروسي

يعيش في الجمـهوريات الإسلامية- ومنها طاجكسـتان- ما يقرب من ٣٠ مليـون روسي يسـيطرون علـى الإدارة والصناعـة والتـجـارة ويعـملون في الاستثمارات الروسية، ونظراً لشعور روسيا بمسؤوليتها تجاه مواطنيها فإنها لا بد أن تقف مع الاستقـرار في المنطقة خصوصًا مع نظـرة الخوف والشك في حال وصول الإسلاميين إلى سدة الحكم في روسيا.

الدور الأمريكي

كان الحـضور الأمريكي فـي منطقة الجمـهوريات مبكـراً ، ولقد افتـتحت الولايات المتحـدة لها مقار دبلوماسـية لمتابعة أوضـاع الجمهوريات ، ومـراقبة الوضع الأمني خـصوصًا مـع اختـلال الموقف الروسي عند سـقوط الاتحـاد السوفيـتي ومع بداية الأحداث شاركت القوات الأمـريكية بصفة سـرية للغاية ومحدودة في معاونة الجبهة الشعـبية لإسقاط الائتلاف الإسلامي الديمقراطي، وبعد استقرار الأوضاع دعمت- صراحة- نظام (دوشانبه) الشيوعي وأيدت - بإطلاق - التدخل الروسي. وقد ذكـرت مصادر إعلامية وجود وثـيقة سرية بين روسيـا وأمريكا تخول فيـها الثانية للأولى التـحرك بحرية في الجمـهوريات للتصـدي للأصوليـة الإسلامـية هناك. رغم مـأساة اللاجئين الذيـن يقاربون المليون، والضحايا الذين سقطوا وهم يعدون بعشرات الألوف - فإن الإنسانية الغربيـة والأمريكية على وجه الخـصوص غائبة تمامًا عن السـاحة ولم يُقَدِّم إلا الفتات من بعض المنظمات الصليبية.

كذلك لعـبت أمريكا بالورقة الأفغـانية وحركت عمـلاءها في المنطقة لدعم الفوضى السيـاسية في ذلك البلد، وإشغال هذا النظام الإسلامي الوليـد بنفسه

كي لا تصبح أفغانستان بالنسبة للطاجيك كباكستان سابقًا بالنسبة لأفغان وذلك خوفًا من امتداد المارد الإسلامي إلى وسط آسيا.

موقف دول الجوار

بالنسبة للجمهوريات الثلاث (أوزبكستان- تركمانستان- كازخستان) فالحكم فيها للشيوعيين ،أما "قوقيزيا" فيحكمها العلمانيون لكنهم جميعًا يقفون صفًا واحدًا أمام الحركة الأصولية الإسلامية - كما يسمونها - وقد دعموا جميعًا نظام دوشانبه خوفًا من امتداد الأمر إلى جمهورياتهم ولعل أوزبكستان أكثر الدول دعمًا لنظام دوشانبة فلقد شاركت منذ الأيام الأولى في الأحداث عسكريًا وماديًا وبشريًا.

وبالنسبة لإيران الرافضية ذات الوجهين فإن موقفها المتخاذل يماثل موقفها من شيوعي أفغانستان فهي فقط تدعم طائفتها وتجهزهم للمستقبل والموقف المعلن هو العمل على عدم اتساع رقعة الحرب.

أما تركيا العلمانية فإنها أيضًا دعمت الشيوعيين واستخدمت ورقة الأوزبك ذوي الأصول التركية ودفعتهم- وهم لا يحتاجون إلى دفع- لمواجهة الإسلاميين، ومن جانب آخر أيدت الموقف الروسي وتدخله المباشر في شؤون هذه الجمهورية.

دور الأمم المتحدة

منذ أزمة الخليج دخلت الأمم المتحدة طرفًا مباشرًا في الأزمات العالمية لكن مع غياب شبه كامل لاستقلاليتها في اتخاذ القرارات، بل أصبحت أحيانًا كثيرة طرفًا في الصراعات كما هو حالها في الصومال والبوسنة.

وفي طاجكستان كان موقف الأمم المتحدة متناسبًا مع توجهاتها الحالية من المسلمين وقضاياهم فوسيطهم المكلف بالقضية كان دوره مؤيدًا للحكومة الطاجكية الشيوعية، وبدلاً من أن يكون وسيطًا نزيهًا في الأزمة، رفض مقابلة مندوب الجبهة الرئيسية للمعارضة (حزب النهضة) وذلك أثناء زيارته لباكستان وزار مخيمات اللاجئين وطلب منهم العودة حالاً إلى ديارهم رغم معرفته بظروف هروبهم وأسبابها، من جهة أخرى نجده يمتدح تلك الحكومة العميلة ويثني على مواقفها في حل الأزمة!!.

وضع المجاهدين الطاجيك

بعد سيطرة الشيوعيين على الحكم في (دوشانبه) وإعدام الكثيرين من أتباع حزب النهضة هربت البقية الباقية منهم إلى الجبال وإلى أفغانستان المجاورة والتي يمثل الطاجيك فيها نسبة كبيرة من السكان وخصوصاً في الشمال.

وقد بدأ حزب النهضة بعد ذلك بتكوين قوات عسكرية لمواجهة النظام الدكتاتوري في طاجكستان مستخدمين أفغانستان منطلقًا لتحركاتهم لأسباب كثيرة من أهمها الدعم الذي حصلوا عليه من إخوانهم الأفغان، وللحدود الطويلة المشتركة (أكثر من ألف كيلو متر) مع طاجكستان.

كانت البداية عمليات اختبار وجس نبض للوضع الأمني على الحدود والذي يسيطر عليه الروس بشكل أساسي ، ولقد كانت ردة الفعل الروسية عنيفة منذ الأيام الأولى لمحاولات الاختراق ، فلقد قصفت القوات الروسية تجمعات المجاهدين واللاجئين في الطاجيك أفغانستان، فضلاً عن التهديد الحكومي الروسي بالرد القاسي مستقبلاً إزاء أي محاولة اختراق للحدود ،وفي الجملة لم تبدأ العمليات الجهادية الفعلية حتى الآن نظرًا للظروف الصعبة التي

يعيشها المجاهدون وإمكاناتهم المـادية المحدودة. ومن التحديات التي قد تواجه المجاهدين مستـقبلاً ولعل بوادرها ظهرت الآن حيال وضع بدخـشتان المنطقة الجبلية - ذات الاستـقلال الذاتي- والمتاخمة للحدود وذات المساحـة الشاسعة (٤٥٪ من مساحة طاجكستان) والتي يقطنها الإسماعيليون (الغلاة) - وإن كان عددهم محـدوداً (١٨٠ ألف نسمة) - إلا أن موقـعهم الاستراتيجـي بالنسبة للمجاهدين له حساسية فائقة فلقد شارك بعض منهم في الوقوف أمام الحكومة وبالتالي هم مصنفون ضمن المعارضة لكن الحكومـة تحاول منذ مدة استمالتهم إلى جانبهـا وعرضت عليهم مشـروعات لتطوير المنطقة، ولقـد ذكرت وسائل الإعـلام استـيلاءهم علـى شاحنات للمـجاهـدين تحمل أدوية وأغـذية إلى اخـوانهم في الداخل مما ينبئ بموقـفهم الحـقيـقي حيث سـيكونون شوكـة في خاصرة المجاهدين كما هو حال إخوانهم الرافضة في افغانستان.

مستقبل القضية

لاشك أن من أسبـاب النصر كـما بينهـا القرآن الكريم هو نصـر المسلمين أنفسهم لله أولاً ﴿ ان تنصروا الله ينصركم ﴾ وبذلهم الأسباب المادية ثانية ﴿ واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ وانتصار المسلمين على أعدائهم ليس بغلبة المادة ولكن بتـمسكهم بالعقيدة الصـحيحة واليقين بـالله والالتزام بأوامره والانتهاء عن محارمه، أما الشيوعيون فهم ساقطون لا محالة والزمن بإذن الله كفـيل بهم، ولكن تعاضد أهل الـضلالة مع بعضـهم يقوي شوكـتهم ويطيل أمدهم.

والحكومة الشيوعية تعرف ضعفها وافتقارها للشعبية ولذلك تعتمد كلية على الدعم الروسي والأوزبكي وقـامت بعقـد مـعاهدة أمنيـة مع روسيـا في هذا

العام، ورغم محاولات الوساطة بين الرئيس رحمنوف والمعارضة (النهضة) إلا أن الرئيس يرفضها ويتهم من يسميهم بالأصوليين بالإجرام والإرهاب وهو الوصف الذي ينطبق عليه وعلى الجبهة الشعبية تمامًا والذين أودوا بحياة عشرات الآلاف فضلاً عن الجرحى وما يقارب المليون من المهاجرين، أما عن موقف المجاهدين، فرئيس حزب النهضة من جانبه لا يعترف بالحكومة الحالية والتي نصبها الروس والأوزبك وبالتالي فلا مجال - من وجهة نظره- للحوار معها

الخاتمة

مع توالي الأحداث تبقى القضية الطاجكية مغيبة إعلاميًا ولا تكاد تلمح إلا إشارات قليلة هنا وهناك ورغم الوجود الإعلامي الغربي القوي في مناطق الأحداث في العالم إلا أننا نرى إهمالاً إعلاميًا متعمدًا للقضية في وسائل الإعلام الغربية والعربية من باب أولى؛ لأنها عالة على الوكالات الأجنبية. وفي الحقيقة تعتبر القضية الطاجكية لعبة الدول الكبرى، وتجربة فريدة في مواجهة المد الأصولي المزعوم. وفي مواجهة هذا الكيد تقوم حركة الجهاد بقيادة حزب النهضة الإسلامي والذي يحمل إيجابية كبيرة- لعلها استفادت من التجربة الأفغانية- ألا وهي الوحدة، فالتفرقة بين مجموعات الجهاد الأفغانية أدى إلى ضياع ثمرة الجهاد بعد سقوط الحكم الشيوعي، وهناك مبشرات للجهاد الطاجيكي فقد سقطت قبل أيام مدينة طوس (٢٠٠ كم عن العاصمة) بأيدي المجاهدين ولعل انشغال الروس بقضاياهم المحلية ولو مؤقتًا يكون فرصة لاندفاعة قوية لذلك الجهاد الذي يحتاج إلى الدعم من كل المسلمين خصوصاً في هذه الأيام الحرجة قبل دخول الشتاء حيث تصبح الأمور صعبة جدًا. فالبدار البدار لنجدة إخواننا في العقيدة والدين.

الصحوة الإسلامية وأزمة المثقفين في ديار الإسلام

(٣)

جمال سلطان

قدمنا في القسم الأول من هذه المحاضرة، الحديث عن أهم معالم الإيجابية في الصحوة الإسلامية الجديدة، وهي أيضًا المعالم التي تكشف لنا أبعادًا من أزمة الثقافة في ديار الإسلام، تلك الثقافة التي تأسست في تاريخنا الحديث على فكر الاغتراب وأدب الاغتراب وقيم الاغتراب، وكانت في قسمها الأعظم- على عداء ظاهر أومُستخف للإسلام، وتاريخه وشريعته وتراثه ورموزه. وهذه الحقائق التي أبرزناها في "حركة الثقافة" المعاصرة في ديار الإسلام، والتي تشرح لنا أسرار هذه اللوحة الساخرة من الأقوال والمواقف التي تصدر عن ثقافة العلمانية والاغتراب بكل تياراتها ومذاهبها، والتي نذكر منها بعض الشوارد على سبيل التمثيل للأزمة والتأسيس للقياس:

- طوال العقود الماضية، كانت الديمقراطية هي شعار الثقافة العلمانية، على اختلاف مذاهبها، من أقصى اليسار (الماركسية) حتى أقصى اليمين (الليبرالية) حتى إن أعتى منظري الديكتاتورية الناصرية وما شابهها، كانوا يرفعون شعار الديمقراطية، وقد طغى هذا الشعار على الخطاب السياسي والفكري في السنوات الأخيرة بشكل صارخ، حتى وقعت واقعة الجزائر، وأجريت تجربة ديمقراطية حرة نظمتها الحكومة، ورتبت دوائرها، واحتاطت لنفسها باعتقال قادة الإسلاميين ومهدت لها بحملة

إعلاميـة لتشويه صـورتهم، ثم كانت النتيـجة- كما نعلـم- الفوز الساحق للجبـهة الإسلامية للإنقاذ، وأعلن الشـعب الجزائري المسلم بوضوح مذهل وبحسم رائع، أنه لايريد سوى هؤلاء يحكمونه ويقودون البلاد.

وهنا انقلبـت تيـارات الفكر العـربي بزاوية مـائة وثمـانين درجـة، لنرى دعـاة الديمقراطية بالأمس، ومن جـعلوها دينًا، وقدسًا مقدسًا، أكثـر الناس خوفًا منها، وأول الدعاة للكفر بالديمقراطية، وأول المنادين بتأجيل "الخيار الديمقراطي" وما ذلك إلا لأن "الإسلام" ومنـهجه يوشك أن يحـكم، وتحالف العلمـانيون واليـساريون ودعاة التقدم، وتحرر المرأة، والليبراليون والقوميون والعرقيون تحالفوا مع اللصوص والمفسدين والطغـاة والجنرالات ومع الغرب الصليبي ليقفوا صـفًا في وجه الشعب وفي وجـه الإسلام ودعـاته ورجالاته، وأصـبح الشعب الجـزائري، بل الشعـوب العربية كلها- منذ ذلك الحين- مـتهمة في عقلها، وفي وعيـها، وفي قدرتها على الاختيار لا لشيء إلا لأنها اختارت الإسـلام، ولم تختر الشيوعيين أو اللصوص أو الملاحدة أو دعاة الفتنة العنصرية.

هذه الفضيحة التاريخية ما زالت أصـداؤها تتردد، شاهدة على "خيانة" الثقافة العلمانية والمغـتربة للشعوب، ومجاملتـها الصريحة للطغاة والمستـبدين، بل كشفت صراحة عن كون ثقافة العلمانية هي الحليف الطبيعي للاستبداد في بلاد المسلمين.

- الخلاف واضح- كـما نعلم- بين الجبهـة الإسلاميـة في السودان التي تدعم الحكومة السودانيـة، وبين المعارضة السودانية علمانيـةً وصليبيةً وشيوعـيةً وعنصرية وقد يكون محور الخلاف الأكبر الذي عبرت عنه المعارضة ذاتها، ربما مغازلة للقوى الغربية المتوثبة على كل ما هو إسـلامي، هو "تبني الحكومة للمشروع الإسلامي" بغض النظر عن تفصيلات الأمر، ولا بأس من حيث مقـتضيات الخلاف السياسي

بمفهومه العلماني في ذلك الخلاف والمعارضات، أما الأمر الذي يخرج عن حدود الخلاف المشروع في أي ملة وأي مستوى ثقافي أو حضاري، أن يتنادى مثقفون سودانيون وينادون بالتدخل الاستعماري في السودان لإزالة الحكومة القائمة وإحلال المعارضة الوطنية (الشريفة) مكانها!! لقد تحالف المثقفون السودانيون العلمانيون والشيوعيون مع العنصري المرتزق- إسرائيليًا وأمريكيًا- جون قرنق بدعوى التحالف مع فصائل سودانية، فبأي منطق إذن يتحالفون مع الصليبية العالمية والغرب الطافح حقدًا على الإسلام والمسلمين، وهو ما ينجلي الآن في البوسنة غيرها، مامعنى المشروعية في التحالف معه لضرب أبناء وطني وديني ممن أختلف معهم، وبأي مسوغ أطالب بالقفز على كرسي الحكم من فوق دبابات الاستعمار؟!.

- سمعنا- بلا شك- بالمأساة التي وقعت في تركيا مؤخرًا، من ثورة غضب شعبي عارم أدت إلى مقتل ما يقارب الأربعين شخصًا بخلاف الإصابات، وكان سبب الموقعة أو "الفتنة" أن العلماني المخضرم "عزيز نسين" رأى أن ما يحيق بالشعوب المسلمة أو المستضعفة ومنها الشعب التركي المسلم، ليس هو مايحدث في البلقان- منطقة الخطر الأولى تاريخيًا على تركيا ، وما يحدث في البوسنة والصومال وأذربيجان وغيرها من ديار المسلمين، ولا هو الغارة العنصرية واسعة النطاق التي تجتاح أوربا اليوم، ويروح ضحيتها- في ألمانيا خصوصًا- الأتراك المسلمون.

المثقف المستنير "عزيز نسين" رأى أن ذلك كله "لعب صبيان" أما الضرورة التاريخية الملحة، والمخرَج من هذا الحصار الخطير، يكمن في ترجمة رواية "آيات شيطانية" لسلمان رشدي، وعقد ندوات حولها فننعم بسب دين الله، وتحقير مقدسات المسلمين،، وسب الشعب التركي ذاته، وأخيرًا إشعال فتنة أزهقت فيها الأرواح ودمرت فيها البلاد. لقد رأى المثقف العلماني- بغباء أو تغابي أن الطريق

إلى النهضة وتحريك الأمة وصد غارات المستكبرين، ليس إلا طريقًا واحدًا أو بوابة واحدة، هي بوابة الشيطان وآياته؟

- الشيء نفسه أو قريب منه قام ويقوم به العلمانيون والشيوعيون في مصر الآن، حيث أصدر العلماني النصراني "غالي شكري" ملفًا كاملاً في مجلة "القاهرة" أهم مجلة ثقافية مصرية الآن، أوكَلَ مجهولون رئاسة تحريرها إلى نصراني علماني مشبوه، تاريخه حافل بروائح العفن الصحفي والسياسي والفكري، من أول اشتغاله بمجلة "حوار" التي كشف النقاب عن تمويلها مباشرةً من "المخابرات الأمريكية"، الصحفي وليد أبو ظهر في "الوطن العربي" (*) هذا المشبوه، دون غيره من مثقفي مصر، يوكل إليه رئاسة أخطر مجلة حكومية ثقافية والرجل كان عند الظن به، فأصدر ملفًا في المجلة، عن "التنوير" جعله كله للدفاع عن سلمان رشدي، وعن نظير له محلي، يُدعى "نصر أبوزيد" وحاول المشبوه أن يقنع أسياده بأنه - هو و النصراني العلماني- ينور الشباب المسلم ويجذبهم إلى "الاستنارة والعقلانية" بعيدًا عن التطرف الإسلامي والأصوليين.

- التحالف الشيوعي العلماني في مصر، يتوسد الآن معظم المنافذ الإعلامية والثقافية الرسمية، وفي زفة مواجهة التطرف الديني، وضعوا خطة "للتنوير" كان قوامها إعادة طبع ونشر كتابات "السلف العلمانيين" التي كتبت منذ مائة عام أو يزيد لقاسم أمين وعبدالرحمن الكواكبي وأحمد لطفي السيد ورفاعة الطهطاوي وعلي عبدالرازق وأيضًا "سلامة موسى" وكأن الأمر ليس مثيرًا للدهشة أن يوكل أمر هداية الشباب المسلم إلى نصراني مصري فما بالك إذا كان من نمط سلامة موسى، الذي يحمل كل احتقار ورفض لكل ما يمت إلى العرب والمسلمين بصلة؟

- في مصر الآن حركة غريبة ومفاجئة، بقدر ما هي مثيرة للفرح والبشر،

وتلك هي توبة نفر من الرموز الفنية الكبيرة والشهيرة- ولا سيما الفنانات- ورفضهم التمثيل جملة وتفصيلاً، وإعلانهم البراءة من هذا الوسط المتعفن، والتزام الفنانات منهن بالحجاب والطهر، واشتغال العديد منهم ومنهن بالدعوة إلى الله، خاصة في أوساط الشرائح الاجتماعية المترفة وفي أوساط النساء، هذه الظاهرة التي يفرح لها ويها كل مؤمن أثارت حقداً مريراً، وغيظًا طافحًا، في نفوس رموز الثقافة العلمانية، ليس في مصر فقط، بل في أنحاء كثيرة من البلدان العربية، وقد قاد التحالف (العلماني/ الشيوعي)وأذناب الغرب، قادوا حملة تشويه بشعة ضد هؤلاء التائبين وبخاصة التائبات، وقد روجوا إشاعات عديدة عنهن، منها حصولهن على مبالغ مالية طائلة من بعض الأثرياء لكي يعتزلن الفن، ومنها الغمز بأنهن مريضات وقد ضعفت نفوسهن أمام المرض، ومنها القول بأنهن تبن عن "انحرافات شخصية" وليس عن التمثيل والوسط الفني، وكأن الوسط الفني هو المجال الطاهر والمطهر والنزيه الشريف الذي زاد طهراً ونقاء بخروج هؤلاء المنحرفات عنه.

هذا بالرغم من أن رائحة العفن في هذا الوسط هي من الانتشار والذيوع إلى الحد الذي يستحيل على عاقل إنكاره أو تجاهله، ولكن الثقافة العلمانية وأذناب الغرب في ديارنا أبوا إلا أن يقولوا ما قال المجرمون في الزمن القديم:

﴿ أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون ﴾.

وعبثًا في هذا الخضم المظلم أن تسألهم عن الحرية الشخصية، وحقوق الإنسان!.

- هذه الحادثة تذكرنا بما وقع في الأردن منذ أشهر قليلة، عندما هاج العلمانيون وماجوا، وندبوا التحضر والاستنارة، لأن قراراً صدر بالفصل بين

الجنسين في حمامات السباحة حتى لا يرى الرجال والنساء بعضهم بعضًا عرايا، واعتبروا ذلك ردة حضارية، وعودة إلى "القرون الوسطى" أي والله هكذا قالوا.

- هناك- أيضًا- قضية المجاهدين العرب في أفغانستان، وهي قصة من أروع قصص الجهاد والبطولة في تاريخ العرب والمسلمين الحديث كله، فلما فتحت ساحات الجهاد في أفغانستان، بعد أن سدّها "المغاوير" على حدود فلسطين، واعتقلوا كل من تسول له نفسه المساس بأمن إسرائيل، لما فتحت ساحة الجهاد في أفغانستان هرع الشباب المسلم من العرب وغير العرب يقاتلون في سبيل الله ويدافعون عن أرض الإسلام، حتى منّ الله عليهم بالنصر المبين، والذي لا يقلل من شأنه أبدًا ما كان أو يكون بعد ذلك من خلاف وشقاق بين الأفغان أنفسهم.

المهم في القضية أن هؤلاء المجاهدين، في مجموعهم ساخطون على حكومات بلدانهم، ومعارضون لسياساتها ونهجها، ومن جهة مقابلة، خافت بعض هذه الحكومات من عودة هؤلاء المجاهدين، وقيامهم بأعمال عنف، وهم على كفاءة قتالية عالية، فوقعت هذه الموجة العارمة من التحذير من هؤلاء "الأفغان"، وركب العلمانيون الموجة، وتوطنت ثقافة التخريب في جروح المجتمعات، لتعمق الجروح، وتعزز الأوجاع، وتوسع نطاق الفتنة، إضافة إلى هذا الانحطاط العجيب في الحديث عن هؤلاء المجاهدين، بجعلهم عملاء لأمريكا، أو عملاء لباكستان أو مجرد مرتزقة، وبعد أن كانت مثل هذه الشتائم وقفًا على الشيوعيين العرب العميل المعتمد للاتحاد السوفيتي سابقًا، أصبح الأمر مشاعًا واجتذب سوق الشتائم السياسية ليبراليين وقوميين ومحافظين وغيرهم.

إن الحقيقة التي سجلها التاريخ واعترافات الشرق والغرب بروعة هذه الملحمة التي شهدتها أرض أفغانستان إنما تنطق بمعنى واحد لسياقنا الحالي وهو: أن شسع

نعل أحـد هؤلاء المجاهدين العـرب لو مسح بـوجه علمـاني من هؤلاء الموتورين لطهره، وما كنا لنتوقف عند هذه الترهات لثقـافة العلمانية، لولا ضرورات السياق لتسجيل مشاهد على أزمة المثقفين في ديار الإسلام

- وأخيرًا- نذكر- من مُلح مواقف وتصريحات المثقفين العلمانيين- ما صرح به من سمي "الأمين العام لحزب التجمع الـوحدوي التقدمي" المصري، وهو أكاديمي ورمز شـيوعي سـابق تداولت الصـحف اسمـه في أعقـاب فضيـحة نشـر وثائق المخابرات السـوفيتـية فيـما يتعلق بالرواتب التـي كانت تدفعـها الـ "كي جي بي" للتقدميين المعروفين في العالم الثالث.

الرجل زار تونس منذ وقت ليس بالـقصـير، وقد أعـلن عبـر أجهـزة الإعلام التونسـية أنه يطالب بجـعل يوم تولي الرئيس "زين العـابدين بن علي" للسلطة في تونس " يوم عيد" ليس عيدًا تونسيًا وحسب، بل عيدًا للعرب جميعًا؟

وسبب ذلك أنه- في نظره- نجح في قمع الأصولية في بلاده!.

---

* لقد سبق الصحفي والكاتب المعروف (محمد جلال كشك) أن كشف هذا الأمر في مجلته السابقة الشعب والأرض) - البيان -

الأصالة والحداثة

قراءة في فكر د. زكي نجيب محمود

(١)

د. نعمان السامرائي

د. زكي نجيب محمود علم من أعلام العلمانية المعاصرة عرف بمنهجه القائم على الفلسفة الوضعية المنطقية ، التي تُهمش كل ما يتصل بعالم الغيب وعلى ضوئها ألّف عدداً من الكتب من أشهرها : (خرافة الميتافيزيقا) وكان محل نقد كثير من علماء مصر ومفكريها ، لكنه بقي متمسكا بمنهجه هذا وأعاد طبع كتابه دون تغيير يذكر سوى تعديل العنوان إلى : (موقف من الميتافيزيقا) مع مقدمة تبريرية جديدة.والحق يقال أنه بعد أن اطلع على التراث العربي تغير موقفه المهاجم إلى موقف آخر أقل حدة ، وأكثر مراوغة !، وهذا ما وضّحه في كتابه : (تجديد الفكر العربي المعاصر) الذي اعترف فيه بجهله بالتراث العربي ودعوته إلى الجمع بين الأصالة والمعاصرة فالأصالة شكل والمعاصرة مضمون.

ويسرنا في هذه المجلة أن نقدم هذه الدراسة التقويمية لفكره بعد أن استغلت وفاته من قبل الإعلام العلماني في تكريسه رمزا من رموز الفكر العربي المعاصر.

- البيان -

بعض الأفكار والاهتمامات تنقدح في الذهن ثم تختفي، والبعض يرسب في أعماق النفس، بحيث تبقى "تلح" على صاحبها، وكأنها تذكر بنفسها ووجودها.

وأذكر- حتى هذا اليـوم- تلك الساعات التي كنا نناقش فـيها- ونحن في مرحلة الدراسة المتوسطة- الأمم المتـقدمة وغير المتقدمـة، وحاولنا بسذاجة أن نحدد "مـعايير" لذلك. ثـم كرت الأعوام وكـثرت وتنوعت الاهتمـامات، ولكنّ موضوع التـقدم ومن هو المتقدم؟ لم أستطع دفعـه، وقد حملني ذلك على قراءة كل بحث أمكنني الوصول إليه، مسـتهدفًا التعرف على الموضوع، حتى تـصورت في فتـرة أن الجواب يمكن أن أجـده في كتب التـاريخ أو في "تفسير التاريخ" وحملني ذلك على أن أكتب في هذا الميدان كتابًا، ثم تابعت ما يكتب عن التغير والتطور وعن الثوابت وماهيتها.

الدكتور:زكي نجيب محمود ونظريته

قد قرأت أخيرًا للدكتور زكي نجيب محمود، فوجدته يحمل هذا الاهتمام حتى ليقول [1] (... إن قضية الجمع بين أصـالتنا وضرورة معايشتنا لعصرنا، ربما كانت أهم ما تعرضـت له من اهتمامات بالتفكير وبالكتـابة، ثم ماهو أكثر من ذلك، فقد أصبحت على يقين من أن هذه المسـألة هي أم المسائل الثقافية فيه جميعًا... إذ هي حقًا القضـية التي يصح أن نقول حيالها قولة "هاملت" في أزمته النفسية: أن أكون أو لا أكون ذلك هو السؤال).

يعترف بعد ذلك الرجل بصراحة بأنه في أول حياته العلمية، وحتى أواسط السـتينات من القـرن الميـلادي، لا يرى في الحيـاة القومـية [2] (إلا صـورة واحدة، هي صورة الحياة كما يحياها من أبدعوا حضارة هذا العصر...).

فقد اتخذ من حضارة الغرب مقياسًا يقيس به شعوب الأرض قاطبة، فكل من اقتـرب من الغرب وحضـارته فهو متـقدم، ومن ابتعـد فهو متـأخر [3] (هكذا كان الـرأي عندي حتى لقد بلـغت فيه حـدودًا من التطرف، الذي لم

يعرف لنفسه حيطة وحذرًا). ثم يعقب على ذلك: بأن الأمر كان يبدو له وكأنه مجرد بدهية من البدهيات، التي لا تحتاج حتى إلى البحث أو التأمل.

ثم يحاول طرح نظرية تزرع نوعًا من الوئام والسلام بين "الأصالة والحداثة" وقد حمله هذا الاهتمام" لقراءة التراث، بعد أن وضع لنفسه منهجًا، وراح على أساسه يقرأ التراث، وسيطرت عليه فكرة "التطور" سيطرة أفسدت عليه منهجه، كما استحضر بعض قراءاته للفكر الاستشراقي الغربي، معتبرًا بعض مقولاته مسلّمات من مثل [(٤)] (إن الثقافة تراثنا هي ثقافة صدق المقولة فهو يحاول البحث لها عما يسندها فيقول: [(٥)] (ثقافتنا الموروثة ثقافة مدارها "الكلمة" وثقافة عصرنا مدارها "الجهاز" . . . . فبينما الكلمة الموروثة توحي إليه بشئ، تجئ "الأجهزة" فتوصي إليه بنقيضه، وبين النقيضين يقع- أي الإنسان عندنا- فريسة سهلة) ثم يردد مقولة المستشرقين ويضع أمامها "كيف" فيقول: [(٦)] (كيف غلبت النظرة العلمية على اليونان والغرب كله بعدهم- وغلبت النزعة الصوفية على الشرق الأقصى)؟.

ولكنه وهو يحاول وضع منهج سلام بين "الأصالة والحداثة"، يقول بأن الثقافة العربية كان لها القدرة على الجمع بين النظر العلمي والوجدان الصوفي.

أسئلة لتحديد المراد:

يطرح سؤالين حول الموقف الحضاري للأمة العربية اليوم هما: [(٧)]

١- ماهي أهم العناصر التي نعنيها حين نتحدث عن الشخصية العربية (الأصلية) وأعتقد أنها "الأصيلة"؟.

٢- ماهي أهم العناصر التي تتألف منها بنية الثقافة العصرية؟.

ويرى أن تحديد ذلك يساهم في صنع "المركب الواحد" وعن الشق الأول، يرى أن هناك ذاتا إلهية خالقة، وعالم كائنات مخلوق لذات الله، وبينهما "كائن ميزه خالقه فجعله حامل "أمانة" ذلك هو الإنسان، وهو (كائن خلقي بمعنى أنه مكلف بأن يحقق في سلوكه قيمة أخلاقية محددة معينة، أمليت عليه ولم تكن من اختياره، فليس من حقه أن ينسخ بعضها، وأن يضيف إليها ما يناقضها).[(٨)]

ثم يضيف الدكتور أن هذا "التكليف" الأخلاقي لا يكتمل معناه إلا بالمسؤولية، وهي أخلاقية وشخصية، فلا يحملها أحد عن أحد.[(٩)]

ثم يذكر أن الثقافات الأخرى لها مفاهيم مختلفة، فالبعض يرى الأخلاق "واقعية" فما ثبت نفعه التزمناه، وما ظهر ضرره تركناه، ونظراً لتبدل النفع والضرر فإن المبادئ الأخلاقية "نسبية" وغير مطلقة، والبعض الآخر يرى أن للإنسان مطلق الحرية أن يتخذ لنفسه ما يشاء من قرارات، بشرط واحد: هو أن يكون مسؤولاً عن قراره، ولا أحد يمكنه أن يملي عليه مهما كان. ثم يقرر الدكتور أن الوقفة العربية مختلفة عن كلا المذهبين.

لو أمسكنا بالقيم الثابتة الموضوعة لنا تعرضنا لخطر الجمود ولو سبحنا أحراراً مع تيار الزمن وتغيراته، تعرضنا لانحلال الشخصية، وغاية ما أستطيع قوله في هذا الصدد، هو أن قيمنا الأخلاقية الموروثة، فيها من السعة ما يمكننا من التصرف في إطارها بدرجة من الحرية، تكفي للحركة مع سرعة الإيقاع في عصرنا. ومن مميزات الثقافة العربية كذلك تلك الرغبة الشديدة عند الإنسان في أن يتسامى على دنيا الحوادث المتغيرة، ليلاذ بما هو ثابت ودائم، فكلُّ ما في الأرض والسماء فان وزائل متغير أبداً يتحول أبداً، ففيم التمسك به،

وهو عاجـز عن التماسـك بذاته؟ أليس ثمة مرفـأ بمأمن من أعاصـير الفناء، والصيـرورة والتغـير الدائب، من حـال إلى حال؟ لنحـتمي بمثل هـذا المرفأ فنسلم. . . .).

هذا الكلام وإن كان ظاهره جيد إلا أنه غير صاف تمامًا من لونه المتطور ثم إن الدكتور ينساه حين يتذكر التربية "العلمانية" والتعليم العلماني، الذي تغذاه منذ صغره حتى كبره، ينسى كل ذلك حين يباشر الحديث عن "التقدم"

التقدم

يطرح الكاتب سؤالاً [(١٠)] (كـيف ألتزمُ النظرة العلمـية الصارمـة، لأساير عصـري، وأن أظل مع ذلك تواقًا إلى غيب وراء الشـهادة، يتـحقق لي فـيه الخلود والدوام، لأظل محتفظًا بهذه السمة الغريبة في نظري ؟).

سؤال جيد، أحسب أن شيخ الإسلام ابن تـيمية قد أجاب عنه حين قرر: أن لا تعارض بين العقل والنقل، فإذا وجد التعارض أخذنا بالقطعي منهما.

بعد هذا تطغى على الدكتـور النزعة والتربية العلمانيـة فيقول [(١١)] (إني لأرجح أن يكون الحل في أن نعيش في عالمين يتكاملان ولا يتعارضان، بشرط ألا نسمع لأحدهما أن يتدخل في مجال الآخر).

هذه هي العلمانية (دع مـا لقيصر لقيصر ومـا لله لله) ولنقرأ كذلك [(١٢)] (بغير هذا الفصل الحاد بين العالمين يستحـيل علينا التوفيق بين علمية العصر، وصوفية الأصل الموروث).

أنا لا ألوم الدكتور فتربيته وتعليمه جاءت علمانية، وقد أفسدت عليه رؤاه، كما أفسدت منهجه، وإذا كان الغرب - لأسباب خاصة - تبنى العلمانية؛ فلا يعني ذلك وجـوب أن نتبنـاها، ذلك أن الإسلام غـير النصـرانيـةالكنسيـة،

والشروط الموضوعية غير متوفرة عندنا، وليس هنا مجال بحث العلمانية، وبشروطها الموضوعية.

التقدم، المبادئ، التغير، الفردية

بعد هذا يحاول الدكتور التعريف بثقافة العصر، فيرى من المفيد دراسة "التقدم"، "المبادئ"، "التغير"، "الفردية"، والهدف بيان أبعادها في الفكر المعاصر.

ويهمنا بحثه في "التقدم" الذي يرى فيه أنه أبرز ما يميز العصر الحديث كله، ومنذ ثلاثة قرون وحتى اليوم (١٣).

وخطورة البحث أنه جاء منحازاً كليًا، وجنح الكاتب إلى الوصف الأدبي، فلنقرأ (١٤) (إنك لكي تتقدم من حالة إلى حالة، لابد أن تعد الحالة الأولى متخلفة بالنسبة للحالة الثانية، فالنقلة لا تكون تقدمًا إلا إذا كان وراء ذلك فرض هو أنها نقلة مما هو أسوأ، إلى ماهو أفضل، لا مما هو حسن إلى ماهو حسن آخر، فضلاً عن أن تكون نقلة من الأفضل إلى الأسوأ، ومعنى ذلك أن "الماضي" دائمًا، وفي كل الظروف، أقل صلاحية من الحاضر، ذلك إن زعمنا أن الحضاة "تقدم" وإلا فقدت هذه الكلمة معناها.

وههنا نضع أصابعنا على ركيزة أولى، لا محيص لنا عن قبولها إذا أردنا أن نشرب بروح عصرنا، وهي أن نزيل عن الماضي كل ما نتوهمه له من عصمة وكمال. . .).

من اليونان إلى هيغل وماركس إلى د. زكي

الذي لا أشك فيه أن الدكتور زكي بحكم دراسته الفلسفة، قد اطلع على فكرة: أن الحضارة في تقدم مطرد، حيث قال بذلك بعض فلاسفة اليونان،

ثم جاء هيغل فجعل منها نظرية، فسر بها تاريخ الإنسانية، حيث اعتبره "صراع متناقضات"، كما قال بأن كل عهد يأتي يكون أرقى من سابقه، والحضارة التالية يجب أن تكون أرقى من سابقتها، بل إن أوجه الحضارة في رقي دائم لا سبيل إلى مقاومتها، وقد نقلت الماركسية ذلك عن معلمها "هيغل" حرفيًا وسلمت به- وإن لم تكف عن شتمه-.

ولكنّ مؤرخًا مثل توينبي يقول (١٥) (لقد ارتقى علمنا فبلغ درجة لم يسبق أن بلغها، ومع ذلك فقد انتكسنا في نفس الوقت في الحروب الطبقية والقومية والعنصرية، إلى أعماق قد لا يكون سمع بها أحد قبلنا، وهذه المشاعر السيئة، تجد لها متنفسًا في أعماق القسوة الغليظة المصممة علميًا).

لقد تحمس الدكتور زكي فاندفع يؤيد "نظرياته" بأقوى من المنادين بها.

- يتبع -

تعقيب على مقال د. محمد آمحزون

عادل بن عمر المقرن

المكرم مدير تحرير مجلة البيان سدّده الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فهذا تعقيب بسيط على مقال الدكتور الفاضل محمد آمحزون في البيان ٦٦ تحت عنوان (الحركة العلمية في بلاد الحجاز في العهد الأموي)، ويرتكز على أمرين هما:

- أولاً: ورد في الصفحة (٤٠) [فأول من تكلم في الإرجاء الحسن بن محمد بن الحنفية الهاشمي المدني (ت سنة ٩٩ هـ)...]، فيلزم التنبيه هنا- حتى لايحدث لبس أو سوء فهم- على أن الإرجاء الذي تكلم فيه الحسن بن محمد بن الحنفية ليس الإرجاء المتعلق بالإيمان والذي يعيبه أهل السنة، وإنما هو إرجاء أمر المشتركين في الفتنة بعد خلافة الشيخين- رضي الله عنهما- إلى الله عز وجل. ويتضح لنا ذلك من أن ابن حجر- رحمه الله- قد اطلّع على الكتاب الذي وضعه الحسن بن محمد في الإرجاء، [فيقول ابن حجر: المراد بالإرجاء الذي تكلم فيه الحسن بن محمد غير الإرجاء الذي يعيبه أهل السنة: المتعلق بالإيمان، وذلك أني وقفت على كتاب محمد بن الحسن المذكور.... إلخ] (١)

فبالتالي الإرجاء المتعلق بالإيمان لم يعرّج عليه.

ثانيًا: ورد في الصفحة (٤١)[الإرجاء الخاص بالصحابة....]،، والأحوط حتى لا يحدث لبس في المعنى- فيظن ظان أن الصحابة رضوان الله عليهم قد وقع بينهم الإرجاء- أن تكون العبارة "الإرجاء الخاص بأمر الصحابة" (٢).

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/٢٦-٢٧ تحقيق د. أحمد سعد حمدان.

نشر دار طيبة- الرياض.

(٢) من نسبة الفضل إلى أهله، أشار إلى هذه الملاحظة فضيلة الشيخ عبدالعزيز قاري- عند مناقشة رسالة الدكتوراة لفضيلة الشيخ د. سفر الحوالي.

ردود قصيرة

يسعدنا تواصل القراء مع مجلة البيان وتعقيباتهم وتنبيهاتهم لما ينشر في هذه المجلة ويسرنا الإجابة على بعض ما وردنا مؤخرًا بما يلي:

١- تنبيه الأستاذ حمد بن إبراهيم الحريقي- الرياض- السعودية، ومما ذكره من أن الحديث المذكور في حاشية الصفحة ٢٤ من العدد (٦٧) "إنك إن تتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم". بأنه ليس كما أشير إليه في صحيح البخاري وبعد مراجعتنا الحديث تبين لنا أن (الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ج ٦/ ٤ وعند أبي داود في الأدب/ باب النهي عن التجسس/ بلفظ (إذا ابتغى الأمير الريبة في الناس أفسدهم). ورواه البيهقي في شعب الإيمان وورد في

مشكاة المصابيح بتحقيق العلامة الألباني رقم ٣٧٠٩. والبغوي في شرح السنة ١٣/ ١٠٦ وكذلك في جامع الأصول/ ج/ ٤/ ٨٣ ونحن بدورنا نشكر الأخ الكريم.

٢- الأستاذ إبراهيم بن عبدالرحمن الخنفور اقتراحك جيد وقد أرسلت لك رسالة خاصة.

٣- الأخت/ عفاف الدريهمي/ يسعدنا تقديرك للمجلة والقائمين عليها والمجلة لا تنشر المختارات. ونتنظر منك مشاركات قادمة إن شاء الله.

٤- الأخوة الكرام/ محمد سعيد الزهراني، أحمد السيف، زيد الرماني، أحمد العجروش، عبدالله النمري، عزيزة النصار، محمد أبوعزام، مشاركتكم وصلت وهي محل الدراسة.

٥- الأخت ذات النطاقين مشاركتك وصلت ويلزم ذكر الاسم الصريح ولا مانع من النشر بالاسم الرمزي بعد ذلك. وسنتطرق للرسائل الأخرى في الأعداد القادمة بإذن الله.

من أنشطة المنتدى
الإسلامي الصيفية
(٢)

ثانياً: المؤتمر الأول للدعاة في غرب إفريقيا (غانا)

انعقد هذا المؤتمر في الفترة من ١٣/٨/١٩٩٣ إلى ٢٢/٨/١٩٩٣ في مدينة ونيشي بغانا حيث يوجد مشروع (ونيشي التعليمي) التابع للمركز. ويهدف هذا المؤتمر إلى جمع أكبر عدد من الدعاة في دولة غانا والدول المجاورة لتبادل الآراء والخبرات الدعوية وعرض أهم العقبات التي تواجه الدعوة في كل دولة وحلها.

شارك في المؤتمر وفود تمثل الدول التالية:

غانا وهي الدولة المضيفة للمؤتمر وشارك منها ٤٠ داعية، توجو وشارك منها ٢٤ داعية، بوركينا فاسو وشارك منها ٢٣ داعية، بنين وشارك منها ٢٥ داعية، ساحل العاج وشارك منها ١٩ داعية.

وعقد المؤتمر تحت شعار ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ﴾وكان برنامج المؤتمر قسمين:- المحاضرات في التوعية والتوجيه وألقاها الدعاة الضيوف على المؤتمر.

- كلمات موجزة بعد الصلوات وندوات وبحوث علمية شاركت فيها الوفود المشاركة.

المحاضرات اليومية للمؤتمر كمايلي:

١- واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم. ٢- منهج الاستدلال والتلقي عند أهل السنة. ٣- العلمانية وأثارها الخطيرة في العالم الإسلامي. ٤- أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم. ٥- مقاصد التشريع الإسلامي. ٦- التوحيد مفتاح دعوة الرسل. ٧- منزلة الصحابة وحكم القوم فيهم. ٨- العلم الشرعي ضرورته وأهميته.

أهم البحوث والندوات التي تشارك بها وفيها الوفود:

١- الإيمان شروطه وآثاره ونواقضه. ٢- تاريخ الدعوة السلفية في كل دولة.

٣- سجود السهو وأحكامه. ٤- شروط كلمة التوحيد. ٥- الأخوة الإسلامية وثمراتها.

٦- مشكلات الدعوة والدعاة والحلول المطروحة. ٧- الفرق المنتمية للإسلام ونشاطها في كل دولة. ٨- أنشطة الدعاة في دولهم والخطط المستقبلية. ٩- تعليم العربية والإسلام في إفريقيا الواقع والحلول.

وفي آخر يومين من المؤتمر أجريت مسابقة في القرآن الكريم وإعداد البحوث العلمية بين أعضاء الوفود المشاركة وفي اليوم الأخير وزعت جوائز على الفائزين بأفضل البحوث وكانت الجوائز تذكرة عمرة للشخصية المثالية في المؤتمر وكفالة داعية لمدة سنة فاز بها خمس دعاة واشتراك بمجلة البيان وفاز بها عشر دعاة مع توزيع شهادات التقدير على جميع المشاركين وبعض الهدايا المفيدة كالكتب والرسائل والأشرطة المسجلة للمحاضرات الإسلامية القيمة.

ثالثًا: الدورة التدريبية للخويجين في مالي:

وقد نظمها المنتدى الإسلامي بالتعاون مع رابطة الدعاة بمالي في الفترة من ١٤١٤/١/٢٧ إلى ١٤١٤/٢/٦هـ في المعهد الإسلامي وكان عدد المشاركين خمسين مشاركًا من مختلف أقاليم (مالي) وبعد حفل الافتتاح ابتدأت الدورة التي تضمنت العديد من المحاضرات ومن أهمها (صفات الداعية)، و(غزوة أحد دروس وعبر) و(تقسيم الحديث). و(مقاصد الشريعة) و(وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم). وعقدت ندوتان بالمؤتمر وهما:

١ - دور الإعلام في العمل الإسلامي. ٢ - واقع المسلمين في مالي.

وقد تم تقسيم المشاركين في قاعتين دراسيتين وتخصيص صالة للأنشطة وكان عدد المحاضرات في اليوم خمس محاضرات لمدة عشرة أيام متتالية.

رابعًا: - الدورة التدريبية للأئمة والدعاة في بنجلاديش

وقام المنتدى الإسلامي بهذه الدورة في الفترة من ١٤١٣/١١/١٥ إلى ١٤١٤/٢/٩هـ - وكان منهج هذه الدورة مملوءًا بالمواد الهامة في العقيدة والتفسير والفقه والدعوة والقرآن وتجويده وقام بالتدريس نخبة من الأساتذة والدعاة، وكان البرنامج اليومي للمتدربين يمتد خلال ٢٤ ساعة وقدجهز السكن والتغذية وقدمت مكافآت رمزية للمتدربين وكان الحوار و المشاركات باللغة العربية.

خامسًا: - الدورة الشرعية الأولى في مبماسا بكينيا:

عقدت في معهد الشيخ خليفة بن راشد في الفترة من ١٤١٤/٣/١هـ إلى ١٤١٤/٣/١٠ هـ بإشراف المنتدى الإسلامي بهدف تشخيص الداء في أوساط الدعاة إلى الله ووصف الدواء المناسب لهم. وشارك في هذه الدورة العديد من الشباب المتخرجين من الجامعات الإسلامية ممن يعملون في مجال الدعوة في كل من كينيا وتنزانيا وأوغندا والصومال وكان برنامج الدورة محتويًا على العديد من المحاضرات والندوات المختلفة وقد تجاوزت أنشطة الدورة إلى المساجد بماسا وما حولها حيث كان العلماء والدعاة المشاركون يلقون محاضراتهم وتترجم للسواحلية من قبل الشباب المشاركين وقد طالب المشاركون بأن تعقد مثل هذه الدورة كل عام لما وجدوا فيها من الفوائد وتنشيط الهمم والتعاون وتوحيد الكلمة. وقد أعدت جوائز قيمة للمشاركين وهي تذكرة عمرة ومراجع قيمة.

تعالوا بنا نحدد الهدف

د. محمد بن ظافر الشهري

فيما ينتشر طبق الاستقبال (الدش) في بلاد المسلمين انتشار النار في الهشيم، تحدث في أوربا- وفي ألمانيا بالتحديد- قصة لأحد المبتعثين العرب، وهذه القصة جديرة بالوقوف عندها مليًا للتفكر والاعتبار.

لقد اشترى هذا العربي طبق استقبال "دشّ" بمائتين وخمسين ماركًا تقريبًا، مُعَللاً إقدامه على هذا الفعل بأنه "يحتاج" إلى التقاط محطات تتحدث الإنجليزية لأن المحطات السِّت في ألمانيا تتحدث جميعًا الألمانية "الفصحى"؛ وعندما أراد صاحبنا من الشركة أن تركب الجهاز على المنزل الذي يسكن فيه "أمرته" الشركة أن يحضر موافقة خطية من صاحب المنزل، فرضخ لأمرهم ولسان حاله يقول "ودارهم ما دمت في دارهم"، وظنّ الرجل أن موافقة صاحب المنزل "مضمونة" وحمد الله الذي سلمنا - نحن المسلمين- من هذه الأمور "الشكلية" فنحن نبيع ونشتري ونركب هذه الأطباق بمنتهى الحرية.

ونعود إلى صاحب المنزل الذي كان امتعاضه شديدًا لدى علمه بهذا الأمر، لأن "الألماني" يرى أنه "يجب" أن يُستأذن قبل شراء الجهاز ولهذا فقد شدد على وجوب الانتظار ثلاثة أشهر حتى يعرض الأمر على مجلس الحي "ليتشاوروا" ويخرجوا في هذه "النازلة" بقول فصل، كما حذر من مغبة استخدام الجهاز ولو في داخل غرف المنزل!!

وبعد ثلاثة أشهر قرر مجلس الحي أنه لا يمكن السماح بمثل هذا الفعل بأي حال من الأحوال، وأكد المجلس أن هذا ليس تدخلاً في الحريات الشخصية ولا هو من قبيل التراجع عن المبادئ "الديمقراطية" ولكنه حق من حقوق "ألمانيا" التي جاءت بهذا العربي ليرجع بالفكر الألماني ولا شئ غير الفكر الألماني. وهناك تبرير آخر أورده "المجلس" وهو أن السماح لهذا الغريب باستخدام طبق الاستقبال ربما أدى إلى انتشار هذه العادة السيئة في أوساط الألمانيين في البلد وهذا أمر خطير للغاية!!

لقد أصابتني الدهشة عندما علمت بأحداث هذه القصة فمن المؤكد أن الألمان لا يرفضون انتشار الأطباق خوفًا من الإباحية فهم أربابها والسابقون إليها، كما أن الرفض لم يكن لأسباب دينية أو اقتصادية "مباشرة"، ولكن السبب الحقيقي- بعد التأمل- هو أن الألمان يحملون في صدورهم عقيدة" "ألمانيا قبل كل شيء"، وقد جعلوا من هذه العقيدة هدفًا يعملون من أجله ويتحمسون له بل ويقاتلون في سبيله.

إذا كان هؤلاء القوم حملوا هذا المبدأ الهزيل المتهافت، الذي هو عبادة للتراب، ولكنهم اتفقوا على العمل من أجله فتحقق لهم من القوة المادية ما لا يخفى على أحد اليوم، فكيف بمن يَصْدُق في حمل عقيدة ﴿ **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ الأنعام(١٦٢). إن الأمة التي تحمل هذه العقيدة وتخلص في العمل من أجلها وتجعلها همها الأول والأخير وتغرسها في قلب كل رجل وامرأة بل وفي قلب كل طفل، لا يمكن إلا أن يُمكَّنَ لها في الأرض وتتحقق لها القوة الروحية والمادية وتقوم بالخلافة في الأرض على الوجه الأكمل الذي يرضاه الله تعالى ﴿ **ولينصرن الله من ينصره إن الله لقويٌ عزيز. الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾ الحج (٤٠، ٤١).

البيان

مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن

المنتدى الإسلامي (لندن)

رئيس مجلس الإدارة

د/ عادل بن محمد السليم

مدير التحرير

أحمد أبو عامر

المدير الإداري

د/ عادل دعبول

العنوان

AL BAYAN MAGAZINE

7 Bridges Place
Parsons Green
London SW6 4HR U.K.
Tel : 071 - 731 8145
Fax : 071 - 371 5307

كلمة صغيرة

قافلة طويلة من ورق المطابع أو من ورمها - إن شئت -! توازيها ساعات إذاعية وتلفازية بالغة حد الكآبة من الطول .. واكبت ما تمخض عنه جبل السلام السرابي من فئران .. ليس آخرها أخبار انهيار جدار المقاطعة لإسرائيل على غيرما صعيد .. تلك التي لم يمكن جوفها - قبل السلام - ليتسع لأكثر من ٤٠٠ مليون دولار من التعامل التجاري بين العرب وإسرائيل!! حقاً إنه مبلغ ضئيل بالقياس إلى ما يطمح إليه عبدة التلمود بعد اتفاقية الاستسلام وتداعياتها.

إن ذلك السيل الإعلامي الذي واكب الاتفاقية ارتبط في معظمه بالحدث السياسي الآني بينما الحاجة ماسة إلى طرح شمولي يحدد معالم المرحلة الجديدة من الصراع ويتضمن رؤية مستقبلية تبرز بعضاً من القاع الذي ينتظر سفينة المنطقة بعد أن أنهكتها العواصف ، ثم ها هي فئران السلام تقرض آخر البقايا للدفع بها إلى الهاوية التي يحمل مدخلها لوحة سوداء كتب عليها بأيدي المستأجرين (جنة التطبيع الاقتصادية) ، وإن هي إلا جنة كجنة المسيح الدجال !

وبين لجج هذا الزيف ! تأخذ المعالجة الشمولية العميقة أهمية بوصلة النجاة ! وقد حاولنا - من خلال جهد المقل - تقديم شيء من ذلك ، وحسبنا أن نضرب في الغنيمة بسهم !..

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

التركيع القادم..!

التحرير

رويداً رويداً يخف ضجيج التصفيق ، الذي شهدته جنازة «فلسطين» في الحديقة الجنوبية للبيت الأبيض ، وقليلاً قليلاً يزول مفعول المخدر الناتج عن هول الصدمة ، وسرعة تصاعد الأحداث السابقة لحفلة التوقيع ، وشيئاً فشيئاً يحس المعنيون بقضية المسلمين الأولى في التاريخ المعاصر ، أن وقع التهويل الإعلامي والدعاية الإعلامية الفجة قد أخذ يخف لتطل الحقيقة الغليظة بقسماتها البشعة وقامتها القصيرة وحدبة ظهرها ؛ لتبرهن على أن الآلة الإعلامية الغربية وفروعها العربية ، تستطيع أن تروِّج للمُنتج السياسي المتمثل في الاتفاق الأعور «لبعض الوقت» ، لكن رداءة هذا المنتج تبقى أوضح بكثير وأبشع بمراحل من كل الرتوش والمساحيق والأصباغ التي بُذلت لتجميل هذا المسخ الذي يُفرض على الأمة قبوله . . لا بل الإشادة به . .

لقد عملت وسائل الإعلام لتحقيق هدف واحد بصورة متكررة ومن زوايا مختلفة ، هذا الهدف هو تصوير الاتفاق على أنه «اختراق تاريخي!» و«حدث كوني» و«إنجاز خلاَّق» - في زعمهم - وهو كما قالوا ورددوا ، ولكن بالنسبة للطرف المستفيد والأقوى في هذه الصفقة : إسرائيل وحلفاؤها الغربيون الذين وجدوا في الاتفاق جسراً يؤدي إلى الخروج من المأزق الراهن ، وأفقاً جديداً يساهم في اختراق الجسم العربي الواهن أمام عوامل الضعف الذاتية

والخارجية.

لقد رسمت إسرائيل منذ البداية أهدافاً واضحة ، وخططاً مرحلية ترمي إلى ترسيخ المشروع الصهيوني ، ودمجه بكيانات عربية ضعيفة متداعية وساهم الفكر العربي المستورد الذي أثبت عبر تجربته التاريخية الممتدة منذ الثورة العربية الكبرى واتفاق« الملك عبدالله – ماكماهون» وحتى اتفاقية «عرفات – رابين» أن المشروع العربي البعيد عن ثوابت الإسلام قابل للتشكيل والقولبة بحسب الظروف الدولية التي استطاعت خلال خمسين عاماً أن تنخر في الثوابت وتعصف بالمسلمات ، حتى تداخلت صيحات الرفض والتخوين بهتافات السلام والإشادة بالغاصب ، وهكذا تأكد أنه في ظل القيادات العلمانية العربية يصبح كل شيء قابلاً للنقاش ، وأن ما ترفضه اليوم ستقبله غداً بعد «تحريك الساحة» و«ترويض السلاحف» التي سارت رويداً رويداً من الرفض واللاءات الثلاث الشهيرة وقمم الصمود والتصدي وشعار «ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة . . » حتى المشهد الحالي الذي يعد بالتطبيع والسلام المنكس رأسه والتعاون مع أعداء الله ونبذ العنف والتبرؤ من رفع الحجر في وجه الغاصب أو تنظيم مسيرة تندد بالاحتلال . . إلا إذا كانت باللغة العبرية – لغة مرحلة السلام المفروض على المفلسين – وتجار النضال سابقاً أو سماسرة التطبيع القادم.

. . . ولعل في التأمل في قيادة المشروع الصهيوني مثالاً صارخاً جديراً بالتأمل والتوقف ، لقد قامت هذه القيادة «بتنفيذ» المشروع الصهيوني بحرفية شديدة وأصولية مطرّدة . . وحينما تتأمل أهداف وأساليب بن غوريون أو وايزمن أو مائير . . تجدهم لا يقلون التزاماً بمشروعهم الصهيوني عن بيجن وشامير ورابين وبيريز . والفرق بين الجيل الأول والثاني فرق في الوسائل والأساليب ليس إلا . . صحيح أن معطيات الحرب الباردة كانت تسمح بالتمدد

العسكري ، وحصد المكاسب على الأرض ، لكن المعطيات الدولية الراهنة بعد الانتهاء من تصفية الجسد الشيوعي «وتصميم» العدو الإسلامي الجديد تقتضي أن ينتقل المشروع الصهيوني إلى صورته الحالمة بالاندماج في كيانات متداعية والسيطرة عليها من خلال منطق القوة الجديد الذي تتشابك فيه القوة التقنية بالعضلات الاقتصادية ، وتختلط فيه الترسانة العسكرية بأحدث أساليب التأثير الإعلامي الذي يكفل تكريس مفهوم التفوق اليهودي والمرجعية «الإسرائيلية» لدول المنطقة أو ما تطلق عليه مراكز الأبحاث العبرية والغربية «إسرائيل الكبرى» . . اليهود ومشروعهم الصهيوني يرى أن الجانب الغربي قد استنزف تماماً من مقومات القوة والمقاومة والعافية ، وأن الوقت قد حان - بعد طول انتظار - لأن يأخذ المشروع الصهيوني مداه في التمدد والسيطرة والاختراق والمرجعية في المنطقة . . والمشروع الصهيوني وقياداته يتكئون في هذا على تراكم تاريخي هائل وتجربة ماضية ممتدة إلى هذه اللحظة تقول بصوت مدو : إن اليهود والصهاينة لم يشكلوا في يوم ما كياناً مستقلاً في أي أرض أو في أي قطر منذ أكثر من ألفي عام . . . اليهود الجبناء لا يمكنهم أن يعيشوا مستقلين معتمدين على ذواتهم ، فتش عنهم في مراحل تاريخهم لتجدهم طفيليات تقوم على امتصاص عرق الآخرين والاتجار بمصائبهم . . هكذا كانوا في أوروبا والغرب . . وهكذا عاشوا في عالمنا الإسلامي حينما منحهم «حق الذمة» وحماهم من المجازر الجماعية المتتالية . . بل إنهم في أعظم نجاحاتهم المعاصرة في أمريكا كانوا يمارسون السلوك نفسه . . الشعور بحريتهم وامتيازهم المزعوم كشعب الله المختار والتغلغل في تفاصيل الحياة الأمريكية الحساسة كالاقتصاد والإعلام والمحاماة . . والسياسة . .

إسرائيل ويهودها ينظرون إلى تجربة إخوانهم في أمريكا (الأرض الجديدة) على أنها أنجح تجارب اليهود في تاريخهم ، حيث حدث «الاختراق

العظيم» . . وهم يأملون أن يكرروا التجربة نفسها في الأرض القديمة . . أرض الرسالات والملاحم والثروات التي يحكمها المشروع العلماني العربي المأزوم . .

إن كانوا يزعمون أنهم شعب الله المختار . . فالعرب هم شعب الله المحتار ، وهم كذلك بما كسبت أيديهم وبما اختارته قيادات النضال الغابر التي تحول فيها المشروع الفاشل بين يوم وليلة إلى قصر رمال منهار ، حيث أن المشروع العلماني العربي كرس أدواء وعللاً ومظاهر ، يبدو الحل السلمي الرخيص أحد أعراضها فقط . . كما يظهر ضعفه أمام مشروع الصهاينة المنتصر وهم الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله . .

أسباب فشل المشروع العلماني ورموزه عديدة - تستحق وقفة أخرى - لكن من اللازم أن يذكر أنه مشروع «الأعداء» في مواجهة الإسلام ، صِيغَ وقُدِّم بلغة عربية . . أما مشروع الصهاينة فقد انطلق من الذات وحكمة الدين عندهم - بالرغم من تحريفه - وغذته توراتهم وتلمودهم اللذان كتبوهما بأيديهم .

مشروع الصهاينة المنتصر الآن حركته نفوس تقاتل لدين وعقيدة . . ومشروع الثورة العربية الكبرى صاغه الجواسيس كلورانس والواجهات كالشريف وأولاده وتمسك به تجار القضية العلمانيون . . وأغلب الظن أن الصهاينة سيحصدون مزيداً من الانتصارات أمام شراذم العلمانية العربية التي وصلت إلى الدرك الأسفل من العار حتى يأذن الله لهذه الأمة أن تنهض من رقادها . . وترفع مصاحفها في وجه الزبد . . ترفعها قولاً وفعلاً . . وممارسة في وجه الحاكمين بغير ما أنزل الله ويومئذ تتساقط الأصنام ، وما ذلك على الله بعزيز . .

الجهر بكلمة الحق والصدع بها

عبدالله بن عليّ النمري

أعتقد أن من أهم الدروس التي ينبغي أن يعيها الدعاة المسلمون وعياً كاملاً الجهر بكلمة الحق ، والدعوة لهذا الدين بكل جرأة وشجاعة ، وعدم التنازل أمام أي أحد عن شيء منه ، لأن هذا الدين الذي ارتضاه الله جل وعلا لعباده ؛ وحدة متكاملة ، لا تقبل أنصاف الحلول ، فالله يريد أن يُطَبَّق شرعه كاملاً غير منقوص .

لقد كان بعض المسلمين في المرحلة المكية - وهي مرحلة استضعاف - يجهر بكلمة الحق ، وهذا رد على الذين يحتجون بأن المرحلة التي يعيشها العالم الإسلامي اليوم هي مرحلة استضعاف ، وهذا يعني عندهم أنه ينبغي أن تكون الدعوة سرية خالية من الصدع بكلمة الحق ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ونحن نقول لهم : إننا نتفق معكم في أن المرحلة التي يعيشها المسلمون اليوم هي مرحلة استضعاف ، وأنها عظيمة الشبه بتلك المرحلة الأولى من دعوة النبي عليه الصلاة والسلام ، التي تسمى (المرحلة المكية) بسبب حكم الجاهلية المعاصرة التي أقصت حكم الله عن الأرض في كثير من البلدان ، وليس معنى ذلك أن ننكر على من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويصدع بكلمة الحق ومن تأمل سيرة النبي ﷺ عرف

أن الحكمة هي الجهر بالدعوة ، والصدع بكلمة الحق .

وها أنا أسطر كلمات أعجبتني للأستاذ محمد قطب - حفظه الله - يقول فيها : « لقد أصبح كثير من الناس يتصورون أن الحكمة والموعظة الحسنة تعني التربيت على أخطاء الناس وانحرافاتهم ، وعدم مواجهتهم بها خشية أن ينفروا من الدعوة ولا يستجيبوا لها ! فمن أين جاءوا بهذا الفهم لهذا التوجيه الرباني الكريم ؟!

هل هناك من هو أكثر فهماً لهذا التوجيه الكريم من الرسل الذين وجه القول إليهم ؟

فكيف فهم الرسول ﷺ هذا الأمر المنزل إليه من ربه أن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ؟ وكيف فهم موسى وهارون - عليهما السلام - توجيه الله لهما أن يقولا لفرعون قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى ؟

فأما رسول الله ﷺ فقد صدع بما أُمِرَ فقالت عنه قريش : لقد عاب آلهتنا وسفه أحلامنا ، وكفر آباءنا وأجدادنا !!

وأما موسى وهارون - عليهما السلام - فقد بدآ بأن قالا : السلام على من اتبع الهدى ، ولم يقولا لفرعون : السلام عليك ! وفي ذلك إشارة ملحوظة إلى أن فرعون غير متبع للهدى ، ثم ثنيا بأن قالا : (إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى) ، وفي ذلك تهديد واضح لفرعون وقومه بالعذاب الذي ينتظرهم إن هم كذبوهما ، وتولوا عن الحق الذي يعرضانه عليهم .

وكان هذا هو القول اللين الذي أُمرا بتوجيهه إلى فرعون . إن التلطف واجب ولكنه التلطف في إظهار الحق ، وليس التلطف في إخفاء الحق .

فهذا الأخير هو الذي قال عنه تعالى لنبيه ﷺ (ودوا لو تدهن فيدهنون) .[1]

والآن نذكر بعض المواقف والأحداث التي مرت بالنبي ﷺ والتي تبين لنا كيف أن النبي ﷺ كان قوالاً لكلمة الحق جاهراً بها لايخاف في الله لومة لائم .

* - موقفه ﷺ عندما صعد إلى الصفا فجعل ينادي « يابني فهر يابني عدي - لبطون قريش - حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما الأمر ؟ فجاء أبو لهب ، فقال : « أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم ، أكنتم مصدقي ؟ قالوا نعم ماجربنا عليك إلا صدقاً ! قال : « إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب : تباً لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ؟ ! فنزلت ﴿ **تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب** ﴾[2] .

* - ومرة اجتمع أشراف قريش في الحجر فذكروا رسول الله ﷺ ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا على أمر هذا الرجل قط ، سفه أحلا منا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم فبيناهم في ذلك إذ طلع الرسول ﷺ ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفاً بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول : فعرف ذلك في وجه الرسول ﷺ ، ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرف ذلك في وجه الرسول ﷺ ، ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها .

فوقف ثم قال « أتسمعون يامعشر قريش ، أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح » فأخذت القوم كلمته حتى مامنهم رجل إلا وكأنما على رأسه

طائر واقع حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم راشداً ، فوالله ما كنت جهولاً . . إلخ القصة .[٣]

ومن خلال هاتين القصتين نعرف مدى جهره عليه الصلاة والسلام بالحق ولم يكن هذا فقط خاص بالنبي ﷺ بل حتى أتباعه - الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين لهم مواقف رائعة عرضوا فيها إسلامهم وبلغوا دعوتهم بكل جرأة وبكل صراحة ، دون أن يحسبوا لأهل الشرك أي حساب ، ومن تلك المواقف جهر ابن مسعود رضي الله عنه بالقرآن[٤] وقصة إعلان أبي ذر لإسلامه أخرجها الطبراني ، وأبو نعيم في الحلية والحاكم في المستدرك[٥] وغيرها من القصص التي يطول ذكرها .

وفي الختام أسأل الله جل وعلا أن يهيء لهذه الأمة علماء ربانيين يقولون كلمة الحق ويدافعون عنها ولا يخافون في الله لومة لائم .

---

(١) مقدمة كتاب «مقومات التصور الإسلامي» لسيد قطب ص ١٣ .

(٢) صحيح البخاري (٤٤٩٢) ، مسلم (٢٠٨).

(٣) السيرة النبوية لابن هشام جـ١ ص٢٨٩ ـ ٢٩٠ وإسنادها حسن . البداية والنهاية لابن كثير جـ٣ ص٤٤ـ ٤٥ .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام جـ١ ص ٣١٤ .

(٥) حياة الصحابة للكاندهلوي جـ١ ص ٢٧٦ .

النفــاق

عثمان جمعة ضميرية

النون والفاء والقاف أصلان صحيحان في لغة العرب ، يدل أحدهما على انقطاع الشيء وذهابه ، ويدل الآخر على إخفاء شيء وإغماضه ، ومتى حصل الكلام فيهما تقاربا .

ومن الأصل الثاني يقال : النَّفَقُ وهو سَرَبٌ في الأرض له مخلص إلى مكان آخر ، والنافقَاءُ : موضع يرققه اليربوع من جحره ، فإذا أُتي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه ، فانتفق وخرج ، ومنه اشتقاق النفاق لأن صاحبه يكتم خلاف ما يظهر ، فكأن الإيمان يخرج منه ، أو يخرج هو من الإيمان في خفاء .

ويقال : نافق في الدين : ستر كفره ، وأظهر إيمانه ، وسمي المنافق منافقاً لأنه يستر كفره ويغيبه ، فشبه بالذي يدخل النفق ، أو لأنه نافَقَ كاليربوع .[1] وقد تكرر في القرآن الكريم والحديث الشريف ذكر «النفاق» ، وما تصرف منه اسماً وفعلاً ، وهو «اصطلاح شرعي» لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وإن كان أصله معروفاً في اللغة العربية .

أما تعريف النفاق في الاصطلاح الشرعي : فهو أن يكون كافراً بقلبه ويظهر للناس أنه مسلم بقوله أو بفعله .

قال ابن رجب رحمه الله : «النفاق الأكبر وهو : أن يظهر الإنسان الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه» [٢].

فيطلق النفاق على الدخول في الدين ، من باب أو بوجه - التلفظ بالشهادتين مثلا - والخروج منه من باب أو بوجه آخر.

وعلى ذلك نبه الله تعالى عن المنافقين بقوله : ﴿ **إن المنافقين هم الفاسقون** ﴾ [٣] ، أي الخارجون من الدين والشرع.

وهذا النفاق نوعان : نفاق أكبر وهو نفاق الاعتقاد ، ونفاق أصغر وهو النفاق العملي.

وفيما يلي بيان موجز لهذين النوعين :

النفاق الأكبر : (أو نفاق الاعتقاد)

وهو أن يظهر المرء للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . . . ، فيعصم بذلك دمه وماله وعرضه ويتخلص من القتل والعذاب العاجل ، ويصبح ظاهراً في عداد المسلمين ، ويحسب على أنه منهم ، وهو في حقيقة أمره ، منسلخ من الدين كله ، مكذب به ، لا يؤمن بالله ، ولا بكلامه الذي أنزله على رسوله ، فليس معه من الإيمان شيء ، وهذا النفاق يوجب لصاحبه الخلود في النار ، بل هو في الدرك الأسفل منها ، وهو أعظم كفراً من صاحب الكفر الواضح المستبين [٤].

﴿ **إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً** ﴾ [٥].

﴿ **إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار** ﴾ [٦].

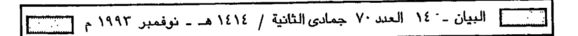
وليس من غرضنا هنا أن نقف عند ظهور حركة النفاق في المدينة في عهد النبي ﷺ دون مكة والأسباب التي أدت إلى ذلك ، ، ولا بيان مواقف المنافقين الكيدية ومؤامراتهم ، ولكن حسبنا الإشارة إلى أن خطورتهم قد بلغت غايتها وجاءت الآيات الكريمة ، ترسم صورة واضحة لهم من خلال صفاتهم ومواقفهم ، ولا تكاد سورة في القرآن الكريم - مما نزل بالمدينة - تخلو من الإشارة إليهم والحديث عنهم وفي زماننا هذا كثير ممن يقتفون أثر المنافقين ، في سلوكهم وأقوالهم واعتقادهم ، ومن أبرز هذه النماذج المعاصرة : الباطنيون وأتباع الأحزاب والمنظمات الجاهلية التي تنادي بتحكيم غير شريعة الله كالشيوعية ، والقومية ، والعلمانية والملأ من أعوان الطواغيت الذين هم من كبار المسؤولين والمستشارين.

وإذا كان الأمر بهذه الخطورة ، فهل نستطيع اليوم أن نحكم على إنسان بعينه بهذا النفاق ؟

يقول الإمام الخطابي - رحمه الله :

« كان رسول الله ﷺ لا يواجه المنافقين بصريح القول ، ولا يسميهم بأسمائهم ، وإنما يشير إليهم بالأمارة المعلومة على سبيل التورية ، وكان حذيفة رضي الله عنه يقول : إن النفاق إنما كان على عهد رسول الله ﷺ ، وما كان بعد زمانه فهو كفر . . أو يقول : ولكنه «كفر بعد الإيمان».

ومعنى هذا : أن المنافقين في زمن رسول الله ﷺ لم يكونوا أسلموا ، إنما كانوا يظهرون الإسلام رياءً ونفاقاً ، ويسرون الكفر عقداً وضميراً ، فأما اليوم وقد شاع الأمر وانتشر ، فمن نافق منهم فهو مرتد ؛ لأن نفاقه كفر أحدثه بعد قبول الدين ، وإنما كان المنافق في زمان رسول الله ﷺ مقيماً على كفره الأول فلم يتشابها .



وإنما اختلف الحكم ؛ لأن النبي ﷺ كان يتألفهم ، ويقبل ما أظهروه من الإسلام ، ولو ظهر منهم خلافه ، وأما بعده فمن أظهر شيئاً فإنه يؤاخذ به ، ولا يترك لمصلحة التألف ، لعدم الاحتياج إلى ذلك[7].

النفاق الأصغر :(النفاق العملي)

وهو ترك المحافظة على أمور الدين سراً ، ومراعاتها علناً.

قال ابن رجب :

«النفاق الأصغر ، وهو نفاق العمل ، وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة ، ويبطن ما يخالف ذلك»[8].

وقد نبه النبي ﷺ على هذا النوع في أحاديث كثيرة كقوله : «آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان »[9]. وقوله : « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن ، كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر »[10].

فهذه خصال نفاق ، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ، ولكنه ليس على كفرهم اعتقاداً وباطناً.

وقد يجتمع نفاق العمل مع أصل الإيمان ، ولكن إذا استحكم وكمل فقد ينسلخ صاحبه عن الإسلام بالكلية[11].

قال الإمام الذهبي عقب حديث «أربع من كن فيه» :

«وفيه دليل على أن النفاق يتبعض ويتشعب ، كما أن الإيمان ذو شعب ويزيد وينقص ، فشعب النفاق كلها من الكذب والخيانة والجور والغدر والرياء

وطلب العلم ليقال ، وحب الرئاسة والمشيخة ، وموادة الفجار والنصارى فمن ارتكبها كلها وكان في قلبه غلٌّ للنبي ﷺ ، أو حرج من قضاياه ، أو يصوم غير محتسب أو يجوز أن دين النصارى أو اليهود دين مليح ويميل إليهم ، فهذا لا تَرْتَبْ في أنه كامل النفاق ، وأنه في الدرك الأسفل من النار ، فإن كان فيه شعبة من نفاق الأعمال فله قسط من المقت حتى يدعها ويتوب منها»[12].

وبعد أن بينّا معنى الكفر والشرك والنفاق ، نشير إلى العلاقة بينهما بإيجاز حيث يطلق الله تعالى على المشركين اسم الكفار ويصفهم بالكفر ، كما يطلق على الكفار من أهل الكتاب وغيرهم اسم الشرك ويصفهم به .

وباستقراء استعمال الكلمات الثلاث في القرآن الكريم : اسماً أو وصفا نجد أن كل واحد من الألفاظ قد يرد مستقلاً في السياق ، وقد يرد مقترناً باللفظين الآخرين ، فإذا اجتمعت هذه الألفاظ في سياق واحد دل كل منها على معنى غير المعنى الذي يدل عليه الآخر ، وإذا انفردت دخل في كل لفظ معنى الآخر .

فلفظ الكفر مفرداً يدخل فيه النفاق والشرك ، ولفظ الشرك يدخل فيه الكفار من أهل الكتاب وغيرهم ، ثم قد يقرن لفظ الكفر بالنفاق ، ويقرن لفظ المشركين بأهل الكتاب ، أو يقرن بالملل الأخرى ، وعندئذ ينصرف لفظ المشرك إلى من ليس له كتاب من المجوس والوثنيين ، ولفظ أهل الكتاب ينصرف إلى اليهود والنصارى وهكذا يجتمع الكل في وصف الكفر ثم يخصهم التقسيم بأسماء معينة لكل منهم[13].

---

(1) مقاييس اللغة : ٥/ ٤٥٤ ، ترتيب القاموس : ٤/ ٤١٩ ، لسان العرب : ١/ ٣٥٨-٣٥٩ ، الصحاح للجوهري : ٤/ ١٥٦٠ ، غريب الحديث لأبي عبيد : ٣/ ١٣ ، النهاية لابن الأثير : ٥/ ٩٨ .
(2) جامع العلوم والحكم لابن رجب ٢/ ٤٨١ .

(٣) مفردات القرآن للراغب ص (٥٠) ، الفروق اللغوية للعسكري ص (٨٩).

(٤) انظر تفسير ابن كثير : ١/ ٧٢-٧٣ ، أعلام الحديث للخطابي : ١/ ١٦٦ ، شرح السنة : ١/ ٧٦.

(٥) النساء ، آية -١٤ .

(٦) النساء ، آية ١٤٥ .

(٧) أنظر أعلام الحديث للخطابي : ١/ ١٦٦/ ١٦٨ ، فتح الباري لابن حجر : ١٣/ ٧٤ .

(٨) جامع العلوم والحكم : ٢/ ٤٨١ .

(٩) متفق عليه.

(١٠) متفق عليه.

(١١) أعلام الحديث : ١/ ١٦٦ ، شرح السنة : ١/ ٧٦-٧٧ ، كتاب الصلاة وحكم تاركها لابن القيم ص ٥٩ .

(١٢) سير أعلام النبلاء : ١١/ ٣٦٢ «باختصار».

(١٣) انظر مدخل لدراسة العقيدة ص (٣٠٤-٣٠٨) عثمان جمعة ضميرية.

أحكام التشهير ..

محمد عبدالعزيز الخضيري

إن مما يكثر فيه الخلط بين طلاب العلم حكم التشهير ، وهل هو حرام بإطلاق أم أن الأمر فيه تفصيل ، ولذلك أحببت بيان هذه القضية بإيجاز ، فأقول :

التشهير : هو إذاعة السوء عن شخص أو جهة كمجلة أو مدرسة أو دائرة أو مكتبة أو غير ذلك.

أحكامه : يختلف حكم التشهير باختلاف من شُهر به ، وإليك بيان ذلك على وجه التفصيل :

١ - الأصل أن تشهير الناس بعضهم ببعض بذكر العيوب والتنقص من الأشخاص حرام.

أ - لأنه غيبة ، والله يقول: ﴿ **ولا يغتب بعضكم بعضًا** ﴾[١]، ورسول الله ﷺ يبين معنى الغيبة بقوله : «ذكرك أخاك بما يكره . .»[٢].

ب - ولأنه أذية ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثمًا مبيناً** ﴾[٣] قال ابن كثير : «أي ينسبون إليهم ما هم بُرآء منه ، لم يعملوه ، ولم

يفعلوه ، يحكون عن المؤمنين والمؤمنات ذلك على سبيل العيب والتنقص منهم ، وقال رسول الله ﷺ : «أربى الربى عند الله استحلال عرض امرىء مسلم ، ثم قرأ ﴿ **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات . . .** الآية ﴾». [٤] وقد قيل في معنى قوله ﷺ « من سمَّع سمَّع الله به» : «أي من سمَّع بعيوب الناس وأذاعها أظهر الله عيوبه».

جـ- ولأنه إشاعة للفاحشة . ، وقد قال الله تقدس اسمه : ﴿ **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ . [٥] وقد شنع الله تعالى على الذين رموا عائشة بالإفك كذباً وزوراً وتوعدهم بالعذاب الأليم.

وسواء أكان التشهير بحديث المجالس أو نظم هجاء من الشعر قال ابن قدامة : «ما كان من الشعر يتضمن هجو المسلمين والقدح في أعراضهم فهو محرم على قائله».

٢ - إن كان المشهَّرُ به بريئاً مما يشاع عنه ، فهذا هو الإفك والزور والبهتان والإثم المبين ، وأدلة تحريمه قد سبق بعضها.

٣ - إذاكان المُشهَّرُ به يتصف بما قيل فيه ، لكنه لا يجاهر به ولا يقع به ضرر على غيره ، فالتشهير به محرم ؛ لأنه غيبة وأذى وإشاعة للفاحشة ، ومن المقرر شرعاً : أن السّتر على المسلم واجب لمن ليس معروفاً بالفساد ، قال رسول الله ﷺ : «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا في الحدود» . [٦] وقال ﷺ : «من ستر مسلماً ستره الله عز وجل يوم القيامة». [٧] قال النووي في شرحه : «وهذا الستر في غير المشتهرين» ، والواجب في مثل هذا نصحه لا فضحه.

٤ - يحرم تشهير الإنسان بنفسه ، قال رسول الله ﷺ : «كل أمتي معافى إلا المجاهرين ، وإن من الإجهار أن يعمل العبد عملاً بالليل ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول : يا فلان عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره الله عز وجل ، ويصبح يكشف ستر الله عز وجل عنه». [٨] ومن أصاب فاحشة فليستتر على نفسه ، قال رسول الله ﷺ : «من أصاب من هذه القاذورات شيئاً فليستتر بستر الله». [٩]

٥ - من جاهر بالمعصية جاز التشهير بفسقه ، لأنه لا يستنكف أن يذكر بمعصيته ، قال أحمد : «إذا كان الرجل معلناً بفسقه فليست له غيبة».

٦ - إذا كان التشهير على سبيل نصيحة المسلمين وتحذيرهم : كجرح الرواة والشهود ، والتشهير بمن لا يحسنون الفتيا ، أو يكتبون فيما لا يعلمون أو المبتدعة ، أو ممن يتظاهرون بالعلم وهم فسقة أصحاب سوء وفتنة فهو واجب. قال القرافي [١٠] : «أرباب البدع والتصانيف المضلة ينبغي أن يشهر في الناس فسادهم وعيبهم ، وأنهم على غير الصواب ليحذرها الناس الضعفاء فلا يقعوا فيها . . . بشرط أن لا يتعدى فيها الصدق ، ولا يفترى على أهلها من الفسوق والفواحش ما لم يفعلوه ، بل يقتصر على ما فيهم من المنفرات خاصة ، فلا يقال في المبتدع : إنه يشرب الخمر ولا أنه يزني ولا غير ذلك مما ليس فيه ، ويجوز وضع الكتب في جرح المجروحين من الرواة . . بشرط أن تكون النية خالصة لله تعالى في نصيحة المسلمين في ضبط الشريعة ، أما إذا كان لأجل عداوة أو تفكه بالأعراض وجرياً مع الهوى فذلك حرام ، وإن حصلت به المصلحة عند الرواة» ، وفي مغني المحتاج [١١] : «ينكر على من تصدى للتدريس والفتوى والوعظ وليس هو من أهله ويشهر أمره لئلا يغتر به».

٧ - يجب على الحاكم إشهار إقامة الحدود ، قال تعالى : (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) .[(١٢)] قال الكاساني[(١٣)] : «والنص وإن ورد في حد الزنى لكن النص الوارد فيه يكون وارداً في سائر الحدود دلالة ؛ لأن المقصود من الحدود كلها واحد ، وهو زجر العامة ، وذلك لا يحصل إلا وأن تكون الإقامة على رأس العامة ؛ لأن الحضور ينزجرون بأنفسهم بالمعاينة ، والغائبون ينزجرون بإخبار الحضور ، فيحصل الزجر للكل» .

---

(١) الحجرات ، آية (١٢) .

(٢) أخرجه أبو داوود والترمذي ، وقال : هذا حديث صحيح .

(٣) الأحزاب ، آية (٥٨) .

(٤) رواه أحمد وأبو داوود .

(٥) النور ، آية (١٩) .

(٦) رواه أحمد .

(٧) رواه مسلم .

(٨) رواه البخاري ومسلم .

(٩) رواه مالك والبيهقي والحاكم وصححه .

(١٠) الفروق (٤/ ٢٠٦) .

(١١) مغني المحتاج (٤/ ٢١١) .

(١٢) النور ، آية (٢) .

(١٣) بدائع الصنائع (٧/ ٦٠) .

مزالق الطريق

محمد العبده

ليس المصلح من يُعَلِّم الناس الخير ، ويلقنهم حب الفضائل ، ويتعلمون منه أنواع العلوم فيحفظونها ويطبقونها ، ولكن من يحتاط ويحترس ، ويخشى من زغل العلم ودخائل النفس وخباياها ، فينبه إلى المزالق ، ويقطع على تلامذته طرائق الفهم الخاطىء ، أو وضع الكلام على غير مواضعه ، وذلك لأن للنفوس عاهات تعتريها من شغف بالغرائب ، وحب للظهور والتعالم ، فالمربي هو الذي يحرس هذا العلم من أن تتلاعب به الأهواء فتحمله على ما تريد وتصل به إلى مدى لا تحمد عقباه ، كما يحرسه من أنصاف المتعلمين الذين لم يرسخوا فيه .

وعندما تطلق العبارات العامة أو المجملة دون تخصيص أو تفسير فإن الناس يحملونها على غير محملها ؛ وهذا ما يربك الأفهام ، وخاصة إذا تعلقت بأمر من أصول العقائد كالولاء والبراء ، أو الإيمان والكفر أو بالمفاهيم الأساسية للإسلام . ومن هنا ينشأ التفرق والاختلاف ، وتتشعب الآراء والأفكار ، وذلك لنقص العملية التربوية .

إن منهج الاحتراس وسد الكُوى منهج قرآني جاءت به آيات كثيرة ، قال تعالى : **﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين ، غير أولي الضرر ، والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين**

أجراً عظيماً ﴾[1] ، وقال تعالى : **﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾** .[2]

وهو منهج نبوي ، فقد كان ﷺ إذا تكلم يعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه ومن صفة كلامه أنه بين فصل يحفظه من جلس إليه ، وقد عَلَّم المسلمين التأدب مع الأنبياء حتى لا تقع منهم الهفوة ولو كانت غير مقصودة ، قال ﷺ : « ما ينبغي لعبد أن يقول : إني خير من يونس بن مَتى » وعندما قال له رجل : يا رسول الله يا خير البرية ، قال : « ذاك إبراهيم » .

وهذا منهج سلفي ، فقد خشي التابعي الفقيه عبيدة السلماني أن يضع الناس كتبه على غير مواضعها ، فدعا عند موته إلى محوها ورعاً ، وقد تكلم الحسن البصري بكلمة حملت على أنها مغايرة لمنهج أهل السنة ، قال ابن عون : « لو علمنا أن كلمة الحسن تبلغ ما بلغت لكتبنا برجوعه كتاباً وأشهدنا عليه شهوداً ، ولكن قلنا : كلمة خرجت لا تحمل » .

إن في العالم الإسلامي اليوم نهضةً علميةً ، وطلبة علم حريصين كل الحرص على تلقيه وحفظه ، وهم حريصون على لقاء العلماء والمربين ، فإذا لم يكن العالم ربانياً عارفاً بدخائل النفوس ، يعطي طالب العلم ما يحتاجه ويعيه كان عاقبة ذلك الغلو والتفرق ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، وهذا أمر لا يسر من كان همه مصلحة الدعوة وانتشار الإسلام ، وإذا كانت هذه الآفات موجودة في واقعنا اليوم ، فكم نتمنى على المربين التنبه لها ، وسد هذه الثغرة ليكون البناء سليماً .

---

(١) النساء ، آية (٩٥) .

(٢) الأنفال ، آية (١٧) .

صور من الإفك الأكاديمي

نورة السعد

لما يزل بعض أساتذة الجامعات من مثقفي هذه الأمة المنكوبة ببعض أبنائها يزعمون أنهم سدنة في محاريب العلم ، لكنهم ما فتئوا يتصرفون بعنجهية . . إنهم يظنون أنهم - وحدهم !- القادرون على تحليل مجريات الأحداث وأنهم - وحدهم !- المخولون بالحكم عليها ، لأنهم - وحدهم !- أصحاب المنهجية الفذة!! والأدوات الإجرائية الخارقة !! وهم يدفعون - من عليائهم تلك - بالأجيال المتعاقبة من شبيبة هذه الأمة نحو المشارب المختلفة والاتجاهات المتعددة لكنهم يمنعونها عن معين الدين! نعم يمنعونها بالتخويف والحرب النفسية والإرهاب الفكري ، ألم يصوروا الأمر كله على هيئة معركة حاسمة بين العلم والإيمان ؟!! وهذه هي (الليبرالية) بل قل الهروبية !؟ ثم هل هذه واقعية فعلاً أم تعالٍ عن الواقع ؟!

إنها - ولا ريب - بلاهة النخبة ، إنها - في الحقيقة - مثالية الماديين الذين يبنون نظرياتهم (العلمية) المزعومة على تصورات غير علمية عن الإنسان والكون والحياة.

لقد دفعت إلينا أرحام الجامعات الكبرى في العالم الإسلامي !! بعبدة

الطواغيت ، فقد أخرجت تلك الجامعات أرتالاً من الأجيال التي لم تنكر الغيب صراحة ، لكنها ما فتئت تعتقد بأن إنكار عالم الغيب - بالذات - هو سبب تفوق الغرب ، وتقدم علومه وازدهار حضارته !! وما فتئت تدعو وتعمل على أن يلزم الإسلام عتبات التكايا والزوايا والمشاهد البدعية وحاملي المسابح ؛ لأن أوربا تحضّرت يوم طوت سلطان الدين عن الدنيا !!

إن تلك الأجيال المتأسلمة تعيش فصاماً نكداً بين نشاط علماني في الجامعة ، وتدين منقوص في الجامع !! إنهم فئة من الأدعياء وحزمة من المنافقين ، تشتاط غضباً حين تُخدش أدواتها المنطقية والمعرفية وبدهياتها العقلية !! بيد أنها تخفق في اجتياز اختبار العقيدة الأول.

يقولون : آمنا ، بأفواههم (وكأن الإيمان ليس وراءه مقتضيات وتبعات وتكاليف !!). وترفض عقولهم (المنطقية) المعجزات !! ولا يدركون أن ذلك يعني - منطقياً - رفض الوحي ، وبالتالي رفض الإيمان بالله - سبحانه وتعالى - ورسله واليوم الآخر.

كم مرة انبرى خصوم الدين أولئك ، للخوض في مسائل شرعية ؟ كم مرة اشتكوا من دعوى تزمت علماء الدين زاعمين أنهم يغلقون من الأبواب أكثر مما يفتحون !! كم مرة دبجوا المقالات المسمومة ، مقروءة ومسموعة ، بعد أن توسلوا بالمصطلحات الشرعية وطعموا مقالاتهم بالآيات والأحاديث النبوية ؟ بل إن منهم من يطلق عليه - بهتاناً وكذباً - الكاتب والمفكر الإسلامي !! وهؤلاء - على وجه الخصوص - يتبنون تفكيراً مرحلياً ذرائعياً ، فبعد أن قادوا تيار (المد القومي الاشتراكي) منذ الخمسينات وآزروه وعززوه ، انقلبوا الآن

على اشتراكيتهم المهزومة وهموا بركوب صهوة المد الإسلامي المظفر ، لا توبة واعتصاماً بحبل الله - فيما يظهر - وإنما ليقيموا بنية (إسلامية معتدلة) !! بديلة توازي البنية الإسلامية (السلفية الأصولية) - كما يزعمون - . إن مبتغاهم هو ترويض الجماعات الإسلامية ، وعرقلة العمل الإسلامي ، واحتواء شباب الصحوة ، إن مهمتهم هي تفريغ الإسلام الحق من أصوله ، بانتحال الدين وتحت لبوس المصلحين وباسم الاعتدال والاستنارة والتفكير العلمي !! فتراهم يثيرون الفتن ، ويروجون الأباطيل ،ويجعلون القضايا كلها خلافية ، والمسائل اجتهادية ويتواصون بدعوات الضلال وتسوؤهم دعوات الخير .

هؤلاء ينالون حظوة في أعين مجتمعاتهم ، ويتلقون تلميعاً إعلامياً وصدارة اجتماعية وتزكية سياسية ، عوضاً عن محاكمتهم اجتماعياً وعزلهم إعلامياً و(أكاديمياً) ، وتفنيد حججهم ، وتسفيه أحلامهم ، أو بالأحرى تجاهلهم تماماً وإبعادهم عن التسلط على عقول النشء والسيطرة على قلوب الجهال .

إن على الأساتذة الجامعيين ومشرفي الرسائل الجامعية - على وجه الخصوص - والدارسين والباحثين أن يتوخوا إخلاص الدين لله فيما يفعلون وأن يتحرروا في بحوثهم (العلمية) -كما يسمونها - من أنواع الشركيات من عقائد وقوانين وخرافات ومن سائر الآلهة المصنوعة (خرافة العلم المادي وقوى الطبيعة وفعالية العقل) .

إننا نحضكم - معشر الأساتذة - على توجيه جهودكم وهممكم نحو بعث المضامين العقدية والتشريعية والفقهية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية

والتربوية في الإسلام ونشرها وتعميقها في الدراسات الجامعية ، وفي واقع المجتمعات المسلمة .

إننا نحضكم وننبهكم إلى أن مسؤولية الأساتذة الجامعيين هي : توجيه طلبة العلم إلى العلم الحقيقي ، العلم النافع في مصادره ومظانه ، وحثهم على ترشيد طاقاتهم وبذلها في موضوعات تهم مجتمعاتهم وفي إسهامات قادرة على دعم الانبعاثة العقدية والحضارية المشهودة للأمة الإسلامية . إن معظم طلبة الدراسات العليا لن يكونوا - بطبيعة الحال - علماء جهابذة أو نقاداً أفذاذاً ولكن الكثيرين منهم يستطيعون - بإذن الله - أن يصبحوا باحثين مبرزين في مجالاتهم ، إن كثيراً منهم يمكن أن يصبحوا محققين قادرين على ابتعاث مكنون هذه الأمة من الذخائر المخطوطة والمطبوعة ، فلماذا يوجه الطلبة إلى موضوعات مائعة وقضايا قميئة ؟! لماذا توجه جهودهم نحو بحوث حداثية ، ومناهج كفرية وجزئيات مبتورة ، ودراسات مشبوهة ؟! لماذا لا يجند أبناء هذه الأمة لدحض الافتراءات والأباطيل الاستشراقية عن أمتهم ؟! لماذا (يُقَولبون) ويستخدمون بوصفهم أدوات طيعة لتزكية المبادىء العلمانية وتبني المقولات المادية ؟! لماذا يرمى بطالب الدراسات - وهو أعزل - في مهاوي تلك الترهات والخزعبلات (العلمية) !! دون أن يفهمها أو يستسيغها عقدياً ؟! لماذا تهدر طاقاته ومواهبه وعمره في بحوث بلا طائل ، تضاف إلى مكتبة (السطو العلمي المشروع) المختوم بمصداقية الجامعات الرسمية ؟! لماذا يقسر الطلبة على اختيار الموضوعات السهلة والحداثية !! ، وتكسر في نفوسهم الهمم العالية ، وتصدم العقيدة السليمة ، وتوأد الثقة في النفس ، فالطالب حين يفشل في استيعاب تلك (المتطلبات والأسس العلمية) !! يسايرها ويتبناها دون فهم أو تمحيص ، بل

ويروج لها ويتسلقها باعتبارها سلم النجاح والترقي في المحافل العلمية والصحفية والإعلامية !!

لا جرم أن الصحوة الإسلامية لم تخرج من جوف هذه الجامعات بل اقتحمت أسوارها - بقوة - من الخارج .

اسألوا كثيراً من مشرفي الرسائل الجامعية ومناقشيها عن مستويات الرسائل المقدمة ومضامينها !! بل اسألوهم عن ظروف إجازة معظم الرسائل الجامعية !! وبعد ذلك كله فكروا ما الأثر المستفاد من هذه الأفواج المتتالية من حاملي الأسفار (العلمية) ؟! لاسيما في العلوم الإنسانية والاجتماعية. . . أين صداهم الاجتماعي ، ودورهم الملموس في المجتمع ؟! ماذا قدمت جل تلك الرسائل؟! غير ترديد كلام الآخرين واقتباس أفكارهم وسرقة جهدهم وانتحال مواقفهم دون نقد أو تمحيص !! حتى عمَّ الانحراف العقدي الرجال والنساء معاً!! واستوى الجنسان في النزوع إلى العلمانية لا الميل إلى العلمية !! أي علم هذا الذي حصل ؟! أي خير هذا الذي عمَّ ؟!

لا تعدو المسألة - إذاً - تحصيل الألقاب وحصد المناصب ونيل العلاوات المالية والدرجات الوظيفية والتباهي بالمكانة المرموقة اجتماعياً !!

ينبغي على هؤلاء الأساتذة أن يراجعوا موقفهم من مناهج البحث الغربية فإن المناهج ليست أدوات علمية محايدة !! والإفادة من هذا المنهج أو ذاك - من منظور إسلامي نقدي - أمر يختلف - جوهرياً - عن الارتهان الكامل للمنهجية الغربية في البحث والنظر والتقويم !!

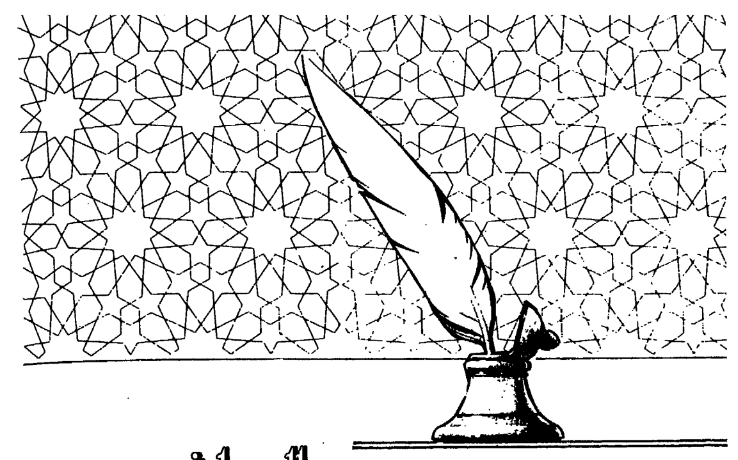
إن همة المثقفين المسلمين ينبغي أن تنصرف نحو إحياء المنهج الإسلامي في البحث العلمي ، وهو منهج (يرتكز على الإيمان بالله عالم الغيب والشهادة ويقر الإرادة الإلهية ويعترف بالجوانب الروحية للإنسان ويقوم على الموازنة بين المؤثرات الروحية والاقتصادية . . وهو بعد ذلك يراعي الفطرة والغرائز ويتسم بالموضوعية والبعد عن العصبية والاستعلاء العنصري ، وهذه السمات تميزه عن منهج البحث الغربي وتجعله يتفوق عليه) .[1]

إن على جامعات العالم الإسلامي أن تتعهد الغراس البشرية التي استرعيت عليها ، بالنصح والإرشاد والتوجيه ، وأن تسعى إلى تطبيق المنهجية التربوية الإسلامية في كلياتها ومعاهدها ومراكز بحوثها العلمية ، تلك المنهجية التي تهدف إلى تكوين الأفراد الصالحين في أنفسهم ، المصلحين لغيرهم ، المنتمين لهذه الأمة الإسلامية ، الحاملين همومها الدعوية والجهادية والحضارية ، المجندين لرفعتها ورقيها وسؤددها بين الأمم ، إن الجامعات الإسلامية ينبغي أن تخرج أفواجاً من الدراسين الذين يحملون إرث الأمة العقدي والثقافي والحضاري ، لا أن تخرج خصوماً للإسلام ، وأعداءً له .

والله من وراء القصد .

---

(١) د. أكرم ضياء العمري - التراث والمعاصرة - ط١ - شعبان ١٤٠٥ هـ - رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية (وزارة الأوقاف والشئون الدينية حاليا) - دولة قطر - ص ٦٩ .



الملف الأدبي

* النور وخيوط العنكبوت . «شعر»

* شموخاً أيتها المآذن .

* كيف يشكو إلى القيود الأسير ؟ «شعر»

النور وخيوط العنكبوت

علي محمد سفر

«تَربَتْ يداك أفقْ»
أتاهُ الصوت : «قُمْ
تَربَتْ يداك أفقْ
إلامَ النومُ . .
تَفترِشُ الردى
وتظلُّ تَسبحُ في فضاء الحُلْمِ . .
عُمرُك منقضٍ
مازلتَ تَتَّبعُ الهوى ؟!
تربَت . . . »
فأوصدَ أُذنَهُ
كي لا يُتمّ سَماعها
«قُم . . . »
ثم كرّسَ جُهدَهُ
لكنها بَلَغتهُ

أن تَربَتْ يداك فَقُمْ
وإلا سوفَ يُرديكَ الرَدَى
أتَظَلُّ تَقْبعُ في ظلامِ الكَهفِ
تَلتحفُ الغنى ؟!
وتُصرُّ . .
ترفُضُ لحظةَ الإبصارِ ! . .
تحتضنُ العمى ؟!
تَقْتَاتَ من شَجَرِ الخَطيئة . .
كلُّ معصية تُباري أُختَها . .
وتُصرُّ . .
أن تبقى رَهينَ القَيد . .
يُدمي المعصَمَا . .
وتشدُّ أزرَ العنكبوتِ ! . .
تحثها . .

لتتم حَبْكَ نسيجها . .
لتخيط عينيك الخيوطُ . . خيوطُها
كي لا ترى !
أتعيشُ تُخدعُ بالسرابِ . .
تظنُ بريقه ماءً . .
فتركُضُ لاهثاً . .
يشتدُ لفحُ القيظ . .
يُشعلُ لهفَةَ الظمآن . .
يبني للسراب مرابعا !
وتظلُّ تركض في لهيب القفر ! . .
تنشد شربةً من ماءْ . .
وأنت مُرتبك الخُطى . .
تربت يداك أفقْ . .
أتُخدعُ من بريق الوهم ؟! . .
تحسب أنهم صدقوا . .
فنالوا المجدَ ؟! . .
ذلك زائفٌ .
خلَت الحضارة من غذاء الروحِ . .
فانقلبت شقاءً . .

واستبدّ الليل يقذف بالأسى !
فهناك مُنتحرٌ ومنتَهكٌ . .
وطفلٌ لم يجد حباً . .
وشيخ خانه الأبناءُ
لم يسعفه كوم قمامة
لينال منها لقمة منسيةً !
لينال منها عظمةً !
قد أغفلتها أعين الكلب الذي
قد راح ينعم بالسرير مدللا !!
وعلى رصيف البؤسِ
تلتحف العجوزُ البردَ
كانت تسلُبُ الأنظارَ
كانت . . إنها كانت ولكن لم تعدْ
تلك التي تتزاحمُ الخطواتُ في . .
طرقاتها
بقيت هناكَ . .
فلم تجد بيتا ولا زوجاً ولا طفلاً
تسابقُ في المساء على الرصيفَ . .
كلابَهُ !

بدأت تفكر في الخلاص . . فلم تجد حلاً
ولكن فجأة رأت الخلاصْ !
هناك يقبع حلّها . .
وجدته في نوم عميق
إنه كلب يعيش مُرَفهاً . .
وجدته يأكل كل حينٍ
ثم يستلقي جوارَ الكوخِ . .
لا يخشى صقيعَ البردِ ! . .
لا يخشى رصاصا طائشا .
فأتت بسكين . . لقتل الكلبِ
واقتربت تريدُ الحلَّ
ترغب في الخلاص من الأسى .
جلس القضاةُ . .
وأُوثقَتْ بالقيد . .
تعلو وجهَها البسماتُ
قد نعمت بدفء السجن ! . .
تشكر نعمة الجدرانْ !!
قد وجدت هنا في السجن بغيتَها
فلن تضطر بعد الآنَ للترحالِ

تبحثاً عن رصيف آمن عند المساءْ ! .
صمت الجميع وأُوثقت
نَطَقَ القضاةُ بأن الحكم ليس بسجنها
علموا بأن السجن تكريم لها
قالوا حكمنا أن تظلي مثلما كنت . .
ففكُّوا القيدَ وانتقموا لموت الكلبْ !!
عادت إلى ذاك الرصيف
فلم تجد فوق الرصيف فراشَها
وجدته مسروقاً ! . .
وما وجدت سوى الإنهاكِ
يسحق عظمها .

إن كانت الأيام قد أوحت بأن
مروِّجي الأوهام قد ظهروا علينا
وارتقوا بالعلمِ . .
قد برعوا بتصنيع السلاحِ
وجيشوا كل الجيوشِ
تسابقوا في غزونا !
ورأيت أنا قلة بلهاءُ

مازالت تظن بأنها
يوماً ستقهرهم . . ستهزمهمْ . .
ستحيي ذلك الماضي . .
سترفع راية رُفعت هناك بأرضهمْ !!
فاعلم بأنا لم نقل هذا لنخدع ناخباً
أو أننا قلناه تخميناً وتخديراً . .
لنشعر بالرضى !.
قلناه عن وعد . .
وُعدنا أن نصرَ الله آت
قاله ربي على العرش استوى
إن كنت تشعر أن هذا مستحيل
أن يتمَّ النصرُ للضعفاء ! . .
فاسأل أهل مكةَ . .
حينما رفضوا ضياءَ الفجرِ
واجتهدوا لوأد النورِ . .
شنوا الحربْ . .
فهل ربحوا برغم عتادهم ؟!
إن كنت لا تدري فسل «بدرا»
وسل ما شئت من رومٍ
وسل في أرض كسرى . .
عن رجال محمدٍ
كانوا بلا عُدد كما صرنا
ولكن نصرُهمّ لله قد أهدى إليهمْ
نصرَهُ !.
إنا على ثقة
فقم والحَقْ بركب الحقِّ . .
لا تركن إلى الآثامِ
لا تُخدع بأوهامٍ
يزيد بريقها الشيطانُ
لا تُسلم زمامك للهوى
أزل الغشاوةَ
واستمع لكلام ربكَ
واتبع هدي الرسول.
مزِّق خيوطَ العنكبوت الآنَ
واستمتع بنور الحقِّ
يهدي نفسك الحيرى . .
إلى درب الهدى.

أحزان الوطن في ديوان
(شموخاً أيتها المآذن)

للشاعر محمود مفلح

محمد شلال الحناحنة

هل الشعر نهر صاف من الحزن ، قبَّرة تؤوب إلى الضلوع ، دفق من الحلم يعج بالحنين . . لغة تتدفق من فضاء غائم ؟! هذه الأسئلة المرفرفة هبطت علي وأنا أستمع لصوت الشاعر محمود مفلح ، ذلك الصوت الناصع المتدفق بالشعر ، المشبع بأجزان الوطن وهو يحمل أحاسيس مرهفة في ارتحاله الدائم بين المدن العربية حيث ينبض بشجو طائر أسير ، أصدر أكثر من سبعة دواوين شعرية إضافة إلى ثلاث مجموعات قصصية ، وله حضور متميز في المنابر الأدبية الإسلامية ، فهو طاقة شعرية متوقدة ، ولعل طول اغترابه وشفافية نفسه فجر في شعره مواجد اللوعة والحزن ، إذ يرصد تضاريس همه الفلسطيني الإسلامي بحنين رهيف صاف.

في ديوانه : (شموخاً أيتها المآذن) الصادر عن دار الفرقان بعمان بوح رقيق يستحضر معاناة مشحونة برؤى الواقع المنبثق من إيمان عميق بالله ، يقول في قصيدته (موطني) :

«عَطَشٌ قَاتِلٌ يعربدُ في الجوفِ — وغيرُ الإيمانِ لا يُرويني
ألفُ داءٍ سَطاَ عليَّ ولكنْ — قطرةٌ من دوائه تَشْفيني

إنه القلعة الحصينة في عصر   تحدت به الغزاة حصـــوني

فخيول اليرموك مـنـه أطلّت   وسيوف الكماة في حطين»

أيُّ وطنٍ هذا الذي يغيض علينا يروي غصوننا الظمأى متلفعاً بالتحدّي ؟

إن ثمة نبرة عالية في القصيدة ، ثمة رؤية عيانية تحاور صفاء التاريخ الإسلامي ، وتفتح نوافذها لرموزه ، فاليرموك وحطين معركتان إسلاميتان مترعتان بالثراء الحماسي الوجداني في قلب كل مسلم ، وهما تفجران حقل الدلالات المكانية في نفس شاعرنا الملتزم بالنهج القرآني .

إن فلسطين تراكم نوعي إيماني مدهش ، لمعارك بطولية منذ فجر الإسلام ، والشاعر يطل علينا من خلال هذه النافذة المشعة .

وتدخر قصيدته (معذرة . .) ذخيرتها الإيحائية المضيئة لمزيد من الغوص في أعماق الزمن – الرمز . وهي تستقرىء حزناً دافئاً وتعج بالسخرية المرة اللاذعة عبر ومضات ذكية وظفها الشاعر لتغذية حواره التاريخي المكتظ بكبرياء الحكمة الإسلامية العظيمة .

والقصيدة في بنائها العضوي تتوحد في مقاطعها مسلطة عدستها على لب التجربة العامة من خلال تفاصيلها الواقعية الموجعة :

«ما جف شعري لكنْ جفت القيم   فليس في عصـــرنا نار ولا علم

لا في السياسة تلقى من معاوية   وليس في حربنا الشعواء معتصم

ومورد المجد قفر لا أنيس بــــه   ومورد الذل بالعشاق يزدحـــم»

أليست هذه المرارة الحادة ، تنخر في الذات الجماعية عند محمود مفلح

شاعر القيم والمجد الأصلي ؟! إنه يدرك بوعي الشاعر المسلم ، أن هذا المجد الموتور يصرخ ، والبلاد قفرٌ يغلفها الاستلاب والضياع! فهل نسكب العبرة للعبرة ؟! هكذا تبدو القصيدة تتشظى عبر وخز قاس للمرحلة بكل شموليتها :

«يا سيدي إن جرحي لا ضماد له | فكل شيء أراه اليوم ينهـدم
تدوسنا قدم الرومان في صلف | ونحن من تحتها نلهو ونختصم
وتسـقط الدار إثر الدار منبئة | أن الديار بأهليها سـتلتهم
صرنا كبعض نمال الأرض من ضعة | والنمل يلسـع أحيانا وينتقم
كم حرة صرخت من تحت غاصبها | فجاءها المنقذان العي والصمم»

هذا هو حاضرنا المفجع المرعب ، والشاعر لم يكن شاهداً على هذا الحاضر المؤلم فقط إنما نراه يترقى في المعاناة ، ليغدو المحرض الفاعل في القصيدة .

إن البؤر المتوهجة المنيرة في شعر محمود مفلح تنطلق من مأساة الجماعة الإسلامية أينما حلت ، وليست نمطاً ذاتياً مغرقاً في النرجسية . إن الفضاء الشعري هنا يتألق ولا ينصهر ، ينشد حكمته ، ويكثف غيومه على أرض تتهيأ للخصب :

قد كان في أمتي أُسدٌ وأعرفهم | ضاق الغباء بهم والحقد والورمُ
فبعضهم قتلوا جهراً وبعضهم | في القيد وهو بحبل الله معتصم
وبعضهم في بلاد الله قد ضربوا | ومن أعز بـلاد الله قد حُرموا»

هذه الأنات الثرية بالصدق ، المترعة بالألم ، المتوحدة مع هموم الدعوة الإسلامية ، تمتشق قصائد شاعرنا عبر أصالة في الرؤى ، ورهافة في الشعور ووعي راسخ ، ونظرة ثاقبة لتاريخنا الإسلامي الحافل بالأمجاد والبطولات رغم الدسائس والمؤامرات لإجهاض الفجر القادم بإذن الله .

إن في هذا الشعر الإسلامي - رغم ما يصوره من تجهم المرحلة ، وسواد الواقع - روح الشباب المسلم الرافض لكل أشكال الاستعباد والتساقط المخيم على جل بلاد المسلمين .

ولابد أن نعانق هنا هذا النموذج الحي المجاهد عبر معاناة حادة ، حيث يبزغ من بين هذا الركام يتحدى القيد معتصما بحبل الله : (وبعضهم في القيد وهو بحبل الله معتصم) ، هكذا يمسك هذا الشعر الشامخ بعافيته ولا يتردى في دياجير الجهل والضلال .

هذه الملامح النقية الصافية في شعر محمود مفلح ما كنا لنجدها عند شاعر خارج عن الاتجاه الإسلامي ، كما نقرأ لبعض المنحرفين المستهترين بالقيم الرفيعة والمثل السامية مهما طبلت ورقصت لشعرهم الصحافة الرخيصة ، فليس هناك وجه مقارنة : ﴿ **أفنجعل المسلمين كالمجرمين ، ما لكم كيف تحكمون** ﴾ .

وتتمدد قصيدة (صرخة) على مساحة واسعة من الألق المبشر بمجاهدة واعية لكل ما يعطل الفعل الإسلامي المتوثب لفجر جديد ، والصور في القصيدة حشد منمق ينفذ إلى نخاع الأسى ، وتأجج النَفَس الشعري يغترف مداده من نفس مؤمنة بصيرة ، ووعد رباني يفيض بنعيم أزلي واقع لا محالة :

«ولماذا أقضُّ مضجع شعب — هو في حلبة الرقاد سبوقُ

دعه في نومه العميق حرام — أن يُنادى هذا السباتُ العميق

مالنا واليهود نحن بخير — عندنا التبر وافر والعقيق

أي حق هذا الذي يفسد الحلم — علينا ، غدا تُردُّ الحقوقُ

ويسترسل الشاعر في هذه اللهجة الساخرة اللاذعة ، ساخطاً على

المثبطين المرجفين في الساحة العربية الذين تركوا الجهاد في فلسطين ، وليس همهم سوى العيش الرغيد ،وتحقيق مصالحهم الدنيوية الزهيدة من راحة وجاه ومال ؛ هؤلاء هم المنافقون القاعدون الأذلاء الذين كشفهم الله قبل أربعة عشر قرناً فقال تعالى : ﴿ **وإذ أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين ، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون** ﴾ .

أين هؤلاء الساقطون المتشبثون بفتات الدنيا الذين مردوا على النفاق من أولئك المؤمنين المجاهدين بأموالهم وأنفسهم : ﴿ **لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات ، وأولئك هم المفلحون** ﴾ . هذا التقابل بين القاعدين المرتابين وبين المجاهدين الأباة الذي يتمثله الشاعر من خلال رؤية واعية شاملة للقرآن الكريم يقوم على نهجه القويم ويبقى السؤال قائما بكل شموخ المؤمن المتمسك بدينه فكراً وسلوكاً : هل نحن بحاجة حقاً إلى أولئك الخوالف المترفين ليكونوا في صفوفنا المجاهدة ؟!

إنهم عناصر الفساد والفتنة في المجتمع المسلم ، وهم كذلك عناصر الهدم والتخريب وطعن المؤمنين من ظهورهم ، فما أحوجنا إلى نبذهم وعزلهم وقطع صلاتنا بهم إن لم يتوبوا ، ويعودوا إلى السرب الإسلامي ! وما أعظم وأصدق تصوير الله لما يستعر في نفوسهم الشريرة : ﴿ **لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً يبغونكم الفتنة** ﴾ .

إنه قدرنا - نحن المؤمنين - أن نجاهد ونموت على عقيدة صحيحة لنحيا حياة خالدة ونرنو إلى جنان لا تعلم نفس ما أخفي فيها من قرة أعين .

فهذا هو الوعد الحق بيننا وبين الله ، فدعونا نصغي لشاعرنا يحث الخطا إلى الموت العظيم :

«قدري أن أعانق الموت مشدوداً وعيناي شب فيها الحريق
غير أني على العقيدة باقٍ وسلاحي بكل علج يليق»

والحق يقال إن شاعرنا محمود مفلح صاحب رسالة سامية ، وهو ينطلق في شعره من هذا المعتقد ، وإن كان النقاد المحدثون يتبجحون بالوحدة الفنية والموضوعية التي تميز بعض شعرائهم المبجلين على حد زعمهم ، فلنقرأ هذا النمط الفريد من الوحدة العميقة فكراً وروحاً عند شاعرنا ، حيث يحس القارىء بتآلف روحي مع قصائده مثل (شموخاً أيتها المآذن ، الراية والجنود ، أيها الشعب المترجم) فيعيش معها ليصافح تلك الصور الندية والحركات الحية النابضة بالإيمان .

وفي قصيدة (الله أكبر) تلاحم رائع مع موضوعية وإيقاع متميز للعبارة الشعرية الحديثة ، حيث تأوي إلى حس شاعري رهيف بوقع الكلمة ، هذا الحس الشاعري ، والجرس الإيقاعي يميز كثيراً من قصائدنا الإسلامية . أما القصيدة التي بين أيدينا فهي قراءة واعية متأنية للواقع وهي تستنير بهدي الإسلام وتبصر بنوره :

«لاح يا شعبي العظيم الشهاب
وتهاوت الأصنام والأنصاب
فالميادين غضبة والتهاب
صاغها السيف والأسى والعذاب
وتلاقت يفدي الشاب الشباب

إنهم فتية دُعوا فاســـتجابوا
إنـــه فجــرك الذي قد تحـــرر
وحــداء الطريق اللــه أكــبر»

إذن هذه هي الطريق لفلسطين ، طريق «الله أكبر» ولا طريق غيرها هكذا تجوس القصيدة عبر مشاهدها الستة ، مفجرة مشاعل الحرية ، ملوحة برايات الجهاد ومعطرة بأناشيد الفجر ، عبر ومضاتها وأنفاسها المؤثرة ، وعاطفتها الإيمانية المشحونة بالصدق والصفاء .

وبعد . . .

هل فتحت لهذا الطائر الإسلامي المترع بأحلام البسطاء الفقراء بعض نوافذ الروح ؟! هل اقتربت من حنينه الفلسطيني لمآذن الأقصى ؟! هل آخيت هذا الضياء بضياء شبيه ؟!

أتمنى أن أكون جديراً بهذا الألق .

- سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

كيف يشكو إلى القيود الأسير !

د. صالح الزهراني

يا ضمير الأحرار . . أين الضميرُ وبلادي مجازرٌ وقبورُ !

كيفَ يخفى «يا مجلس الأمن» جرحي ودمائي في الخافقين تمور !

كيف تنسى «يا مجلس الأمن» وضعي ولديكم عن حالتي تقريرُ !

يا ضمير الأحرار . . ماجئت أشكو كيف يشكو إلى القيود الأسير ؟

وإذا كانت المبادىء أسمى فالعسير الذي ألاقي يسيرُ

ما خبا في دمي شعاع المعالي في وريدي لا ينضب «التكبير»

واقف فوق سيفكم أتلظى وقفتي رجفةٌ وهمسي سعيرُ

يا ضمير الأحرار . . ما عزّ قومٌ من قراراتكم . . ولا انهلّ نورُ

مسرحياتك استبانت رؤاها شاحبات ، يخونها التفكير

والغلاف الذي رسمت «صليبٌ» والمضامينَ كلها «تنصيرُ»

يا ضمير الأحرار . . دهرك ظُلمٌ ودهورُ الظلام يومٌ قصير
كُلَّ يومٍ تمدُّ كفَّ حنونٍ بالعطايا ، وأنت «كلب عقورُ»

في ربوع «الصومال» فرَّقت أهلي فأفاقوا . . ومجدهم زمهريرُ
ودخلت البلاد من ألف بابٍ وأقيمت «معابد» وجسورُ
وعلى «القدس» راعفٌ من هواكم شرقت منه بالمدامع «صورُ»
كلَّ فجرٍ «جنازةٌ» ، ورصاصٌ وعليها من عدلكم منشورُ

حدِّثوني عن «غزة» ، عن هواها كيف ماتت فوق الغصون الطيورُ ؟
حدِّثوني عن «برتقالة صيدا» كيف شاخت أغصانها والجذورُ ؟
حدِّثوني عن «وجه لبنان» لمَّا جف فيه الندى ، وجف العبيرُ
حدِّثوني عن طفلةٍ ساءلتكم عن أبيها ، أين احتواه المصيرُ ؟

الشهادات ، والقضاة لديكم وضحايا الأسى «غيابٌ حضورُ»
كلّ دعوى لها لديك بيان ودليل، وشاهدٌ منك زُورُ

يُخنق الصوت في الحناجر ظلماً وتظلُّ القلوبُ فيها زفيرُ
يخسف البدر ، والنجوم تهادى والليالي بالمذهلات تدورُ

أيها المسلمون هذا خطابي عربيٌ ، ما فيه حرفٌ أجيرُ

فاقرأوا سحنتي ، وفحوى خطابي — وافهموا ما تغضّ عنه السطورُ
أنا قلبٌ متيّمٌ بهواكُم — أنا قلبٌ على أساكم غيورُ

أيها الصابرون ، طال التمادي — في خلافاتنا ، وطال المسيرُ
وإذا لم يكن على الصدر سيفٌ — فليكُن في الضلوع قلبٌ جسورُ
«مجلس الأمن» لعبة أحكمتها — كف باغ ، بالموبقات خبيرُ
لكأني بكم «شياهٌ» بليلٍ — شتويٌ ، والليل ليلٌ مطيرُ

كيف يرضى الفتى ، وقد كان رأساً — أن تُطا أوجهٌ ، وتحنى ظُهورُ
كيف يغدو للخانعين مُطيعاً — وهو في ناظر الزمان «أميرُ»

نحن مليارُ لا قرارٌ جريءٌ — يصطفينا ، ولا بنانٌ يُشيرُ
نحن مليارُ عزَّ فيه رشيدٌ — عزّ فيه للمجد سرج وكورُ
عزَّ فينا . . وكيف والأمر فوضى — عزَّ فينا وقتَ النداء النصيرُ
غير أنا «يا مجلس الأمن» فجرٌ — أحمدي ، وليس للفجر «سور»

يسقط المسرحُ الكئيب جهاراً — والمغني ، والمخرج المشهورُ
يسقط المبدأ الذي كان يأتي — يتسلى بزيفه «الجمهورُ»
صوتنا قادمٌ . . وصعبٌ عليكم — لو علمتم . . . ما يحتوي التفسيرُ


المسلمون
و
العالم
* الكلاشنكوف لن يسكت الأذان .
* حتى لا ننسى البوسنة والهرسك .
* واقع المسلمين في الهند (٢) .
* الصليبيون في الفلبين . . .

يا بلاد المليون شهيد

الكلاشنكوف لن يسكت الأذان !

د. عبدالله عمر سلطان

«الحالة الجزائرية» تعود إلى عناوين الصحف وصور التقارير الإخبارية وقد توشحت بهذا اللون الداكن الذي يعكس حجم الأزمة التي وصلت إليها الجزائر تحت المظلة العسكرية التي ترى أن جذور الواقع الراهن لا تمتد سوى لمسافة قصيرة وعوامل سطحية تستطيع أن تصفيها وتقضي على أسسها من خلال جيش مسلح وبندقية رعناء !

إن هذه الحالة/ المأزق ، تكشف بوضوح أن هناك معسكرين في الجزائر آخذين في استقطاب البنية الجماهيرية العريضة ، ليستأنفا حلقة من حلقات الوجود الحضاري والتاريخي لهذا البلد المكافح الأشم . . ، يبدأ تاريخ الفريق الأقوى مادياً وعسكرياً باحتلال الجزائر عام ١٨٣١ م حيث أقام الاستعمار الفرنسي بُنى ثقافية وعقائدية واقتصادية مرتبطة بالمشروع الفرانكفوني الاستعماري ، أما الفريق الثاني فهو مغروس في تراب الجزائر منذ عقبة بن نافع وحتى اللحظة القاسية الحاضرة ، مروراً بجهاد الأمير عبدالقادر الجزائري وعبدالحميد بن باديس ، ووصولاً إلى كل جزائري يعتبر أن المواجهة الحاصلة على أرض بلده هي مشهد آخر بين «عبيد فرنسا» و«عباد الله» .

فرنسا الاستعمارية المستبدة لجأت خلال استعمارها للجزائر إلى الطرق

الصوفية التي أصبحت في عهدها الأداة «الدينية» المطلوبة لمحاربة المشروع الإسلامي العبقري الذي أطلقته «جمعية العلماء الجزائرية» وروادها في وجه المستعمر ، أما المؤسسة المدنية الملتحقة بهذه الشبكة الاستعمارية فقد تنوعت وتعددت فصائلها ، وإن كان هناك ثقل لبعض كوادرها كالكادر العسكري الذي التحق بالجيش الجزائري في مرحلة متأخرة من حرب التحرير، والذي يشكل العسكريون الذين يديرون الحياة السياسية في الجزائر اليوم طليعتهم ، بالإضافة إلى التكنوقراط الذين تغلغلوا في جسد الدولة ومفاصلها . . . أما أخطر الكوادر فهو الكادر العقائدي الذي يحاول - بصورة مضحكة للغاية - أن يُعطي للجيش المنبث في شوارع وأزقة وأسطح البلد غطاءً أيدلوجياً يبدو مهلهلاً من أجل أن يستمر المشروع التغريبي بأيدٍ «وطنية» سمراء اللون ؟!

الاقلية الانعزالية والاكثرية المحاصرة:

نحن أمام صراع «النخب» مع قطاعها الواسع المحكوم بالحديد والنار . . ! (جورج الراسي) الكاتب اللبناني النصراني عبر عنه في مرحلة الثورة بعنوان قصير هو «علمانية القيادة وإسلام الجماهير» ، القيادة التي اتخذت من تحرير الوطن قنطرة لسلب الجماهير معتقدها ، وتكريس الثنائية المتكررة في عالمنا الاسلامي ، نخب تحكم بالحديد والنار وجماهير متمسكة - برغم الحصار - بهويتها وشرعية وجودها ، وهو الإسلام !

مراسل النيوزويك علّق على تشكيل حكومة رضا مالك الجديدة بقوله : إن على الحكومة الجديدة أن تحارب على جبهتين جبهة أعدائها من الإسلاميين وجبهة أصدقائها من العلمانيين» ، وهو يشير هنا إلى أن وقوف المعسكر المعادي للحل الإسلامي في الجزائر كان متوحداً حول قضية واحدة هي وأد «الإسلام»

في الجزائر بعد أن اختاره الشعب الجزائري مرة بعد مرة - خلال أقل من سنتين - خياراً وحيداً ، أما الآن فإن هذا الشعار الذي التف حوله جل العلمانيين والانتهازيين واللصوص والمستبدين والماركسيين وغلاة البربر والفرانكفونيين لا يخدم سوى مصالح فريق صغير ضيق الأفق «شوفيني» السلوك ! هذا الفريق يظهر يوماً بعد آخر على حقيقته ويفقد باطراد أبرز حلفائه . .

لقد أثبتت الأحداث المتتالية أن هذه المجموعة المعروفة باسم «المجتمع المدني» هي فئة من المتفرنسين والبربر المتحالفين مع طغمة عسكرية فاسدة أخذت في تصفية أبرز واجهاتها وحلفائها كما فعلت مع «بوضياف» و«قاصدي مرباح» وأنها تسعى لتهميش البقية ، كحسين آيت أحمد وأحمد بن بلا فضلاً عن الاتجاهات الإسلامية التي حاولت أن تبدو ذكية باللعب بورقة الاعتدال ثم ظهر أنها موغلة في السذاجة ،حين وظفَتْ لضرب الفصيل الملاحق والمطارد والذي يحظى بثقة الغالبية ،مع كل حركة تهميش حكومية وكل تحرك عسكري عشوائي .

لم تعد القضية إسلام الغالبية وعلمانية القيادة ، فالدائرة تضيق يوماً بعد آخر ، حيث انقلبت الأقلية العلمانية على نفسها ،وأخذت كل فئة تلعن أختها وأظهرت الأحداث الأخيرة أن الأمر قد انحصر في يد أقلية الأقلية ، التي كشفت عن هول داخلها وبشاعة برنامجها .

إذا كان أمر الإسلام لا يعنيهم . . فهل يثأرون لعروبتهم ؟

التعاطي الإعلامي والتحليلات السياسية التي تعطي للحدث الجزائري بعض الاهتمام ، تحاول التركيز بصورة متكررة ومن زوايا مختلفة على صورة واحدة من صور الصراع في الجزائر كما لو أن الصراع المتعدد الجوانب محصور

في هذا الجانب فقط . . وبالطبع فإن الدوافع الخفية لآلة الإعلام العربية المتحيزة دوماً ضد فريق معروف بسماته وملامحه في الساحة ، تعرف أن حصر القضية في تعداد «شهداء الواجب» ، ونقل أخبار «ضحايا العنف» وحده يضر بالفريق الذي اكتسب شرعية منذ البداية من نبض الشارع وأحلام الأغلبية . . هذا النمط «الأعور» من التحليل قد يحجب حقيقة وبشاعة الواقع الحاصل الآن ، لكنه لن يستطيع - بالتأكيد - أن يلغي بعض الأسئلة المشروعة والملحة التي لا تجد إجابة سوى لدى المتنفضين رعباً من انهيار المشروع العلماني/ الفرانكفوني في المغرب العربي عامة وفي الجزائر خاصة . . وإلا . . فمن المستفيد من إلغاء رفع الأذان عبر وسائل الإعلام الجزائرية . . . بالطبع لن تكون الجبهة الإسلامية للإنقاذ هي التي سنته ، أو أدرجته في الهيكل البرامجي لوسائل الإعلام الجزائرية التي أصبحت تتباهى اليوم بأنها نموذج لمشروع الرجل/ الصنم «كمال أتاتورك» الذي نفذه في تركيا قبل ستة عقود . . . ومن المستفيد من جعل يوم العطلة الرسمي هو الأحد بدلاً من الجمعة ، فليس من جعل الجمعة عيداً لهذه الأمة سوى ربها عز وجل ولا دخل لهذا بالجماعات «الإرهابية» في زعمهم .

ومن المستفيد من إلغاء برامج اللغة العربية من المناهج الدراسية وإحلال مناهج فرنسية الروح واللغة وضيقة الأفق والانتماء . . حتماً ليس لعباس مدني - الذي لم يُرحم بسبب مرضه أو الذبحة الصدرية التي تلاحقه - علاقة بالموضوع فالعربية لغة القرآن ولغة الجزائر رغم أنف العساكر ومن يحركهم . .

ومن الذي يقف وراء منع الحجاب - هذه الشعيرة التي فرضها رب السماوات والأرض - ، لا شك أن الأصوليين لم يخترعوه أو يفرضوه أو يجبروا الناس على ارتدائه بقوة البندقية ، كما فعل الذين رفعوه عن رؤوس

آلاف الفتيات في الجزائر . .

. . . ثم لماذا تصر الفئة المنكفئة على ذاتها وهي مرعوبة ، على استبعاد الإسلاميين من الحوار والمشاركة في رسم مستقبل البلاد المجهول رغم أن بعضهم مستعد – كما صرح كثيراً – لتقديم التنازلات في سبيل الوصول إلى حل . . صحيح أن هؤلاء لا يمثلون الأغلبية لكنهم حتماً أثقل وزناً في الميزان السياسي من شراذم الماركسية ، ومليشيات السوربون الفكرية ، وأحزاب البربر الغالية في الشذوذ عن إجماع الأمة !

هذه الأسئلة تلقي بظلها ، وتطرح نفسها بعنف ، ولا تجد سوى تفسير وحيد وجواب مكرر . . . إن الذين يحاربون الإسلام في الجزائر اليوم يتخذون من صراعهم مع الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، والحركات المسلحة هناك ، واجهة لحربهم التاريخية الطويلة مع الإسلام وطرحه الشمولي الحكيم ، الذي يهدد مشروع الفرانكفونيين المتحالفين مع مافيا السلطة ، التي جرّت البلاد إلى هذا المشهد «العدمي» الذي تُسال فيه دماء البلاد والعباد من أجل ترسيخ «الاستعمار الفرنسي» بصورة جديدة تناسب اللحظة المعاصرة ، ومن أجل مزيد من الاحتكار الضيّق للفرص والمصالح .

إن ساحة الصراع بين مافيا السلطة وجنرالات النظام التي تغطي صورتها المظلمة بهذا التحالف مع عبيد فرنسا من أبناء الجزائر ، أعمق وأشمل من كونه صراعاً سياسياً أو عسكرياً ، إنه يمتد إلى الجذور . . . إلى العمق ، ففي ظل هذه الهجمة تهمش حتى الصحافة الرسمية الصادرة باللغة العربية ويضيَّق عليها في الوقت الذي تدعم فيه الصحافة الجزائرية الصادرة باللغة الفرنسية والفكر الفرنسي حتى ينسى شعب الجزائر لغته . . عسى أن يفقد هويته . . هل

ستقولون إن علي بلحاج هو زعيم «تنظيم الصحافة العربية» في الجزائر لكي تسترد انتماءها الحقيقي الذي دفعت ثمنه مليون شهيد قبل سنوات ؟

إذا كان المحلل والإعلامي العربي لا يثور لدينه أو يتخوف من الإسلاميين حقاً أو زوراً فهل يغار هؤلاء حتى على عروبتهم يا تُرى ؟

إن الإسلام والعروبة في مغرب عالمنا العربي ظلان متلازمان منذ القدم ولم تأتِ جرثومة القومية العلمانية المنفصلة عن الإسلام بثمار بالغة كما فعلت في مشرق العالم العربي - على يد نصارى بلاد الشام بالذات - وهذا يعني بالتالي أن المعركة التي قادها بالأمس ابن باديس والإبراهيمي قد عادت تطل اليوم بلا رتوش : العروبيون (الإسلاميون) . . . والفرنكفونيين (المافيا الحاكمة) ولم يعد حتى لهؤلاء العلمانيين العرب من عذر حين يقفون في صف أعداء لغتهم وتراثهم إلا تفسيرواحد هو أنهم مستعدون لإلغاء مشروعهم وإطاراته في سبيل ملاحقة الحل الإسلامي وأهله ، ثم في صبيحة اليوم الثاني يتحدثون عن الحوار القومي - الإسلامي . . . دون حياء !!

المستقبل :

مراسل محطة التلفاز الفرنسية أجرى مقابلة مع أحد «صقور» العسكريين الذي علق على التغييرات الاجتماعية مثل نزع الحجاب بقوله : «سوف نزيل كل هذه المظاهر الأصولية بحزم . . . حتى لو لجأنا إلى البندقية». الشريط ينتقل بعد ذلك إلى حي باب الواد . . ومسجد السنة الذي يصفه المراسل بأنه أشبه ما يكون بالثكنة العسكرية المحصنة وهو الذي شهدت جنباته مولد الجبهة الإسلامية للإنقاذ . . امرأة عجوز تشير إلى الحروف الأولى اللاتينية للجبهة الإسلامية

للإنقـاذ F.I.S. قائلة : «كانوا يأتون للصلاة وينصرفون بهدوء ويعبرون عن ما في صدورهم في العلن . . . ثم أنزلوهم الأقبية ليظهر شباب ثائر في الظلام يشعر بالحنق . . . أنا أشعر بالحنق حين أحصل على لقمتي ثم تنتزعها مني وأنا أضعها في فمي . . . ألا تشعر أنت بالحنق لو فعلوا بك كذلك . . ؟»

شاب عاطل عن العمل يقول : «لا أدري ماذا يحمل المستقبل . . . على الأقل كان لدى الجبهة برنامج كسبت به أصوات الناخبين بجدارة . . . كان هناك حلم . . . لي . . . بغد أفضل ونظام أعدل ، أما الآن فأنا أشتهي الموز ولا أستطيع أن أقترب منه . . . الكيلو بحوالي ١٠ دولارات . . . لقد حرموا الموز علينا لأن الذي يستطيع تناوله هم «المافيا» التي قتلت بوضياف . . . كان لي حلم . . . والآن . . . حلمي كيلو من الموز !!» .

إن خروج الشعب الذي أصيب في كرامته وهو العزيز وأهين في الصميم وهو المجاهد ، فجر أحداثاً من العنف والعنف المضاد ، أراد الذي يفهم لغة القوة أن يسود . . . ، لقد تنبأ العقلاء منذ اليوم الأول لاغتصاب السلطة وتنحية بن جديد أن الإنقلابات العسكرية وتحكيم لغة القوة لن تحل المعضلة السياسية في الجزائر، والتي تراكمت مشاهدها منذ ذلك الحين . . . والآن وبعد أن أنزلت البلاد إلى الهاوية بدأ العسكر في التحضير للحوار واستبدال لغة الغطرسة بلغة المفاوضات ، ولكن بعد خراب الجزائر . . .

المعلق الفرنسي ينهي شريطه بالقول : «كان بإمكان الجيش أن يتحاور قبل عامين مع قيادة الجبهة المعتدلة «كحشاني» في سبيل ضمانات كافية تكفل الاستقرار السياسي للنظام وتحفظ للجيش هيبته وكرامته . . . أما الآن وبعد أن بلغ العنف مداه فإن التفاوض مع الجبهة سيكون أصعب بلاشك خصوصاً أن

الشعب يرى مشروعه يقبض على زمام السلطة «بالجهاد» وليس بالديموقراطية العرجاء التي وئدت لأن هناك «مخاوف» متوقعة ، دون أن يُفكِّر في الخسائر التي نجمت عن قتل خيار الأغلبية» . يضيف جوزيف سماحة قائلا : «الذين راهنوا على قطع المسار الانتخابي في الجزائر يفترض فيهم أن يقدموا كشف حساب اليوم ، فلا الاستقرار عم ولا الإزدهار انتشر ولا البلاد خطت في اتجاه الخروج من المأزق ، على العكس تطورت حرب أهلية مصغرة وأثبتت الحكومات المتتالية عجزاً فاضحاً ولم تتدفق المساعدات الأجنبية وهي – حين وصلت – ابتلعتها خدمات الدين ؛ لقد بدأ هذا الخراب ضروربا من أجل العودة إلى البديهيات القائلة بأن الحل سياسي بالدرجة الأولى ، وبأن المعالجة الأمنية لا تكفي ؛ لقد رفع مسؤولون جزائريون في الأشهر الأخيرة لواء الدعوة إلى التناقش والتحاور لكنهم عمدوا إلى استثناء القوى التي لا مجال لأي حل سياسي من دونها وكان واضحا أن استدراج أحزاب إلى ندوات ومشاورات لا يعدو كونه استدراجها إلى فخ لا يستطيع بلورة مخرج» .

إذا كان الكلاشنكوف يستطيع نزع الحجاب الآن فإنه بالتأكيد لن يسكت الأذان غداً . الأذان يسمع صوته عن بعد . . مخبراً عن مصارع الغابرين وبشارة أهل هذا الدين الذين استضعفوا . . . ولوحقوا وأوذوا . . . عسى أن يكون هذا تمحيصاً . . . قبل التمكين .

حتى لا ننسى البوسنة والهرسك
مراجعة شاملة للقضية

د. يوسف الصغيّر

أثناء انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي في جدة ، لبحث مأساة المسلمين في البوسنة ، كانت قضية السلاح الذي يمنع عن المسلمين على رأس الأولويات ولهذا سارع اللورد الانجليزي «ديفيد أوين» بالحضور إلى المؤتمر ، ولا أدري هل كان مدعواً أم لا ، ولكنه لم يستحِ فأبدى معارضته لرفع حظر السلاح عن المسلمين لأن هذا لا يساعد على حل الأزمة كما زعم ، وهذه نظرية غريبة لم يتم تطبيقها من قبل بل ولا يجري تطبيقها الآن إلا في البوسنة ، ومع ذلك تنازل المؤتمر وأعطى المجتمع الدولي مهلة إلى الخامس عشر من يناير الذي يلي المؤتمر لاتخاذ الاجراءات المناسبة ، وذلك حرصاً من المؤتمر على أن تكون تصرفاته منسجمة مع الشرعية الدولية التي يمثلها أوين الذي لم يكن يتوقع أن يصمد المسلمون إلى ذلك التاريخ ، ولكن إرادة الله غالبة فقد أبلى المسلمون بلاءً حسناً ووقفوا أمام جحافل الكفر المدججة بالسلاح طويلاً ، ومر ١٥ يناير الموعود وتتالت الأشهر بعده والقتال على أشده ، ومازالت الأقطار الإسلامية تنتظر من الشرعية الدولية أن تغير رأيها وتتكرم برفع حظر السلاح عن المسلمين وهو ما لا أظن أنه سيحدث لأن هذا موقف مبدئي لكل من بريطانيا وفرنسا

وروسيا حتى إن أمريكا التي تتصرف في كل مكان بدون النظر إلى مواقف الدول الأخرى ، وجدت نفسها في هذا الجزء من العالم بالذات تسلم بوجهة نظر بريطانيا ، وتترك القيادة بيد دول المجموعة الأوربية لحل المشكلة ، والتي أرى أنها من التعقيد بحيث أن ما يجري من إذلال وقهر وسلب للمسلمين سيكون له أوخم العواقب على المنطقة ، حيث أنه يمكن اعتبار المسلمين عامل توازن مهم في المنطقة ، وبخاصة بعد سقوط الشيوعية وعودة التحالفات القديمة إلى الظهور وهي التي أدت إلى نشوب الحرب العالمية الأولى ، والتي انطلقت شرارتها من سيراييفو نتيجة للصراع بين الصرب ومنافسيهم على النفوذ في المنطقة ، وهم النمساويون الذين يمثلهم الكروات.

والصراع في البوسنة هو مظهر من مظاهر الصراع بين الصرب والكروات وحل قضية البوسنة سيؤدي بالضرورة إلى اندلاع صراعات متتالية سيكون الصرب طرفاً رئيساً فيها حيث إنهم ينتظرون الانتهاء من البوسنة ، حتى يلتفتوا إلى قضايا أخرى معلقة مثل مناطق كوسوفو وسنجق ومقدونيا وكرايينا ، حتى يتم لهم حلمهم بإقامة صربيا الكبرى.

مسلمي البوسنة بين فكي الكماشة :

من المعلوم أن الأحداث في جمهورية يوغسلافيا السابقة بدأت بانفصال سلوفينيا وكرواتيا عن يوغسلافيا التي يسيطر عليها الصرب ؛ مما أدى إلى قيام الصرب باحتلال ثلث مساحة جمهورية كرواتيا ، وقد تدخلت الأمم المتحدة وأرسلت قواتها من أجل تثبيت الوضع على الأرض في كرواتيا ، أي استمرار احتلال الصرب لأجزاء من كرواتيا ، واستمر الصراع بين الكروات والصرب

ولكن على أرض جمهورية البوسنة والهرسك الوليدة التي يشكل فيها المسلمون أغلبية السكان ، وقام الصرب بتكرار ما فعلوا في كرايينا ، ولكن بوحشية فاقت كل التصورات ، لأن المسلمين أخذوا على حين غرَّة ولم يكونوا يملكون من السلاح ما يدافعون به عن أنفسهم ، وبدأ مسلسل من القتل والاغتصاب والتدمير والطرد يتناسب مع المباديء الحضارية التي يتميز بها الأوربيون والتي ورثوها عن أسلافهم ، واستبسل المسلمون في الدفاع وقام الكروات في البداية بلعب دور الحليف مما مكَّن المسلمين من استرداد أجزاء كبيرة كانوا فقدوها في البداية ، ولكن بدأت محاولة لحل الأزمة بين الصرب والكروات وذلك بتعويض الكروات عما فقدوه في كرواتيا بأراضي المسلمين في الهرسك ، وقد بارك هذه الفكرة الشيطانية كل من زعيمي البلدين .

وقد بدأت القوات الصربية والكرواتية تقوم بعمليات مشتركة ضد المسلمين الذين – على الرغم من الحصار – عركتهم الحرب فأصبحوا أصلب عوداً وأقدر على المواجهة .

الحرب الدبلوماسية :

لقد كانت الأمم المتحدة عاملاً مهماً في استمرار وتفاقم مأساة المسلمين في البوسنة ، ففي البداية كان بطرس غالي يرفض إرسال قوات الأمم المتحدة إلى البوسنة وفي نفس الوقت يفرض حظراً على السلاح ، لا يتضرر منه إلا المسلمون ، ثم أرسلت قوات الأمم المتحدة وتصرفت كأن مهمتها تنحصر في التفرج على المذابح ، مع مرافقة قوافل الإغاثة ، والموافقة على دفع الإتاوات إلى الصرب والكروات ، وتصل نسبة ما يأخذه الصرب من نصيب المسلمين أثناء

مرور القوافل على حواجزهم إلى ٧٠٪ من الشحنات ، مع العلم أنهم يأخذون نصيبهم كاملاً من الإعانات حيث إنها توزع على الجميع ، وإذا أراد الصرب أو الكروات منع الإمدادات عن منطقة فلهم ذلك وعلى الأمم المتحدة إسقاط المؤن من الجو على المحاصَرين في المدن ، ومن لم تقتله الطرود أثناء سقوطها فهو معرض لنيران المُحاصِرين أثناء محاولة البحث عنها ، وإذا نسيتُ فلن أنسى أنه أثناء تلك المجازر الرهيبة التي ارتكبها الكروات في «فيتيز» نشرت إحدى الصحف صورة جندي من الأمم المتحدة يطل من فتحة في إحدى الخيام : بينما التعليق يقول العين بصيرة واليد قصيرة ، وقد أصبح وجود قوات الأمم المتحدة وسلامتها ذريعة لمنع قيام أي عمل جدي ضد الصرب.

إن جمهورية البوسنة والهرسك هي الدولة الوحيدة - حتى الآن - التي تصبح عضواً في الأمم المتحدة ، ثم تعمل الأمم المتحدة جاهدة على وأدها في مهدها ، وبالاستعراض السريع لمجريات الأحداث من الناحية السياسية : فإننا نجد أنه على الرغم من تتابع الوسطاء الدوليين من اللورد كارينجتون إلى اللورد أوين إلى سايروس فانس إنتهاءً بـ شتولتنبرغ ، فإن تقويض أركان الجمهورية تدريجياً كان هو السياسة الثابتة ، ففي البداية كانت المعضلة هي جمع الأطراف حيث إنه بعد انفضاح جرائم التطهير العرقي ومعسكرات الاعتقال التي حاولت أمريكا والأمم المتحدة التستر عليها ، أعلنت أمريكا لائحة بمجرمي الحرب ومنهم «رادوفان كاراديتش »زعيم صرب البوسنة إضافة لرفض حكومة البوسنة الاعتراف بهم واعتبارهم متمردين ، وقد قامت المجموعة الأوربية والأمم المتحدة بالضغط الشديد على المسلمين - والذي يتوافق دائما مع ضغط عسكري صربي

- حتى رضخت الحكومة البوسنية ودُفِعَ الرئيس «علي عزت» إلى الرضى بمقابلة كارادينش ، وحيث بدأت المفاوضات وبدأ الوسطاء يعاملون مجرم الحرب كاراديتش على قدم المساواة مع رئيس الدولة (أي أن مجرم الحرب يمثل فئة ورئيس الدولة ينظر إليه على أنه يمثل فئة أخرى هي المسلمون وليس الدولة البوسنية) ، وتتابعت المشاريع التي لا يقصد منها القبول أو الرفض بل القصد منها الحصول على تنازل المسلمين عن أرض أو مبدأ ، ففي البداية عقد مؤتمر لشبونة وطرح مشروع تقسيم الجمهورية إلى ١٠٩ من الدوائر الإدارية وتقسيمها بناءً على أغلبية السكان وحصل بموجبها المسلمون على ٤٩ , ٤٣ ٪ من أراضي الجمهورية بينما حصل الصرب على ٧٢ , ٤٣٪ وحصل الكروات على الباقي ، ويبدو أن الهدف هو فقط إقرار مبدأ التقسيم ولهذا سرعان ما طرحت مبادرة (فانس/ أوين) التي تنص على تقسيم البوسنة إلى عشرة أقاليم ترتبط بسيراييفو بعلاقات واهنة والأسس الدستورية الجديدة هي :

«ستكون جمهورية البوسنة والهرسك دولة ذات سيادة وحكومة مركزية محدودة الصلاحيات وذات دستور يعترف بالشعوب الثلاثة المكونة لها ، إضافة إلى المجموعات الأخرى ، مع انتقال غالب الصلاحيات الأساسية من الحكومة إلى إدارات المناطق» .

وتنحصر مهمة الحكومة المركزية في إدارة الأمور الخارجية والحفاظ على النظام النقدي .

ورافق المحادثات حول الاتفاق دعاية كبيرة وتم الضغط على المسلمين بشدة للتوقيع ، وأظهر الصرب التمنع لأنهم يطمعون في أكثر من ذلك ، وبعد

أخذ ورد ومناورة تم التوقيع ، وكان أهم نتائج الاتفاق قيام الكروات بالعمل على تنفيذ الاتفاق فيما يخصهم ، أي طرد المسلمين من المناطق التي منحت لهم بينما بقيت مناطق المسلمين في يد الصرب ، وزادت حدة المعارك وبدأت أمريكا تلوح بالقيام بالتدخل عن طريق الضربات الجوية ، وبدأت تطالب برفع الحظر عن المسلمين ، وجوبهت التصريحات الأمريكية بمعارضة شديدة من بطرس غالي وبريطانيا وفرنسا وأعلنت روسيا أنها ستستخدم حق «النقض» ضد أي قرار يسمح بتسليح المسلمين ، ثم خرجت الأمم المتحدة بقرار المناطق الآمنة وهو يعني أولاً قتل مشروع فانس أوين ، وثانياً يعني حصر المسلمين في مناطق منزوعة السلاح يحيط بهم الصرب المدججين بالسلاح مما يجعلهم مهددين على الدوام ، إضافة إلى عدم إمكانية استمرار الوضع بهذا الشكل طويلاً ، حيث إنه لم يحدد من الذي سيتحمل مسؤولية الأمن فيها ، وإلى متى وما هي المقومات الاقتصادية لهذه المدن المحاصرة .

وأخيراً فقد انتهز الصرب الفرصة ، وبدأوا بسحب قواتهم من بعض المناطق ، وتركيزها لشن هجمات جديدة تهدف إلى تأمين الممر الشمالي ، وبدأ هجوم واسع النطاق على جبهة برتشكو .

وفي النهاية تم التحول الكبير ، ولا أظنه الأخير حيث أنه بعد فشل مشروع (فانس / أوين) ، واستقالة «فانس» ممثل الأمم المتحدة - وهو وزير خارجية أمريكي سابق - تم تعيين السويدي شتولتنبرغ ممثلاً للأمم المتحدة مع بقاء اللورد أوين الإنجليزي ممثلاً للمجموعة الأوربية ، مما يدل على انسحاب أمريكا من القضية وتسليمها للأوربيين ، وهنا طرح مشروع جديد وذلك بتقسيم البلاد إلى

ثلاث دول تعتمد على الأساس الديني وعرضت الخريطة الجديدة باسم الوسيطين الدوليين أوين وشتولتنبرغ وهي في الأصل خريطة اتفق عليها أولاً رئيسا صربيا «سلوبودان مليوسفيتش» وكرواتيا «وفرانيو توجمان» ، نعم إنهما رئيسا صربيا وكرواتيا وليسا زعيمي صرب وكروات البوسنة ، وقد اعتمدت الخريطة أساساً على ما هو واقع على الأرض مع تغييرات طفيفة إضافة لتنازل الصرب للكروات وليس للمسلمين عن جانب من الأراضي مما يوحي بأنه تعويض لهم عن كرايينا .

وبناءً على المعلومات التي نشرت في مجلة المجتمع بقلم رئيس قسم الخرائط في وكالة الأنباء البوسنية بَرْنَس علي حوجيتش فإن الخطة الجديدة تقسم الجمهورية إلى ثلاث دويلات مع وضع سيراييفوا وموستار مدينتين مفتوحتين تحت إشراف الأمم المتحدة ، ويوضح الجدول المرفق مساحات الأراضي المعطاة لكل طرف بالمقارنة مع الوضع على خطوط القتال بناءً على مصادر الجيش البوسني .

المناطق	الوضع الحالي	الخطة الجديدة
المسلمون	٪ ٢٨,١	٪ ٢٩,٩٠
الصرب	٪ ٥٩,٨٠	٪ ٥١,٧٠
الكروات	٪ ١١,٧٩	٪ ١٥,٨٠
سيراييفوا	تحت سيطرة المسلمين	وضع خاص
موستار	بين المسلمين والكروات	يمثلان ٢,٦ ٪

ومن الملاحظات المهمة على هذه الخطة أن الصرب يتنازلون للمسلمين عن بعض الأراضي ، وذلك مقابل تخلي المسلمين عن سيراييفو عاصمة الجمهورية التي عجز الصرب عن دخولها ، وأيضا تبقى المناطق المحاصرة في شرق البوسنة معزولة وتتصل ببعضها عن طريق ممر في أراضي يسيطر عليها الصرب ، ولا يوجد منفذ لدولة المسلمين ما عدا ممر يمر بأراضي الصرب إلى كرواتيا ، وهذا معناه أن الدولة ستكون تحت رحمة الصرب والكروات ، وقد رفض المسلمون الخطة بصورتها الحالية وطالبوا بمنفذ على البحر وإعادة الأراضي التي مارس فيها الصرب سياسة التهجير القصري وهو ما سمى بالتطهير العرقي .

وأنحى أوين باللائمة على المسلمين الذين طالبوا بـ ٣٣٪ بدل ٢٩,٩ ٪ من الأراضي وأعطاهم مهلة عدة أيام للموافقة ، وعرض «علي عزت» المشروع على وجهاء المسلمين الذين قبلوه بالشروط السابقة ، وأيضا وافق عليه البرلمان بنفس الشروط ومن ثم عادت المعارك من جديد ، بل لقد قام الصرب بهجوم كبير على سيراييفو استخدموا فيه الطيران الحربي بكثافة على الرغم من حظر الطيران في البوسنة ، وكانت القوات الدولية تكتفي بالتفرج على الصرب وهم يقتحمون جبل (بيلاسنيتشا) وأجزاء من جبل إيجمان المهمين جداً ، وقد تمكنت القوات البوسنية بعد استدعاء القوات المسلمة من وقف تقدم الصرب وبدأت أمريكا بتهديد الصرب بضرب مواقعهم ، وهنا اعترض بطرس غالي وصرح أن أمر الهجوم هو من صلاحيات الأمين العام فقط ، وأيضا فقد انسحبت القوات الصربية من بعض مواقعها وحلت محلها قوات فرنسية بدعوى الفصل بين القوات ، ولكن الهدف الرئيس هو منع ضرب مواقع الصرب ، التي تداخلت

مع الصرب (الزرق) وهو الاسم الذي يطلقه المسلمون على الجنود الفرنسيين في البوسنة.

وقفات :

* يلاحظ أن الصرب والكروات يتمنون موافقة المسلمين على خطتهم (أوين شتولتنبرغ) وذلك بسبب ما تعانيه صربيا جراء الحظر الدولي غير المتقن حيث إن دولاً كثيرة ومنها روسيا وبلغاريا ورومانيا واليونان لا تلتزم به ومع ذلك فإن تكاليف الحرب قد أرهقتها ، وأيضاً بسبب الهزائم المتتالية التي مني بها الكروات أمام المسلمين بعد غدرهم ومحاولتهم الاستيلاء على مناطق المسلمين في الهرسك ووسط البوسنة.
* على الرغم من تحالف الصرب والكروات فإن المسلمين صامدون بل ويقومون بهجمات موفقة بخاصة ضد الكروات.
* يمثل الاتفاق الأخير فرصة لا تعوض للصرب ، من أجل إقامة جمهورية في البوسنة ، والتي ستكون مع جمهورية الصرب في كرواتيا اتحاداً مع جمهورية صربيا ؛ لتكوين المرحلة الأولى من صربيا الكبرى.
* ازدياد الضغوط على الرئيس الكرواتي من أجل تحرير بقية الأراضي الكرواتية وبالتالي فهو بحاجة إلى تعويض سريع عنها.
* يمثل كل من إقليم السنجق الذي يغلب عليه المسلمون البوسنيون وجمهورية كوسوفو الذي يغلب عليه المسلمون الألبان الهدف الثاني في سبيل إقامة صربيا الكبرى ، ولا تستطيع صربيا تنفيذ المشروع قبل تصفية

قضية البوسنة التي طالت أكثر من المتوقع ، حيث إن هناك احتمال دخول ألبانيا الحرب مما يجر اليونان وبالتالي تركيا ، وهذا سيمثل مخاطرة صربية كبيرة ، وكما سيمر معنا فإن رئيس الوزراء اليوناني الجديد صرح باحتمال قيام حرب عامة في البلقان مع دخول دول كبرى فيها .

* تخبط السياسة الأوربية في البلقان ، ففي البداية كان الحديث عن منع قيام دولة للمسلمين في أوربا ثم أخيراً اقتراح دولة للمسلمين لا تملك مقومات الحياة اقتصادياً واستراتيجياً .

* استمرار تماسك الصرب مع حلفائهم مع خشية تورطهم في نزاع واسع حيث إن سعي الصرب إلى جمع صرب المنطقة في دولة واحدة يؤدي إلى سعي الألبان لنفس الشيء ، وأيضاً يوجد منطقة مجرية في صربيا وهي سلسلة من التداخلات لا تنتهي ، فهل يستمر دعم المنظومة الأرثوذكسية للصرب حتى النهاية .

* محاولة أمريكا العودة إلى منطقة البلقان ، وذلك بتهديدها للصرب وانتقادها سياسة الدول الأوربية ومنها بريطانيا وفرنسا .

* الغياب التام للعالم الإسلامي في التأثير على مجريات الأحداث ويقتصر دعم بعض الدول الإسلامية على ما يسمى بالدعم الإنساني ، ولم يتم العمل الجدي على تسليح المسلمين على الرغم أن الصرب يحصلون على السلاح بسهولة ، وليس سراً حصول الصرب على السلاح من بعض الدول العربية ، فمثلاً تم نقل أسلحة من لبنان إلى صرب البوسنة .

* لقد أدى ثبات المسلمين في ميادين الحرب إلى محاولة شق صفوفهم ، وقد حاول كل من الصرب والكروات تشجيع بعض زعماء المسلمين المشبوهين مثل «فكرت عبديتش» على إعلان الحكم الذاتي في مناطقهم ، مع العلم أن ديفيد أوين قد حاول خلال المحادثات الأخيرة وبعناد تفريق كلمة المجلس الرئاسي البوسني ومحاولة تشجيعهم على التمرد على (علي عزت) ، وقد تخلى عن المجلس اثنان من الكروات وانضموا إلى بني قومهم ، وقد نجحت محاولة الصرب والكروات مع عضو المجلس فكرت عبديتش فأعلن منطقته منطقة حكم ذاتي فأغدق عليه الصرب السلاح وشجعوه على مواجهة جيش البوسنة ، وهناك أيضاً بعض البوادر في مدينة توزلا وهذا ينظر إليه من جانبين الأول : هو أن الصرب والكروات في حاجة إلى عملاء في صفوف المسلمين نظراً لتنامي قوتهم وثباتهم ، والثاني بداية تمايز الصفوف حيث خرج رئيس الوزراء الكرواتي ، بالإضافة إلى دلالة اجتماع علي عزت مع زعماء المسلمين للتشاور حول الخطة الأخيرة قبل عرضها على البرلمان المختلط وخروج المسلمين من قوات الدفاع الكرواتية .

* إذا كانت هيبة الأمم المتحدة قد فقدت في الصومال فإن سمعتها قد فقدت في البوسنة ، فمنذ البداية كان بطرس غالي واضح التحيز إلى إخوانه الصرب ، وكان استبدال القائد السابق لقوات الأمم المتحدة نتيجة أيضا لتواطئه مع الصرب ، بل واتهامه الصريح باغتصاب المسلمات ، هذا من ناحية القادة أما الجنود فقد كان تواطؤ القوات الفرنسية والبريطانية مع

الصرب واضحاً ، أما القوات الكندية فقد كانت أغلبيتهم من ذوي الأصول الصربية وانغمس الجنود في سرقة مواد الإغاثة وبيعها في السوق السوداء إضافة إلى حالات من وقائع الاغتصاب ، وقد ابتلي المسلمون بالصرب الأصليين وبالصرب الزرق.

* إذا كان هناك تخاذل من قبل الحكومات فإن كثيراً من الغيورين قد قاموا ببعض ما يجب على المسلمين ، فمنهم من قام منذ البداية بالجهاد مع إخوانه ، وقد كان لهم أبلغ الأثر في رفع الروح المعنوية للمسلمين هناك ومنهم من انخرط في أعمال الدعوة والإغاثة وهي لا تقل أهمية عن سابقتها.

إنهم قادمون :

إن العالم اليوم يقف على مفترق طرق ، ففي السنوات القليلة الماضية حدثت تحولات كبيرة مع ظهور الصحوة الإسلامية وتناميها وسقوط الشيوعية حيث بدأت تظهر علامات على بداية حروب صليبية جديدة ، ففي البوسنة يطرح الصرب أنفسهم كحماة لأوربا من الإسلام ، أما بطريرك موسكو فإنه يطرح نفسه حكماً بين الشيوعيين السابقين «يلتسن وروتسكوي ومسيولاتوف» أما ثالثة الأثافي فهي أن رئيس وزراء اليونان الجديد - ذلك الذي يرفع راية الاشتراكية - بدأ يتكلم عن تطلع الشعوب إلى الجذور ويتحدث عن التحالف المسيحي الأرثوذكسي ، ولأهمية هذه التصريحات التي أطلقها أثناء لقاء أجراه معه مراسل «جلوبال فيوبونيت» ونشرته الشرق الأوسط في عددها (٥٤٤٥) فإنني أقتطع منه بعض الأسئلة والأجوبة بنصّها كما نشرت.

س لقد حقق الصربيون الفوز – الآن – على أرض المعركة في البوسنة ، وفي هذه الحالة حذر الرئيس الألباني «ساتي بيريشا» من أن الصرب سيتفرغون الآن للتحرك جنوباً طمعاً في إقامة صربيا الكبرى ، و«تطهير» كوسوفو من سكانها المسلمين الألبان ، هل تعتقد أن ثمة شيء من الصواب في هذه النظرة ؟

ج إن الحقيقة في هذا القول تكمن في الآتي : هناك جماعات سياسية وعسكرية في صربيا تحمل ذهنية «الاندفاع جنوباً» ، لكن سلوبودان ميلوسوفيتش والذين حوله – دعنا نسمي هؤلاء بلجراد – يدركون بالكامل أن الاندفاع جنوباً يعني الحرب ، ليس فقط الحرب بين ألبانيا وصربيا ، بل حرب في البلقان مقرونة بتدخل من القوى العظمى ؛ لذا فإن بلجراد سوف تخسر وجهتها كلية ، إذا ما اندفعت جنوباً ، وما أخشاه هو أن الحرب يمكن أن تنشب نتيجة استفزاز من الجانب الإسلامي في كوسوفو الذي يريد أن يتحرر من الصرب ، أو من أية قوة عظمى .

س هل ستسعون إلى إزالة العقوبات المفروضة على الصرب إذا تسلمت اليونان رئاسة الجماعة الأوربية ؟

ج أسمعْ : إن صربيا تتصرف اليوم – في اللحظة الحالية – بطريقة تبرر رفع العقوبات ، إن التوجه الرئيس الآن (أكتوبر ١٩٩٣) في بلجراد هو السلام هناك قلق من أن يحصل الصرب على حصة أكبر في البوسنة من خلال صفقة معينة ، إذا حصل ذلك فإن من الصعب عملياً رفع العقوبات .

س إذن جزء من معسكر الدبلوماسي سيتركز على إقناع الصربيين باعطاء المزيد من أراضي البوسنة للمسلمين حتى يمكن رفع العقوبات ؟

ج لن أذكر بالضبط ما سنفعله ، لكنني سأقول : مادامت هذه هي المشكلة فإننا سنحاول الضغط باتجاه حل سلمي بأسرع ما يمكن .

س أشرتم إلى أن من بين نتائج تمزّق يوغسلافيا إحياء الصلات القديمة للتحالف المسيحي الأرثوذكسي - أثينا - صوفيا - بلجراد - بوخارست - ولربما حتى موسكو ، فهل أن قضايا الحرب والسلام في البلقان لن تتوقف كثيراً بعد اليوم على مؤسسات مثل حلف الأطلسي والسوق الأوربية ، بل ستعتمد على الأسس التاريخية الأعمق في هذه المنطقة ؟

ج بالطبع أن دور حلف الأطلسي لم يحدد بعد ، لذلك فإننا لا نعرف مدى أثره في المستقبل ، هناك أيضاً الجهد الذي تقوم به فرنسا لإقامة تحالف عسكري أوربي ، لكن ذلك مرهون بالمستقبل ، والآن بالنسبة لحروب البلقان فإنني أعتقد أنها أحيت الصلات الأرثوذكسية ، وبالطبع فإن انهيار الشيوعية في الاتحاد السوفياتي أعاد الدين الأرثوذكسي إلى الحياة اليومية للشعب الروسي صحيح أن هذه مجرد صلة روحية ، إلا أنها تكتسب محتوى حقيقياً مع تبلور التطورات في البلقان ، وفي عالمنا السيّال الدفاق يسعى الناس إلى الهوية والأمن وتتطلع الشعوب إلى الجذور والصلات للدفاع عن النفس ضد المجهول ، وهناك كثرة من الأمور المجهولة في أوربا اليوم فرئيس وزراء فرنسا «ادوارد بالادور» مثلاً اقترح عقد مؤتمر يعيد فحص المعاهدات والحدود ، ها أنت ترى الأمر حين يطرح رجل دولة كبيرة من وزن فرنسا

مثل هذا الاقتراح أمام السوق الأوربية فإن علينا أن نشعر بالقلق إزاء التغيرات المرسومة لنا ، في مثل هذه الظروف نتطلع إلى روحية التعاضد مع أولئك الذين يشاطروننا الجذور ، لا أقصد بذلك أن روابط المؤسسات في أوربا ما بعد الحرب أقل شأناً من الصلات الدينية التي تنتعش الآن ، إن الأمر يتوقف على الوجهة التي ستسير فيها أوربا .

س تتذكرك الولايات المتحدة كعدو لدود لها ، دأب على التهديد بطرد القواعد العسكرية الأمريكية من اليونان . ما رأيك الآن في الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب الباردة ؟

ج أولا ، دعني أذكرك أن آخر حكومة ترأستها هي أول من أبرمت اتفاقية مع الولايات المتحدة حول القواعد في اليونان ، قبل ذلك كان وجود القواعد غير رسمي ، إن أمريكا اليوم ليست مجرد قوة عظمى ، إنها القوة الوحيدة العظمى ، هذا واقع قائم ، فالأمريكان يصوغون استراتيجيتهم الكونية والبلدان الصغيرة مثل اليونان لا رأي لها في ذلك ، إن المشاكل التي برزت بين اليونان وأمريكا في الماضي ناجمة عن مثلث واشنطن - أنقرة - أثينا ، وليست بالمشاكل الثنائية ، والمشكلة كما نعرف هي أن اليونان عضو في التحالف الأمني نفسه الذي توجد فيه تركيا «حلف الأطلسي» ، مع ذلك فإن الحلف لا يحمينا من البلد الوحيد الذي يهددنا (تركيا) . إن هذا الاحتكاك ينعكس على الولايات المتحدة ، وإن الموقف الحذر الحصين الذي اتخذه الأمريكان في البلقان قد بين أنهم يهتمون حقًا بالاستقرار ، هذا يناسبنا تماماً ونتطلع بوجه خاص إلى لعب دور بناء مع

الولايات المتحدة في البلقان مادام ثبات الحدود واستقرارها هدفنا المشترك».

هكذا تحولت خطة ١٠ مقاطعات إلى ثلاث دويلات ، وما يدرينا لعل الصرب - وهم كما هم أعداء حقيقيون للمسلمين - فهم أيضا أعداء حقيقيون للكروات لخلافهم المذهبي الذي لا يعرف مدى حقيقته إلا من تابع ويتابع ماذا يجري بين النصارى في إيرلندا من عداء كبير بسبب النزاع المذهبي.

إن الصرب يخططون في النهاية لقيام صربيا الكبرى على حساب غيرهم وعلى رأسهم المسلمون ، لكن هذا بعيد المنال فالكروات لهم من يحميهم وللمسلمين رب أكبر وأجل ، فلا يجوز أن يتطرق لقلب مسلم اليأس مما جرى فإنه مع الابتلاء والتمحيص يكون النصر والتمكين ، وقد أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ* : إن المسلمين سيفتحون القسطنطينية وقد فتحوها وسيفتحون روما وسيكون ذلك بإذن الله لا محالة ، ولعل الله أن يجعل في جهاد البوسنويين الطريق إلى تحقيق الأمل الموعود ، وما ذلك على الله بعزيز.

---

* أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ، ص ٧ .

نظرة عابرة على
واقع المسلمين في الهند
(٢)

أحمد بن عبدالعزيز أبو عامر

التعدي على قانون الأحوال الشخصية الإسلامي :

للمسلمين في الهند قوانين خاصة بأحوالهم الشخصية ، منبثقة من تعاليم دينهم ، والتي تشمل مسائل الزواج والنفقة والطلاق والإرث . . إلخ ، يرعى تطبيقها مصلحة خاصة يرأسها حاليًا (الشيخ أبوالحسن الندوي)، ومع أنه كانت ترتفع أصوات علمانية من المسلمين تدعو لدمج ذلك القانون مع القانون العام للأحوال الشخصية للدولة ، إلا أن الحكومة ترفض ذلك ما لم يطالب به المسلمون أنفسهم .

وفي عام ١٩٧٨ أصدرت المحكمة العليا المركزية حكمًا لصالح إحدى المسلمات بمنحها النفقة من زوجها المطلق لها إلى أن تموت أو تتزوج غيره طبقًا للمادة (١٢٥) من القانون الهندي الذي لا يفرق بين المطلقة والزوجة في النفقة بل واقترحت المحكمة تعديل (قانون الأحوال الشخصية الإسلامي) ليكون متساويًا مع القانون الحكومي . يقول الشيخ أبو الحسن الندوي : إن بقاء قانون الأحوال الشخصية الإسلامي هو الضمان الوحيد لتمسك المسلمين بصبغتهم

الدينية ، وسيؤدي انتهاكه إلى فقدان المسلمين لشخصيتهم شيئًا فشيئًا ومن ثم ضياعهم كما ضاع غيرهم في بلدان أخرى .

ومما يؤسف له أنه حينما تحرج المسلمون من التحاكم للقوانين الأجنبية واستفتوا الأزهر عن مدى صحة التحاكم لتلك القوانين . ، جاءتهم الفتوى ، بإمكانية التحاكم إليها ، والعمل بها وإن خلاف ذلك يضيع على المسلمين مصالحهم .

فأخذوا بتلك الفتوى ولا شك أن في ذلك نظرًا ؛ لأن التحاكم إلى تلك المحاكم الأجنبية تحاكم إلى غير ما أنزل الله .

ولبيان مناقشة الموضوع باستفاضة يرجع لكتاب (أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم بشبه القارة الهندية) د/ خادم حسين إلهي بخش ، حيث ناقش هذه الدعوى بموضوعية ووضع النقاط على الحروف .

الفرق المتسبة للإسلام بالهند :

يوجد الكثير من تلك الفرق في الهند ومن أشهرها الشيعة الجعفرية والبهرة الإسماعيلية والقاديانية والبريلوية والقرآنيون والصوفية ولهم مدارسهم ومنطلقاتهم الفكرية والعقدية التي تخالف أهل السنة مخالفةً جذرية ، ولتلك الفرق مواقف غير حميدة من أهل السنة ولا يتسع المقام للتطرق لتلك الفرق والتعريف بها وبيان منطلقاتها الفكرية .

وأحيل راغب الزيادة لمعرفة ذلك لبحث الدكتور (خادم حسين إلهي بخش) آنف الذكر حيث تناولهم بدراسة موضوعية على ضوء واقعهم الفعلي

واستناداً إلى مصادرهم المعتبرة بعيدًا عن الغلو والإجحاف. . . وللعلم فإن تلك الفرق طارئة على واقع المسلمين هناك ؛ إذ وفدت عليهم في فترات الضعف التاريخي وبخاصة بعد العصر المغولي وأثناءه ؛ لأن الإسلام كما هو معروف دخل الهند في عهد الخلافة الراشدة ، وفتحت السند في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك عام ٩٣ هـ على يد القائد المسلم (محمد بن القاسم الثقفي) وكان المسلمون هناك إلى أواخر القرن الرابع الهجري عاملين بالكتاب والسنة على منهج أهل الحديث ، بعيدين عن الجمود الفقهي والانحرافات العقدية - حكى ذلك (أبو القاسم المقدسي) في كتابه (أحسن التقاسيم) عند زيارته للسند عام ٣٧٥هـ.

مشكلات المسلمين في الهند :

عرفنا جهود المسلمين الكبيرة في الحفاظ على شخصيتهم الإسلامية وهم يعانون المشاق من جراء الأخطار المحدقة بهم ، ومن أشهر مشكلاتهم مايلي :

١- مشكلة الدعوة إلى الله :

وهي من أخطر المشكلات التي يجب أن تعطى الأهمية ؛ لدورها في توعية المسلمين هناك ، وبخاصة العامة منهم وضرورة تقريب وجهات نظر العلماء العدول منهم ؛ ليكونوا يداً واحدةً على من سواهم، ثم تأتي أهمية الدعوة لغير المسلمين فيمن حولهم ، وبذل الجهود الممكنة في ذلك ؛ لأن الإسلام هو الدين الوحيد القادر على حل مشكلات تلك الشعوب الوثنية

المضطهدة والمنبوذة لما في الإسلام من تعاليم ربانية وقيم أخلاقية هي العلاج الوحيد لواقعهم ، مما يعيد لهم كرامتهم المهانة وإنسانيتهم ، المهدرة وإنقاذهم من جبروت الظلم والطغيان .

٢- مشكلة تعليم المسلمين :

ودستور الدولة الهندية علماني يتيح المجال لكل دين ويسمح بحرية الاعتقاد إلا أن كثيراً من الولايات الشمالية وضعت مناهجها التعليمية حسب ديانة الهندوس المضادة لدين الإسلام ، التي تصور البلاد بأنها وثنية ، وقام مؤخراً حزب (بهارتا جاناتا) في أربع ولايات يحكمها - بعد التنسيق مع الأحزاب العلمانية - بتنفيذ سياسة تعليمية معادية للمسلمين تحت اسم (إصلاحات في المقرارات المدرسية) ومنها : -

- غرس الحقد في نفوس الناشئة والعداوة للمسلمين واتهامهم بأنهم هدموا معابدهم وأقاموا عليها مساجدهم .
- ادخال نشيد وطني يحتوي على عقيدتهم الوثنية وكان قد حذف في عهد (انديرا غاندي) لطائفيته .
- فرض اللغة (السنسكريتية) لأنها لغة دينهم وفرض تعلمها على الجميع .
- الإشادة بزعماء الهندوس المتطرفين واعتبارهم زعماء وطنيين .

وقد قام المسلمون ونفر من العلمانيين بالاحتجاج على تلك التعديلات

الجائرة لما تحمله من عنصرية وتطرف ، وقد باشر المسلمون بإنشاء مدارس خاصة بهم خوفًا من تأثير تلك المدارس ومناهجها الوثنية على ناشئتهم ، ولابد من وقفة جادة حيال تلك الهجمة الوثنية لإيقافها وضرورة احترام الحكومة الهندية للمسلمين وعقيدتهم، ولن يتأتى ذلك إلا بالضغط على الحكومة الهندية من المسلمين بعامة.

٣- المشكلة اللغوية:

كانت الأردية هي لغة المسلمين في الهند ، وبعد الاستعمار الإنجليزي صارت هي اللغة الثانية في المصالح الحكومية. . لكن الإنجليز فيما بعد شجعوا اللغة (الهندية) وأحدثوا تنافسًا بين الهندية والأردية، لزرع بذور العداء بين الجانبين ، وبعد الاستقلال عام ١٩٤٧ قرر الدستور الهندي أن اللغة الهندية هي اللغة الرسمية ، ثم قامت الولايات الشمالية بإلغاء (الأردية) من المدارس مع انتشارها في تلك المناطق وقررت اللغة (الهندية) لغة إجبارية وأداة وحيدة للتعليم وحينما طالب المسلمون بتعليم (الأردية) ؛ لأنها لغتهم المعتبرة ، ولغة ثقافتهم ، ولكونها ذات حروف عربية رفض ذلك حتى في عهد الرئيس المسلم الأسبق (د: ذاكر حسين) ومع أن الدستور الهندي يكفل لرئيس الجمهورية إصدار أمر بالاعتراف بلغة يتكلم بها عدد وجيه من أهل البلاد ، إلا أن ذلك لم ينفذ ويظهر أنها سياسة عليا لمحاربة المسلمين ولغتهم المعتبرة ، ومع عناية المسلمين بالعربية إلا أنها تحتاج لعناية أكثر واهتمام أكبر ولا سيما في أوساط العامة لأنها لغة دينهم ومنطلق عقيدتهم.

٤- المشكلة الاقتصادية :

يعاني جل المسلمين من الفقر والفاقة ؛ مما يؤدي بهم إلى سوء التغذية والحرمان من التعليم ، وفرص العمل التي تكفل لهم الحياة الكريمة وبخاصة وأنه بدأ تناقص أعداد المسلمين في العمل الحكومي ، لا سيما في الوظائف العليا والهامة والتي تكاد أن تكون حكراً على غيرهم مع ما يمتاز به الكثير منهم من العلم والنبوغ ، وحل هذه المشكلة لا يكون طفرة ، وإنما يحتاج لدراسات علمية طويلة المدى وقصيرة المدى ، وليس هذا مجالها ، وقد تطرق لها الأستاذ (أبو ذر كمال الدين) في بحثه عن (طبيعة وحجم المشكلات الاقتصادية للمسلمين في الهند) وكيفية حلها ، لكنه ذكر أنه يتعين على المسلمين هناك أن يغيروا من أساليبهم في الفكر والعمل وساق بعض الاقتراحات في هذا الصدد ومنها :

١ - أهمية فتح فصول دراسية مزودة بكل التجهيزات في كل المدن الكبرى لإعداد شبابها وطلابها للعمل في الخدمات في الناحيتين الإدارية والإشرافية .

٢ - إنشاء عدد كاف من المدارس والكليات وضرورة استصدار الموافقة الحكومية عليها لدعمها .

٣ - ضرورة تشكيل هيئة من رجال الاقتصاد ورجال الأعمال والإختصاصيين المسلمين ؛ للإشراف على وضع خطة للنهوض بالصناعات التقليدية ، التي يمارسها المسلمون فيما يتعلق بمسائل

التمويل والتسويق وخلافه.

٤ - أهمية إقامة حركة تعاونية ومشروعات مشتركة على غرار شركات (المقاصة) وعلى أساس المشاركة في الربح.

٥ - يتعين على المسلمين الذين يعملون في البلدان الإسلامية، ويحصلون على رواتب كبيرة، أن يؤسسوا صندوقًا خاصًا بهم لتقديم الدعم المالي لإخوانهم المسلمين المواطنين في مجالات التعليم والصناعة والخدمات الاجتماعية.

٦- ترشيد نظام الزكاة وإنفاقها بطريقة منظمة مما سيساهم في حل كثير من مشكلات المسلمين الفقراء التي يعانون منها.

٧ - ضرورة أن يسود شعور الجماعة في المجال الاقتصادي وعلى الموسرين أن يضعوا حدًا لاستهلاكهم وتبذيرهم لضمان تحسن الأوضاع الاقتصادية لإخوانهم في الدين والعقيدة.

هذا بعض مايلزم القيام به، مع الوقوف في وجه ممارسات الأحزاب الوثنية من حروب عقدية وتخطيط لإقامة دولة هندوكية، وهي تقوم في سبيل تحقيق هذا الهدف بمذابح همجية بقصد إفناء المسلمين، أو فتنتهم في دينهم (فإنا لله وإنا إليه راجعون)، ويلزم أن يطالب المسلمون بعامة (حكومة الهند) بإعطاء المسلمين فيها حقوقهم المفروضة بنص دستورهم، والحفاظ على معالمهم الإسلامية وكف أي أذى تقوم به الأحزاب الوثنية المتطرفة، وحينما يهدِّدُونَ بمصالحهم مع الأمة الإسلامية سيقومون بما يلزم حيال تنفيذ تلك الحقوق وإن تساهلنا حيال حماية إخواننا والانتصار لهم ستزيد معاناتهم وربما يكونون لا

قدر الله أثراً بعد عين كما خسرنا الكثير من البلدان الإسلامية والواقع شاهد أن الأمم المتحضرة في هذا العصر تنتصر لبني جنسها ، ولبني عقيدتها ، وتعمل كل ما يمكن لحمايتهم ونصرتهم ولم يأتهم جزء من ألف جزء مما أصيب به المسلمون في الهند.

إن دول هذا العصر لا تحترم إلا القوة ولن يؤبه لأي كان ما دام لم يعضد حقه بالقوة بكل أبعادها ، وحينما ترى حكومة الهند الاهتمام الجاد من الدول الإسلامية وتهديدها بمصالحها فستكف آذاها وستقوم بحماية المسلمين بها وإعطائهم حقوقهم التي كفلها الدستور.

ولتتعلم الدول الإسلامية وتنظر كيف انتصرت روسيا ودول الغرب للصرب المعتدين وكيف وقفت روسيا في وجه القرارات الدولية انتصاراً للصرب لأنهم على نفس مذهبهم العقائدي ، وهم على باطل بينما نحن المسلمين على حق وندافع عن حق ومع ذلك لا نعمل ما يحتمه علينا ديننا للانتصار لإخواننا في العقيدة وكل النظم والشرائع تؤيدنا فيا لله للإسلام ويا لله للمسلمين.

والله أسأل أن يأخذ بأيدي اخواننا المسلمين في الهند إلى مافيه قوتهم ونصرهم وعزتهم وما ذلك على الله بعزيز.

من مراجع المقالة :

(١) المسلمون في الهند لأبي الحسن الندوي.

(٢) أثر الفكر الغربي في انحرافات المجتمع المسلم بالقارة الهندية د/ خادم حسين بخش.

(٣) تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند لمسعود الندوي.

(٤) الصراع بين الفكرة الإسلامية والغربية/ لأبي الحسن الندوي.

(٥) نظرة إجمالية في تاريخ الدعوة الإسلامية بالهند وباكستان: لمسعود الندوي

(٦) مجلة البعث الإسلامي عدد شوال ١٣٩٥ هـ.

(٧) دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة لصلاح الدين مقبول أحمد.

(٨) دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب بين مؤيديها ومعارضيها في القارة الهندية لأبي المكرم السلفي.

(٩) شيخ الإسلام ابن تيمية في علومه ومعارفه ودعوته في القارة الهندية لعبد الرحمن الفريوائي.

(١٠) الأقليات المسلمة ظروفها آلامها وآمالها، من مطبوعات الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

الصليبيون في الفلبين هل يحققون أهدافهم أم ينتصر المجاهدون ؟

التحرير

تمهيد :

تشكر مجلة البيان لجنة الإعلام الخارجي لجبهة تحرير مورو الإسلامية ومسؤولها الأستاذ/ محمد أمين على مواصلته إرسال بيانات الجبهة الراصدة لنشاطاتها وجهادها ضد العدو الصليبي الفلبيني ، ومن البيان رقم (٢٥) نقتطف الآتي :

كان العدو الصليبي الذي تمثله حكومة الفلبين وقواتها المسلحة ، في جنوب شرقي آسيا يحاول أن يقضي على شعب مورو المسلم ، عن طريق المطاردة والقتل والذبح والتعذيب حتى الموت أوالتهجير والتشريد ، ولكنه أدرك بعد التجارب التي استمرت عشرات السنين أن هذا الأسلوب لا ينجح ، فقد ازداد المسلمون تمسكا بدينهم وإيماناً بحقهم المشروع في تقرير المصير وإقامة حكم الإسلام الذي يجاهدون من أجله .

لذلك لجأ العدو الصليبي المخادع الماكر إلى التفاوض مع العلمانيين وضعاف النفوس من حثالة الشعب ، ويأمل هذا العدو الصليبي أن يشق طريقه من خلال تلك المفاوضات لاستمرار سيطرته على مسلمي مورو ، الذين وقعوا تحت هيمنته بسبب المؤامرات الاستعمارية ، وقد استعبدهم لأكثر من خمسين

عاماً ، لاقوا خلالها ألوانا من الاضطهاد والتعذيب والإهانة والإذلال طوال تلك الفترة ، وحاول هذا العدو الحاقد أن يقضي عليهم ولكنهم استماتوا دفاعاً عن أنفسهم ولجأوا إلى الجبال والأدغال. لذلك لم يتمكن العدو من القضاء عليهم فعلياً ، ولهذا يحاول الآن وبكل جهوده أن يقضي عليهم معنوياً عن طريق التفاوض مع العلمانيين وضعاف النفوس والجبناء منهم.

وقد أعلنت وسائل الإعلام الفلبينية الصليبية أن حكومة راموس سوف تتفاوض مع «جبهة مسواري الوطنية» العلمانية وأن مراسم المفاوضات بدأت في ٢٥/ ١٠/ ١٩٩٣ م في فندق فاخر بجاكرتا عاصمة أندونيسيا ، ويرأس الوفد الفلبيني سفير صليبي سابق اسمه مانويل قان «ومسوراي» نفسه هو الذي يرأس وفد جبهته الوطنية.

على طريق الجهاد الطويل :

يواصل مجاهدوا جبهة تحرير مورو الإسلامية عملياتهم الجهادية السريعة التي تستهدف إضعاف العدو وتدمير مؤسساته وتحطيم معنوياته ، بينما العدو يقوم بعمليات إرهابية ضد المدنيين الآمنين والتي قابلها المجاهدون بالمزيد من العمليات الجهادية ، حيث قام مجاهدو جبهة تحرير مورو الإسلامية بتوجيه هجماتهم الخاطفة ضد جنود العدو ومؤسساته ، للحصول على الأسلحة والذخائر وتحطيم معنويات الجنود الصليبيين ، وتدمير المؤسسات الحيوية التي تخدم مصالح العدو في كل من محافظة «بوكيدنون» ، ومحافظة «ماجيندواناو» ومحافظة «كوتباتو» ، ومحافظة «سلطان قدرات ».

ومن جانب آخر قامت مظاهرات للطالبات المسلمات مطالبة بالسماح لهن بارتداء الحجاب ، فقد كانت المؤسسات الفلبينية الصليبية للتعليم لا تسمح للطالبات المسلمات بالحجاب ، وكانت هذه المؤسسات تتحداهن قائلة : إما الدراسة بدون حجاب وإما ترك الدراسة وقامت أكثر من ألف طالبة مسلمة بتنظيم المظاهرات في مدينة كوتباتو مطالبات بالسماح لهن بالحجاب الذي أمرهن به دينهن الإسلامي ، واضطر المسؤولون الحكوميون أن يستجيبوا لرغبة الطالبات .

ولاشك أن إصرار الطالبات على الحجاب الذي تمنعه السلطات الصليبية كان من النتائج الإيجابية للدعوة الإسلامية في هذا المجتمع الذي تحول من مجتمع جاهلي بعد وقوعه تحت سيطرة الكفار إلى مجتمع مسلم محافظ. وبعد التجارب المريرة التي مر بها مسلمو مورو تحت الحكم الصليبي ، فقد عاهدوا الله أن يجاهدوا في سبيل الله حتى النصر – إن شاء الله تعالى – إما النصر أو الشهادة .

والله نسأل أن يجمع شمل المجاهدين وأن يوحد صفوفهم وأن يعلي كلمته وأن يدحر الكافرين ، وما ذلك على الله بعزيز .

المالديف..
الإسلام في أقصى الدنيا

حسين بن علي الزومي*

من جدة . . إلى دبي . . ثم إلى كولومبو . . ثم أخيراً وصلت إلى الجزر البعيدة، التي تناثرت في البحر ، وشكلت أرخبيلاً من الجزر الخضراء الداكنة التي تشبه الجنان العائمة ، إنها «جمهورية المالديف الإسلامية» ، وأكاد أجزم أن كثيراً من المسلمين لم يسمعوا بهذا البلد الإسلامي من قبل ، فضلاً عن أن يعرفوا شيئًا عنه، ولذلك سأكون مضطراً أن أعطي فكرة موجزة عنها قبل أن أدخل في صلب الموضوع الذي يخصّنا بوصفنا دعاة إلى الله عز وجل، حتى تنطبع في ذهن القارئ صورةُ لهذه البلاد .

الموقع : تقع المالديف في الجنوب الغربي لشبه القارة الهندية ، وبالتحّديد جنوب غرب (سيريلانكا)، ويمر بوسطها خط الاستواء، وعاصمتها جزيرة (مالي) التي لا تتعدى مساحتها (٦كم٢) فقط ، والدولة تشكل أرخبيلاً من الجزر المتناثرة يقارب عددها [١٢٠٠] جزيرة، وتمتد بطول [٨٠٠كم]، والمأهول منها [٢٠٠] جزيرة، والبقية خالية .

السكّان : عددهم يقارب [٢٠٠ ألف نسمة]، وأكثر العمّال منهم يعملون في صيد السمك ، وتعتمد الدولة في اقتصادها على مصدرين رئيسيين :

الأول : الصّيد، وتعتمد فيه على طريقة بدائية ، وقد ذكر لي رئيس الدولة أنهم لايريدون تطوير عملية الصّيد حتى لا تحلّ الآلة محلّ الأيدي العاملة في هذا المجال؛ إذ أكثر العمال يعتمدون على الصيد، فالأولى أن تترك على ماهي عليه. (هذا هو رأيه).

الثاني : السياحة، وتعتبر من أشهر الدول السياحية في العالم وتستقطب كل عام ما يقارب [٨٠ ألف] سائح ، ويعتبر هذا العدد ضخمًا إذا ماقورن بعدد السكّان.

دخول الإسلام الجزيرة :

دخل الإسلام هذه الجزر عن طريق التجّار العرب الذين استوطنوا جزر الهند الغربية في القرن الثامن والتاسع الميلادي، وكان السكان قبل ذلك وثنيين وكان أول من دعا إلى الإسلام في هذه الجزر- كما يذكر مؤرخوهم - رجل يدعى أبوالبركات يوسف البربري المغربي ، ذكر ذلك أيضًا (ابن بطوطة) في رحلته المعروفة [تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار] ، وكانت تُسمى هذه الجزر في ذلك الوقت (ذيبة المهل)، وقد أورد في قصة إسلام أهل هذه البلاد قصة أشبه بالأسطورة ،وقال : إنه رواها له الثّقات، وملخصها أنه كان يأتيهم في كل شهر مركب من البحر فيه شيطان، ويضعون له في غرفة قرب الساحل فتاةً من أجمل فتياتهم حتى يأخذها ، ويرضى عنهم ، ولا يمسّهم بسوء، ثم أتاهم هذا الرجل الصالح وكان حافظًا لكتاب الله، فأخبرهم بأنه سيردّ عنهم هذا الشيطان، وأنه سيجلس تلك الليلة بدل الفتاة، وفعلاً جعلوه

هناك وذهبوا. ومكث هو يقرأ القرآن، فأتى الشيطان ولم يستطع أن يقربه وخرج الرجل سليمًا. فانبهر الناس، وأسلم ملك البلاد بعد أن دعاه أبو البركات إلى الإسلام، وأسلم الناس وراءه.. والله أعلم بصحّتها.

سياسة الدولة :

كانت هذه الجزر مستعمرة بريطانية منذ عام ١٨٨٧م ولم تنل استقلالها إلا في ٢٦/ ٧/ ١٩٦٥م، ثم أصبحت جمهورية في عام ١٩٦٨م، ورئيس الدولة الحالي هو (مأمون عبد القيّوم)، وقد تخرّج من جامعة الأزهر بعد أن درس بها قرابة ١٩ عامًا- كما أخبرني- وقد أخذ الماجستير في الفلسفة، وانتخب للرئاسة في عام ١٩٧٨م، ومازال رئيسًا إلى الآن.

وتعتبر الطبقة الحاكمة هي أكبر طبقة مثقفة في المالديف في نظر الشعب. وسياسة الدولة - خصوصًا في سنواتها الأخيرة- بدأت تسير نحو العلمنة التي هي إبعاد الدين عن الحياة، وذلك بتثبيت دعائم ذلك المنهج، فمنعت الكلام في أيّ أمر يمسّ الأمور الداخلية المنكرة: سواء أكان عن البنوك، أو عن الخمور، أو عن التبرّج الذي يتزايد يومًا بعد يوم.

وأذكر أن صديقًا لي مالديفي اسمه (حسن شاكر) نشر يومًا قصيدة له بالعربيّة ذم فيها بعض المنكرات السائدة، فما كان من الدولة إلا أن سجنته، ثم نفته لإحدى الجزر قرابة خمسة أشهر! وقد ترون أن هذه العقوبة بسيطة وهيّنة، لكن إذا علمنا أن هذه الجزر لا تعرف العقوبات؛ لسبب سهل وهو أنها بلاد السّلام، وأهلها هم أهل السّلام، لعلمنا شدة هذه العقوبة عندهم.

يقول (ابن بطوطة) - الذي جلس قاضيًا فيها قرابة سنة ونصف - : أهل هذه الجزائر أهل صلاح وديانة وإيمان ، وأبدانهم ضعيفة، ولا عهد لهم بقتال ولا محاربة، ولقد أمرت مرة بقطع يد سارق بها فغشي على جماعة منهم كانوا بالمجلس .

طبيعة الحياة :

شعب المالديف شعب بسيط ، لاتكثر بينهم الخصومات، ولا تجد بينهم سرقات إلا نادراً ، ولم تُسجَّل في العام الماضي إلا حالة سرقة واحدة!! وأكثر أهل هذه الجزر فقراء، إلا أنني لم أجد أحدًا يمدّ يده للسؤال! ولا يموت أحد عندهم من الجوع، إن جاع سدّ رمقه بجوزة هند يقطفها، أو بسمكة بحر يصيدها، أخلاقهم طيبة ، يحترمون الكبير أيّما احترام، قد غرس في طبعهم الحياء ، وامتازوا بحب المرح . .

أما أسماؤهم فلم تزل المعلم الوحيد لحبّهم للغة العربية ؛ حيث يسمون أبناءهم بها اسمًا مركبًا، وأغلبهم لا يعرف معنى الاسم! .

واللغة السائدة عندهم الريفية، وهي خليط من اللغة السنهالية والأردية والعربيّة ، أما اللغة الرسمية فهي الانجليزية . !

أخطار تواجه الشعب المالديفي :

منذ أن دخل الإسلام هذه الأرض وأهلها متمسكون بإسلامهم ، يسود بينهم المذهب الشافعي ، إلا أن هناك أخطاراً كثيرة تواجه هذا الشعب المسكين .

أهمها:

أولاً: الجهل: هذا المرض الذي يكاد بسببه يضيع شعب المالديف، حيث إنه لا يوجد علماء حقيقيون ربانيّون، وكل من رأيتهم هناك أشخاصًا معدودين تخرّجوا من مصر أو السعودية أو باكستان أو غيرها، لكن هؤلاء - غالبًا - موظفون في الدولة يسيرون وفق رغبة الدولة.

وقد كان كثير من الخرافات والشركيّات تعشّش في أحضان هذا المجتمع. فكانت بدع القبور - خصوصًا أمام قبر (أبي البركات) - منتشرة بينهم إلا أن هذه المظاهر تلاشت في الآونة الأخيرة - ولله الحمد - ولم يبق إلا بعض البدع كإقامة الموالد في كلّ شهر!.

وأغلب سكان العاصمة سرت فيهم النزعة العلمانية ويعتقدون خطأً أن الدين هو المسجد فقط، بخلاف الجزر الأخرى التي ما زالت متمسّكة بالدين في أغلب أنماط الحياة ولكن مع ماهم فيه من الجهل، إلا أنهم يحبّون الإسلام.

ويختلف التعليم في هذه الجزر عن التعليم في العاصمة، إذ يركّز عندهم على المواد الدينية أكثر من غيرها، وسيكون لنا وقفة مع التعليم في العاصمة.

أما عن العلماء فقد سمعنا أن أكثرهم ماتوا، ولم يبق إلا القليل في بعض الجزر النائية، وهم من بقايا دارسي الكتاتيب في تلك الجزر.

ثانيًا: التعليم: لقد كانت بريطانيا في يوم ما مُسْتَعْمِرَةً لهذه الجزر - كما ذكرنا سابقًا - وقد خرجت الآن بجيوشها لكنّها لم تخرج بفكرها، فكان من

بنود معاهدة الاستقلال أن يكون التعليم تابعًا لبريطانيا ، وفعلاً كان الأمر هو ما اتفق عليه!

فأغلب المناهج تقرّر هناك ، ولا توثّق شهادة التخرّج إلا من (بريطانيا)! وقد أنشأت (بريطانيا) عدة مدارس هنا، من باب التأكيد على المعاهدة، فماذا نرجو من مناهج تقرر في دولة صليبية ؟ سوى تشويش العقيدة الإسلامية ، وتمجيد النصرانية ، وكان هذا ما حدث فعلاً .

إن هذه المناهج لن يظهر أثرها سريعًا الآن ، لكنه سيظهر على المدى الطويل ، في الأجيال القادمة .

-أما عن المعلّمين فلا توجد كفاءات كافية لسدّ ثغرة التدريس في البلاد . . ولذلك لجأت الدولة إلى استقدام المعلّمين .

ففي المدارس الإسلامية يوجدبعض المدرسين العرب الذين أرسلوا للتدريس هناك ، وعددهم لا يتجاوز ثلاثين معلمًا ، وسأتحدث عن بعض هذه المدارس بعد قليل، أما المدارس العامة، فقد استقدم لها كثير من المدرسين أغلبهم مسيحيون!! وقد حدّثني من أثق به أنهم يبثون أفكارهم وعقائدهم داخل قاعات الدّرس ؛ مما أثار البلبلة في أفكار بعض الشباب والشابات ، لكن لم يحدث وأن تنصّر واحد من هؤلاء إذ أن المجتمع المسلم هناك لا يرحم أحدًا يترك دينه الإسلامي إلى دين آخر .

وهناك خطّة جديدة بتوحيد التعليم في البلاد ، وتحويل مناهج الجزر

الأخرى إلى مناهج علمانيّة، كما هو الحال في العاصمة. «عرفت ذلك من خلال مناقشة جرت لي مع وزير خارجية البلاد (فتح الله جميل)، إلا أنه علّل تأخيرها بعدم وجود الكفاءات اللازمة لتدريس المواد الجديدة».

ثالثًا: السياحة. قد ذكرنا أن هذه الدولة من أشهر الدول السياحيّة، ولذلك فإنه ليس من المدهش وأنت تمشي في أسواق العاصمة مثلاً أن تجد السّواح أكثر من أبناء الشعب.

وبسبب الجهل فقد تأثر بهم كثير من الشباب غير الواعي، فأخذوا يقلّدونهم في الحركات، وفي التفسّخ الغير أخلاقي، مما زرع في نفوسهم أن التمسك بالإسلام تخلف ورجعية! ويدخل في هذا النساء، إذ الزي الرسمي لكثير من المدارس إلى فوق الركبة، وقد تفسخت المرأة أي تفسّخ، فأصبحت تشارك الرجل في أعماله ووظائفه، وفي المصانع، والمتاجر. وقيادة الدرّاجات.. إلخ

وكان من نتائج ذلك، أن كثر الطلاق بصورة مريعة حتى تجاوزت نسبته (٩٠٪) من حالات الزواج!

إنهم ينظرون إلى الرجل الغربي وكأنه القدوة، ومع أنهم يحبّون إخوانهم العرب، إلا أن العرب هناك لا يتجاوز عددهم خمسين شخصًا في جميع أنحاء الدولة!

وهم يتقبلون من العربي كلّ ما يقوله، لأنه آتٍ من الأراضي المقدسة!..

لكن الوجود العربي هناك لا يكاد يذكر، بل أن الكثير من العرب لا يعرفون هذه الجزر، ولم يفكروا يومًا في زيارتها على الرغم من أن الناس يأتون إليها من كل أجناس الأرض.

دور المؤسسات الدينية :

للمؤسسات الدينية هنا دور لا بأس به في توعية الشعب، ومن أهم المؤسسات :

– **معهد الدراسات الإسلامية** : أنشئ هذا المعهد لتعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم، والاهتمام بتعليم أحكام الدين الإسلامي ، وفق المنهج (الأزهري) تمامًا ، حتى إن المناهج تُطبع وتقرّر في (جمهورية مصر العربية). وكان إنشاؤه في عام ١٤٠١هـ، ويضم الآن قرابة (٢٠٠) طالب وطالبة، ويضم مرحلتي الإعدادي والثانوي.

وتسعى الحكومة الآن لإنشاء مبنى جديد للمعهد يستوعب عددًا أكبر من الطلبة وهو قد قارب التمام.

– **المدرسة العربية الإسلامية** : وهي بمثابة التمهيد لـ (معهد الدراسات) حيث تدرّس الإبتدائي ، وتركز على تعليم اللغة العربية.

– **المركز الإسلامي** : لم يمضِ على بنائه سوى ٤ سنوات تقريبًا ، يضم مسجدًا ضخمًا يطلق عليه (مسجد السلطان محمد تكرفان الأعظم) اسم أحد سلاطينهم القدماء، ويضمّ كذلك أكبر مكتبة عربية عامة بالدولة ، ويضم أيضًا قاعة

للمحاضرات، حيث تلقى فيه عدد من المحاضرات ، وأغلب من يحاضر به هم مسؤولو الدولة!

وتقام بهذا المركز بعض دورات تعليم القرآن ، لكن على مستوى متواضع .

هذا بالإضافة لبعض المدارس الخاصة الأهلية ، التي يقوم عليها الشباب الذين تخرجوا من جامعات (السعودية) .

وأخيراً . في الحقيقة إنه لا يخلو مكان من الصالحين الذين كان لهم الدّور الكبير في توعية الناس ، لكن حالهم مع المنكرات هو السكوت ، حيث قرروا العمل بحديث « **فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان** » ! ! . ورأيت كثيراً ممن يرجى فيهم الخير خصوصاً في (معهد الدراسات الإسلامية) ، ولكن لاتزال روح الإسلام وأخلاقه العالية تسري في كيان هذا المجتمع ، ولا ينقصهم إلا الموجهون والعلماء . وكلمّا وقفت على شواطئ تلك الجنان العائمة ، ورمقت طائر النورس المُحّلق في الأفق البعيد ، أدركت أن بشائر الخير قادمة ؛ لتتبوأ مكانها في أقصى جزر المحيط الهندي ، لكن الأمر يحتاج إلى مزيد اهتمام من المسلمين جميعاً دعماً ومساعدة حتى لا يكون الأعداء أرأف بأهل هذه البلاد من إخوانهم المسلمين .

قراءة في فكر د/ زكي نجيب محمود (٢)

د. نعمان السامرائي

تمهيـد :

في العدد الماضي عرفنا من هو د/ زكي نجيب محمود وتحدث الكاتب عن نظريته الفكرية ومفهومه للتقدم وتأثره بفلاسفة الفكر الغربي ، ونواصل معاً قراءة بقية المقال .

– البيـان –

ما هي الحضارة ؟

إن الحضارة – كما أعلم – مجموعة أشياء : عقائد ، أفكار ، نظم أشياء مادية . . . الخ .

ولذا فمن الجائز أن يتقدم جانب ، ويتوقف آخر ، ويتخلف ثالث فالحضارة ليست هيكلاً عضويا ، إما أن يتقدم كله أو يتخلف كله .

عرّف «تايلر» الحضارة بأنها : «ذلك الكيان المعقد الذي يضم المعرفة والمعتقدات والفنون والآداب والقوانين والعادات ، وجميع القدرات والتقاليد الأخرى التي يكسبها الإنسان بصفته عضواً في المجتمع» .[1]

لقد نسي الدكتور «زكي» ما قرره قبل قليل من أن الإنسان العربي له رغبة في التسامي على دنيا الحوادث المتغيرة ، لياذاً بالثابت ليحتمي به .[٢]

كذلك نسي ما سبق أن قرره من وجود إله خالق ، وإنسان مكلف مخلوق يحقق في سلوكه قيماً أخلاقية محددة ، أُمليت عليه ، ولم تكن من اختياره وليس من حقه أن ينسخ بعضها أو يضيف إليها ما يناقضها .[٣]

سؤال كبير :

ماذا يبقى من الأصالة إذا طرحنا الماضي كله ، وحكمنا بأن الحاضر أفضل منه ؟

لقد كنا سادة نصنع الحضارة ، ونقود العالم نحو الإيمان والتحضر ، ثم جاءت قرون فصرنا في ذيل القافلة ، نستهلك حضارة ، ولا نقوم بمساهمة فهل نعتبر الماضي القريب أفضل لأنه قريب ؟؟

لقد كان سكان العراق في العهد العباسي الأول وشطر من الثاني ينوفون على الثلاثين مليوناً ، قل أن تجد بينهم أمي ، ثم صار العدد ثلاثة ملايين في مطلع القرن العشرين الميلادي ، وصارت نسبة الأميين أكثر من ٨٠ ٪ فأيهما أفضل ؟

يقول «ديورانت» : إن مكتبة الصاحب (ابن عباد) الشخصية ، كانت تحوي من الكتب أكثر مما تحويه جميع المكتبات العامة في أوروبا في ذلك الوقت ، فهل يؤمن الدكتور بتقدمية الحاضر ورجعية الماضي ؟؟

طرح للمسألة :

لديَّ طرح لمسألة «الأصالة والمعاصرة» ربما أعجب تلاميذ د/ زكي ومن

يهتم بالموضوع. فالإنسان حين خلقه الله تعالى حدد له هدفين كبيرين :

١ - أن يعبد الله تعالى ولا يشرك به شيئاً، ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾.[٤]

٢ - أن يساهم في عمارة الأرض ﴿ . . . **هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها** ﴾.[٥]

العبادة :

والعبادة تأتي على معنيين : عام وخاص ، فالعبادة بمعناها العام : أن يعمل الإنسان «المشروعات» يبتغي بذلك وجه الله ، فمن اشتغل بالطب ، أو الصيدلة ، أو الكيمياء ، أو علوم الحياة أو غيرها ، يبتغي بعمله وجه الله تعالى هو في عبادة ، وقد نقل عن أكثر من واحد من علماء المسلمين : إن الاشتغال بالعلم أفضل من صلاة النافلة.

أما المعنى الخاص للعبادة فيشمل الصلاة والصيام والحج والزكاة.

والأصل في العبادة : النص الصحيح ، وليس من حق أحد أن يزيد أو ينتقص منها ، حتى لقد نقل أن شخصاً أخبر ابن مسعود أن جماعةً تجتمع في المسجد ، يذكرون الله ذكراً «جماعياً» ، فطلب إليه إذا اجتمعوا أن يخبره ، فلما اجتمعوا خرج إليهم مسرعاً غاضباً ، فلما وقف عليهم قال : (والله الذي لا إله غيره ، لقد جئتم ببدعة ظلماً ، ثم راح يسأل باستنكار : هل فَضلتم أصحاب محمد علماً ؟).[٦]

وحين سمع رسول الله ﷺ بأن بعض أصحابه يلزمون أنفسهم بالصيام وبعضهم بقيام الليل ، وبعضهم بهجر النساء ، استهجن ذلك ، وقال : إنه يصوم ويفطر ، يقوم الليل وينام ، ويقرب النساء ، ثم عقب على ذلك بقوله : (فمن رغب عن سنتي فليس مني).(٧)

ومن القواعد في هذا الصدد (مبنى العبادة على الحظر) أي المنع ، فلا أحد يملك إنشاء عبادة ، أو التصرف فيها ، وفي هذا الصدد نفهم كلمة الإمام علي : (لو كان الدين بالعقل لكان مسح باطن القدم أولى من ظاهره) ، والدين هنا العبادة .

ففي ميدان العبادة يكون المسلم متبعاً ، يبحث عن صحة «النص» ثم يؤدي المطلوب ، كما ورد في النص ، وفي حدود الفهم السليم .

عمارة الأرض :

أما عمارة الأرض فالذي أفهمه هو إقامة الحضارة ، وهذا يتطلب معرفة جيدة بعلوم العصر ، حتى قال علماؤنا : إنه متى وجد علم أو صنعة ، ولم يوجد في المسلمين من يعرفها أو يمارسها ، فالأمة كلها آثمة .

ومن حق الدولة أن تعين أشخاصاً لهذه المهام ، وعندها يصبح الأمر بالنسبة لهم من فروض العين ، يقول الدكتور الدريني :(٨) (. . . وتتجه المسئولية الخاصة شرعاً ، إلى المتخصصين من ذوي الكفاءات ، وأرباب الخبرة إذا احتاجت الأمة إلى صناعاتهم وخدماتهم ، وكانت مصلحتها العامة لا تتم إلا بذلك .

ولا يعفيهم من المسؤولية ، أنهم أحرار فيما يملكون ، وفيما يتصرفون لأن حريتهم وحقوقهم مقيدة بمراعاة مقتضيات الصالح العام ، تكافلاً ملزماً فيجبرون عليها ؛ لأنها من الفروض العامة ، واجبة الأداء).

وجل هذه العلوم لا هوية لها ، كالطب والهندسة والصناعة وعلوم الأحياء.

وهذه العلوم وأمثالها متطورة متبدلة ، نرى في كل يوم فيها جديداً ، فهنا تتجلى «الحداثة» بأجلى مظاهرها ، وفي العبادة والعقيدة تتمثل الأصالة بكل أبعادها.

دائرتـان :

فهناك إذن دائرتان : واحدة للحداثة وأخرى للأصالة ، والعلاقة بينهما ليست قائمة على التناقض والصراع ، بل لكل ميدانه الخاص ، وقد سقطت الكنيسة في خطأ قاتل ، حين جاءت إلى بعض العلوم من دائرة «الحداثة» فقامت بوضعها في دائرة «الأصالة» ومنعت من مناقشتها أو التشكيك في صدقها ، فلما قامت بواكير النهضة ، تبين للعلماء أن ما يعرف بـ «علوم الكتاب المقدس» علوم غير صحيحة وغير سليمة ؛ لأنها كانت موروثات يونانية ولم تكن من علوم الأصالة ، تذكر الكاتبة الألمانية «زغريد هونكه»[9] : إن القسس كانوا يلعنون كل من قال بكروية الأرض ، ومن تقبل التعليل بأسباب طبيعية لفيضان أو بزوغ كوكب ، أو شفاء قدم مكسور . . . الخ .

وقد دفع «غاليليو» حياته ثمنا لقوله بكروية الأرض ، ودورانها حول الشمس وهناك اليوم حركة تطالب بإعادة محاكمته من جديد.

وقد اخترع رئيس بلدية في ألمانيا مصباحاً يعمل بالنفط ، فحكمت

الكنيسة بكفره بحجة أن الله خلق الليل مظلماً والنهار منيراً ، وهذا الرجل يبدل في خلق الله ، فيجعل الليل كالنهار .

وجل من عرض على «محاكم التفتيش» السيئة السمعة ، وكان متهماً بالكفر أو الزندقة فهو ممن أنكر بعض «خرافات» الكنيسة .

وبالمثل حاولت الفلسفة في الجانب «الميتافيزيقي» الحديث عن الله تعالى وصفاته واليوم الآخر ، فلم تفلح في شيء ، فما يقوله الأستاذ ينقضه تلاميذه ذلك أن علوم الغيب وصفات الله تعالى ، لا ينبغي أن تؤخذ إلا من الخبر الصحيح .

فإذا قلنا مع الدكتور محمد عمارة :[10] « بأن المقدسات ، والقيم والسمات الحضارية ، المميزة للأمة ، من «الأصالة» ، وأن سبل النهضة والقوة وأشكال العمران وعلومه من «الحداثة» ، نكون قد وقفنا على منهج جديد سديد يسمح للثوابت بالبقاء ، وللمستجدات بالتغيير ، وبذلك نحفظ كياننا من الذوبان والجمود في وقت واحد ، فلا نقول : بأن كل ما لدينا من «الثوابت» - كما قالت الكنيسة - ولا بأن كل شيء متغير متطور - كما تقول حضارة اليوم بل هناك ثوابت ، تتمثل في العقيدة والعبادة ، والأحوال الشخصية ، والحدود .

ومتغيرات تتمثل بالتعازير ، والنظام السياسي ، والإداري ، وما بني على العرف والعادة والمصلحة ، وسائر العلوم التجريبية ، دون فلسفتها .

فالقسم الأول يمثل الأصالة والقسم الثاني يمثل الحداثة ، والخلط بينهما وبين مفرداتهما مرفوض .

نحن والعبادة والعمارة :

قد مضت علينا قرون ، ونحن نعمل في الميدانين دون خلط ولا خبط فلما جاء الاستعمار وتلاميذه وحاولوا إسقاط الأصالة ، ومسح مفرداتها ، جاء رد الفعل من الكثير معاكساً ، فأنكروا «الحداثة» ومفرداتها . . ذاك مغرب وهذا مشرق فمتى يلتقيان ؟؟

ومع مرور أكثر من قرن فمازال الخبط والخلط ، مازال هناك من «يقدس» الماضي بكل سلبياته وإيجابياته ، وهناك من يريد أن يهيل عليه التراب كله بكامله ، واستبداله بغيره .

ومعلوم أن الأمم لا تترك ماضيها ، كما يخلع الفرد ملابسه أو يبيع داره .

والكثير من المفكرين والكتاب ، لا يريد أن يفهم هذه القضية ، ولا الحدود الفاصلة ، فيبقى طوال عمره ، يضرب في حديد بارد ، ثم ينتهي به الأمر إلى يأس قاتل فيرمي الأمة بالعقوق أو الجمود أو التسيب .

ومن يرد العمل في ميدان «التغيير» فعليه أن يقرأ تاريخ العالم أولا ويدقق في التحولات الكبرى ، ليفرق بين الممكن والمستحيل في هذا الميدان .

ولسنا بدعاً في الأمم ، وليس ثمة استثناء لأحد من سنن الله ، فمن يجمد ويتشنج ، يتخطاه الركب ، ومن يقبل كل تغيير وتبديل ، لا تبقى له «هوية» ولا يكون إلا قمراً صغيرا ، يدور في فلك غيره ، من لا يصدق هذا فليدرس النموذج «التركي» في التغيير والحداثة ، والنموذج الياباني في الأصالة ، ثم ليفعل ما يشاء ، ويقرر ما يريد . . .

لقد بحت منا الأصوات ، وحفيت منا الأقدام ، ومع ذلك مازلنا نقبع في مكاننا ، ويبدو أن ثمة «مهيجين ومحرشين» كلما هدأت «النار» تطوع من ينفخ فيها ، ويقدم لها الوقود . . .

فهل يعجب تلامذة الدكتور زكي هذا الطرح ؟ وهل من جديد في الجيوب والجعب ؟!

---

(١) في معركة الحضارة ، د. زريق ، ص ٣٤ .
(٢) قصة عقل (٢٤٢).
(٣) قصة عقل (٢٤٠).
(٤) الذاريات ، آية (٤).
(٥) هود ، آية (٦١).
(٦) حياة الصحابة : ٣/ ٢٤٧ .
(٧) البخاري : ٩/ ١٧٦ ، مسلم : ٩/ ١٧٥-١٧٦ .
(٨) خصائص التشريع الإسلامي ، ص ٢٦٧ .
(٩) شمس العرب تسطع علي الغرب ، ص ٣٧٠ .
(١٠) الإسلام والمستقبل ، ط١ ، ص ٩٣ .

كلمة في خطورة الكلمة

منى عبدالله داوود

إننا لنتساءل . . ما وقع الكلمة في حياة الأمة المعاصرة ؟ كيف يتعامل المسلم المعاصر معها ؟ وكيف تعامل سلف هذه الأمة معها ؟ وهل وعت الأمة حقيقة الأبعاد الإيمانية والتربوية للكلمة في حياتها ؟ هذه الأسئلة وغيرها فرضها واقعنا المعاصر ، ذلك أن المفاهيم قد اختلت وضاعت المعايير ، فكان التخبط في نواحٍ شتى ، منها الكلمة ، ومن باب الوفاء بحقها كانت هذه المقالة ، رجاء أن يجعلها الله من الكلمة الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، ولا أزعم تمام الوفاء بحقها ، وإنما هو جهد أساهم به في فتح منافذ الكتابة عن الكلمة من أجل أن تعود إلى مكانتها الحقيقية في وعي الأمة .

مدخل كلمتي آيات من كلام رب العالمين ، بُغية صدق المدخل ، ورجاء صدق المخرج ، فندعو بداية بـ : ﴿ **رب أدخلني مُدخل صدق وأخرجني مُخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً** ﴾ [1] ، ثم لنتأمل قوله تعالى : ﴿ **ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمةً طيبةً كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء * تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار * يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويُضل**

الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ .[٢] فمن منا لا يرجو أن يكون كلامه من الكلم الطيب ؟! فذلك من معين الثبات في الدنيا والآخرة ، سواء أقصدنا بالكلمة الطيبة كلمة التوحيد ، أو هي كل كلمة حق في معيار الإسلام ، وهذه دعوة صادقة أوجهها إلى الأمة أن تعي أن للاختلاف بين الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة معايير ، ينبغي التعرف عليها ، وفهمها ، والتزامها . . كما أن لها معطيات مثمرة ومن أبرزها : نقاء الأجواء المحيطة بها ، ومواطن غرسها ، لأنها كالشجرة في حاجتها إلى التربة النقية ، إذ كيف يمكن للشجرة الطيبة أن تثمر وسط تربة مليئة بالخبث ، وأجواء غير نقية ومن ثم فلنسع في تنقية مجتمعاتنا من الفساد والخبث ، رجاء أن تؤتي الكلمة الطيبة أكلها ، ولنحرص على متانة الجذور وقوتها ، فهي أصل الشجرة الطيبة التي ترسي دعائمها ، فلا تهن ولا تضعف ، وكذلك الكلمة لابد من حماية أصولها وتقوية جذورها ، لتقف في وجه الباطل محصنة قوية خاصة أن الكلمة في الإسلام تملك أصولاً راسخة ذات سمات ربانية ، تكفل لها الاستمرارية والعطاء الفاعل بقدر صلتها وتمسكها بها ، فأصولها كتاب الله وسنة رسوله ، لا تضل أبداً ما تمسكت بهما .

ونحن ندعو دعوةً خالصة أن يبارك الله كل جهد بُذل ويُبذل في سبيل مجتمعات إسلامية نقية أصيلة ، فهو لبنة في التهيئة للكلمة الطيبة ، والتمكين لها في الواقع المعاصر .

إذن ما الهدف ؟ وما المقصود ؟ سؤالان لابد منهما حول الموضوع ، لأننا أمة متميزة ، تؤمن بـ **﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾** .[٣] فالرقابة الإيمانية واستشعار أمانة الكلمة ، تفرض على المسلم حساً إيمانياً ، يرقى به نحو

السمو إلى مرتبة الإحسان في الكلمة ، فيكون في موقع «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[٤] ، فتتهذب نفسه تبعاً لهذا الحس والشعور ، ويتربى على أن يزن الكلمة بميزان الحق والعدل ، ويميز بين الطيب والخبيث فالإسلام يحوي ثوابت لا تتغير ، يستقي المسلم منها الضوابط والمعايير لجميع شؤون حياته ، ومنها الكلمة ، فكل ما حسنه الشرع فهو حسن ، وكل ما قبحه الشرع فهو قبيح .

ونحن ندعو الأمة أن تتحرى موازين الشريعة الإسلامية حتى تكون المعايير سليمة ، والضوابط صحيحة ، جاعلةً نصب عينيها إخلاص النية لله تعالى رجاء البركة والتوفيق منه عز وجل ، وتحري اتباع سنة المصطفى ﷺ بُغية الصواب ومن أعظم معطيات تحصيل ذلك ، الفقه في الدين ، وقوامه التقوى إذ يقول تعالى : ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله** ﴾ .[٥] ولنحذر مما حذرنا منه ﷺ بقوله : « إن العبد ليتكلم بالكلمة ، ما يتبين ما فيها ، يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب» .[٦] ، وليكن شعارنا «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» .

لا ريب أن كل مخلص لهذه الأمة يرجو لها العزة والتمكين ، و ﴿ **من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور** ﴾ .[٧] ومن أسباب العزة ووسائلها لمن يطلبها عند الله ، القول الطيب والعمل الصالح القول الطيب الذي يصعد إلى الله في علاه ، والعمل الصالح الذي يرفعه الله إليه ، ويكرمه بهذا الارتفاع ، ومن ثم يكرم صاحبه ويمنحه العزة

والاستعلاء» .[8]

ونحن ندعو من استطاع أن يجود بكلمة ترقى بمسؤولية الكلمة ، ألا يتوانى أو يتردد ، إذ أن من أسباب العزة ووسائلها كما رأينا الكلم الطيب ، الذي يفتقر إليه واقعنا المعاصر .

ختاماً أرجو ألا ننسى أن الكلمة في يوم الحساب لا مفر لها من أن توزن بميزان يزن الذرة من الشيء ، لذا ندعو كل مؤمن في هذه الأمة أن «يرتعش وجدانه أمام كل عمل من أعماله وأمام كل قول من أقواله ارتعاشة ذلك الميزان الدقيق الذي ترجح به الذرة أو تطيش» .[9] **﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾** .[10]

---

(١) الإسراء ، آية (٨٠).

(٢) إبراهيم ، آية (٢-٢٧).

(٣) ق ، آية (١٨).

(٤) صحيح البخاري جـ١ ص ٢٧ ، كتاب الإيمان باب (٣٦) ، حديث ٥٠ .

(٥) صحيح مسلم جـ٤/ ٢٢٩٠ ، كتاب الزهد باب (٦) حديث ٥٠ .

(٦) صحيح البخاري حـ٥/ ٢٣٧٦ ، كتاب الرقائق باب (٢٣) حديث ٦١١٠ .

(٧) فاطر ، آية (١٠).

(٨) في ظلال القرآن ، سيد قطب ٥/ ٢٩٣٠ .

(٩) في ظلال القرآن ، سيد قطب ٦/ ٣٩٥٦ .

(١٠) الزلزلة ، آية (٧-٨).

وحدة الصف .. طريق النصر

خالد المسبحي

شهدت الساحة الإسلامية أنماطاً من الناس ، وأشكالاً من البشر . . إذا اختلفت معهم في الرأي تحولوا إلى وحوش كاسرة ، يمتلئون بالحقد وحب الانتقام والأخذ بالثأر ؛ فكم من إنسان دفعه خلافه إلى أن يشهّر بمن خالفه ، كم من إنسان دفعه حقده إلى أن يتعاون حتى مع الأعداء لينتقم ويشفي غليله من غريمه . إنها قضية أساسية يجب أن تكون محل الاهتمام الأكبر . . ومناط التفكير الأول على الساحة الإسلامية . . ، فأكثر المشكلات والأزمات التي تعاني منها الساحة الإسلامية ، ويعاني منها العمل الإسلامي تعود إلى سوء التنظيم ، وقلة التخطيط وعشوائية العمل .

وحين لا يخضع العمل لقواعد وأصول مدروسة ، ولا يقوم وفق مخططات ومناهج واضحة ، وحين لا يُعرف ما ينبغي عمله اليوم وما يجب تأجيله إلى الغد . . ، وحين لا يُفرق بين ما هو مهم وبين ما هو أهم ، ولا تُرتب الأعمال وفق الأولويات . . عندئذ يحدث الخلل وتضطر الدعوة الإسلامية إلى ملء الشواغر والفراغات بأعمال ضعيفة وبأسماء ليست ذات كفاءة .

إن كل فزد في الحركة الإسلامية يجب أن يشعر أنه مسؤول وأنه عضو

ينتج ويتفاعل أيّاً ما كانت مهنته أو مكانته ، ويجب أن يشعر بالانصهار مع إخوانه . . وهذا الشعور لا ينشأ من فراغ ، وإنما ينشأ من خلال الممارسة التي تؤكد – وباستمرار – حقيقة هذا التوجه ، وهذا التلاحم والترابط .

يقول الأستاذ سيد قطب – رحمه الله تعالى – عند قول الله تعالى : ﴿ **إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص** ﴾[1] ، يقول : هذه الصورة التي يحبها الله للمؤمنين ترسم لهم طبيعة دينهم ، وتوضح لهم معالم الطريق ، وتكشف لهم عن طبيعة التضامن الوثيق الذي يرسمه التعبير القرآني المبدع (صفاً كأنهم بنيان مرصوص) . . . بنيان تتعاون لبناته وتتضامن وتتماسك وتؤدي كل لبنة دورها ، وتسد ثغرتها ، لأن البنيان كله ينهار إذا تخلت منه لبنة عن مكانها ، تقدمت أو تأخرت . . .

ويستطرد الأستاذ سيد فيقول : « إن طبيعة هذا الدين حين يغلب ويهيمن يهيمن على جماعة ، وينشىء مجتمعاً متماسكاً . . متناسقاً ، وصورة الفرد المنعزل يعبد وحده ، ويجاهد وحده ، ويعيش وحده ، صورة بعيدة عن طبيعة هذا الدين ، وعن مقتضياته في حالة الجهاد ، وفي حالة الهيمنة بعد ذلك على الحياة » .[2]

وانطلاقاً من هذا المبدأ . . وحرصاً على تجلية هذا الهدف الذي نعمل جميعاً من أجل الوصول إليه . . وبلوغ غايته . . فإن على الدعاة إلى الله – دعاة الفكرة الإسلامية – أن يتضامنوا ويتكاتفوا ، وأن تجتمع قواهم بدلاً من التشتت والتفرق فيكون السقوط أمام أي عقبة ، والفشل أمام أي مشكلة . . .

مما يجعلنا فريسة سهلة لأعدائنا . . أعداء الدين ، الذين يتلوّنون تلون الحرباء ويتقلبون تقلب الرياح ، وينتقلون من مكيدة إلى أخرى . . حتى ينفذوا إلينا ويمزقوننا ، و'ن يضعوا خلالنا الفتنة . . ، والأمة الإسلامية اليوم في أمس الحاجة إلى جمع الشمل ووحدة الصف الذي بعثرته الأيدي الصهيونية والاستعمار الغربي الحاقد . . فقد دخل الاستعمار على المسلمين من الفروع والجزئيات التي يدور الاختلاف فيها بين ما هو أولى ، وما هو خلاف الأولى فاستطاع الاستعمار بذلك التأثير على المسلمين والتفرقة بين العلماء والدعاة .

إن وحدة المسلمين فريضة ، والوقوف صفاً واحدًا من أجل الدعوة على هدى ونور وبصيرة أمرٌ واجب ، أمرنا الله عز وجل به وحثنا على التمسك به **﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾** .(٣)

وفقنا الله لما يحبه ويرضاه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

---

(١) الصف ، آية (٤) .

(٢) الظلال (٦/ ٢٥٥٥) .

(٢) آل عمران ، آية (١٠٥) .

أفلا يستقيم لنا كما استقام لهم !!؟

(٢)

حسن قطامش

استوقفتني تلك الكلمة التي قالها يونس الصدفي حكاية عن الشافعي وقتًا طويلاً متأملاً معانيها، ناظرًا في مدلولها ومغزاها. . .

وكان يونس رحمه الله يمتدح الإمام الشافعي فقال: ما رأيت أعقل من الشافعي! ناظرته يومًا في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي ثم قال: يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق!!؟(١)

وقد عقب الذهبي رحمه الله على هذا بقوله: هذا يدل على كمال عقل هذا الإمام، وفقه نفسه، فما زال النظراء يختلفون.(٢)

وقول الشافعي رحمه الله يذكرنا بقول الإمام أحمد عندما قال عن إسحاق بن راهويه: لم يعبر هذا الجسر إلى خراسان مثل إسحاق، وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضًا.(٣)

وإنه لمن العقل وفقه النفس إشاعة آداب الأخوة. بمفهومها العملي لا النظري فقط، ولكن عندما نحصر هذه الأخلاق فيمن هو حقيق بها- كما نظن-

ممن جمعنا به تجانسٌ فكري أو إطار تربوي، فعند ذلك لا يكون لهذه الأخلاق واقعٌ ملموسٌ ومدركٌ. . . ، وإن المفهوم الحقيقي للأخوة وآدابها لابد من أن يتسع فيحتضن كل مسلم سليم الاعتقاد، وإن خالفنا في أشياء. . .

ولنا في سلفنا أسوة وقدوة فقد وسعهم الخلاف واستقام لهم أن يكونوا إخوانًا على اختلافهم. . .

أفلا يستقيم لنا كما استقام لهم!!؟

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٦.
(٢) سير أعام النبلاء ١٠/ ١٧.
(٣) سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٧١.

ردود قصيرة

* الأخ الكاتب الذي لم يذكر اسمه والذي كتب موضحاً خطأ الاتجاه الانهزامي لمنظمة التحرير الفلسطينية في توجهها الأخير للاستسلام والرضا بما يسمي (خيار غزة - أريحا أولاً) . . نشكرك على طيب مشاعرك وما ذكرته تطرقت إليه المجلة في العدد الماضي والذي قبله مع العلم أنه لا ينشر لأحد إذا لم يذكر اسمه في رسالته.

* الأخ/ سيد الهاشمي من مكة المكرمة : نشكرك على تواصلك معنا ، أما مقالك عن (التوجه الجديد للسلام) فإن المعالجة تحتاج إلى عمق أكثر ومعلومات أوفر ، لذا نعتذر عن نشره.

* الأخ/ عبدالرحمن الرشيد : يتساءل عن (البيان الصغير) وضرورة عودته لما يحمله من توجيهات سديدة للنشء، بالنسبة للبيان الصغير فقد توقف إصداره لظروف فنية متعلقة بطبيعة المجلة ، ونرجو أن يوجد في الساحة الإسلامية ما يسد هذه الثغرة.

* الأخ/ منصور بن درباش : ما كتبته عن (الحركة التنصيرية في أندونيسيا) قليل جداً وغير موثق وبخاصة أن هذا الموضوع أُلّفت فيه كتب ورسائل علمية مشهورة ، لذا نعتذر عن النشر.

* الأخ/ محب الدين عبدالله : قصيدتك (عليهم السام) لم تكن واضحة بـ (الهاتف المصور) ويلزم ذكر رقم الجهاز حتى نتمكن من إشعارك بذلك ونأمل إعادة إرسالها مرة أخرى إرسلها بالبريد.

* الأخ/ محمد بن علي الفاهمي : نبادلك المشاعر الطيبة ، ونسأل الله أن نكون من المتحابين فيه ، أما اقتراحاتك فهي محل الدراسة من أسرة التحرير.

* الأخ/ إدريس علي عبدالله : يثني على المجلة ودورها في التوعية والتوجيه ويأمل أن تراعي المجلة ما يلي :

أ- التأكيد على العقيدة السلفية والتحذير من كل الانحرافات عن جادة التوحيد.

ب - إجراء الحوارات مع علماء الإسلام في ديار الإسلام من المشهود لهم بالعلم والفضل والجهاد والصدع بكلمة الحق .

جـ- الاهتمام بقضايا الدعوة والدعاة في مختلف أنحاء العالم ونقل نشاطاتهم والتعريف بهم .

د- تسليط الأضواء على الدعوة في البلاد العربية وما تعانيه في بعضها من ضغوط واضطهاد .

ونحن بدورنا نشارك الأخ الكريم مشاعره الطيبة واقتراحاته الوجيهة ، فنحن نعمل ومازلنا جاهدين لأن نتطرق لمثل هذه المواضيع الهامة ونوليها جل اهتمامنا .

* الأخ/ أبو خالد قصيدتاك (اليراع الحزين) و (وقفة بين الشياطين) ضعيفتان فنياً وننتظر منك مشاركات قادمة أكثر نضجا .

* الأخت أم قتيبة : نأمل إرسال العنوان حتى نرسل لك رسالة خاصة حول مشاركاتك .

معاناة من نوع آخر ..

د. مالك الأحمد

تعاني الصحافة الإسلامية سواء أكانت الصادرة في البلاد الإسلامية أو في الخارج من عقبات جمة ، فالصحف - أو بالتحديد (المجلات) ، لأنه لا تكاد توجد صحف إسلامية تصدر محلياً - فالمجلات الإسلامية الصادرة تطوقها القضايا المحلية ، وتأخذ حيزاً من صفحاتها المحدودة ، وتضطرها أحياناً أن تكون هي محورها الأساسي ، كذلك تحاصرها النظم والقوانين الإعلامية مما يجعلها تخرج أحياناً عن مصداقيتها ، فقد تمدح أفراداً أو دولاً حسب ما تمليه عليها الظروف السياسية .

أما الصحف الإسلامية الصادرة في الخارج فمعاناتها أشد ، وهي وإن كانت حرة في قول الكلمة والصدع بالحق ، فإنها لا تستطيع أن تصل للقراء المعنيين فتبقى محصورة في بلد الإصدار أو ما حوله من البلدان الغربية ، وتجدها تستمر فترة ثم تنقطع ثم تظهر أخرى وتنقطع . . وهكذا .

وفي الجملة فإن أي مطبوعة إسلامية تريد أن تصل إلى القارىء المسلم - والعربي بشكل خاص - تجد نفسها أمام محاذير وخطوط حمراء كثيرة فتحاول الاستمرار ، فتحسب كلماتها بدقة ولكنها قد لا تصل إلى الكثير من البلدان على الرغم من التحفظ في هذا الجانب أو ذاك .

والغريب أن بعض الخطوط الحمراء إنما توضع أمام المجلات الإسلامية ولا تطبق على غيرها من الصحف والمجلات القومية والعلمانية ، وإذا انتقلنا إلى الجانب المالي نجد أن أغلب الصحف في العالم العربي إما رسمية أو شبه رسمية ، وبالطبع فهي مدعومة على كل حال .

وتبقى المجلات الإسلامية في الغالب تعتمد على التبرعات والإعانات فهي خاسرة من ناحية التوزيع نظراً لافتقارها لسعة الانتشار ، وكذلك لغياب السوق الإعلانية عنها والتي تمثل الدخل الأساسي لأي مطبوعة .

وفي الجانب الفني والإداري هناك افتقار في الأوساط الإسلامية للمؤهلين إعلامياً ، فنحن إما أن نجد هواة دخلوا ميدان الإعلام عندما اضطرتهم الظروف لذلك ، وإن أبدع الكثير منهم ، لكن تنقصهم الخبرة العملية وتبقى قلة من أصحاب المهنة ، لكنهم ضعيفوا الحس والرؤية الإسلامية .

وختاماً ، نوجه دعوة حارة لأصحاب الأقلام والإعلاميين لدعم المسيرة وكذا دعوة للقراء للمؤازرة وتفهم الظروف التي تحيط بالإعلام الإسلامي ، كي لا يظن بالقائمين عليه خلاف الحقيقة .

والله من وراء القصد ،

مطابع الأهرام بكورنيش النيل

البيان

مجلة إسلامية شهرية جامعة

... تصدر عن

المنتدى الإسلامي (لندن)

رئيس مجلس الإدارة

د/ عادل بن محمد السليم

مدير التحرير

أحمد أبو عامر

المدير الإداري

د/ عادل دعبول

العنوان

AL BAYAN MAGAZINE
7 Bridges Place
Parsons Green
London SW6 4HR U.K.
Tel : 071 - 731 8145
Fax : 071 - 371 5307

كلمة صغيرة

أقوال وأفعال

كانت - على العموم - كلمة منصفة تلك التي ألقاها (الأمير تشارلز) في مركز الدراسات الإسلامية بجامعة (أكسفورد) مؤخراً حينما أشاد بدور الإسلام في نهضة الحضارة الغربية ، وكذلك دعوته للاستفادة من الإسلام في عدالته وتسامحه وشموله وكان الأمير موضوعياً حينما طالب بإعادة النظر في القوالب الثقافية المجحفة التي توارثها الغربيون عن الإسلام ، والتي أرجعها إلى عقد تاريخية وإلى سوء فهم ..

ومع تحفظنا على الإسلام الذي يفهمه (الأمير) إلا أننا نتمنى أن تعي مثل هذا الفهم (الحكومة البريطانية) ، وعلى رأسها (ميجر وأوين) المعروفان بمواقفهما العجيبة والغريبة في (البوسنة والهرسك) والتي وصفتها (تاتشر) بأنها كارثة.

ثم حتى متى لا يكون للإسلام في بريطانيا حقه باعتباره ديناً سماوياً ؛ إذ مايزال القانون الإنجليزي يقرر أن حق الدفاع ضد (التجديف) لا يشمل الإسلام ، ويتعرض المسلمون أحياناً لحوادث تفرقة عنصرية كما دل عليه تقرير مجلس مدينة مانشستر عن أحداث مدرسة (إيرننج الثانوية عام ١٩٩١) بل وصل التمييز إلى المسلمين الإنجليز أنفسهم ، فقد حرمت المدارس الإسلامية من الإعانة بينما أعطيت لغيرها.

إننا نرحب بكل كلمة منصفة ونقدرها لكننا أحوج ما نكون إلى الأفعال المنصفة لتشمل العدالة الجميع.

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

العالم العربي
بين ناري القومية والقطرية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فمنذ أشرقت شمس الإسلام على بطاح مكة المكرمة مؤذنة بظهور هذا الدين الجديد ، وصاحب الرسالة ﷺ يعلنها مدوية في سمع الزمان مبيناً عالمية رسالة الإسلام حيث يقول : (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من قبلي) وعَدَّ منها (وكان النبي يبعث إلى قومه ، وبعثت إلى الناس كافة) وأكد ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً** ﴾ ، وقوله : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين** ﴾ ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً وقامت دولة الإسلام بالمدينة وصدقت نبوءة الرسول ﷺ باتساع دولة الإسلام حينما جاءه بعض الصحابة يشكون له أذى قريش فبين لهم أن الله سيتم هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله ، وفي رواية : (والذئب على غنمه) رواه البخاري .

فلم يكن للمسلم منذ صدر الإسلام وعصوره المتتالية جنسية سوى عقيدة التوحيد ، لا يعرف جواز سفر ، ولا بطاقة تعريف ، سوى أنه مسلم يدين

بالإسلام حتى انتهى العالم الإسلامي في عصوره المتأخرة إلى الوقوع في أتون النعرات القومية ، التي كانت بضاعة مستوردة ، أدت إلى نشوء النزعات الجاهلية التي جاء الإسلام لوأدها وهدمها ، لكنها عادت يوم ضعف الدين في النفوس ، ولم يعد له الحاكمية على الناس ، منذ أن دعا القوميون العرب لنعرتهم القومية خلال العشرينات ، التي كانت ردة فعل للقومية الطورانية التركية ، مما أدى إلى سقوط جل الدول العربية تحت سيطرة الاستعمار الأجنبي . . وحينما قام المجاهدون يدافعون عن حمى الإسلام ضد التسلط الأجنبي سُرقت ثمرات الجهاد فتحول في أواخره من جهاد في سبيل الله إلى حركات وطنية استقلالية بمنطلقات علمانية وقومية جاهلية ، أطالت من عمر الاحتلال يوم اصطنع المحتلون نفراً من أولئك القوم مكنوا لهم ، فكانوا في عدائهم للإسلام ودعاته أعظم من الأجنبي يوم كان محتلاً لديار الإسلام .

ومن العجيب أن يكون أكثر دعاة القومية العربية من النصارى ومن العجم ويا ليتهم اعتزوا بأخلاق العروبة وآدابها التي هي أقرب ما تكون إلى الإسلام بل إن الإسلام أقر الصالح منها مثل : الكرم ، والوفاء ، بالعهد ، والحفاظ على الجوار وحماية العرض ، وكان منْ عرب الجاهلية مَنْ لا يقر الظلم والبغي ؛ لذا قام نفر من أعيانهم بحلف الفضول ، ذلك الحلف الذي قال عنه الرسول ﷺ : (لقد شهدت بدار عبدالله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعي به في الإسلام لأجبت) ، لكنهم داسوا تلك الخلال ولم يحترموها فضلاً عن أن يطبقوها بوحي من إيمانهم بشريعة الإسلام ، فجاؤا بدساتير أجنبية مستوردة ، لا تقيم لشريعة الإسلام أي احترام ، بعد أن نَحَّاها المستعمر ، فلم يبق منها سوى أطلال تتمثل في بعض قوانين الأحوال الشخصية ؛ وحينما انتقدت تلك النزعة العلمانية قال بعضهم خداعاً أوجهلاً : (الإسلام تراث من

تراث القومية العربية ومحمد ﷺ بطل من أبطالها) ، لقد كان التوجه القومي في البلاد العربية مظهر انحطاط وانهزامية لأمتنا ، إذ كانت ثماره المرة ما يلي :

١ - خسران الحروب التي دخلها العرب في تلك الحقبة .

٢ - تنحية شريعة الإسلام عن الحكم .

٣ - اضطهاد الحركات الإسلامية ورموزها ما بين قتل وسجن وتشريد .

٤ - لم تسلم دولة عربية مجاورة لأخرى من حروب ونزاعات على الحدود .

٥ - تشجيع النزعات العنصرية في جل الدول العربية من الفرعونية والآشورية والبربرية ، ونشوء أحزاب علمانية تدعو لتلك التوجهات الشعوبية المشبوهة .

٦ - الانهيار الاقتصادي لاسيما الأخذ بالتوجهات الاشتراكية وما سواها من الاتجاهات الليبرالية التي لم تذق منها الشعوب العربية سوى الجوع والمسغبة .

٧ - هرب كثير من العلماء التقنيين خارج العالم العربي لعدم احتوائهم من ناحية ، أو مخالفتهم لتوجهات أولئك الحكام من ناحية أخرى .

هذه بعض من نتائج ومعطيات الحقبة القومية ، التي بليت بها أمتنا ومازالت .

لقد كانت القطرية موجودة في كثير من الدول العربية قبل حرب الخليج وبعدها بكل ما أنتجته من تغيرات استراتيجية وميدانية أخذت - وبشكل واضح - اتجاهات انكفائية تتلبّس لبوس الوطنية وتنظر من خلالها إلى ذاتها وأمنها

نظرة خاصة وتجعل من مصلحة النظام الحاكم المحور المعوَّل عليه في بناء سياستها وتوجهاتها ، لا تنظر معها إلا لمصالحها فقط ، حتى ولو كانت مع العدو نفسه .

إن تلك النزعة الانكفائية ، مظهر تخلف – ولا شك – لأنها لا تتنافى والطموحات القومية المزعومة فحسب ، بل إنها قبل ذلك تتصادم مع حقائق الإسلام وأخلاقياته ، زيادة على ما تشكله من طعن مباشر في (عقيدة الولاء والبراء) .

إن حب الأوطان فطرة تعيش في حنايا النفوس وتعمر بها شغاف القلوب فأوطاننا هي الأرض التي بها ولدنا وعلى أرضها درجنا ونعمنا بخيراتها وتعلمنا في مدراسها وتظللنا بوارف ظلالها .

كان بلال رضي الله عنه يهتف شوقاً لمكة المكرمة بأبيات تسيل رقة منها :

وهل أردن يوماً مياه مجنة   وهل يبدون لي شامةٌ وطفيل(٣)

إن تلك العاطفة فطرية في النفوس ، لكن يجب أن تكون في إطارها لا أن تصل إلى حد التقديس لتراب الوطن الضيق بعيداً عن الإحساس بواجب الإخاء الإسلامي العام ، وبعيداً عن الشعور بواجب النصرة لإخواننا المسلمين ، وبعيداً عن تحقيق متطلبات عقيدة الولاء والبراء .

إن أمتنا العربية نكبت مع الأسف منذ نُحِّيَتْ (شريعة الله) واستعاضت عنها بالتوجهات القومية ، يوم حكمت الدساتير العلمانية وسارت على نهجها فلم تكن ثمارها سوى الهزائم والسقوط ، ولن يكون حال التوجهات القطرية الحالية بأحسن حالاً ، فحسبها أن تثير الحزازات بين الشعوب العربية حينما

يكون كل شعب مشغولاً بنفسه عن إخوانه في العقيدة والدين ، فإلى متى تبقى أمتنا تذوق مرارة الحرمان والانهزامية مع كل توجه علماني ؟ لقد جربت الأمة شتى التوجهات الجاهلية من اشتراكية وقومية وليبرالية ولم تكن نتائج ذلك سوى حصاد الهشيم وقبض الريح .

إننا لا ندعو إلى تجريب الإسلام ، بل إلى فهمه فهماً صحيحاً من مصادره الصحيحة والعودة له شريعةً حاكمة ، ثم الاعتماد على النفس وأخذ السبل الموصلة للقوة القائمة على حشد كل الإمكانيات البشرية ، وتقوية الاتجاهات العسكرية ، والعناية بالبحث العلمي بإنشاء مراكز البحوث ، والاستفادة من القدرات الهائلة من العلماء المسلمين الموزعين في شتى أنحاء العالم ، وضرورة التكامل الاقتصادي ، وزيادة التعاون بين الأقطار الإسلامية ، وإعادة النظر في السياسة التعليمية القائمة – ليس لصالح سياسة التطبيع – وإنما لتخريج الأجيال القادرة على المواجهة ثقافياً وعسكرياً ، والمطالبة بأن يكون لنا مكانٌ أكبر في المنظومة الدولية . . . ولن يتأتى ذلك بدون الانتماء لعقيدتنا الإسلامية الصحيحة قولاً وفعلاً والصلح مع إخواننا قبل الصلح مع أعدائنا .

إن العودة إلى الإسلام الحق ستحمينا من أخطار الاتجاهات المنحرفة وسلبياتها سواء أكان ذلك قومياً أو قطرياً .

{ إن خير من استأجرت القوي الأمين }

د . عبدالكريم بكّار

قصَّ الله - جل وعلا - علينا خبر موسى مع شعيب - عليهما السلام - حين جاء مدين ، ووجد ابنتين لشعيب قد منعتا غنمهما من الورود بانتظار ذهاب الرعاء وفراغ المكان ، وما حدث من تطوع موسى بالسقيا لهما ، وما كان من أمر شعيب حين بلغه ما قام به موسى حيث أرسل له يطلبه ليجزيه على ذلك وذكر لنا القرآن الكريم كذلك نصيحة ابنة شعيب لأبيها باستئجاره ، وعللت ذلك بقوة موسى وأمانته ، ويذكر المفسرون أن شعيباً - عليه السلام - أثارت حفيظته الغيرة من كلامها ، فقال : وما علمك بقوته وأمانته ؟ فذكرت له أن موسى حمل حجراً من فوق فوهة البئر ، لا يحمله في العادة إلا النفر من الناس وتلك قوته ، وأنه حين ذهبت تكلمه أطرق رأسه ، ولم ينظر إليها ، كما أنه أمر المرأة أن تمشي وراءه ، حتى لا تصيب الريح ثيابها فتصف ما لا تحل له رؤيته وتلك أمانته .

وقد صدق حدسها فهي ما رأت إلا نبياً من أولي العزم المؤتمنين على الوحي ، الأشداء الأقوياء ! وقد قيل : إن أفرس الناس ثلاثة : بنت شعيب وصاحب يوسف حين قال (عسى أن ينفعنا)(1) ، وأبو بكر حين اختار عمر لإمارة المؤمنين .(2)

وقد جمعت ابنة شعيب - عليه السلام - في تعليلها المختصر ذاك بين أمرين عظيمين ، ينضوي تحتهما معظم الكمالات الإنسانية ، وهما الأمانة والقوة ، وهذه وقفات سريعة معهما :

١ - ليست الأمانة هنا إلا رمزاً لما يستلزمه الإيمان بالله - تعالى - من المحامد كالإخلاص والأمانة والصدق والصبر والمروءة ، وأداء الفرائض والكف عن المحرّمات ؛ وقد قال أكثر المفسرين في قوله سبحانه : ﴿ إنا عرضنا الأمانة ﴾(٣) الآية : إن المراد بها التكاليف الشرعية عامة(٤) ، وقد وصفت ابنة شعيب موسى بالأمانة لغضه طرفه ، ومشيه أمامها.

أما القوة فهي رمز لمجموع الإمكانات المادية والمعنوية التي يتمتع بها الإنسان.

٢ - الأمانة والقوة ليستا شيئين متوازيين دائماً ، فقد يتحدان ، وقد يتقاطعان فالصبر جزء من الأمانة ؛ لأنه قيمة من القيم ، وهو في ذات الوقت قوة نفسية إرادية ، وإذا كان العلم من جنس القوة ، فإنه يولد نوعاً من الأمانة ؛ إذ أهله أولى الناس بخشية الله ، ﴿ **إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء** ﴾(٥) والإيمان أجل القيم الإسلامية ، فهو من جنس الأمانة ، ومع ذلك فإنه يولد لدى الفرد طاقة روحية هائلة تجعله يصمد أمام الشدائد صمود الجبال ، ومن ثم كانت الظاهرة الإسلامية العالمية : ظاهرة (المسلم لا ينتحر) ! . إن هذا التلاقي بين الأمانة والقوة يمثل بعض الأرضية المشتركة لتلاقي أهل الأمانة وأهل القوة ، كما يجعل التحقق من إحداهما المعبر للتحقق من الأخرى.

٣ - سوف يظل النمط الذي يجمع بين القوة والأمانة نادراً في بني الإنسان وكلما اقتربا من الكمال في شخص صار وجوده أكثر ندرة ، والقوي الذي لا يؤتمن ، والموثوق العاجز هم أكثر الناس ، والذين فيهم شيء من

القوة وشيءٍ من الأمانة كثيرون ، وقد روي عن عمر - رضي الله عنه - : «أشكو إلى الله جَلَد الفاجر وعجز الثقة» ، فكل منهما لا يمثل المسلم المطلوب ، ودخل عمر أيضاً على لفيف من الصحابة في مجلس لهم فوجدهم يتمنون ضروباً من الخير ، فقال : أما أنا فأتمنى أن يكون لي ملء هذا البيت من أمثال سعيد بن عامر الجمحي ، فأستعين بهم على أمور المسلمين ! .

٤ - العمل المقبول في المعايير الإسلامية هو ما توفر فيه الإخلاص والصواب والإخلاص ضرب من الأمانة ، والصواب - وهو هنا موافقة الشريعة - ضرب من القوة ، هذا بصورة عامة ، لكن في أحيان كثيرة يكون ما يطلب من أحدهما أكثر مما يطلب من الآخر ؛ فالثواب يتعلق بالإخلاص أكثر من تعلقه بالصواب ، فالمجتهد المؤهل ينال أجراً إذا استفرغ وسعه وإن كان اجتهاده خاطئاً ، لكن لا ثواب البتة على عمل لا يراد به وجه الله تعالى ، أما النجاح والوصول إلى الأهداف المرسومة في الدنيا فإنه مرتبط بالصواب أكثر من ارتباطه بالإخلاص ، فكم من مؤسسة يديرها أكفاء ليس عندهم شيء من الأمانة ، ثم حققت أهدافها المادية كاملة وكم من مؤسسة أدارها أخيار غير مؤهلين ، فأعلنت إفلاسها !

وقد ذكر ابن خلدون أن للناس مذهبين في استخدام الأكفاء غير الثقات وتقديمهم على الثقات غير الأكفاء ، واختار هو استخدام غير الثقات إذا كانوا مؤهلين ؛ لأن بالإمكان وضع بعض التدابير التي تحد من سرقاتهم أما إذا كان المستخدم لا يحسن شيئاً فماذا نعمل به ؟ ![٦]

وقد ولى النبي ﷺ أهل الكفاية الحربية مع أن في الصحابة من هم أتقى منهم وأورع ؛ لأن القوة (البسالة وحسن التخطيط) تطلب في قيادة الجيش أكثر من الأمانة ، مع أنهم كانوا بكل المقاييس من الأمناء الأخيار

وطلب بعض الصحابة – ممن عرفوا بالزهادة والورع – الولاية على بعض أمور المسلمين فحجبها عنهم لضعفهم.

٥ – نحن في مراجعة أخطائنا نركز على جانب الأمانة ، ونهمل جانب القوة فإذا ما أخفقنا في عمل ما قلنا نحن بحاجة إلى تقوى وإخلاص ، وإن اتباع الأهواء هو السبب في ذلك ، ولا ريب أن الإخلاص مفتاح القبول والتوفيق وأن التقوى تستنزل الفرج ، لكن ما هي المعايير التي تمكننا من قياس درجة التقوى ومقدار الإخلاص الموجود إذا ما أردنا التحقق منه وكيف نستطيع التفريق بين عمل دفع إليه الهوى وآخر دفع إليه الاجتهاد؟! كل ذلك مما يستحيل قياسه ، وبالتالي فإنه لا يمكن تحديده وما لا يمكن تحديده لا يصلح لأن يكون هدفاً.

وبإمكان الناس أن يقولوا : – إلى ما شاء الله – نحن أتباع هوى دون أن تستطيع أن ترد على أحد منهم رداً شافياً قاطعاً ! على حين أن قياس القوة ممكن ، وإدراك الخلل فيها يكون عادة ظاهراً يمكن وضع الإصبع عليه فحين يأتي خطيب ليتولى إدارة جيش ، أو التخطيط لمعركة ، وحين يتولى رسم سياسات العمل رجلٌ لا يعرف الواقع ، فلا يقرأ جريدة ولا يستمع إلى نشرة أخبار ، ولا يحسن قراءة أي شيء يحيط به ، فإن الخلل لا يحتاج إذ ذاك إلى شرح حيث تتولى شرحه النتائج ! . وحين يتصدى للاجتهاد في أمور خطيرة أشخاص لا يملكون الحد الأدنى من المعلومات حولها ، وتترتب على اجتهاداتهم فواجع أكبر من أي جريمة ماذا تكون الحال ؟!

لقد آن الأوان لوضع الأمور في نصابها ، بتأهيل الشخص قبل إيجاد العمل الذي سيعمله ، بدلاً أن يوجد المنصب ثم يبحث عمن يسد الفراغ ليس أكثر !

٦ - عالمنا الإسلامي النموذج المثالي للقوى الكامنة ، فكل ما عندنا (خام) الإنسان والطبيعة والموارد ، ولعل لله في ذلك حكمة بالغة ؛ إذ أن تشكيل الإنسان المسلم لو تم قبل بزوغ الصحوة المباركة لكان أكثر ضرراً من بقائه على حاله.

هذه القوى الكامنة ستظل ثغرات في حياتنا أياً كان موقعها في ظل التكالب العالمي على الصعيد الثقافي والاقتصادي ، وهذه القوى الكامنة تحتاج إلى تفجير وإلى إخراج في شكل جديد يمنحها وزنها الحقيقي وإخراج القوة مهمة الدولة أولاً ؛ فهي المسؤولة عن تفجير الطاقات كافة وتوجيهها ، ومهمة صفوة الصفوة من صانعي المبادرات الخيِّرة ، الذين يمتد بصرهم دائماً إلى مستوى أعلى من المستوى الذي تعيش فيه أمتهم فيوجدون باستمرار الأفكار والأطر والأجواء والآليات التي تُفَعِّل القوى الخامدة المجهولة للناس حتى حامليها.

واليهود هم من أساتذة العالم في (إخراج القوة) وتوظيفها واستغلالها وصحيح أن ديننا يحول بيننا وبين وسائل كثيرة استخدموها حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه ، لكنني أعتقد أنه مازال في هذا العالم مكان فسيح للمسلم المبصر الأريب . .

وقد بدأت الأمة في امتلاك القوة ، وبدأ المارد الذي نام قروناً يصحو وهو الآن يتفقد أعضاءه وحواسه ، ويحاول أن يتعلم المشي في (حارة) الكرة الأرضية ، لكن بعضاً منا بدؤوا يخبطون يمنة ويسرة قبل أن يفتحوا عيونهم وقبل أن يعقلوا الأجواء التي يصحون فيها ؛ ليغروا العدو بتوجيه الرصاصة القاتلة قبل أن يقفوا على أقدامهم ! .

إن فهم الحياة المعاصرة شرط أساسي يجب توفيره عند كل أولئك الذين يريدون توجيهها والتأثير فيها ، ولن يكون ذلك ممكناً ما لم نكن نحن من

صانعي قراراتها وخياراتها . .

٧ - الأمانة قيد على القوة ، فهي التي تحدد مجالات استخدامها وكيفياته والقوة الآن في يد الآخرين على ما نعرف ، والقيود الأخلاقية عندهم آخذة في الضعف يوماً بعد يوم ؛ لأنها لا تعتمد على إطار مرجعي أعلى يمنحها الثبات ومن ثم فإن القوة ليست في طريقها إلى الانطلاق من أي ضابط أوحسيب ، لكنها في طريقها إلى صنع قيودها بنفسها الصناعة التي تمكنها من مزيد من الانطلاق ، وهي بذلك تجعل الآخرين يتوهمون أنها قيود ؛ حتى لا يشعر أحد أن هناك فراغاً أخلاقياً يجب ملؤه ! وما النظام العالمي الجديد سوى الأحرف الأولى في أبجديات القيود الجديدة ! .

وهذا يوجب علينا المزيد من التفكير والتأمل فيما يجب عمله ، ونحن مع ضعفنا قادرون في هذا المضمار على عمل الكثير الكثير إذا فهمنا لغة العصر ، وأحسنا إدارة الصراع ؛ إننا نملك القيود (الأمانة) ، وهم يملكون القوة ، فهل نسعى إلى امتلاك القوة المقيدة حتى يصطلي العالم بالنار دون أن يحترق ؟؟.

---

(١) سورة يوسف، آية ٢١ .
(٢) الكشاف ٣ : ١٦٣ .
(٣) الأحزاب ، آية ٧٢ .
(٤) انظر البحر المحيط ٧ : ٢٥٣ .
(٥) سورة فاطر : ٢٨ .
(٦) انظر مقدمة ابن خلدون ٢ : ٢٧٩ .

التجرد في الحوار

أحمد بن عبدالرحمن الصويان

تمهيد :

الحوار : من المصطلحات التي تتردد كثيراً في هذا الوقت، وترددها أطراف متعددة ، والمرددون لهذا المصطلح قد اختلفت مشاربهم ، وتباينت أفكارهم وتنوعت أهدافهم ، فأراد منه بعضهم أعظم الحق ، وأراد منه آخرون أعظم الباطل ، والأصل في ذلك هو منهج الرجل وطريقته وسيرته العلمية والعملية .

والمحاورة أو المجادلة بالتي هي أحسن وسيلة مهمة من وسائل تبليغ الحق والهدف منها الوصول إلى الحقيقة ، وهي في إطار الحركة الإسلامية أداة التصحيح والبناء والتقويم الذاتي : فالحوار أداة وعي مشتركة تتحدد فيها الآراء وتُستعرضُ فيها المسائل ، ويستخلص منها ما دل عليه الدليل الشرعي أو النظري وهو وسيلة من وسائل الشورى والتناصح والتعاون على البر والتقوى ، وهذا هو طريق النضج وسبيل الكمال ، ولن يتم تصحيح الأخطاء وتدارك النقص وتقويم المسيرة الشرعية والدعوية إلا إذا اتسعت صدورنا - معشر الدعاة إلى الحق - للحوار ، وروضنا أنفسنا على قبول النقد والمراجعة وعندها تكون حواراتنا حوارات تربوية منهجية ، تثري الساحة الإسلامية بالدراسات الشرعية

والطروحات العلمية .

وقد أصبحت الصحوة الإسلامية بعثاً عاماً يشمل معظم طبقات الأمة . . فلم تعد حكراً على أحد ، ومن حق الأجيال على الحركة الإسلامية أن تقدر عقولها وتوقر قدراتها ، وتوضح لها حقيقة المسيرة الدعوية سلباً أو إيجاباً فليست القضية أن ندافع عن مواقف اتجاه من اتجاهات العمل الإسلامي أو علم من أعلامه ، ثم نحاول تسويغ الأخطاء وكتمانها ، وإنما القضية أعمق من ذلك وأخطر ، وطلائع الصحوة الإسلامية تتطلع إلى المنهج الرباني بصفائه ونقائه بعيداً عن الكدر والشوائب ، ومنهج الله أبقى وأغلى من كل أحد ، وليس عيباً أن ننتقد عالماً أو نخطىء تجربة ، ولكن العيب الكبير أن نخادع أنفسنا والأجيال التي وثقت بنا .

والطريف أن لدينا إقداماً عنترياً على ذكر معايب الناس ، وشجاعةً على نقد الآخرين ، لكننا جبناء أمام أنفسنا نضع رؤوسنا في الرمال ، وننظر بأعين مغلقة ، ولا نحب مواجهة الحقيقة ، فنسخر لقاءاتنا للتمادح ، واستعراض الإنجازات وتفخيمها ولو كانت وهمية ، وإذا تجرأ أحدنا على النقد فهو يتكلم باستحياء وخجل ، ولهذا أصبحت قدراتنا على التصحيح والبناء هشة هزيلة بل أصبح المحاور الذي يريد إظهار الحق يُعدُّ عند بعضهم مشاغباً ، يشغل نفسه في تفاهات ثانوية ، ويريد أن يجر غيره إليها ، وبرعماً مريضاً يجب اجتثاثه من أصوله . !!

ومن ثم أصبحت الأجيال الجديدة من أبناء الصحوة الإسلامية تجتر أخطاء الآخرين ، وتتوارثها بآلية ساذجة ، وتتبنى أفكاراً مستعارة مستنسخة ، تفكر بعقل غيرها ، وتتحدث بلسان من عداها ، وتعيش على منجزات الآخرين

ومكتسابتهم ، ولازالت بعض الاتجاهات الإسلامية تعتمد على مناهج حركية وقوالب فكرية ، تأسر نفسها في دوائرها ، وقد مضى عليها زمن ليس بالقصير مع أن التجربة الإسلامية تجاوزتها بمراحل .

فبغياب الحوار والمراجعة ظهر في العمل الإسلامي أكثر من هوة ، وأكثر من شرخ ، أضعف من صلابته وتماسكه من جهة ، ومن سلامته وصفائه من جهة أخرى .

فغياب الحوار الجاد ما هو إلا انعكاس آلي لضعف البنية العلمية والفكرية في العمل الإسلامي ، وأرى أن مما يعين الأمة الإسلامية على الخروج من هذا المأزق ، وإقامتها من هذه الكبوة ، فتح أبواب الحوار والشورى ، وتربية أبناء الصحوة الإسلامية على قول كلمة الحق ، صريحة بينة ولو خالفت من خالفت لا يخشون في ذلك لومة لائم ، فالمناصحة هي روح الأمة وعرقها النابض .

قال الله تعالى ﴿ **والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾(1) .

وأي عمل بشري جاد - فضلا عن العمل الإسلامي - يحتاج إلى دراسة وتخطيط ، ثم إلى دقة في الإنجاز والتنفيذ ، وفي أثناء هاتين المرحلتين وبعدهما يحتاج هذا العمل إلى مراجعة وتقويم يساهم فيهما كل قادر على ذلك .

إن الحوار الجاد المطلوب ما هو إلا دعوة إلى تقليب أوراق العمل الإسلامي المعاصر ، وإعادة النظر - بكل تجرّد - في مناهج التفكير المطروحة والوسائل الدعوية المستهلكة ، إنه كسر لطوق الرتابة والارتجال السائدين في أوساط العمل الإسلامي ، وهو دعوة إلى تحرير الأمة الإسلامية من الفلسفات

الكلامية ، والبدع الخرافية ، والتمزق المنهجي ، والتوجهات الحزبية ، والشطط الفكري بشتى ألوانه وصوره ، ثم إعادة بنائها وصياغتها من جديد ، وفق الأسس والضوابط العلمية المبينة في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ على منهج السلف الصالح رحمهم الله .

ونحن جميعاً نتحرك في سفينة واحدة في بحر متلاطم الأمواج ، وتزداد خروق هذه السفينة يوماً بعد آخر ، وقد يسهم الحوار في ترقيع هذه الخروق وحماية هذه المسيرة المباركة من العقبات والمصاعب التي تواجهها ، فالحوار تفاعل دائم بين أطراف العمل الإسلامي وعناصره المختلفة ، وتدافع الأفكار والاجتهادات بالموازين العلمية سيضمن استقامة العمل على الصراط المستقيم .

التجرد في طلب الحق :

إذا كان التأصيل العلمي والمنهجي في الحوار ذا أهمية كبيرة ، فإن الجانب السلوكي والتربوي له أثر كبير جداً في هذا الباب ، إذ إن الممارسة الناضجة والتخلق الكريم بأخلاق القرآن العظيم ، هما الترجمان الحقيقي والأثر الحي الصادق للعلم الصحيح ، فليست المشكلة في قضية الحوار علمية فحسب – وإن كان لها أثر كبير – وإنما هي تربوية ونفسية كذلك .

والتجرد في طلب الحق يُعين في الوصول إليه ، والهوى داء خطير يعمي بصيرة الإنسان ، فلا يرى حقاً إلا ما وافق هواه ، والعلم وحده لا يكفي في ساحة الحوار ، بل لابد معه من الإخلاص والتجرد ، فقد يضل المرء على علم والعياذ بالله كما قال تعالى : ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم** ﴾ .[٢]

وعلى المحاور الصادق أن يقصد بمحاورته وجه الله تعالى وحده لا شريك

له ، فلا يرجو الغلبة والانتصار ، كما لا يرجو ثناء الناس أو حمدهم ، فما عندهم ينفد وما عند الله باق ، قال الله تعالى : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً** ﴾ .[٣]

قال الخطيب البغدادي - رحمه الله تعالى - في ذكر آداب الجدل والمناظرة : « ويخلص النية في جداله بأن يبتغي به وجه الله تعالى . . . وليكن قصده في مناظرته إيضاح الحق وتثبيته دون المغالبة للخصم» .[٤]

فصاحب الهوى ليست له قواعدمطردة ، أو موازين منضبطة ، يعتمد عليها في البحث عن الحق ، بل تراه يدور مع هواه حيث دار ، وحينما يتصف المحاور بهذه الصفة فلا يمكن أن يصل المتحاوران إلى النتيجة المرجوة بحال .

ومن مقتضيات التجرد في طلب الحق :

أ - أن يدخل المرء ساحة الحوار باحثاً عن الحق ، حتى لو كان عند خصمه ، ولا يتردد أبداً في أن يتراجع عن رأيه إذا تبين له صحة رأي غيره ، قال الله تعالى : ﴿ **وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين** ﴾ .[٥]

وينبغي أن يكون المحاور كما قال أبو حامد الغزالي - رحمه الله تعالى - : «كناشد ضالة لا يُفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً ، ويشكره إذا عرفه الخطأ أو أظهر له الحق» .[٦]

ولهذا كان الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - يقول : «ما ناظرت أحداً قط فأحببت أن يخطىء»[٧] ، وقال أيضا : «ما كلمت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ، وما كلمت أحداً قط إلا ولم أبال بَيَّنَ الله الحق على لساني

أو لسانه» .[8]

وقارن هذه النفس المخبتة الصادقة ، التي تعلو على الأهواء ولا تتطلع إلا إلى الحق ، بتلك النفوس المريضة التي تراوغ هنا وهناك حتى لا يظهر ويعلو إلا قولها ، سواء أكان ذلك حقاً أو باطلاً . . قال أبو حامد الغزالي - رحمه الله تعالى - : «فانظر إلى مناظري زمانك اليوم كيف يسود وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه ، وكيف يخجل به ، وكيف يجهد في مجاحدته بأقصى قدرته ، وكيف يذم من أفحمه طول عمره . . ؟» .[9]

وقد تؤثر على المحاور أحياناً اتجاهات فكرية ونفسية غير مرئية تعوقه عن الوصول إلى الحقيقة العلمية التي طرحها صاحبه : فبعض الناس - غفر الله لنا ولهم - يتقنع بقوالب فكرية معدة مسبقاً ، ويدخل ساحة الحوار لا للبحث عن الحق ، ولكن لتقرير الرأي ، والمدافعة عنه ، والتعصب له ، فليس عنده الاستعداد أبداً أن يتنازل عن رأيه ، حتى ولو تبين له خطؤه .

والثقة بالنفس خصلة حميدة ، لكنها لا تعني الشعور بالعصمة والكمال وليس عيباً أن يعترف المرء بالخطأ ، ويسلم لمناقشه ، بل هذا دليل الكمال والورع والرجل المؤمن الصادق لا يقف ضعيفاً عاجزاً أمام نفسه ، حينما يتبين له الخطأ ولا تصور له خيالاته المريضة ، أنه قد ينقص قدره أو يضعف وزنه إن اعترف بخطئه بل يسارع جاداً إلى الأخذ بزمام الحق ، ويعض عليه بنواجذه ، ويعتقد جازماً : أنه برجوعه إلى الحق أنقى وأكمل ، ويحتاج ذلك - بلا شك - إلى عقيدة إيمانية وقوة نفسية ، تتلاشى أمامها حظوظ النفوس والإحساس بالكمال وتقديس الذات .

ودعونا نتأمل في حال من حولنا ؛ لنرى كيف يجر التعصب للرأي وتقديس الاجتهادات إلى تصدع الجسور الهشة التي تربط بين المتحاورين . .

وكيف يؤدي ذلك إلى تآكل الأواصر الأخوية بين الدعاة ، حتى لا يبقى منها إلا شعارات باهتة لا حقيقة لها . . ؟!

قال الفاروق عمر بن الخطاب في رسالته المشهورة إلى أبي موسى الأشعري - رضي الله عنهما - : «ولا يمنعنك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك ، فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق ، فإن الحق قديم لا يبطله شيء ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل»[10] .

ب - أن يذكر ماله وما عليه من الحجج والأدلة والبراهين : فامتياز المنهج الإسلامي يظهر جلياً بهذا التوازن الشامل والعدل الكامل ، فلا يجوز أن يُحجب شيء من الحقيقة ، أو يدفن شيء من الأدلة التي تدعم قول المخالف فهذه صفة ذميمة تدل على حب الذات وقلة الإنصاف والورع ، ونزاهة المحاور وموضوعيته محور أساس من محاور المنهج العلمي ، وهي التي يُعبَّر عنها في الاصطلاح الحديث : بالأمانة العلمية .

وقد ذم الله سبحانه وتعالى اليهود لأنهم يتصفون بكتم الحق وتلبيسه بالباطل. قال الله تعالى : **﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾**[11] .

وقال الله تعالى : **﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾**[12] .

وأخذ بعض المبتدعة هذه الصفة الذميمة من اليهود ، ولهذا قال الإمام وكيع بن الجراح - رحمه الله تعالى - : «أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم»[13] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مبيناً منهج المبتدعة في الاستدلال : «فلا تجد قط مبتدعاً إلا وهو يحب كتمان النصوص التي تخالفه ويبغضها ، ويبغض إظهارها وروايتها والتحدث بها ، ويبغض من يفعل ذلك كما قال بعض السلف : ما ابتدع أحد بدعة إلا نزعت حلاوة الإيمان من قلبه». ويبين - رحمه الله - أن هذا ليس خاصاً بالمبتدعة ، بل هو أيضا عند طالبي العلو والرئاسة ، حيث قال : «وطالب الرئاسة - ولو بالباطل - ترضيه الكلمة التي فيها تعظيمه ، وإن كانت باطلاً ، وتغضبه الكلمة التي فيها ذمه وإن كانت حقاً والمؤمن ترضيه كلمة الحق له وعليه ، وتغضبه كلمة الباطل له وعليه ؛ لأن الله تعالى يحب الحق والصدق والعدل ، ويبغض الكذب والظلم» .[١٤]

ويرسم شيخ الإسلام في موضع آخر المنهج العلمي الواجب اتباعه في ذلك فيقول : «وأما أهل العلم والدين فلا يصدقون بالنقل ويكذبون به بمجرد موافقة ما يعتقدون ، بل قد ينقل الرجل أحاديث كثيرة فيها فضائل النبي ﷺ وأمته وأصحابه ، فيردونها لعلمهم بأنها كذب ، ويقبلون أحاديث كثيرة لصحتها ، وإن كان ظاهرها بخلاف ما يعتقدونه : إما لاعتقادهم أنها منسوخة أو لها تفسير لا يخالفونه ، ونحو ذلك» .[١٥]

وقال أيضا : «يجب أن يكون الخطاب في المسائل بطريق ذكر دليل كل قول، ومعارضة الآخر له ، حتى يتبين الحق بطريقه لمن يريد الله هدايته» .[١٦]

وقال أيضا : «فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف : أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام ، وأن ينبه على الصحيح منها ، ويبطل الباطل ، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة من ورائه ، فيشتغل به عن الأهم ، فأما من حكى خلافاً في مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها

فهو ناقص ، إذ قد يكون الصواب في الذي تركه ، أو يحكي الخلاف ويطلقه ولا ينبه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضاً . . . »[17].

وقال العلامة السعدي - رحمه الله تعالى - في تفسير قوله تبارك وتعالى : ﴿ **الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون** ﴾[18] «دلت الآية الكريمة على أن الإنسان كما يأخذ من الناس الذي له يجب أن يعطيهم كل ما لهم من الأموال والمعاملات ، بل يدخل في عموم هذا : الحجج والمقالات ، فإنه كما أن المتناظرين - قد جرت العادة - أن كل واحد منهما يحرص على ما له من الحجج ، فيجب عليه أيضاً أن يبين ما لخصمه من الحجة التي لا يعلمها ، وأن ينظر في أدلة خصمه كما ينظر في أدلته هو ، وفي هذا الموضع يعرف إنصاف الإنسان من تعصبه واعتسافه وتواضعه من كبره وعقله من سفهه»[19].

وتبين التطبيقات اللطيفة في هذا المبحث : أن ابن تيمية - رحمه الله - كان من من أعظم الناس نصراً لمنهج السلف الصالح ، ومن أعظمهم رداً على المبتدعة بمختلف مللهم ونحلهم ، إلا أنه لتمام اتزانه وسلوكه المنهج العلمي الحق ، انتقد بعض تصرفات جهلة أهل السنة المخالفة لذلك المنهج المشار إليه آنفاً فها هو يقول : «وفيهم نفرة عن قول المبتدعة ، بسبب تكذيبهم بالحق ، ونفيهم له فيعرضون عما يثبتونه من الحق أو ينفرون منه ، أو يكذبون به ، كما قد يصير من بعض جهال المتسننة في إعراضه عن بعض فضائل علي وأهل البيت إذا رأى أهل البدعة يغلون فيهم ، بل إن بعض المسلمين يعرض عن فضائل موسى وعيسى بسبب إعراض اليهود والنصارى عن فضائل النبي ﷺ ، حتى يُحكى عن قوم من الجهال أنهم ربما شتموا المسيح إذا سمعوا النصارى يشتمون نبينا في الحرب وعن بعض الجهال أنه قال :

سبُوا علياً كما سبوا عتيقكم　　　　كفرٌ بكفر وإيمانٌ بإيمان»[٢٠]

وهذا انحراف لا يليق بمسلم صادق الإيمان.

جـ - وينبني على ما تقدم: قبول الحق من كل من قاله كائناً من كان حتى من المبتدع، بله الكافر لأنه إن رد قوله فقد رد الحق، والإنصاف في المحاورة من صفات الربانيين الذين لا يرجون إلا الحق، وفي هذا الباب أمثلة عديدة، أذكر منها مثلاً واحداً فقط:

عن قتيلة بنت صيفي الجهنية قالت: أتى حَبرٌ من الأحبار رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، نعم القوم أنتم، لولا أنكم تشركون، فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله وماذاك!». قال: تقولون إذا حلفتم والكعبة. قال: فأمهل رسول الله ﷺ شيئاً، ثم قال: «إنه قد قال، فمن حلف فليحلف برب الكعبة». قال: يا محمد، نعم القوم أنتم، لولا أنكم تجعلون لله نداً. قال: «سبحان الله وما ذاك!» قال: تقولون: ما شاء الله وشئت، قالت: فأمهل رسول الله ﷺ شيئاً، ثم قال: «إنه قد قال، فمن قال: ما شاء الله، فليفصل بينهما ثم شئت».[٢١]

وفي هذا الباب يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: «والله قد أمرنا ألا نقول عليه إلا الحق، وألا نقول عليه إلا بعلم، أمرنا بالعدل والقسط، فلا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني - فضلاً عن الرافضي - قولاً فيه حق أن نتركه، أو نرده كله، بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق».[٢٢]

قال الإمام العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله تعالى -

في تفسير قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبيرٌ بما تعملون** ﴾[٢٣]: « . . . بل كما تشهدون لوليكم فاشهدوا عليه ، وكما تشهدون على عدوكم ، فاشهدوا له ، فلو كان كافراً أو مبتدعاً ، فإنه يجب العدل فيه ، وقبول ما يأتي به من الحق ، لا لأنه قاله ، ولا يرد الحق لأجل قوله ، فإن هذا ظلم للحَق»[٢٤].

---

(١) سورة العصر.

(٢) سورة الجاثية ، آية (٢٣).

(٣) سورة الكهف ، آية (١١٠).

(٤) الفقيه والمتفقه (٢/ ٥).

(٥) سورة سبأ ، آية (٢٤).

(٦) إحياء علوم الدين (١/ ٥٧).

(٧) مناقب الشافعي للرازي (ص -٣٦) والفقيه والمتفقه (٢/ ٢٦).

(٨) المرجعان السابقان.

(٩) إحياء علوم الدين (١/ ٤٤).

(١٠) أعلام الموقعين (١/ ٨٦).

(١١) سورة آل عمران ، آية (٧١).

(١٢) سورة البقرة ، آية (٤٢).

(١٣) سنن الدارقطني (١/ ٢٦).

(١٤) مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٩٩-٦٠٠).

(١٥) منهاج السنة النبوية (٧/ ٣٩).

(١٦) مجموع الفتاوى (٨/ ١٠٨)

(١٧) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦٨).

(١٨) سورة المطففين ، آية (٢-٣).

(١٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٧/ ٥٨٦-٥٨٧).

(٢٠) مجموع الفتاوى (٦/ ٢٦).

(٢١) أخرجه : أحمد (٦/ ٢٧١-٣٧٢) والحاكم (٤/ ٢٩٧) ، وصححه ووافقه الذهبي وأورده الألباني في الصحيحة رقم (١٣٦).

(٢٢) منهاج السنة النبوية (٢/ ٣٤٢).

(٢٣) سورة المائدة ، آية (٨).

(٢٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٧/ ٥٨٦ - ٥٨٧).

مزالق الطريق

(٢)

محمد العبدة

قلت في خاطرة سابقة : إن شبكة العلاقات الاجتماعية بين المسلمين واهية ضعيفة ، إن لم تكن بعض حبالها قد تقطعت ، ومن الظواهر البارزة التي يعرفها الجميع ، مما يمارسه بعض العاملين في مجال الدعوة من سياسة (الإهمال) لإخوانهم ، سواء أكان هذا عن عمد أو غير عمد .

وهي سياسة فاشلة من جميع الوجوه ، لأن الأصل في عقد الأخوة المصارحة والمناصحة ، والأمر بالمعروف والشفقة والرحمة ، وتفقد الأحوال كما كان يفعل رسول الله ﷺ حين وصف بأنه يتفقد أصحابه ، حتى أنه يسأل عن المرأة العجوز التي كانت تقُم المسجد حين افتقدها .

وهي سياسة فاشلة لأن الأخ (المُهمَل) سيتألم جداً ، بل ربما أصيب بعقد نفسية وإحباط شديد - وهذا قد وقع - إلا إذا كان قوي النفس ، قوي الإيمان كما فعل كعب بن مالك - رضي الله عنه - عندما هُجِرَ من الرسول ﷺ والصحابة بسبب تخلفه عن غزوة تبوك ، فقد كان يحضر الجماعة ، ويسلم على المسلمين ولكن لم يكن أحد يرد عليه ، وأراد ملك الروم استغلال ذلك ، ولكن كعباً كان مستعلياً بإيمانه فصبر حتى جاء الفرج من السماء .

وهي سياسة فاشلة لأنها تعني أن الدعوة لم تستطع معرفة الرجال ومعرفة القدرات والطاقات ، ووضع كل إنسان موضعه ، مهما يملك من قدرات قليلة .

وهي سياسة فاشلة لأنها دليل على التخلف الحضاري والأخلاقي ، ففيها روح الأنانية والفردية ، فالذي يفعل هذا لا يبقى معه أحد ، وكأنه يقول : أنا ومن حولي نكفي للدعوة.

إن هذا (الإهمال) ليس وليد هذه الأيام ، بل هو من أمراض الدعوة في العصر الحديث ، والحزبية والأنانية تغذيانه ، وإن التحدي الذي يواجهه المسلمون يفرض عليهم أن يكفوا عن هذه السياسة البلهاء ، وأن يستفيدوا من كل طاقة ، وإن الوسائل الحديثة تساعد على تصنيف القدرات ، وإذا لم يفعلوا فما هو إلا الهوى الذي يخفي وراءه التخلف والضعف . .

الثقافة والذوبان

د. محمد عبدالله الشباني

لكل أمة من الأمم، ولكل مجتمع من المجتمعات البشرية ثقافة تحدد الإطار الذي يحكم سلوك أفرادها، ويوضح معالم فكرها الذي بدوره يحدد أنماط السلوك الاجتماعي لأفراد هذه الأمة أو تلك، لتتميز بها عن الأمم الأخرى وهذه الخصائص المميزة يعرف بها نوع ونهج أي أمة.

تتوقف قدرة الأمة على مواجهة التيارات الفكرية والثقافية الوافدة من المجتمعات والأمم الأخرى، على نوعية وصلابة ووضوح المنهج الثقافي الذي تقوم عليه لحمة نظامها الاجتماعي.

والقرآن الكريم يمثل العمود الفقري لثقافة الأمة الإسلامية، فهو النبع الذي تستقي منه الأمة، وعلى توجيهاته وأوامره ونواهيه يقوم بناؤها الثقافي وإليه تلتجيء؛ لتستمد منه الحماية عند تكالب الأعداء، والنيل من أسسها ومتطلباتها التي يرتكز عليها أعداء هذه الأمة بقصد إنهاكها، والقضاء على مصدر القوة الذي عليه تعتمد، وبه تصمد ضد فك ارتباطها بمقوم وجودها.

من النعم الجزيلة التي أنعم الله بها على هذه الأمة أن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ القرآن الكريم، ولم يكل أمره إلى الناس، وإنما أوجب الله على نفسه حفظ هذا الكتاب الكريم، حيث قال سبحانه ﴿ **إنا نحن نزلنا**

الذكر وإنا له لحافظون ﴾ الحجر - آية (٩)، فالقرآن الكريم الذي هو النبع الذي يمد الأمة بالقوة ، ويمنحها الحياة ويشكل إطار ثقافتها ، قد حفظه الله من التحريف والتغيير والزيادة ، وبالتالي بقي وسيبقى الماء الزلال الذي يطفيء ظمأ الأمة الإسلامية على مدار تاريخها ، فلا تلتفت إلى الثقافات الأخرى الوافدة وإنما تستعلي عليها وتستوعبها بدون أن تذوب فيها .

يُقصد بالمفهوم الاصطلاحي للثقافة : وجهة نظر كل فرد من حيث السلوك والعلاقات الاجتماعية ، واتجاهه الفكري وسلوكياته ، وما يتضمنه ذلك من واجبات ، وما يرتبط بذلك من محددات للذوق والأخلاق ، وما يقدسه وما يظهره من ولاء ، فكل ذلك يشكل ثقافة المجتمع ، فالثقافة تحدد نسق الحياة من خلال خصائصها المتمثلة في اشتراك جميع أفراد الأمة بالخضوع لها في سلوكياتهم ، وبالتالي فإن لها دور في وضع معايير منتظمة وطبعية كقواعد مشتركة للسلوك والنظام الاجتماعي القائم ، على القواعد الأخلاقية .

وقد يتساءل القارىء ما هو دور الثقافة في تحديد سلوكيات وأنماط أفراد الأمة ، والحقيقة أن دورها يتمثل في تزويدهم بالأمور التالية :

١ - تهيئة أساس التفكير والشعور .

٢ - تزويدهم بالتفسيرات المقنعة عن أصل الإنسان ، وطبيعة العالم ،ودور الإنسان في الحياة .

٣ - تزويدهم بمعاني الأشياء والأحداث ، وبالتالي تحديد المفاهيم الأساسية وتحديد ما هو طبيعي وما هو غير طبيعي ، ومنطقي وغير منطقي وعادي وشاذ ، وأخلاقي وغير أخلاقي ، وجميل وقبيح ، وخير وشر . . . فالثقافة تعطي معنى للحياة ، وهدفاً للوجود .

٤ - بناء الشعور لدى الأفراد بالانتماء إلى الأمة .

إن القرآن الكريم يجيب على هذه الأمور كلها ، فهو يحدد الإطار الشامل والكامل لثقافة الأمة ؛ ولهذا فإن الاهتمام بالقرآن دراسة وحفظاً وتطبيقاً من أهم الأمور التي يجب على الأمة بمجموع أفرادها أن تهتم به وتعتني به ؛ ولا شك أن السنة النبوية الصحيحة من القرآن لقوله ﷺ : (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه) .

فقد أولى رسول الله ﷺ عناية خاصة بالقرآن الكريم ، باعتباره مصدر الثقافة الذي يقوم عليه البناء الاجتماعي للأمة ، روى الإمام البخاري - رحمه الله - عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ، وفي رواية أخرى (إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه) فتعلم القرآن الكريم يتمثل في معرفة أحكامه ، والتأدب بآدابه ، وفعل أوامره واجتناب نواهيه ؛ وتعليمه يتمثل في إرشاد الناس قولاً بتعليمه إياهم ، وسلوكاً بالالتزام به ، فيكون سلوك الفرد المسلم متطابق مع أوامر ونواهي القرآن .

والقرآن الكريم يحوي بين دفتيه نظام شامل لتنظيم حياة الأمة سواءً ما يتعلق بتحديد وتوضيح النظرة إلى الوجود ، والإجابة الكاملة على عدد من التساؤلات : حول الوجود ، والغاية منه ، ومآل الإنسان الذي ينتهي إليه ، أو ما يتعلق بتنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وعلاقة الأمة بالأمم الأخرى بحيث يشكل عقل الفرد المسلم ضمن الإطار الذي يرضي الله ، ويجعل الأمة المسلمة حقاً خير أمة أخرجت للناس .

لقد أدرك الأعداء من النصارى واليهود أهمية التصاق الناس بالقرآن الكريم والتزامهم به وبتعاليمه ، وأن الأمة الإسلامية لا يمكن هزيمتها ما دامت مرتبطة في فكرها ، وسلوكها ، وتشريعها به .

إن الهجمة الصليبية المعاصرة أخذت طابعاً مغايراً عما سبق ، وأدركت أن القضاء

على الأمة الإسلامية لا يتم من خلال الاستيلاء العسكري على البلاد ، وإنما لابد من القضاء على البنية الثقافية للأمة ، والمتمثلة في إبعاد القرآن الكريم عن واقع حياة الناس بحيث لا يكون له تأثير على سلوكيات الأفراد ، ولا على تنظيم حياة المجتمع المسلم .

إن المنهج الذي اتبعه الغرب الصليبي لفك ارتباط المسلمين بالقرآن الكريم يتمثل في الأمور التالية :

١ - إضعاف اللغة العربية بالدعوة إلى العامية ، ونشر اللغات الأجنبية بين الناطقين باللغة العربية ، من خلال المناهج التعليمية التي قللت من الاهتمام بدارسة قواعد اللغة العربية : من حيث التراكيب النحوية ، أو من حيث فقه اللغة العربية ؛ ولذا شجعت القيادات الثقافية في الدول العربية - والتي تربت قبل رحيل الاستعمار العسكري في المدارس الأجنبية - الاتجاه الحداثي المتأثر بالتيارات الفكرية العلمانية .

٢ - إضعاف النظام التربوي والتعليمي في العالم العربي ، ومحاربة أية توجهات تربوية تقوم على البناء الثقافي المرتكز على القرآن ؛ وذلك بالتقليل من المواد الدينية ، ومحاربة كل توجه جماهيري لدراسة القرآن وتوسيع نطاقه .

٣ - إحلال القوانين والتشريعات والتنظيمات المستمدة من الفكر العلماني الوافد محل التشريعات الإسلامية القائمة على الشريعة الإسلامية ، من أجل خلخلة البنية الثقافية للأمة ، وإحلال البنية الثقافية الغربية .

٤ - ربط التنظيم الاقتصادي للمجتمعات الإسلامية بالأنظمة الرأسمالية العلمانية ، من خلال التشريعات والنظم الاقتصادية ، مثل التمكين للفكر الربوي المحرم ؛ ليكون قاعدة بناء الاقتصاد في الدول الإسلامية ، وربط هذا الاقتصاد العربي ليكون تبعاً له ضمن دائرة الاستهلاك .

٥ - ضرب الوعي الإسلامي من خلال الإبقاء على القيادات الماسونية والعلمانية ؛ لتسلم القيادة في الدول الإسلامية ، وتوجيهها لمحاربة أي توجه إسلامي ، أو دعوة إلى الثقافة الإسلامية من خلال القضاء على القيادات السياسية والفكرية الإسلامية ، ومحاربة كل توجه للانعتاق من السيطرة الاقتصادية الغربية .

٦ - التمكين للسلوكيات الغربية في البيئات الإسلامية من الانتشار ، وذلك بخلخلة القيم ، من خلال السيطرة بطريق مباشر ، أو غير مباشر على وسائل الإعلام من صحافة وتلفزة وإذاعة ، واستخدامها قنوات للهدم الفكري والسلوكي للأمة ، بتوجيهها للتشبه في حياتها الاجتماعية بالحياة الاجتماعية الغربية ؛ مما يؤدي إلى التفسخ الاجتماعي ، وذوبان المجتمع وعجزه عن مواجهة التحديات المعاصرة .

إن مجابهة هذه الحرب العلمانية على المسلمين يقتضي من المسلمين أفراداً وجماعات العودة إلى النبع الذي يمنح الأمة القدرة على الصمود تجاه هذه الحرب الضارية والمدمرة ، المعلنة تجاه البناء الثقافي للأمة ، وذلك وفقاً للأمور التالية :

١ - العمل على نشر حلقات تحفيظ القرآن الكريم وتدريسه للصغار والكبار بحيث لا يخلو مسجد من مساجد المسلمين من حلقة تعليم للقرآن ، وأن على الموسرين إمداد القائمين على إدارة هذه الحلقات بالمال ، وتشجيع الناس على وقف جزء من أموالهم لهذا المشروع .

٢ - يجب أن تشتمل حلقات تحفيظ القرآن على دروس لتفسير معاني القرآن حتى يُتَمكَّنَ من فهم معانيه ، وتكوين حلق تدريس وحفظ القرآن لتعليم الناس أحكام وتعاليم ما يقرؤونه ويحفظونه من القرآن الكريم .

٣ - العمل على إيجاد حلقات في المساجد ؛ لتعليم السنة الصحيحة ووفقهها

وتعليم اللغة العربية وتدريسها ، ورفع مستوى فهم اللغة العربية سواء من ناحية معرفة التراكيب النحوية ، أو التراكيب اللغوية .

٤ - ضرورة مشاركة أئمة المساجد بتخصيص وقت قصير بعد أحد الصلوات المفروضة يومياً ؛ لقراءة وتفسير آيات من القرآن الكريم من أحد التفاسير المعتبرة مباشرة بعد الصلاة ؛حتى يمكن لعامة المسلمين زيادة ثقافتهم ومعرفتهم بمعاني ما يقرؤونه من القرآن ، وبالتالي ربط عامة المسلمين بالقرآن حتى يمكن على المدى الطويل إعادة الناس إلى الالتصاق بالنبع الذي يروي وينمي ثقافتهم .

إن الحرب على البناء الثقافي للأمة الإسلامية في هذا العصر قد بلغ مداه وإذا لم يقم أفراد الأمة بمسئوليتهم تجاه الدفاع عن كينونتهم الثقافية ، والمتمثلة في القرآن الكريم ،من خلال دراسته وحفظه وتطبيقه في واقع حياتهم الاجتماعية والسعي إلى المطالبة بالعمل على أن يكون القرآن الكريم والسنة الصحيحة هما المصدر الذي يستمد منه الأفراد سلوكياتهم وتنظيماتهم الاجتماعية والاقتصادية . . . فإن خطر ذوبان الأمة وتفككها ، سيكون هو النهاية التي ستؤول إليها الأمة الإسلامية .

النشيد الأخير لصاحبي

محمد شلال الحناحنة

وردةٌ لكْ
لنسيم يشاطرني فرحتي بالصديقْ
لخيامٍ تبادلني بعضَ حزني الطليقْ
للطريقْ . .
للذين سَموا لقلاع التقى
للدماء التي حرست جنتي وخطايْ
للذي برّني باعثاً بنزيف دمهْ !
صامداً في العراءْ
واعداً بانتعاش الزنابق بين حواكيره المثخنةْ !
ممسكاً بكتاب الهُدَى
واهباً للتراب الحزين نَوَى ليلتهْ
قد تنفس صبحُ الغريب على قامتهْ
نَشَر الأرزُ أمنيتهْ
شَهدَ الفجرُ أدعيَتهْ
ورَمى الله طلقتَه الصائبهْ !

* * *

صاحبي لم يزلْ صاحبي

لم يكن طاعناً في السياحة . .
أو موفداً دولةً قاصيةْ
لم يباركْ خطا السيد المتساقط
بين اليهودْ
لم يساومْ على قدسه لضباب المحيطْ !
لم يكنْ (أمره فُرطاً)
لم يكن أبداً باسطاً راحتيه يحومُ . .
على الشفق المترفهْ . .
لم يقايضْ صفيحَ المخيم بالفندق الأجنبيّ
لم ينافق رموز المذلة أو ينتهي للهوىً
أو لطاولة مستديرةْ !
إنما حفظ (العصر) و(المائدةْ) !!

* * *

يا أُخَيَّ امتشقْ لغتيْ . .
وامتشقْ وجعي وجهادي !
فقواك تهد الغوايةَ . .
ما من قصيد يُطرِّزُ فكرتك الساميةْ .
أنت عذتَ بَرب العالمينَ . .
ولذت بسَورتنا الحافظة !
والبلابلُ آبتْ إلى سدرة الروح . .
أنت (الأصوليُّ) . . والأصل لَكْ . .
يا أُخَيَّ لنا أُفُق الانتفاضة
وقعُ الأناشيد ، والفتحُ حينَ يفجُّ النهارْ . .
يا أُخَيَّ لنا ساعةُ الجمعةْ . .
ولنا آيةُ البقرةْ !

صراعات الأحداث وحتمية المواقف

سليمان عبدالعزيز الربعي

في حياة الأمم ، كل الأمم ، مفترقات صعبة ومصيرية ، ترسم على لوحة الأفق روانق الغد المنتظر ، إنَّ ذلك لا يعني هلامية بعيدة الوقوع ، أو قفزة ذهنية تميل إلى الشطط الخيالي المستحيل ، كلا ، فالطرق المؤثرة هي في الوقت ذاته إفراز طبيعي لمعطيات الحاضر عينه ، غير متباينة عن محيطه ولا غريبة عن تفاصيله وملابساته الخاصة لأن تلك سنة الله جل وعز المطردة .

إنها سبيل كوني قائم ، يربط في غالبه بممارسات حكام الأرض ومدافعاتهم ، التي تتشكل كيانات من آثار السنة الآنفة ، وهي في صورتها غير محتاجة إلى أمثلة يمكن ترشيحها للتدليل ، فمادتها قريبة من العيان يجتهد المرء فقط في عملية الانتقاء .

وأما في قليلها الشارد فترتبط بإحداث انقلاب عارم وتغيير يجوز أن يحكيه بعض ما جاء في القصص القرآني كقصة النبيين نوح ولوط - صلى الله عليهما وسلم - مع قوميهما ، وما صحب ذلك من تبدل كوني هائل ليس في مسرح الواقعتين فحسب ، بل في الأرض جميعاً ، وهذا السنن هو ما عناه بعض العلماء

- رحمهم الله - عند الحديث عن مسألة طويلة اصطلحوا على تسميتها «بسنة الخلفية» وحتمية المداولة ، وهو ما ينطبق تماماً على الإرث السلوكي والنفسي والاجتماعي والمبدئي والمصيري في حياة الشعوب كلها .

والأمة الإسلامية تبدو لنا في حاضرها رهينة مرحلة مخاضية لا بأس أن نطلق عليها مرحلة «التغيير والتجذير» أو «مرحلة المكاشفة» ، وهذه المرحلة خطيرة - لا شك - إذ تتحدد على ضوئها المناهج وتتضح إثرها أرضيات التفاعلات الجديدة في مدى الأحداث الساخنة في العالم .

ونحن عندما نذكر طرفي المعادلة ، أو المرحلة ، في مادتها فلا يمكن أن نهمل طرفيها الحسيين اللذين ينبثق منهما بيان التجسيد للصورة - حقا - لقد برزت على السطح تيارات كثيرة ، وهي تيارات تصطف جميعاً حين المواجهة مع خصومها الألداء «الإسلاميين» علي نسق واحد يبهر المرء التفافه السريع وفي ذلك الظرف بالذات ، يدل عليه تواصٍ شديد بالمواجهة وعلى كافة المحاور كل بحسبه «وما تخفي صدورهم أكبر» .

وإذا كنا نعيش في القرن الخامس عشر الهجري ، فليس بمستغرب البتة اختلال موازين القوامة ، وبُعد البشرية عن تلمس طريق النجاة ، ومضاؤها إلى الهوى في صلف وتعنت غريب ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾[1] .

في غمرة ذلك لا نستطيع أن نطالب بما لا يمكن حدوثه على وجه كوني إلا بمعجزة ربانية .

إذن ، ماذا يُطلب من المسلمين على وجه التحديد ؟ إن الجواب على هذا

التساؤل المهم يكمن في استشعار المسلمين ، كل المسلمين ، فيما يعايشونه مْن أحداث ومدلهمات ، تلك التي علمتنا بأنه ليس ثمة مكان للكسالى ولا وقت للدعة والإخلاد للراحة ، بل سباق مستعر في ميادين السؤدد ، أو على الأقل إلى إبداء الرأي والبحث عن موقع للاستقلال الفكري والاختياري. إنَّ مشكلة جل المسلمين ليست في سذاجة أفكارهم ، بل في أنهم لا يفكرون ، وتراهم يصادرون ملكاتهم ويتسولون فتات الآراء والتوجهات من تحت موائد اللئام.

لقد مضت الأمة تتنكب سبل المبادىء إزاء أحداثها التي تدار منذ قرون بيد شياطين من الإنس ، ويظل السؤال الكبير المؤلم : من سينبه المكلومة إلى ضرورة الوعي بدينها ومبادئها ، ومتى سيتم ذلك ؟ إن من الضروري أن نضع مشكلاتنا تحت مجهر التشريع بمعاييره المعصومة ، كي ننجح في إيجاد مرجعية موقرة في نفوس الجيل المستشرف ، مؤمنين بأنه ليس من المتعين أن نشاهد نتائج ذلك بأنفسنا ، فنحن في الحق متعبدون بالبلاغ فقط ، وأما مترتباته فهي بيد البارىء سبحانه يُخضعها لحكم عديدة.

لقد سئمت الأجيال المسلمة دجل المتنفذين وسكوت الصالحين بحجة العجز عن التغيير أو الضعف في التأثير ، ولست أدري بالضبط متى يفقه أولئك أن مجرد الإصرار على المبدأ ضمانة أكيدة لثقة الجماهير ودعامة حية للاحتذاء وإيمان خالد بعدالة قضايانا ، وأهليتها في سباق التصارع من أجل النصر والتمكين.

إن الرجال مواقف ، وإن الموقف سجل تاريخي يُشرق به الغد أو يظلم لقد مضت سنة الله تُثبتُ أن رجال الحق قليلون وأن الحق على الدوام مُحارب

وأن أهله في الدهر مُصارعون ، وتثبت أيضاً ، أن هذا الحق لابد سيظهر ولو بعد حين ، وهنا يتبين أن الأهمية تتجسد في التجالد عليه ، والمنافحة عنه . إن من حق الجيل أن يرى قيم الدين واضحة في الحدث الممارس يطبقها المسلمون أجمعون ويدعو إليها الدعاة والمصلحون ، أوليس من حقه أن يقف في الغد القريب موقناً مما يحدث في محيط المسلمين على امتداد خطوط العرض والطول؟ ها نحن نعايش في ساعتنا ما يُحاك في قضية فلسطين من تلاعب سافر بالثوابت وخضوع ذليل لليهود ، ومن قبله الزعم الكبير في اختزال مسؤولية القدس في ثلة من سقط الناس وبقية من غثاء العرب ، ومعه استمرأنا السكوت كما تعودناه في البوسنة والصومال وكشمير وكثير من بقاع الإسلام الجريح .

إننا نتساءل : أوليس من حق كل مسلم أن يخبر عن السبب في تحول مصطلح «إرهابي» إلى كل (رافض للاستسلام) من قبل من قبلوا التوقيع ورضوا بأن يكونوا مع الخوالف ؟ أوليس من حق كل مسلم أن تُقرى الصورة أمامه وتُحسر عن دغل ودخل سياسات الدمى ؟ أوليس من حق كل مسلم أن يطلع على النسخة الأصلية من عمليات التشكيك في ثوابت الدين لظرف مفروض ومن المسلمين مرفوض ؟ أوليس من حق كل المسلمين أن يعلموا لم كُتب على المخلصين دفع فاتورة الرأي والكلمة الهادفة في زمن التطبيل والطنطنة ؟ أوليس من حقنا جميعاً أن ندري لم سيم الشعب في ليبيا والجزائر وتونس و . . . عذاباً ومهانة ؟ أوليس من حق الجيل القادم أن يعلم - على الأقل - ثوابت وجوده ومعالم الإرث الثابت كيما يواصل مسيره ؟ بلى ، إن ذلك حق مشاع لهم جميعاً .

لقد آن تحقيق كل ذلك من خلال التعاون الجمعي البعيد عن التفرد ، فإن من الخطل أن نظن أن تلك مهمة طائفة تخصصية بعينها أو كوكبة فكرية مُسماة لأن الدين بلاغ الجميع وقضية كل مسلم ، وإذا كنا نعتقد أن ذلك البيان يُكلف الدعوة والصحوة ما لا طاقة لها به ، فنطرح حلول سياسة النعامة ، فإننا لم نزل في سوء ظنٍ بأهل الإسلام وجماهيره. إن الأمم الكافرة تجد في قوة جماهيرها ما يشجعها على المطالبة بحقوقها المشروعة ، ورفض كل واقع لا يسرها .

لقد شاهد العالم كله كيف وقف الروس بصدورهم العارية أمام أرتال الدبابات حينما هُدد وجودهم بالدعوة إلى الردة الشيوعية الحمراء مرة ثانية وها هم الصينيون ، يصمدون أمام ثورة القوة وصولجانها الغاشم ، رفضاً للممارسات الديكتاتورية ، بل ها هم تجار المخدرات ورجال العصابات يغامرون بأرواحهم لأجل هدف تافه أو لذة عابرة ، أفترى أن المسلمين – أصحاب الهدف السامي النبيل – يجبنون عن التضحية في سبيل تحقيق البيان الإلهي ؟! إن ذلك – ولا شك – سوء ظن أثيم ، ونحن حين ارتضيناه منهاجاً بُلينا بليل مدلهم يُجيد الحداءَ فيه نُفَّاخُ الأبواق ، في حين بقي الناصح هدفاً لأسهمهم الرائشة ، ينعتونه بشتى الأباطيل ويحاصرونه على جُدر الانفراد في غياب تام عن الوعي التراص ، إن البيان للجيل مهمة خطيرة يجب أن تعنينا جميعاً مشاركة في الإصلاح وسداً للثغرات حتى تشمل الداعية في مجلس توعيته ، والأستاذ في قاعة درسه ، والأب في بيته والأديب في ساحة قلمه والطبيب في مستشفاه والصانع في مصنعه والحرفي في حرفته ، والزارع في حقله ، والرسام في مرسمه ، والراعي في

مراعي سهله وعلى سفوح جبله فتلك صناعة الحياة .

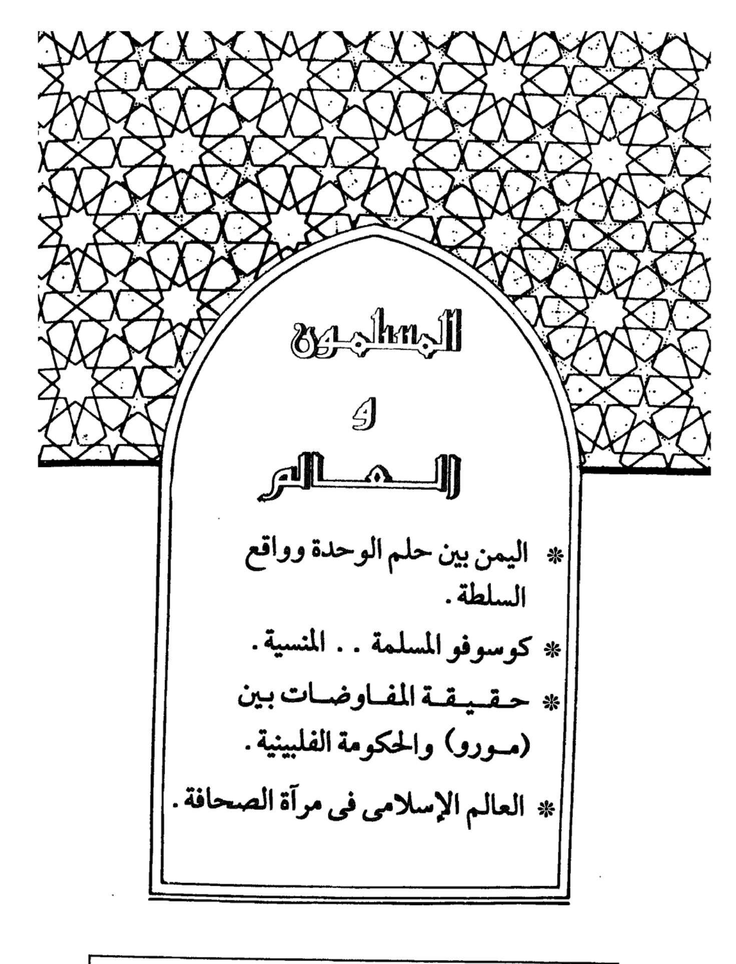
إن من الخطورة ألا نشعر بمصيرية المرحلة وافتراق الطرق وألا نضع الخطط للأحداث . والدراسات للتأثير وألا نجهد في إصلاح حالة الضعف المزمنة عند كثيرٍ من المسلمين .

والسفه الأضر الأطم أن نقع في سلبية أفجع حين لا نتفاعل مع أحداثنا المدركة بحضور مؤثر ، مع كونها شامات عظمى تظهر جلية على خارطة الممارسات المباشرة . إن من حق السالكين للطرقات الواعدة قراءة يومنا من خلال مساحات التأمل السليم والمعالجة المخلصة والرأي المسجل والمبدأ الراسخ السديد ، فتلك هي القضية .

والله المستعان .

---

(١) سورة الجاثية ، آية (٢٣).



المسلمون و العالم

* اليمن بين حلم الوحدة وواقع السلطة .
* كوسوفو المسلمة . . المنسية .
* حقيقة المفاوضات بين (مورو) والحكومة الفلبينية .
* العالم الإسلامى فى مرآة الصحافة .

اليمن :
بين حلم الوحدة .. وواقع السلطة

د . عبدالله عمر سلطان

في صمت بالغ ، وظروف خفية ، وغرف مغلقة . . . صُنعت الوحدة وأُبرمت صفقة الدولة الجديدة/ القديمة . . . ثم ها هي أعوام تمر منذ ظهورها وإذا النتائج المُرَّة تظهر على السطح وتبدو لكل عين مبصرة . . . فالحديث ذو الصوت الأجش والاتهامات المدوية باتت حديث المجالس ، ومحور اهتمام الأصدقاء قبل الأعداء ، حتى لم يعد هناك حاجة لحاسة البصر في ظل هذا الضجيج المتوالي . .

ولم يكن من المستغرب أن تصل الأحداث في اليمن إلى هذا المأزق وتلك الزاوية الحادة . . . إنها إفراز طبيعي ، ونتاج متوقع «للطبخة السياسية» التي أخرجت مشروع الوحدة بسرعة ودون إنضاج كاف ، فإذا بهتافي الأمس وراقصي البارحة يندبون حظ اليمن التعس، ومأزق الوحدة المتفجر، ويتناقلون الحديث عن التصفيات الجسدية المتبادلة ، والتشطير القادم لا محالة ، وكأنه نتيجة مقطوعة عن أسبابها ، ومولود غير شرعي لفراش الوحدة البائس . . . فلكل من يتساءل عن اليمن ومأساته الحالية : هل من خير في حُمَّى الصراع القائم اليوم بين الأصدقاء المتربصين بعضهم ببعض ،و بشيء من البسط

والتحليل المنطقي نستعرض بعض الأسئلة التي لابد من الإجابة عليها إن عاجلاً أو آجلاً . .

التركيبة والثمن :

قصة الوحدة لا يمكن أن نبدأها من نهايتها أو من منتصفها . . . إنها تستحق أن تُبْدأ منذ اللحظة الأولى التي رأت فيها الفكرة النور ، وحقيقة الأسباب التي أسرعت بإنجازها . . .

لاشك أن عالمنا الإسلامي والعربي خصوصاً يعيش هذه القطرية المصطنعة بعد قرون من الانحسار العقدي ، الذي أدى في النهاية إلى زوال دولة الخلافة العثمانية ، وانهيارها ؛ ومن ثم بروز مشروع الدولة القطرية العلمانية الذي حقق من خلاله الغرب العديد من الأهداف دفعة واحدة ، وفي المثال اليمني ظل حكم الأئمة الزيديين في الشمال نموذجاً فجاً لحالة التخلف والانحسار الذي أدى إلى ما أشرنا إليه من استباحة لديار الإسلام وشريعته ودولته العادلة ، كان الإمام الحاكم في صنعاء يمثل – أوضع تمثيل – معاني الجمود والمذهبية والتخلف الذي لا يمت إلى جوهر الإسلام بصلة، وإن حكم باسم شعار الدين في تلك الفترة، وإن تولى مقاليد الحكم (آل حميد الدين) من منطلق حماية اليمن من الآخرين ، أما جنوب اليمن فكان صورة أخرى من صور الدهاء الاستعماري البريطاني حيث تحكم بريطانيا الساحل الاستراتيجي مباشرة ، وذلك في منطقة عدن ، بينما يتحكم حكام ومشائخ صوريون في بقية المناطق الداخلية التي لا يوجد فيها مصالح اقتصادية أو عسكرية مباشرة ، عملاً بمبدأ فرق تسد . . . حتى إن هذه المشيخات الهزيلة كانت تتشاحن فيما بينها على أحقية كل منها في إصدار طوابع البريد الفاخرة ، التي كانت تمثل الدخل العام الرئيس لبعضها ،

بينما لم تكن تملك من مقومات الدولة شيئاً ، أو من مستلزمات السيادة إبجدياتها .

لقد استعمر الإنجليز الجنوب لعقود طويلة حرصوا خلالها على امتصاص خيرات البلاد ، وتطوير مناطق التماس بمصالحهم المباشرة ، والمتمثلة في ميناء عدن وما حوله ، أما الداخل أو ما يشكل أغلبية البلاد فظل يحكم بأسلوب لا يقل تخلفاً عن شمال اليمن ، وإن كان تسلط «مشيخات الطوابع» أقل بكثير من تسلط حكم آل حميد الدين ، الذين حسبوا أن الاستقلال عن الاستعمار يعني أن يمارسوا استعماراً داخلياً ، لا يقل أذاه عن الاستعمار الخارجي في ظل حالة من التردي العقدي ، حيث كان الخرافيون وطابور الصوفية ينخر في جنوب اليمن كما كانت المذهبية والقبلية تكبلان شماله ؛ ودون الخوض في تفاصيل «الاستقلال» الذي حصل للشطر الجنوبي ، فإن من الأهمية بمكان أن نشير هنا إلى أن الثورة التي قامت في الشمال بُعَيْد الإطاحة بحكم الأئمة ، ظلت تتصرف بنمط سياسي لا يبعد كثيراً عن الأئمة وأدواتهم السياسية . . . صحيح أن الآلاف من أبناء اليمن قد قتلوا نتيجة قتال وحشي ، وتدخل مصري هو أقرب للتورط ، إلا أن الثورة سرعان ما ظهرت على أنها صورة أخرى لواقع العالم الثالث المتخلف والشديد الجمود . . . فالثورة لم تكن تحمل رسالة حقيقية تنهض بالشعب اليمني ، بل إنها كانت تحمل شعاراً ضخماً وفضفاضاً يحاول أن يرضي الذين صنعوها ، والذين يشكلون خطراً عليها . . . وهذا هو الفرق بين حركات إصلاحية تنبعث من صلب الأمة وذاتها ، وتلك التي لا تتعدى كونها موجة عابرة أو صدى مغشوشاً . . .

قامت الثورة في الشمال وبعد عقدين من قيامها ظلت أدوات وتركيبة

وتعقيدات الوضع كما هي . . . فبدلاً أن يحكم البلاد إمام زيدي . . . جرى استبدال ذلك الإمام بضابط . . . زيدي هو الآخر . . . ، وظلت القبيلة ووجهاؤها أهم محرك ولاعب في الحياة السياسية اليمنية . . . لكن بدلاً من أن يحكم مجلس القبيلة مباشرة استبدل ذلك «بحزب» يحمل اسماً مستعاراً وجمع الشيخ بين المشيخة والمسؤولية الحزبية بدلاً من أن تكون له المشيخة فقط في عهد الإمام . . . أما النمو الاقتصادي فظل بطيئاً للغاية وظلت الثورة (حتى قبيل حرب الخليج) معتمدة على دعم «الإخوة العرب» كما كان الوضع في عهد الإمام . . . أما نسبة الأمية فقد ساهمت الثورة في تخفيضها بشكل متواضع حيث لازالت اليمن من البلدان التي تعاني من أمية طاغية .

المشكلة الحقيقية تكمن في أن الثورة اهتمت بالشكل كثيراً . . . ولم تهتم بالمضمون . . . وربما كان أنصار الإمام المخلوع يؤكدون أن ما كان سيقوم به البدر لو سنحت له الفرصة لايبتعد كثيراً عن إنجازات الثورات المتعددة التي وجدت نفسها في النهاية تحتفل بعيد الثورة . . . لكن ما هو ثمن الثورة . . . الحقيقي ، وما هي إنجازاتها ؟!

صحيح إن النقلة التي تحققت في الشمال خلال حكم «الأئمة العسكر» كما يحلو لبعضهم أن يسميهم ، إتسمت بشيء من الحرية النسبية ، والرضوخ لقواعد اللعبة الجديدة ، إلا أن «شعار الثورة» كان يفتقد في الحقيقة إلى رسالة إصلاحية تبعث الشعب اليمني من سباته كما حَلُم المصلحون الأوائل الذين تصدوا للإصلاح في عهد الإمام . . . فإذا بالوحدة المعروضة من قبل الشمال تشكل مخرجاً لقيادة طموحة تبحث عن رسالة أو «برنامج» يجمع الشعب من حولها ، كما يضيق من حجم الخلاف حول الثروة البترولية المقبلة والتي تقع

على الشريط الحدودي مع دولة الجنوب التي كانت تعاني حقاً من نتائج ما سمي «حرب القبائل الشيوعية» التي اندلعت في يناير ١٩٨٦ .

لقد كان الحزب الشيوعي الجنوبي يرى في الوحدة مخرجاً من مأزق تضاؤل شعبيته ، وانحسار شعاراته وإنجازاته ، مع تفكك المنظومة الشيوعية التي كانت تمده بالدعم ، كما أن الموجة الإسلامية العارمة التي بدأت تدق الديار الجنوبية تقتضي تحالفات إقليمية ودولية جديدة . . . لقد كان مأزق الشيوعيين الجنوبيين أكبر بكثير من المأزق الذي عاشته حكومة صنعاء ، لذا فقد سارعوا لركوب موجة «الوحدة» التي أصروا على أن تصاغ تشريعاتها بأسلوب علماني مستفز لقطاع عريض من أبناء اليمن المسلم ، ولكي تقع مسؤولية فشل مشروع الوحدة على عاتق «الرجعيين» من أبناء الحركة الإسلامية .

لقد كان مؤلماً أن يتحول مشروع مثل مشروع وحدة شعب واحد بعد طول شتات إلى قنطرة تشكل مخرجاً لمأزق النظامين الشمالي والجنوبي ، ويلقى بها طعماً شهياً تلتهمه شعوب طالما تمنت التوحد بعد الشتات ، والالتقاء بعد الافتراق والتكتل بعد التشرذم ، كما كان واضحاً منذ اليوم الأول أن ظمأ القابضين على مقاليد الأمور في الشطرين ، لا يطفئه إلا تقاسم النفوذ والسلطات في الدولة الجديدة ، التي فصلت في صورتها الوحدوية لتناسب مقاس الفريقين الحاكمين ولتهمش حركة المعارضة ، التي تمثلت في التيار الإسلامي الذي حاول أن يلفت النظر إلى فداحة جريمة التلاعب بالدستور ، وتحكيم غير كتاب الله لاسيما في المراحل الأولى للمشروع .

لقد بلغ الأمر بالمتفائلين واللاعبين على وتيرة العاطفة ، ودغدغة المشاعر إلى تشبيه وحدة ألمانيا بالوحدة اليمنية . . . وكم كان الفرق شاسعاً بين التجربتين

والولادتين . . . فالمؤسسات الدستورية عززت كلمة الشعب الألماني ، ونقلت الشعار إلى واقع وقدرت حجم النقلة وتكلفتها وانعكاسها ، بل مخاطرها على مشاعر وأحاسيس الشعوب المجاورة . . . أما الوحدة اليمنية فكانت شعاراً جميلاً عززته مطامع الحكام ، وغذته طموحات الآمرين والناهين ، وشكلته في نهاية المطاف مآزق ومنطلقات حرجة ، بدلاً من أن يكون مشروعاً تحميه المؤسسات والأفراد والأجرار . . .

وحتى لا نلوم اليمن وحده ؛ لأن في مثاله نماذج شبيهة لحالات قائمة فإن المجتمعات التي تفهم من الثورة أنها شعار جذاب ، والوحدة أنها علم واحد والدولة على أنها تقاسم للمناصب والثروات ، والديموقراطيه أنها ثرثرة سياسية وتجميع للأزلام والمحاسيب في صورة حزب . . . هذه الشعوب تملك الشعار لكنها وقت الاختبار تعجز عن حمايته والذود عنه ، فهيكلية السلطة وتوزيع القوة في هذه المجتمعات هو رهن القوة المجردة ، والتي تتمثل اليوم في اليمن في قوى رئيسية ثلاث : الجيش (بشقيه الشمالي والجنوبي) و(القبيلة) و(ما فيا السوق المستفيدة من الوضع القائم) . . . وهي قوى تملك من خلال علاقتها وتحالفاتها أن تقول للوحدة استمري إذا كان هذا في مصلحتها . . . أو أن تقول لها انفرطي إذا كان هذا لا يخدم مصالحها الضيقة . . . إنها لغة واحدة : لغة القوة لا لغة العاطفة والأحلام هي التي تقرر مصير ومستقبل وحدة كهذه . . . أما الشعوب التي لا تملك المؤسسات والرموز والجذور القوية القادرة على فرض إرادتها وإيصال رسالتها ، فهي لا تمثل في المحصلة النهائية إلا سوقاً استهلاكياً مشاعاً تمارس الزعامات من خلاله زعامتها ، وتطل المليشيات عليها لتلقي هتافات النصر وأهازيج الانتصار . . . الانتصار إما بحصول الوحدة أو بانقشاعها حسب ما تقرره المليشيات الحاكمة .

فتش عن الأصوليين !!

الساحة اليمنية في أحداثها المتلاحقة اليوم ساحة تملك كل عناصر الإثارة الإعلامية والصحفية ، التي يحاول جهاز الإعلام العربي ترسيخ أسبابه وتسطيح جذوره ومكوناته في عنصر واحد لا غير . . . هو سبب الشقاء الواقع والانكسار المخيم على الديار . . . إنه الإسلام ودعاته ممن يسمون بالأصوليين . . . في اليمن اليوم كل ما يذكر القارىء العربي بهذا «المارد» الذي رُسمت ملامحه في الشقق المهاجرة التي تمارس الصحافة . . . في اليمن اليوم اغتيالات وعدم استقرار ، وفرار رؤوس الأموال ، وتضخم مخيف ، وتحركات عسكرية وتهديدات متبادلة لا يمكن أن تنطبق مواصفاتها إلا على الأصوليين «أعداء السلام» والاستقرار . . . لكن الذي حصل ويحصل أمر آخر ، فالأصوليون لسوء حظ الجهاز الإعلامي العربي ليسوا في الصورة ، بل إنهم عامل تهدئة للأوضاع (حتى لو كانت فاسدة) وتركيز لوحدة طالما اعترضوا عليها بالأمس لكفر تشريعاتها ، ثم هم اليوم يحاولون تعديلها بعد أن تكشف للجميع أن الذين يعملون على التشرذم والشقاق والتشطير ليسوا هم الإسلاميون «الرجعيون» ، بل إنهم التقدميون . . . نعم الأخوة التقدميون شمالاً وجنوباً . . . والأمر يعود ببساطة إلى أن هذه القوى التي مارست الحكم قبل الوحدة لا يمكن أن تستمر في جو الاستقرار ، والتعددية الحقيقية ، والرأي الحر المدعوم بقوة شعبية . . . لقد كانت فترة الوحدة منذ يومها الأول مرحلة استقطاب للقوى وتقاسم للنفوذ والسيطرة . . . المؤتمر الشعبي الحاكم في الشمال يمثل مصالح وطموحات الرئيس اليمني ، وحوله الرموز القبلية والبطانة التي رأت في الوحدة صفقة رابحة . . . أما الحزب الاشتراكي فهو لا يمكن أن يوصف إلا بأنه مليشيا حكمت بالحديد والنار شعباً أعزل ، ثم لما رأت المليشيا أن سلطتها تتآكل

وفطن قادة الحزب إلى أن نفوذهم يتقلص ، لجأوا إلى إثارة أكثر المشاعر رجعية وتخلفاً وهمجية حين بدأوا يثيرون النعرات العرقية والمذهبية ، في سبيل بقائهم في الواجهة . . . إنها معركة لا تحتمل وجود طرف آخر ، فالوحدة كانت وربما ستظل وسيلة لتصفية الحسابات ، وإحكام القبضة على السلطة بعد حدوث المتغيرات الدولية الضخمة منذ عام ١٩٨٩ .

أليست السلطة الحاكمة في عالمنا العربي تطرح مأزقها اليوم في اليمن بكل ثقله وانعكاساته وظلاله السوداء . . . ألا يستحق هذا المشهد الحاضر الآن أن تُسلط عليه الأقلام المستقلة ، والصحافة الحرة ، بعض الضوء حينما تناقش الانهيار في مناطق ساخنة عديدة في عالمنا العربي تُربط بظاهرة العودة إلى الجذور . . . إلى الإسلام . . .

فتش عن الإسلاميين في أمثلة عديدة تجد أنهم ليسوا كما يصور أصحاب القلوب المريضة ، والأقلام المتنفشة حين يزعمون أنهم سبب كل مصيبة . وداء كل جسد عليل . . . الإسلاميون في كثير من الأمثلة عوامل استمرار لهذه الأوضاع القائمة . . . ونتاج طبيعي لعقد اجتماعي/ سياسي يمارس الفشل تلو الآخر ويتاجر حتى بأقدس المشاعر ، وأكثر الأحاسيس حرارة . . .

المثال اليمني جدير بالتحليل والدراسة لأنه نسخة مكررة للنظام العربي المأزوم اليوم ، والوحدة اليمنية حلم جميل في طريق توحد الأمة ، لكنه يواجه بكابوس السلطة التي لا تعترف بالأحلام ولا تراعي المشاعر بل قد تتاجر بها . . . هنا بالضبط يكمن داء الوحدة اليمنية . . . وربما يكمن غدها القلق . . . هنا أيضا . .

كوسوفو المسلمة .. المنسيّة

عبدالله الكوسوفي

تمتد منطقة كوسوفو (والأراضي الألبانية المسلمة في يوغسلافيا سابقاً) نحو (٢٠) ألف كم٢ تجاورها (ماقدونيا) من الجنوب الشرقي ، وصربيا في الشمال الشرقي ، وسنجاق والجبل الأسود من الشمال الغربي ، وتحيط كوسوفو من الجنوب ألبانيا (الدولة الأم) والمحيط الإدرياتيكي وبحيرة برسبا .

وتمثل كوسوفو بالنسبة للمسلمين الألبانيين كل الأراضي الألبانية المستولى عليها من قبل صربيا والجبل الأسود من عام ١٧٨٧ م حتى ١٩٤٥ م ، وتسكن هذه الأراضي الغالبية العظمى من المسلمين الألبان من القديم وإلى يومنا هذا .

ومن أجل تسهيل عملية القضاء على هذا الشعب المسلم فقد جزأت السلطات الصربية (وبترحيب من مؤتمر لندن سنة ١٩١٣ م) منطقة كوسوفو وضمت تلك الأجزاء إلى ثلاث جمهوريات يوغسلافية : ماقدونيا والجبل الأسود وصربيا .

أصل أهل كوسوفو :

إن أصل الكوسوفيين (الألبان) من القبائل الإيليرية ذات الجنس الآري

وسموا بأكثر من اسم منها : الألبان والأرناؤوط واشكيبتار ، واتفق المؤرخون على أنهم أول من نزل شبه جزيرة البلقان - في عصر ما قبل التاريخ - على شواطيء البحر الأدرياتيكي الشمالية والشرقية قبل آباء اليونان ، وكان ذلك منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، ثم توسعت وانتشرت القبائل الإيليرية في أنحاء البلقان ، وبعد ذلك اجتمعت القبائل وانتخبت رئيساً لها وأنشأوا دولة لهم قبل الميلاد بثلاثة قرون ؛ وجمهورية كوسوفو اليوم تقع في الموقع الذي كان يسكن فيه أجدادهم الداردانيون والقبائل الإيليرية الأخرى ، وكانت دولتهم تسمى داردنيا ، وبمرور الزمان ضعفت دولتهم فاحتلها الرومان ، وبقيت تحت احتلالهم إلى أن زالت امبراطوريتهم ، وانقسمت إلى شرقية وغربية فأصبحت بلاد الألبان تحت حكم الإمبراطورية الشرقية ، حتى فتح العثمانيون بلادهم ونعمت قروناً تحت حكمهم.

اعتناق الكوسوفيين الإسلام :

اتفق المؤرخون على أن الإسلام دخل إلى البلاد البلقانية قبل الفتح العثماني ، وذلك عن طريق التجار والدبلوماسيين والدعاة ، إلا أن ذلك كان على نطاق ضيّق ومحدود ، أما انتشار الإسلام في تلك البلاد فقد كان بعد مجيء العثمانيين ، ودخل فيه الشعب الألباني أفواجاً ، وحسن إسلامهم وكان منهم في الدولة العثمانية القواد العظام مثل بالابان باشا (قائد من قواد فتح القسطنطينية) وكبار الكتاب والشعراء (كانوا يؤلفون بلغات خمسة هي : الألبانية والبوسنوية والعربية والتركية والفارسية) مثل محمد عاكف أرسوي - رحمهم الله جميعاً.

وقد تمكن الحكم العثماني في جزيرة البلقان بصورة نهائية بعد المعركة

الشهيرة المسماة «معركة كوسوفو» ، التي قاد فيها السلطان العثماني مراد الأول الجيش الإسلامي بنفسه ، وقبيل فوز الجيش الإسلامي استشهد السلطان مراد وتسلم القيادة السلطان بايازيد ، وانتصر على الجيوش المتحالفة (الأوروبية) وقتل الملك لازار (الصربي) وذلك سنة ٧٩٢ هـ (١٣٨٩ م) ، فبعد هذه المعركة الحاسمة خضعت كوسوفو وصربيا تحت الحكم العثماني ما عدا مدينة بلغراد فإنها فتحت في عهد السلطان سليمان القانوني ، وذلك في ٢٦ من رمضان المبارك سنة ٩٣٨ هـ (١٥٢١ م).

وكانت ولاية كوسوفو إحدى أكبر الولايات العثمانية في «رومليا» (أوروبا) وكانت أول عاصمة لها مدينة بريزرن (PRIZREN) ثم بريشتينا (PRISHTINA) وفي الأخير مدينة اشكوب (SHKUP) عاصمة ماقدونيا اليوم ، ومازال فيها إلى يومنا هذا عدد من الألبان أكبر من عددهم في تيرانا عاصمة ألبانيا.

بعد اضطهاد بشع في الفترة الشيوعية الأولى (بعد الحرب العالمية الثانية) نجح المسلمون الألبان في كوسوفو بالحصول على الحكم الذاتي ، وذلك في أواخر عهد الهالك تيتو ؛ وفي مستهل الثمانينات عاد الصرب من جديد إلى تعديل الدستور وابتلاع كوسوفو مرة أخرى ، الأمر الذي رفضه المسلمون وقاموا سنة ١٩٨١ م بثورة شعبية على مستوى كوسوفو كلها يطالبون فيها باستقلال (كوسوفو) عن (صربيا) ومنحها حكم الجمهورية داخل يوغسلافيا الفيدرالية الشيء الذي جعل السلطات الصربية تأمر القيادات العسكرية بقمع المظاهرات السلمية حيث نزل الجيش المدجج بالدبابات والأسلحة الحديثة وقتلوا من المسلمين في يوم واحد أكثر من ٣٠٠ شخص.

فاستمر المسلمون في المطالبة بحقوقهم إلى بداية انهيار الشيوعية حيث بدأت كل جمهورية تأخذ مسيرتها نحو استقلالها التام عن يوغسلافيا الفيدرالية فتوقع المسلمون الألبان في كوسوفو كإخوانهم في البوسنة والهرسك أن ظهور الديمقراطية والحرية في أوروبا الشرقية وفي الجمهوريات اليوغسلافية نفسها ستمنح لهم حقوقهم أيضاً ، فأعلنت البوسنة استقلالها (بعد سلوفينيا وكرواتيا) إلا أن أعداء الإسلام لم يسمحوا بقيام دولة مسلمة وسط تلك المنطقة الأوروبية بل سعوا في قتل أهلها ، وتهجيرهم ، وتشريدهم فحدث ما حدث من الجرائم الوحشية والمذابح الجماعية التي شهدها العالم بأجمعه ولم يحرك لها ساكناً.

وكذلك المسلمون الألبان في كوسوفو أجروا فيما بينهم استفتاء في طور تفكيك الاتحاد اليوغسلافي في سبتمبر «أيلول» ١٩٩١ م أسفر عن انحياز الأغلبية المطلقة للاستقلال ، وتطور الأمر إلى انتخاب مجلس نيابي وتشكيل حكومة وتنصيب رئيس لجمهوريتهم المستقلة : هو الدكتور إبراهيم دوغوفا ولكن الحكومة الصربية تجاهلت كل هذه الإجراءات واعتبرتها كأن لم تكن بل بدأت بمرحلة جديدة من الاعتقالات والتعذيب والاضطهاد فاقت سابقاتها حيث سحبوا أدنى الحقوق الإنسانية من هذا الشعب الأعزل.

مخطط تدمير الاقتصاد الكوسوفي :

إن حكومة بلغراد لم تتورع في استخدام أية وسيلة في سبيل إرغام المسلمين الألبان على الهجرة من كوسوفو.

ففي المجال الاقتصادي – على سبيل المثال – ذكرت جريدة «بويكو» الألبانية أن حكومة صربيا ماضية في إخضاع اقتصاد كوسوفو لسلطة بلغراد المباشرة ، وذكرت أن ٢٩٦ شركة عامة في كوسوفو تم دمجها بـ ١٧٣ شركة

مماثلة في صربيا ، من بينها جميع منشآت الطاقة الكهربائية ، وشبكة السكك الحديدية وشركات النقل ، والطيران المدني ، واستخراج المعادن ، وصناعات المطاط والنسيج والجلود ، والمواد الكيماوية ، والانتاج الزراعي ، والغذائي ومجالات السياحة ، وهذا يعني أن حكومة صربيا تسرق من كوسوفو بلايين الدولارات ، إضافة إلى سيطرة بلغراد التامة على جميع مناجم كوسوفو وتعطيلها ، وتفريغها من العمالة المسلمة ومن الخبراء المسلمين ، الشيء الذي جعل منجم «تربجا» (أكبر المناجم في يوغسلافيا السابقة والمشهور بالرصاص والذهب والفضة والمواد الكيماوية الأخرى) في مدينة ميتروفيتا يخسر سنويا (٥٧,٢٠٠,٠٠٠) دولار ، كل هذا بسبب عدم وجود عدد كافٍ من العمال وبسبب عمل غير المتخصصين من الصربيين .

ومن ناحية أخرى أخذت الحكومة الصربية منذ شهور بتقطيع الأشجار في الغابات الكوسوفية وشحنها إلى صربيا والجبل الأسود للاستفادة منها هناك ويتجاوز هذا التقطيع (٥٠٠,٠٠٠) متر مكعب .

ومن ذلك الاستيلاء على الأراضي الزراعية التابعة للمسلمين ، وبناء مستوطنات صربية عليها ، وخاصة في الأماكن التي فيها كثافة المسلمين الألبان كبيرة .

من ناحية أخرى تستمر السلطات الصربية في فصل المسلمين من العمل بشكل كبير جداً مع أن نسبتهم في الماضي كانت ضئيلة جداً ، ففي سنة ١٩٨١ م كانت نسبة العمال من جميع الشعب الألباني ١١ ٪ فقط . وفي السنوات الأخيرة تقلصت هذه البقية الباقية من المسلمين حينما طردت (٥٢٠) عائلة مسلمة من منازلهم ، وهناك (٥٠٠,٠٠٠) شخص تحت خطر المجاعة .

المجزرة القادمة في كوسوفو :

إن كوسوفو منذ سنة ١٩٨١ م وإلى يومنا هذا تعيش حالة الطوارىء وقد بلغ عدد الجنود الصربيين أكثر من ٨٥ ألف جندي وظيفتهم قهر وبطش المسلمين وقد أجروا في الأيام الأخيرة تمشيط للمدن والقرى المسلمة لمصادرة الأسلحة التي لم توجد أساساً لدى الأهالي المسلمين بخلاف البيوت الصربية الممتلئة بأنواع من الأسلحة المختلفة ، وقد اعترف بذلك رئيس الوفد «البرلماني الأوربي» «جون دي » ، الذي زار كوسوفو في هذا الشهر حيث يقول : «إن الصرب شددوا من إجراءاتهم لطرد الألبان من كوسوفو وذلك بالضرب والقتل والسجن والتهديد والسرقة وسحب الأسلحة . .

كل هذه الاجراءات الصربية ، ليست إلا مقدمة صريحة للمذبحة الكبيرة التي ينويها هؤلاء المجرمون ضد المسلمين الكوسوفيين ، وما جرى لإخواننا في البوسنة تحت مرأى ومسمع من العالم بأجمعه أكبر دليل على ذلك ، وقد تكون ضربة المسلمين في كوسوفو أشد وأنكى حيث تتميز كوسوفو بالنسبة العالمية للمسلمين وفيها مدن وقرى خالية من الصرب (بخلاف المدن البوسنية) فيسهل عليهم قصفها وتدميرها دون أي تردد ، لاسيما ونحن نرى تخاذل الموقف الدولي تجاه هذه القضية الخطيرة التي قد تتفجر في أي لحظة ، ويروح ضحيتها عشرات بل مئات الآلاف .

ملخص جرائم النظام الصربي ضد المسلمين في كوسوفو من ١٩٨١ م إلى يومنا هذا :

- قتلت السلطات الصربية خلال هذه السنوات مئات المسلمين الألبان وذلك في حالة السلم من غير إعلان حرب في كوسوفو .
- قتل أكثر من ١٠٠ جندي ألباني خلال خدمتهم العسكرية في الجيش اليوغسلافي (الصربي) وجرح أكثر من ٦٠٠ .
- وضعت السلطات الصربية سنة ١٩٩٠ م سماً في خزانات مياه المدارس بمدن كوسوفو وتسمم منها أكثر من سبعة آلاف طفل .
- فصل من العمل أكثر من ١٥٠ ألف عامل مسلم ، وكان عددهم الإجمالي قبل ذلك ٢٠٠ ألف عامل مسلم فقط .
- احتلت صربيا جميع مستشفيات كوسوفو وطردت جميع الأطباء والممرضين الألبان ، فليس اليوم للمسلم في كوسوفو مستشفى يتجه إليه للعلاج ، وليس للمرأة الألبانية مستشفى ولادة تلد فيها .
- أغلقت تقريبا جميع المدارس الابتدائية والثانوية الألبانية .
- أغلقت المكتبة المركزية الجامعية وجميع مكتبات المدارس الأخرى وأخذت السلطات الصربية كثيراً من الكتب العلمية النادرة ونقلتها بواسطة الشاحنات العسكرية إلى مصانع الورق لتصنيعها ورقاً عادياً !!
- أغلقت أكاديمية العلوم والفنون في بريتشتينا ، وكذلك يمكن أن يقال عن معهد الألبانولوجي لأن الدولة لا تنفق عليه .

- أغلق معهد التاريخ .
- أغلق التلفزيون والإذاعة (باللغة الألبانية) وصودرت الجريدة الوحيدة اليومية باللغة الألبانية (ريليندنيا) .
- فصل جميع الألبان العاملون في الشرطة من وظائفهم .
- بُدّلت لغة الإدارة الألبانية بالصربية وذلك في جمهورية يبلغ فيها عدد المسلمين ٩٣٪ ويبلغ عدد الصرب فيها ٧٪ فقط !!

ماذا بعد هذه الحقائق الثابتة التي اعترف بها حتى ممثلوا السياسة الغربية ؟ هل سيبقى المسلمون مكتوفي الأيدي دون اتخاذ أية إجراءات تساعد في إيقاف هذه المعاناة ، ومنع وقوع مجزرة بشرية جديدة في قطر جديد من العالم الإسلامي ؟

أو سيطلق المسلمون - كما نرجو - هذه المرة المقولة الشهيرة (الوقاية خير من العلاج) قبل انتقادهم بالمشاعر والعواطف ، فيما يرون تلك الدماء البريئة والأعراض المنتهكة وما أكثرها عند المسلمين هذه الأيام .

لذا نرفع أصواتنا إلى جميع المسلمين في العالم للقيام بواجب الاخوة الإسلامية لمنع حدوث مذابح متوقعة . . .

والله نسأل أن يعلي كلمته ويعز جنده . . والله غالب على أمره .

حقيقة المفاوضات

بين جبهة تحرير مورو الوطنية والحكومة الفلبينية
وموقف جبهة تحرير مورو الإسلامية

وردنا من مكتب الإعلام الخارجي لجبهة تحرير مورو الإسلامية البيان رقم (٢٩) الصادر في غرة هذا الشهر والمتضمن موقف الجبهة بين المفاوضات الأخيرة مع الحكومة النصرانية في الفلبين والأعمال الجهادية التي قام بها المجاهدون مؤخراً . . ويسرنا إيراد أهم ما فيه ، شاكرين للجنة الإعلام الخارجي تواصلها .

- البيـــان -

لعل إخواننا المسلمين المهتمين بالقضايا الإسلامية ومنها قضية مسلمي مورو في جنوب الفلبين يتساءلون عن موقف جبهة تحرير مورو الإسلامية إزاء المفاوضات التي جرت في جاكرتا - أندونيسيا من ٢٦/ ١٠ -٦/ ١١/ ١٩٩٣ م بين جبهة تحرير مورو الوطنية وبين الحكومة الفلبينية الصليبية .

وقبل بيان موقف جبهة تحرير مورو الإسلامية نوضح فيما يلي بعض الأمور التي حدثت قبل المفاوضات المذكورة :

١ - بدأت مفاوضات مسواري مع مندوبي الفلبين في طرابلس - ليبيا سراً بواسطة الرئيس الليبي في العام الميلادي الماضي (١٩٩٢ م) واستمرت الاتصالات السرية بين الجانبين منذ ذلك الوقت إلى أن تم الاتفاق على

استئناف المفاوضات في ١٤-١٦/ ٤/ ١٩٩٣ م في أندونيسيا وأعلنت في هذه الجولة بعد أن سادها كتمان محكم خلال العام الماضي وأوائل هذا العام ، وبعد هذه الجولة المعلنة استمرت الاتصالات بين الجانبين إلى أن تم الاتفاق على عقد جولة ثالثة من المفاوضات في ٢٦ / ١٠-٦/ ١١/ ١٩٩٣ م في جاكرتا - أندونيسيا .

٢ - المفاوضات المذكورة التي عقدت في أندونيسيا لم تتوصل إلى أي شيء سوى الاتفاق على وقف النزاع بين جبهة تحرير مورو الوطنية وحكومة راموس ، واستمر الحوار بين الجانبين .

٣ - أثناء المفاوضات السريّة بين جبهة تحرير مورو الوطنية وحكومة راموس الصليبية اتصلت حكومة الفلبين عدة مرات بجبهة تحرير مورو الإسلامية بقيادة أميرها الشيخ/ سلامات هاشم وعرضت عليها التفاوض معها ولكن جبهة تحرير مورو الإسلامية رفضت ، وتكررت الاتصالات ولكن بدون جدوى ، وذلك لأن دولة الفلبين لا تريد التعايش أو السلام مع المسلمين وإنما تريد استمرار استعبادهم وسيطرتها على بلادهم لتستمر في سرقة أموالهم ونهب خيراتها .

موقف الجبهة من المفاوضات المذكورة :

١ - إذا اتفق الجانبان على تنفيذ اتفاقية طرابلس المعروفة كاملةً نصاً وروحاً دون اهمال أي بند من بنودها ، فلن تعارض الجبهة هذا الحوار لأنها تعتبر الاتفاقية المذكورة اتفاقية مقبولة . . أما إذا لم تنفذ الاتفاقية كاملة أو أهمل بند من بنودها أو جزء من أي بند من بنودها ، فستعارضها الجبهة الإسلامية معارضة شديدة ، وترفض أي اتفاق أقل أو أدنى من اتفاقية طرابلس في عام ١٩٧٦ م .

٢ - على أن تنفيذ اتفاقية طرابلس لا يتم إلا إذا طبق الحكم الإسلامي ، فلا معني لاعطاء المسلمين حرية دون أن يحكموا أنفسهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وعند عدم تطبيق الشريعة الإسلامية فإننا نعارض الاتفاقية معارضة شديدة ونستمر في الجهاد في سبيل الله لأن هدفنا هو إعلاء كلمة الله ونصرة دينه ، وهذا لا يتم إلا إذا طبقت الشريعة الإسلامية تطبيقاً كاملاً في جميع شؤون الدولة وحياة المجتمع والفرد ؛ علماً بأن جبهة تحرير مورو الإسلامية تعد الآن من خلال مجلس الشورى وهو جهازها الدستوري والاستشاري - تعد دستوراً إسلامياً على ضوء الكتاب والسنة وتطبقه في كل شبر من أراضي مرور المحررة.

٣ - لا علاقة لجبهة تحرير مورو الإسلامية بقيادة أميرها الشيخ / سلامات هاشم وجماهير شعب مورو المسلم الذين يلتفوا حولها بالاتفاق المذكور على وقف النزاع بين جبهة تحرير مورو الوطنية (مسواري) وحكومة راموس الصليبية الذي توصلت إليه في مفاوضاتها بأندونيسيا في ٢٦/ ١٠ - ٦/ ١١/ ١٩٩٣ م ؛ وإن مجاهدي جبهة تحرير مورو الإسلامية ثابتون في خنادقهم في الجبهات القتالية وهم شاهرون السلاح أمام العدو المعتدي ، وبعض الفصائل الجهادية تستمر في عملياتها العسكرية وهجومها المضاد ضد القوات المسلحة الفلبينية التي قامت وتقوم بعمليات همجية ضد المسلمين المدنيين العزل ، وقد تصاعدت المعارك بين مجاهديها وبين جنود راموس الصليبيين أثناء المفاوضات المذكور ، وذلك أن جنود العدو الماكر اعتدوا على المسلمين الآمنين العزل ودافع مجاهدونا عن هؤلاء المسلمين الأبرياء فقاموا بهجمات مضادة ضد أولئك المعتدين ، وقد تكبدوا خسائر فادحة في الأرواح والعتاد.

إعتداء صليبي على مجاهدي جبهة تحرير مورو الإسلامية :

بعد يوم واحد فقط من توقيع اتفاقية وقف النزاع بين الجبهة الوطنية وحكومة راموس الصليبية ، هاجم جنود راموس الصليبيون أحد مواقع مجاهدي جبهة تحرير مورو الإسلامية في الجبهات القتالية على حدود محافظة ماجيندااناو المتاخمة لمحافظة لاناو الجنوبية ، وكان ذلك يوم الاثنين ٢ جمادى الأولى ١١ هـ ووقع الجانبان على اتفاقهما يوم السبت ٢٢ جمادى الأولى ١١ هـ ؛ ورد مجاهدونا على هذا الاعتداء بهجوم مضاد ، وبعد معركة عنيفة استمرت خمس ساعات أو أكثر تقهقر جنود العدو المهاجمون وطاردهم مجاهدونا واستولوا على أحد مواقع المعتدين بعد أن قتل منهم ثمانية عشر جنديا صليبيا واستولى المجاهدون على أسلحتهم وعدتهم وكان هجوم العدو أثناء اجتماع اللجنة المركزية للجبهة الإسلامية في مكان قريب من الموقع الذي تعرض للهجوم ، وكان هذا الاعتداء الغادر متوقعا فقد أعلن الرئيس فيديل راموس يوم السبت ٢٢ جمادى الأولى ١٤١٤ هـ - أي قبل يومين من هجوم قواته على موقع مجاهدينا - أن الاتفاق على وقف النزاع بين حكومته وبين جبهة مسواري الوطنية فقط وأن جبهة تحرير مورو الإسلامية بقيادة سلامات هاشم ليست طرفاً في الاتفاقية ومن ثم لا تشملها الاتفاقية على وقف النزاع ، ورحبنا بذلك التصريح .

حكومة راموس توزع الأسلحة على النصارى :

من الدلائل التي تدل على أن الحكومة ليست جادة في مفاوضاتها السلمية مع الجبهة الوطنية ، وأنها مصممة على تنفيذ خطتها لمحاولة القضاء على الإسلام والمسلمين في بلاد مورو المحتلة : أنها وزعت ومازالت توزع أسلحة متطورة على النصارى المستوطنين ، وتم توزيع آلاف من الأسلحة خلال

الأسبوعين الماضيين على المستوطنات النصرانية المجاورة للقرى الإسلامية وهؤلاء النصارى الذين وقعت في أيديهم الأسلحة يقتلون كل مسلم يجدونه ذكراً أو أنثى طفلاً أو شيخاً بل حتى الرُضَّع ، لاعتقادهم أن الطفل المسلم الرضيع سيكبر وسيكون عدواً لهم .

ونتيجة لهذه الأعمال الهمجية قد تشرد عشرات الآلاف من المسلمين تاركين وراءهم بيوتهم وكل ما يملكون ، فضلاً عن مزارعهم وحقولهم التي هي مصدر رزقهم اليومي ، وقد نهب الصليبيون المعتدون جميع أموال المسلمين المتروكة حتى الأواني والأدوات المنزلية ، ولم يبقَ لهؤلاء المشردين شيء سوى الملابس التي على أجسادهم ، وبعد أن نهب وسرق النصارى أملاك المسلمين حرقوا بيوتهم ودمروا قراهم ، وقد تعاونوا على القيام بهذه الأعمال الهمجية مع جنود راموس الصليبيين .

عمليات جهادية لرد عدوان المعتدين :

يقوم مجاهدونا بهجمات مضادة لرد عدوان المعتدين ، وقد نفذوا عدة عمليات جهادية ناجحة والحمد لله خلال الأسبوع الماضي ، ونذكر بعضها فيما يلي :

الهجوم على مركز المليشيا النصرانية في قرية اينلابو بمحافظة يوكيدنون في يوم الثلاثاء ٢٥ جمادى الأولى ١٤١٤ هـ ، وأسفر الهجوم عن مقتل عشرين من رجال المليشيا وإصابة أربعة عشر منهم ، وانسحب المجاهدون للفارق الكبير جداً بين المجاهدين والمعتدين عدة وعتاداً .

وفي اليوم التالي (الأربعاء ٢٦ جمادى الأولى ١٤١٤ هـ) هاجم مجاهدونا مركز جنود العدو في مديرية دامولوج بنفس المحافظة ، وبعد قتال

شديد مستمر استمر ست ساعات تقريباً انسحب المجاهدون تجاه مجموعة من الميليشيات التابعة للعدو ، وقد فتح رجالها النيران بمجرد شعورهم باقتراب المجاهدين ، وانسحب المجاهدون إلى اتجاه آخر دون إطلاق النار فصارت المعركة بين جنود العدو الذين يطاردون المجاهدين وبين المليشيات الحكومية المذكورة ، وترك المجاهدون رجال العدو يقاتلون بعضهم بعضاً ، وقد قتل عدد كبير من الجانبين ولم يدركوا أنهم وقعوا في خدعة مدبرة إلا بعد أن سقط منهم الضحايا الكثيرون حيث جعل الله بأسهم بينهم.

وفي مساء نفس اليوم هجم المجاهدون على معسكر العدو في قرية أنجاآن في نفس المحافظة ، وكان جنود العدو يدربون المليشيات النصرانية في هذا المعسكر لإعداد رجالها في حرب المسلمين ، وقد لقي عدد كبير من الجنود والمتدربين مصرعهم ويقدر عدد المقتلوين بأكثر من ثلاثين والمصابون كثيرون.

وفي الصباح الباكر من اليوم التالي (الخميس ٢٧ جمادى الأولى ١٤١٤هـ وقعت دورية العدو في كمين نصبه مجاهدونا في قرية بنابونان بنفس المحافظة (بوكيدنون) وقتل جميع جنود الدورية وهم ٢٨ جنديا واستولى مجاهدونا على جميع أسلحة المقتولين وأجهزتهم الحربية.

وفي نفس اليوم وقعت سيارة عسكرية للعدو في كمين نصبه مجاهدونا في الطريق العام على حدود محافظة لاناوا الجنوبية المتاخمة لمحافظة لاناو الشمالية ، وقتل ثلاثة من جنود العدو في السيارة وأصيب ثمانية منهم.

أما في مديرية بانيسيلان التي دمر الصليبيون ستة من قراها الإسلامية وحرقوها بعد أن سرقوا ونهبوا جميع أموال المسلمين فيها ، فكانت المعارك فيها مستمرة منذ أن ارتكب الصليبيون جرائمهم البشعة وحتى الآن ، وقد تمركز جنود راموس مع المليشيات الصليبية في مركز المديرية وحاصرها مجاهدونا

ويقومون بغارات مستمرة على هؤلاء المجرمين.

وفي بلدية أليوسان المجاورة بدأت المعارك أمس اسبت ٢٩ جمادى الآخرى ١٤١٤ هـ بين مجاهدينا وبين جنود العدو، وتستمر المعركة حتى الآن وجنود العدو يستخدمون خلال هذه المعارك المدرعات والمصفحات والمدافع الثقيلة كما يستخدمون الطائرات العمودية (الهليكوبتر) والطائرات الهجومية ضد المسلمين المدنيين العزل وضد مجاهدينا الذين لا يملكون سوى الأسلحة الخفيفة، ولكن مع الفارق الكبير جداً في الإمكانيات فإن مجاهدينا يقفون بوجه هؤلاء المعتدين الظالمين..

وعموما قد اندلع لهيب المعارك في أنحاء بلاد مورو المسلمة، ففي محافظة باسيلان التي دمر جنود العدو الصليبي عدداً كبيراً من قراها وأحرقواها منذ شهور وفعلوا فيها مثل ما فعلوا اليوم في مديرية بانيسيلان - في تلك المحافظة الجزيرة التي تضم جزيرة كاملة - تستمر المعارك أيضا؛ وفي معاركهم قبل أمس (الجمعة ٢٨ جمادى الأولى ١٤١٤ هـ) قتل سبعة من جنود العدو وأصيب عدد منهم، وكانت هناك معارك في هذه المنطقة لم تذكر في بياناتها السابقة لعدم وصول التقارير الميدانية إلينا إلا في هذه اللحظة، ولا تتسع المجال لذكر تفاصيلها.

ويكفي أن نقول أن مجاهدي جبهة تحرير مورو الإسلامية في جميع أنحاء بلاد مورو قد عاهدوا الله على أن يمضوا قدماً في جهادهم في سبيل الله، إما أن يمكن الله المؤمنين ليقيموا دولة الإسلام في أرض مورو وإما أن يستشهدوا فينعموا بنعيم جنات الخلد إن شاء الله.. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

- محمد أمين -

العالم الإسلامي في مرآة الصحافة

أخي القارىء :

في هذه الزاوية سنحاول جاهدين اختيار مقتطفات من بعض التقارير والأنباء واللقطات في بعض الصحف السيارة ، مما له مساس بواقع أمتنا الإسلامية مع العلم أن ما يُطرح في هذه الزاوية لا يعني بالضرورة الموافقة على ما جاء فيه بل قد يقصد منه بيان الرأي الآخر .

١- الجزائر : الإسلاميون يكسبون جولة في حرب قد تكون طويلة :

لا أحد يتجرأ على التلفُّظ بالعبارة لأنها تبعث الرعب في قلوب الناس جميعاً في الجزائر ، وتشكل بداية انهيارات خطيرة على مستوى معظم بلدان المغرب العربي : إنها «الحرب الأهلية بين العرب والبربر» أو «بين العرب والفرانكفو نيين» وقد لاحت معالمها الأولى ، بل بدأت ترتسم ، وكأن الجزائر الموزعة ثقافياً بين إطلالة على الغرب بربرية في معظمها (ومفعولة في الحقبة الاستعمارية) وبين جذور عربية إسلامية تعود إلى بداية القرن الأول الهجري .

هذه الحرب يشير إليها الناس العاديون حالياً بنوع من الهلع ويساهم فيها نمطان من التطرف : إسلامي في الشارع وفرانكفوني غربي في موقع القرار بالسلطة ؛ وإذا كان للمتخوفين من «حكم أصولي» في الجزائر مبرراتهم الوجيهة

فذلك لا يلغي واقعاً آخر : أن الداعين إلى حرب حتى النهاية ضد العروبيين والإسلاميين هم في معظمهم رموز بربرية في مواقع الثقافة والسياسة والمؤسسة العسكرية معاً ، والخاسر في هذه الأحوال هم المعتدلون الذين يتلقون حالياً مزيداً من التهميش سواء في أوساط الإسلاميين أو في الحكم ، وكلما تراجع الاعتدال تقدمت الحرب الأهلية .

وفي هذه الأجواء نرى تصعيداً سياسياً بربرياً ضد كل ما هو «إسلامي» وخصوصاً عبر «التجمع الجزائري من أجل الثقافة» (بربري) ، وعلى رأسه أبرز المدافعين عن الفرانكفونية سعيد سعدي ، الذي لا يقبل كل من يناضل دينياً من أجل السلطة ، ويأبى القيام بأي عمل مشترك مع «حماس» موضحاً أنه «لا يعترف بعباس مدني أو علي بلحاج ولا بنحناح أو جاب الله» ، ولا شك أن هذا الكلام ينسجم مع قناعات مبدئية علمانية غير أنه لا يساهم في تسوية سياسة تنقذ البلاد من أتون الحرب الأهلية .

وأخيراً يختم الكاتب مقاله بقوله :

وحصيلة ذلك كله ، كما يراها تقرير أمريكي شبه رسمي - «تدهور الأوضاع في الجزائر ، حتى بضع سنوات مقبلة ، مع تغيير دوري للرؤساء إذا لم يسبق ذلك انقلاب عسكري صريح أو انتفاضة شعبية كاسحة في وقت قريب وربما في خريف هذا العام» . .

إنه «خريف غضب» من نوع آخر في الجزائر ، وآفاق الغلبة فيه لا تبدو حتى الآن في صالح الحكم .

(الأسبوع العربي ، العدد ١٧٧٧ ، ١٧ جمادى الأولى ١٤١٤ هـ)

٢- **الجزائر: آخر الدواء.. الانقلاب العسكري:**

«إن العارفين بخفايا الأمور، وملابسات الوضع وتعقيداته، يؤكدون أن خيار الانقلاب العسكري هو أوفر حظاً من الحوار ، ويدعم هؤلاء نظريتهم بعدة حجج منطقية وواقعية :

أولا : إن فريق المتشددين بين الجنرالات بقيادة محمد العماري مازال يرفض رفضاً باتاً التحاور مع الاسلاميين المتطرفين، ويعتبر ذلك خطراً على الجزائر ومستقبلها.

ثانياً : إن دخول السلطة في عملية الحوار مع «الإنقاذ» اليوم يعني اعترافاً بتراجع الأولى وانتصار الأخيرة ، ويبدو من المؤكد أن «الإنقاذيين» سيستغلون هذه المعادلة للمطالبة بتنازلات أقلها العودة إلى صناديق الاقتراع ، والانتخابات التشريعية الأخيرة ، أي تسليم السلطة للإسلاميين.

ثالثا : ولعله العامل الأهم ، أن الإيحاء بقبول انتصار الإسلاميين في الجزائر يحمل مخاطر اقليمية مغاربية وعربية خطيرة جداً ، ويهدد بانتقال العدوى إلى الدول التي تشهد تطرفاً أصولياً !!، ويؤدي إلى زعزعة الاستقرار في أكثر من بلد عربي ، وهو أمر غير مقبول لا مغاربياً ولا عربياً ولا دولياً.

وأضاف الكاتب في معرض حديثه عن المرحلة التي تلت تسلم الجنرال محمد العماري رئاسة الأركان :

«ويلاحظ أن عمليات الحكم بالإعدام قد ازدادت مع تسلم العماري مهامه وكذلك تميزت عمليات مكافحة الإرهاب تصعيداً كبيراً حيث كثرت عمليات التمشيط والمطاردات الدموية للإسلاميين المسلحين ، ولجأت قوات الأمن إلى

استخدام الطائرات ، وقنابل النابالم في قصفها لمعاقلهم في الأحراش والغابات وأكثر من ذلك تؤكد المعلومات أن الجنرال العماري أمر بإنشاء (سرايا الموت) وهي وحدات «كوماندوز» داخل جهاز مكافحة الإرهاب ، تقوم بإعدامات جماعية وتقف وراء العثور على جثث إسلاميين في اليوم التالي لأي هجوم أو كمين يقوم به المتطرفون ضد رجال الأمن وفي المكان نفسه ، وعلى الصعيد السياسي تمكن العماري من تأجيج الصراع بين المجلس الأعلى للدولة والحكومة وبالتحديد بين على كافي المؤيد للحوار ورضا مالك الداعي للحسم العسكري .

ويختتم الكاتب مقاله بقوله :

«فإذا نجح العماري في حسمه العسكري قبل نهاية ولاية المجلس الأعلى يكون قد أنقذ البلاد من الخطر الإسلامي ! ، وإذا فشل يجري اللجوء إلى خالد نزار كرجل الحوار القوي ، ولكن مفاجأة الساعات الأخيرة قد تلغي هذا الاتفاق «الجنتلمان» بين الجنرالات ، وتحسم الوضع لصالح الفريق الانقلابي الذي لا يجد في الحوار سوى تسمية بديلة للهزيمة والتراجع أمام الإسلاميين .

(الوطن العربي عدد ٨٧٢ ١٩/ ١١/ ١٩٩٣ م)

٣ - حقاً إن سياستهم منافقة :

تبذل الولايات المتحدة الأمريكية جهوداً جبارة منذ سنوات طويلة ؛ للحد من تسليح كافة دول هذه المنطقة من العالم سواء أكانت عربية أو إسلامية وتمارس وحلفاؤها الأوروبيون ضغوطاً لا تعرف الكلل على كل الدول التي تورد السلاح لهذه المنطقة خاصة روسيا والصين وكوريا الشمالية وبعض دول أمريكا اللاتينية ، للمشاركة معها في الحد من تسليح دول المنطقة خاصة الأسلحة المتقدمة كالصواريخ بعيدة المدى .

كذلك تستخدم الولايات المتحدة الأمريكية كل ثقلها لإقناع دول كالباكستان للتخلي عن برنامجها النووي، وإلا عاقبتها بإيقاف كافة أصناف المساعدات العسكرية أو الاقتصادية، كما تهدد بمعاقبة كل من يساعد باكستان في برنامجها النووي.

ومن وراء ذلك كله منطق أمريكي مقبول هو أن الحد من التسلح، وإيقاف السباق نحو إنتاج أسلحة الدمار الشامل هو أنجع سبيل لإقرار السلام العالمي.

لكن هذا المنطق الأمريكي ينقلب بالنسبة لإسرائيل - وبكل أسف - رأساً على عقب، إذ أن إطلاق كل قدرات إسرائيل نحو التسلح ومضاعفة أمكانياتها لإنتاج أسلحة الدمار الشامل، والسماح لها بالسوبر كمبيوتر، إنما يتم بدعوى تدعيم السلام ؟!

يقول ميلهولين مدير معهد مشروع ويسكونسن للحد من الأسلحة النووية في واشنطن: (إن بيع إسرائيل هذا النوع من التكنولوجيا المتطورة يجعل من جهود واشنطن لإزالة أسلحة الدمار الشامل من الشرق الأوسط والعالم عملية أصعب، إن ذلك يدعم الجدل بأن سياستنا سنافقة، وإننا انتقائيون في دعم عملية منع انتشار الأسلحة، فانتشار الأسلحة جائز عبر أصدقائنا، وطالما نحن راضون عن الذين يقومون بذالك) [الحياة ١٤/ ١١/ ٩٣].

ومضى السيد ميلهولين في تصريحاته فاعتبر أن إعطاء إسرائيل السوبر كمبيوتر سيضعف قدرة واشنطن على إقناع دول مثل باكستان بالتخلي عن برنامجها النووي، ويعقد جهود إقناع الدول المنتجة لهذه الأسلحة مثل روسيا والصين ودول أوروبا بعدم بيع ما تنتجه، وقال: (إذا كنا نستطيع أن نبيع لإسرائيل، فلماذا لا تبيع الدول الأخرى إلى أصدقائها ؟!).

(محمد صلاح الدين) - (المدينة ٩/ ٦/ ١٤١٤ هـ)

لقطات إخبارية

١ - ماذا يعني السلام ؟

أ - وساطات أمريكية / إسرائيلية بين الدول العربية !

دينيس روس - منسق شؤون الشرق الأوسط في وزارة الخارجية الأمريكية - تحدث في مؤتمر للصهاينة الأمريكيين في واشنطن عن وساطات لحل الخلافات بين الدول العربية ، وقال : «هناك وساطة بين الدول العربية وإسرائيل لكن لا يجب أن يفاجأ أحد إذا بدأت وساطات بين الدول العربية»! .

وقال روس : «بعد ١٣ سبتمبر (أيلول) - يوم التوقيع على الاتفاقية الإسرائيلية/ الفلسطينية - ، تغيرت كل المنطقة ، فالشرق الأوسط كما كنا نعرفه انتهى ، وبدأ شرق أوسط جديد» .

وأشار روس إلى احتمال إجراء وساطات أمريكية وربما إسرائيلية ، أو لمنظمات أمريكية يهودية : أولاً لرفع المقاطعة الاقتصادية العربية عن إسرائيل وثانياً «للتنسيق» بين الدول العربية لإنهاء خلافاتها بما يخدم «الظروف النفسية الجديدة» . **المجلة ٢١/ ١١/ ١٩٩٣ م ، عدد ٧١٩**

ب - «ما نراه هو ليس سوى مقدمة لموجة تتمثل في قيام الدول العربية ببناء تحالفات بينها وبين إسرائيل تستخدمها تلك الدول في صراعاتها وخلافاتها التقليدية المعاصرة بين بعضها البعض ، كما أن الكثير من الدول العربية تدرك أن مفتاحها إلى واشنطن ، موجود في إسرائيل وبالتالي عليها أن تحسن علاقاتها مع إسرائيل ما أمكن» .

روبرت ستالوف

من معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى

الوطن العربي ، ١٩/ ١١/ ١٩٩٣ م

ج - **لكن إحذر فإن . .**

٤/ ١ سكان إسرائيل مرضى نفسانيون ، وذلك وفقاً لأحدث تقرير صدر عن وزارة الصحة الإسرائيلية . . التقرير ذكر أيضاً أن ١٢ ٪ من الأطفال أيضاً مصابون بأمراض نفسية .

(عن جريدة يدعوت أحرونوت الإسرائيلية)

روز اليوسف ، عدد ٣٤١٤ ، ١/ ٦/ ١١٤ هـ

٢ - **روسيا من جديد :**

أفادت وكالة «فرانس برس» أن وزير الدفاع البلغاري فالانتين ألكسندروف نقل أمس إلى البرلمان تحذيراً روسياً من خطر بروز أصولية إسلامية في البلقان» .

الحياة ، السبت ٢٠/ ١١/ ١٩٩٣ م

٣ - وشهد شاهد :

نقلت الحياة من مصدر قريب من وزارة الخارجية الجزائرية أن سيد أحمد غزالي - رئيس الوزراء الجزائري السابق وسفير الجزائر في فرنسا - سيعود إلى بلاده في غضون عشرة أيام ، موضحاً أن استدعاءه كان بطلب من قيادة الجيش التي يبدو أنها انزعجت من تصريحات نسبتها إليه الصحافة الفرنسية وذكر فيها أن ٩٠ ٪ من الشعب ليسوا مع السلطة الجزائرية .

الحياة ، السبت ٧/ ٦/ ١٤١٤ هـ

٤ - قرارات دولية على الورق :

حتى عام ١٩٩٢ م أصدر مجلس الأمن الدولي ٦٩ قراراً ضد إسرائيل لم ينفذ منها قرار واحد ، وخلال ١٨ شهراً من أزمة البوسنة والهرسك أصدر مجلس الأمن الدولي ٦٣ قراراً دولياً لم ينفذ منها قرار واحد ، ومنذ مأساة كشمير في عام ١٩٤٧ م حتى الآن صدر في حق أهل كشمير ١٣ قراراً دولياً ضد الهند لم ينفذ منها قرار واحد . . . إنها مجرد قرارات على الورق حتى ولو كانت دولية . . !!

الدعوة ، ٢٠/ ٥/ ١٤١٤ هـ

العقل العربي بين الواقع والأمل

قراءة في فكر د/ محمد عابد الجابري

عبدالعزيز بن محمد الوهيبي

هل يمكن بناء نهضة بعقل غير ناهض . . عقل لم يقم بمراجعة شاملة لآلياته ، ومفاهيمه ، وتصوراته ، ورُآه . . ؟!

ثم لماذا لم تتطور أدوات المعرفة (مفاهيم ، مناهج ، رُؤى . .) في الثقافة العربية (الإسلامية) خلال نهضتها في «القرون الوسطى» إلى ما يجعلها قادرة على إنجاز نهضة فكرية وعلمية مطردة التقدم ، على غرار ما حدث في أوربا ابتداءً من القرن الخامس عشر (الميلادي) . . ؟!

تلك هي الإشكالية التي شغلت ذهن المفكر المغربي د/ محمد عابد الجابري ، ودفعته إلى إصدار دراساته المتنوعة حول كثير من قضايا الفكر الإسلامي التي منها : «نحن والتراث» صدر عام ١٩٨٠ م و«الخطاب العربي المعاصر» صدر عام ١٩٨٢ م و«نقد العقل العربي» الذي بدأ صدور أجزائه عام ١٩٨٦م.

ولعل أهم هذه الدراسات وأكثرها ثراءً ، الدراسة الأخيرة التي جاءت في ثلاثة أجزاء ، كان الأول منها عن «تكوين العقل العربي» والجزء الثاني عن «بنية

العقل العربي» والجزء الثالث عن «العقل السياسي» .

والجزء الأول والثاني ، أكثر أهمية - في نظري - من الجزء الثالث الذي درس نشأة الدولة في الإسلام ، وتطورها . . . وحاول المؤلف فيه إبراز ما أسماه المحددات التي بقيت تحكم هذه الدولة في مختلف مراحل مسيرتها الطويلة هذه المحددات حصرها المؤلف - من وجهة نظره - في ثلاثة جوانب لا تتجاوزها وهي : العقيدة ، والقبيلة ، والغنيمة . . . وأحسب أنه لايزال في هذا الموضوع - العقل السياسي - زيادة لمستزيد ولم يكن تناول المؤلف لهذا الموضوع كافياً ولا شافياً .

لاحظ الجابري ، عندما درس «بنية العقل العربي» أن التصنيف الشائع القديم للعلوم الإسلامية بتقسيمها إلى علوم نقلية وأخرى عقلية ، أو علوم دين وعلوم لغة ، أو علوم العرب وعلوم العجم ، لاحظ أن هذه التصنيفات لا تقوم إلا على اعتبار المظاهر الخارجية وحدها ، والتي تذكرنا بالتصنيف القديم للحيوانات حسب مظاهرها الخارجية وحدها : إلى حيوانات برية ومائية وبرمائية ، لكننا بحاجة إلى تصنيف جديد للعلوم الإسلامية كما ظهر التصنيف الجديد للحيوانات إلى فقريات ولا فقريات ؛ الأمر الذي فتح أمام علم البيولوجيا آفاقاً جديدةً خصبةً وعميقةً .

لقد كان عمل الجابري في هذا البحث «نقد العقل العربي» محاولة للكشف عن هذا التصنيف الجديد ، محاولة لدراسة البنية الداخلية للفكر الإسلامي ، وإعادة التصنيف على أساس لا يؤخذ فيه بعين الاعتبار سوى البنية الداخلية للمعرفة : آلياتها ووسائلها ومفاهيمها الأساسية .

من هذا المنطلق جاء التقسيم الجديد عند المؤلف للعلوم الإسلامية وتيارات التفكير الإسلامي إلى ثلاثة علوم أساسية هي :

علوم البيان : وتشمل الفقه وأصوله وعلم الكلام وعلوم اللغة .

علوم البرهان : وتشمل الفلسفة وخصوصاً فلسفة أرسطو!

علوم العرفان : وتشمل التشيع والتصوف والفلسفة الإشراقية .

كان الإمام الشافعي هو المؤسس للمنهج في العلوم البيانية ، وكتابه «الرسالة» يعتبر «قواعد المنهج» للفكر الإسلامي ، كما وضع ديكارت «قواعد المنهج» للفكر الفرنسي والأوروبي الحديث ، وقد لخص - رحمه الله - تلك القواعد بقوله : «ليس لأحد أبداً أن يقول في شيء حل ولا حرم إلا من جهة العلم ، وجهة العلم : الخبر في الكتاب أو السنة ، أو الإجماع ، أو القياس (الرسالة : ٣٩) فجهة العلم - بناء على هذا النص - محصورة في أحد سبيلين : النص (من كتاب أو سنة أو إجماع) أو القياس (الذي هو إلحاق فرع بأصل لاتحادهما في العلة) فقياس التمثيل إذن هو الآلية المفضلة عند الفقهاء ، وهو الأسلوب الذي يحكم منهجهم في التفكير . . وعن الفقهاءانتقل المنهج إلى المتكلمين وعلوم النحو والبلاغة مُشكِّلاً بذلك مدرسة البيانيين .

أما علوم العرفان - وهي العلوم التي يقدم فيها العقل استقالته - فتبدأ مع بداية الترجمة ، عندما أمر خالد بن يزيد بن معاوية (ت ٨٥ هـ) بترجمة كتب الكيمياء ، والتنجيم ، وكتب الطب اليونانية والقبطية ، تلك الكتب التي تقدم رؤية هرمسية غنوصية للكون والإنسان ، ثم كان لجابر بن حيان دور في نشر هذه النظرة الهرمسية ، وشاركه في مثل هذا الدور الطبيب الرازي ، أما في المجال العقائدي فقد كان الشيعة أول من تهرمس في الإسلام ، ولم تسلم

الجهمية هي الأخرى من هذا التلوث وكذا الصوفية ، ثم جاء بعد ذلك دور التيارات الباطنية ممثلة في إخوان الصفا وفلسفة ابن سينا ، التي تزعمت التيارات الباطنية الإشراقية ، ثم غدت بعد ذلك طابعاً عاماً لكثير من التيارات المنحرفة التي كان مدار التفكير فيها والمنهج المفضل للوصول إلى المعرفة قائماً على أساس الكشف والعرفان والإشراق الذوقي الباطني ، وبخلاف كثير من الباحثين يرى المؤلف أن هذا الاتجاه لم يكن رد فعل ضد تشدد الفقهاء ، ولا ضد جفاف الاتجاه العقلي عند المتكلمين ، كلا ، لقد ظهر هذا النظام قبل أن تتطور تشريعات الفقهاء ، ونظريات المتكلمين إلى ما يستوجب قيام رد فعل من هذا القبيل ، لقد كان هذا التيار نتيجة لمحاولة عناصر معادية للفكر الإسلامي وللدولة الإسلامية قادته عناصر من الزنادقة وأتباع الديانات الوثنية ؛ من أجل تقويض البناء الفكري والسياسي للدولة الإسلامية .

هذا عن البيان والعرفان . . . أما عن البرهان فيذكر المؤلف تبعاً لما يراه المستشرق كارل بروكلمان أن المأمون (١٩٨-٢١٨ هـ) إنما أمر بترجمة الفلسفة اليونانية لمواجهة العرفان المانوي الغنوصي الذي اعتمده الشيعة والزنادقة لمواجهة الدولة الإسلامية ، لقد كان الكندي (١٨٥-٢٥٢ هـ) هو أول فيلسوف عربي حيث أكد على أن المعرفة إنما تكون حسية أو عقلية أو إلهية أداتها الرسل المبلغة عن الله ، وهو بذلك يرفض العرفان الشيعي الصوفي ، ثم جاء بعده الفارابي (٢٦٠-٣٣٩ هـ) الذي حاول «الجمع بين الحكيمين» ، أرسطو وأفلاطون محاولاً «التوفيق» بين تيارت الفلسفة اليونانية المختلفة ، متوصلاً بذلك إلى أن العرفان إنما هو ثمرة للبرهان .

لقد بقيت مدرسة بغداد - كما يرى المؤلف - من المأمون وحتى الخليفة

القادر (٣٨١-٢٢ هـ) مركزاً علمياً مخلصاً لاستراتيجية المأمون الثقافية القائمة على الارتكاز على أرسطو ، ومنطقه وعلومه في الحرب ضد الإسماعيلية العرفانية الهرمسية ، ثم تسلم بعد ذلك ابن رشد الراية عنهم ، وهو المفكر الذي احتفظ بصورة فلسفة أرسطو نقية كما جاءت عنه ، رافضاً إضافات الفارابي وابن سينا إلى هذه الفلسفة .

هكذا تشكلت الدوائر الثلاث البيانية والعرفانية والبرهانية في الفكر الإسلامي ، لكنها لم تدم مستقلة بعضها عن بعض طوال الوقت ، لقد حصل تدريجيا تداخل بين هذه التيارات . . . فلقد حاول ابن سينا تأسيس «العرفان» على «البرهان» ، وذلك بالبحث في الفلسفة عن أسانيد للرؤية الهرمسية للكون والإنسان وعلاقتهما بالإله .

كما حاول الغزالي تأسيس «البيان» على «العرفان» ، وذلك بالتشكيك في كل قيمة للمعرفة الحسية والتجريبية والعقلية ، متوصلاً بذلك إلى تفضيل طريقة «الكشف» والإلهام باعتبارها طريق اليقين الوحيد .

بينما حاول ابن حزم تأسيس «البيان» على «البرهان» وذلك برفض قياس الفقهاء التمثيلي ، ومحاولة اعتماد البرهان المنطقي الأرسطي المبني على مقدمتين ينتج عنهما نتيجة ضرورية يقينية ، وتابعه على ذلك الشاطبي بعض المتابعة في محاولته لتأسيس فقه المقاصد .

أما ابن رشد ، فقد سن محاولات الخلط بين هذه الحقول ، ورأى أن الشريعة صنو الحكمة وأختها الرضيعة ، وأن لا سبيل للبرهنة من أحدهما على الأخرى . . . وهي نتيجة توصل إليها أبو سليمان المنطقي من قبل ، لكن كان

لابن رشد فضل بلورتها وتوضيحها.

المؤسف - كما يرى الجابري - أن محاولة ابن رشد جاءت متأخرة فلم تلق أُذناً صاغية ممن جاء بعده من المفكرين، بل كان النصر «للعقل المستقيل» في الحركة الصوفية والشيعية، كما كان النصر حليفاً لاختلاط الأنهر عند المتكلمين الذي ظهر بظهور الرازي حيث قام تلميذه (الإيجي) بعد ذلك بوضع الصورة النهائية لعلم الكلام في كتابه «المواقف» حيث يختلط فيه «البيان» بـ «البرهان» بـ «العرفان» وبذلك ظهرت أزمة الأسس في الفكر الإسلامي، وتشفي الحقيقة ثم ساد بعد ذلك الجمود والتقليد، وتحريم الاجتهاد والنظر العقلي.

* * *

هذا عرض سريع لموضوع كتابي «بنية العقل العربي» و«تكوين العقل العربي» نأتي بعده إلى سؤال مهم: تُرَى ما هي المدرسة التي يتبناها الجابري بين هذه المدارس المختلفة، والتي يبشر بها ويدعو إليها؟! ثم ما هو المقياس الذي اعتمده في قبول أو رفض هذه التيارات، وما هي الخلفيات الفكرية والاعتقادية التي كانت تحكم نظرته نحو مختلف المدارس الفكرية..؟!

قبل الشروع في الإجابة على هذه الأسئلة، لابد من الإشارة إلى ظاهرة لا تخفى على القارىء لمختلف الإصدارات التي كتبها الجابري؛ ألا وهي رغبته الدائمة في عدم الكشف عن توجهاته الفكرية بشكل سافر... اتضح هذا جلياً في حواره مع «حسن حنفي» في كتاب «حوار المشرق والمغرب» حيث سود صفحات في بيان رغبة القراء في كشف القناع عن الخلفيات الأيديولوجية التي تحكم من يقرؤن له، ومع ذلك فلم يحدد توجهاته بوضوح...!!

الذي يظهر لي أن حرص الكاتب على عدم إظهار توجهه الفكري يرجع إلى أحد سببين هما :

* أما أنه لايزال في مرحلة التأمل والبحث والنظر ، فلم يحدد بعد توجهاته الفكرية .

* أو أن الباحث يرغب في نشر إنتاجه الفكري بين مختلف الأوساط دون عوائق تصنيفية تلحق به الضرر عند من لا يوافق على توجهه الفكري .

على أي حال ، فإنه يمكن من خلال التتبع لمختلف دراساته تَبَيُّنَ خطوط رئيسة في خياراته الفكرية نشير إلى شيء منها ها هنا :

باديء ذي بدء ، لا يخفي الكاتب انحيازه للعقلانية حيث يقول :

« . . . نحن نصدر عن موقف نقدي ينشد التغيير ، من التحرك من موقع أيديولوجي واعٍ ، أي لابد من الصدور عن موقف تاريخاني (؟) ، موقف يطمح ليس فقطٍ في اكتساب معرفة صحيحة بما كان ، بل أيضاً إلى المساهمة في صنع ما يتبقى أن يكون ، وهو بالنسبة للمجال الذي نتحرك فيه : الدفع بالفكر العربي في اتجاه العقلنة ، اتجاه تصفية الحساب مع ركام - ولا نقول رواسب - اللامعقول في بنيته .

(تكوين العقل العربي : ص ٥٢) . . . «لأن موضوعنا هو العقل ، ولأن قضيتنا التي ننحاز لها هي العقلانية» (التكوين : ص ٧) .

تبني العقلانية ، والدفاع عنها ، والتنويه برموزها كان هدف الجابري الذي لا يخفيه في عامة دراساته التي أصدرها . . . لكن العقلانية بأي

معنى . . ؟!

انه لا يوجد صراحة من يعلن الحرب على العقل والعقلانية[1] لكن الاختلاف يظهر عندما يتحدد المقصود بالعقلانية . . . فما هي يا ترى العقلانية التي يدعو إليها الباحث ، وينافح عنها . . ؟

من خلال الرموز الذين دافع عنهم الجابري يمكن تلمس ملامح تلك العقلانية ، وسماتها الأساسية .

لقد عرض الباحث فكر أرسطو في «بنية العقل العربي» (ص ٣٨٤) دون أن يتحفظ على شيء مما جاء فيه ، كما اعتبر الفارابي الذي يسمى «المعلم الثاني» اعتبره هو الذي أعاد تأسيس العقلانية في الإسلام ؛ نظراً لكونه أول من درس المنطق الصوري كاملاً ، وقد تغافل الباحث عن الجوانب الغنوصية في فكره ولم يعطها وزنها الذي تستحقه ، نظراً لأنه - كما يقول - جعل «العرفان» ينتج عن «البرهان» ، كما تبنى هجوم ابن حزم على القياس باعتباره منهجاً في البحث لا يفضي إلى اليقين ، واعتبر المنهجية الظاهرية الحزمية في الأصول أمتن من منهجية البيانيين وأقوم ، وكذا أعجب بمنهجية الشاطبي في الموافقات ، حيث بنى الأصول على المقاصد التي تعرف باستقراء أدلة الشرع . . .

لكن الشخصية الإسلامية التي تحتل قيمة لا منازع لها عند الجابري هي شخصية ابن رشد . . . إن الخطاب الرشدي يبنى كله على النظر إلى الدين والفلسفة كبناءين مستقلين ، يجب أن يبحث عن الصدق فيهما داخل كل منهما وليس خارجه ، والصدق المطلوب هو صدق الاستدلال ، وليس صدق المقدمات ، ذلك أن المقدمات في الدين كما في الفلسفة ، أصول موضوعة

يجب التسليم بها دون برهان : فإذا كانت الصنائع البرهانية ، في مبادئها المصادرات والأصول الموضوعة ، فكم بالحري أن يكون ذلك في الشرائع المأخوذة من الوحي والعقل . (تهافت التهافت ٢/ ٨٦٩) ، ولذلك «فإن الحكماء من الفلاسفة لا يجوز عندهم التكلم ولا الجدال في مبادىء الشرائع ، وذلك أنه لما كانت لكل صناعة مبادىء ، وواجب على الناظر في تلك الصناعة أن يسلم لمبادئها ، ولا يتعرض لها بنفي ولا إبطال ؛ كانت الصناعة العملية الشرعية أحرى بذلك . . . » (التهافت ٢/ ٧٩١) .

علامَ تدل هذه الكلمات ؟! اعتبار الشريعة نسقاً مغلقاً لا يمكن الاستدلال عليه من خارجه ؛ ألا يعني هذا أن الدين تسليم دون استدلال ؟! وإذا صح هذا فكيف يمكن التمييز بين الدين الصحيح والزائف ؟! ألا تحمل هذه الكلمات بذوراً علمانية خطيرة ؟!

يعلق الجابري على منهج ابن رشد بقوله : «كانت الرشدية قادرة على طرق آفاق جديدة تماماً ، وهذا ما حدث بالفعل ، ولكن في أوروبا حيث انتقلت وليس في العالم العربي حيث اختنقت في مهدها ، ولم يتردد لصيحتها الأولى - صيحة الميلاد - أي صدى إلى اليوم . . » بنية العقل العربي : ص ٣٢٣) أي صدى تردد في أوروبا ، إنه الصدى الذي تبنى العلمانية منهاجاً ، وجعل من الدين مواضعات اجتماعية وأخلاقية خاصة ، فمن تبنى العلمانية منهاجاً وجعل من الدين مواضعات اجتماعية وأخلاقية خاصة ، فمن شاء أن يلتزم بها فله ذلك ومن لم يشأ فلا جناح عليه !! أما أن يتدخل الدين في صياغة المنهج السياسي أو الاقتصادي ، أو العلاقات الخارجية ، فكلا ، ليس ذلك للدين وإنما هو للعقل البشري المجرد . . !!

هل يريد الجابري هذه النتيجة . . ؟! من العدل أن نقول إنه لم يصرح بهذا في هذه الكتب . . . لكن القارىء بسوء نية يمكنه أن يفهم ذلك. **

ملاحظات ومراجعات :

رغم الجهد الضخم الذي بذله الجابري في إعداد هذا المشروع الفكري - مستفيداً في ذلك ممن سبقه من الباحثين ، مسلمين كانوا أو مستشرقين أو ماركسيين . . الخ ؛ فإن المرء لا يسعه إلا أن يتبنى موقفاً مغايراً لما تبناه المؤلف في كثير من المواضع في تلك الكتابات ، نقف في هذا العرض عند بعض منها :

* من الملفت للنظر في هذا المشروع النقدي ، أنه في غمرة حماسته للفلسفة الأرسطية ، قد غض الطرف عن النقد الجوهري المتين الموجه - قديماً وحديثاً - لهذه الفلسفة ، سواء أكان ذلك في المنطق الذي يحكمها أو في النتائج والرؤية التي تنتج عنها ، حتى أن العلم الحديث لم يتمكن من تحقيق فتوحاته العظيمة حتى تحرر من أسرها ، والمؤلف خبير بالمنهج العلمي الحديث في البحث والتفكير ، حيث وضع فيه كتاباً في جزأين تحت عنوان «فلسفة العلوم» ، ظهر له من خلالهما البون الشاسع بين التفكير العلمي الحديث والمنهج الأرسطي القاصر فلماذا يا تُرَى جعل الباحث المنهج الأرسطي معياراً للحكم على فكر هذا العالم أو ذاك بالتقدم أو التخلف ، بالعقلانية أو عدمها ؟!

حقيقةً . . لا يظهر لي سبب واضح وراء هذه الحماسة والاندفاع .

* رغم أن الجابري لم يبد عداءً نحو منهج البيانيين (فقهاء وأصوليين ولغويين) فهو في ذات الوقت لم يحدد موقفاً واضحاً من القضايا التي أثاروها ولم يبد انحيازاً مع تلك الطروحات أو ضدها ، وهو موقف غريب غير مبرر .

ومن المسائل ذات الدلالة في هذا الموضوع أن ابن تيمية رغم مساهمته الثرية والعميقة في كل القضايا التي أثارها المؤلف في كتاباته ، لم يلق أي اهتمام يستحق الذكر مقارنةً بغيره من الشخصيات التي برزت في علم الأصول أو علم الكلام أو الفلسفة . . . الخ .

ورغم عدم تحيزنا للأشخاص ، فإنه يمكن اعتبار هذه الظاهرة ذات دلالة لا تخفى ، حيث أن ابن تيمية يشكل - ربما - الصورة الأخرى لابن رشد . . . فرغم اطلاعه الواسع على الفلسفة بمختلف تياراتها ، ودخوله في جدل عميق مع مختلف طروحاتها ، إلا أنه ظل على إيمان عميق لا يتزعزع بأن العقل لا يعارض النقل ولا يُضادّه ، وأن أكمل مناهج التفكير العقلي ، إنما هي تلك التي دعى إليها النقل وحث عليها .

فهو - بخلاف ابن رشد - يؤمن بأن مبادىء الشرائع يمكن فحصها والاستدلال لها بالعقل ، كما أن مقدمات الفلسفة هي الأخرى تخضع للفحص العقلي والنقلي ؛ وذلك هو الموقف العلمي الصحيح ، وإلا كيف لمسلم أن يتورط بالقول بأزلية العالم ؟ ، وذلك مخالف لمسلمة قطعية من مسلمات الدين وهي الاعتقاد بأن هذا العالم مخلوق بعد أن لم يكن ؟ !

كيف لمفكر يحترم نفسه أن يسلم بالرؤية الفلكية الأرسطية ، ويبقى في ذات الوقت محترماً للنص الشرعي مؤمناً بما فيه ، بحجة أن هذه مقدمة فلسفية وتلك مقدمة كلامية شرعية ؟!

أليس في ذلك تغييباً مقصوداً للوعي ؟! وعودة لا تخفى إلى التناقض ؟!

* أشار المؤلف إلى أن منهجية البيانيين المفضلة هي الاستدلال بالشاهد

على الغائب ، وهي دعوى غير مسلم بها ، فلقد كان للأصوليين المتقدمين كلام في الاستحسان ، والمصالح ، والاستقراء ، والاستنباط ، وهي طرائق في الفهم والاستدلال مغايرة لقياس الشاهد على الغائب .

كما أن للعلماء المسلمين في مجال العلوم الطبيعية ، منهجاً تجريبيا متقدماً حتى إن المسلمين يعتبرون بحق - وبشهادة الباحثين الغربيين أنفسهم - سبَّاقين إلى اكتشاف المنهج التجريبي ، وعنهم أخذته أوروبا في عصر النهضة ، وهي قضية لم يعطها الكاتب حقها من الاهتمام والتقدير الكافيين .

هذه مسألة . . . والمسألة الأخرى - في هذا الصدد - حول قيمة المنهج في الوصول إلى الحقيقة . . . إن التقدم العلمي الهائل الذي تشهده العلوم التجريبية المعاصرة ، ليس في الحقيقة ناتجاً عن تقدم المنهج إطلاقاً . . . إنما هو في الواقع ناتج عن الإمكانات الهائلة التي أودعها الله في هذا الكون . . . إنها عظمة الله تتبدى في عظمة خلقه ، وليس ذلك ناجماً عن عظمة المناهج البشرية إن العلم يكتشف الطبيعة (الخلق) وقوانينها (السنن) ولا يخلقها من عدم . . . بل إن لبعض علماء الفيزياء المرموقين المعاصرين - وهو بول ديفيس البريطاني - كتاباً سماه «ضد الطريقة - Against Method» يذكر فيه أن المنهج لم يكن في يوم من الأيام رائداً للبحث العلمي ، بل كان دوماً متخلفاً وتابعاً للبحث العلمي ! !

فالدور الضخم الذي يعطيه الجابري للمنهج يحتاج إلى مراجعة وتدقيق .

* في حديث المؤلف عن مرحلة التدوين في العصر العباسي ، أشار إلى ما كتبه ابن المقفع في رسالته التي سماها «رسالة الصحابة» حيث يرى فيها - كما

يرى محمد أركون - إنها ذات نفس علماني واضح . . . ! وحجتهم الوحيدة على ذلك : هو أنه لم يستشهد في هذه الرسالة بالقرآن ، ولا بالحديث ولا بأي عنصر آخر من الموروث الإسلامي . . ! والحقيقة أن القارىء لهذه الرسالة لا يجد ذلك النفس العلماني المزعوم ، وإنما غرض ابن المقفع الدعوة لتنظيم الدولة ، وتوحيد القضاء ، منعاً للاختلاط والاضطراب ، وذلك باستخدام سلطة الخليفة دون أي دعوة ظاهرة أو خفية إلى تنحية الشريعة ، أو تقديم بديل عنها ، وهو مطلب لا يوجد أي غبار عليه ، ولا يعتبر مطعناً في صاحبه ! .

* يركز الجابري في دراساته المختلفة على البعد العربي لمناهج التفكير والمدارس التي يحلل إنتاجها ، وهو بعد ليس له مبرر ، ذلك أن هذا التراث شاركت في بنائه وتكوينه عقول مختلفة من شتى الشعوب الإسلامية ، ولم ينفرد العرب في تكوينه ولا تدوينه ، وإنما هو ثمرة لتضافر جهود آلاف من الباحثين المسلمين في شتى التخصصات ، فلعل الكاتب خشي من سوء الفهم عند نقد العقل المسلم ، إذ يفهم بعضهم ذلك بأنه نقد «للمنهج الإسلامي» وليس لمناهج «المفكرين المسلمين» والفرق بعيد بين الأمرين .

ورغم وجاهة هذا الاحتمال ، فإنه لا يكفي مبرراً لإضفاء صفة «قومية» على التراث الإسلامي ، ويمكن تلافي مثل هذه المخاطر بالتنبيه عليها في مطلع أو خاتمة مثل هذه الدراسة .

* وأخيراً . . . رغم النجاح الواضح الذي حالف المؤلف في تعرية تيارات الغنوص ، والعرفان الرافضي والباطني والفلسفي والصوفي ، وكذلك في الكشف عن مناطق الضعف والخلل عند بعض التيارات الأخرى ، إلا أنه في ذات الوقت لم يبلور للقارىء الملامح النهائية للمشروع النهضوي المنشود الذي

تتبناه هذه الدراسة وتدعو إليه . . . فظاهر أن المؤلف لا يقف موقف الموتور المعادي للموروث الإسلامي ، لكنه في ذات الوقت لم يبشر به ، ويعتبره المخرج مما نعانيه من أزمة على شتى الصُعُد . .

إن الحلول التي قدمها المؤلف في نهاية كتابه عن العقل السياسي وهي : -

«١ - تحويل القبيلة : إلى تنظيم مدني سياسي اجتماعي : لأحزاب أونقابات . . . الخ ، وفتح الباب لقيام مجال سياسي حقيقي ، تمارس فيه السياسة ويصل بين سلطة الحاكم وامتثال المحكوم .

٢ - تحويل الغنيمة : إلى اقتصاد ضريبة في إطار اقتصادي إقليمي جهدي وفي إطار سوق عربية مشتركة تفسح المجال لقيام وحدة اقتصادية عربية تنموية .

٣ - تحويل العقيدة : إلى مجال يسمح بحرية التفكير وحق الاختلاف والتحرر من سلطة الجماعة المغلقة والتحرر من سلطة عقل الطائفة والتعامل مع عقل اجتهادي نقدي» (العقل السياسي : ص ٣٧) .

هذه الحلول لا تمثل برنامجاً كافياً مبلوراً للخروج من أزمة التخلف والتبعية والتشرذم . . . ولذلك فإنني أدعو الباحث وغيره من الجادين في الرغبة بنهوض هذه الأمة ، ومحاولة استئناف مسيرتها القيادية لذاتها وللناس أدعوهم إلى مراجعة موقفهم من الحل الإسلامي ، واتخاذ موقف أكثر علمية من الموقف الهلامي الذي يتخذه كثير منهم . . . لابد لهم لكي يكونوا واقعيين مع أنفسهم أن ينحازوا للخيار الذي لا تقبل الأمة عنه بديلاً . . . ألا وهو رفع شعار الحل الإسلامي ، والتبشير به والدعوة إليه والسير الحثيث والفعلي لإنجازه . . .

﴿ **عسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين** ﴾ المائدة (٢٥) . . . ﴿ **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون** ﴾ البقرة (١٣٨) . . . ﴿ **ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس** ﴾ الحج (٧٨) .

والحمد لله رب العالمين .

---

(١) مما يؤسف له حقاً أن من بين المتمسكين بالنص في الإسلام من يتصور أن الإسلام ضد العقلانية ، وأن مقتضى الوفاء للنص يعني الحرب والعداء للعقل ، ولذلك يصفون المخالفين لهم «بالعقلانيين» ، وهذا خطأ مركب ، فعلماء السلف لم يكونوا يسمون أهل البدع إلا بأهل «الأهواء» لا أهل العقول ، ولم يكونوا يحاربون العقل أبداً كيف والله تعالى يبين في كتابه الكريم أن هلاك الهالكين إنما كان بسبب ترك النص والعقل ﴿ **وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير** ﴾ ، وهذه العجالة لا تكفي لتوفية هذا الموضوع حقه .

** وفي رأينا أن ذلك الرأي ليس لسيء النية فقط وإنما يفهمه أيضاً حسن النية . - البيان -

قراءة نقدية لمفهوم
« تصادم الحضارات »

د . أحمد محمد العيسى

مقدمة :

إن الحديث عن العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب ، يعتبر من أكثر المواضيع التي احتلت حيزاً واسعاً في أدبيات الفكر الإسلامي الحديث ، وذلك بسبب أن تلك العلاقة قد أخذت بعداً جديداً منذ أن استيقظت بلاد المسلمين على صيحات جنود نابليون الذين عادوا إلى الشرق عام ١٧٩٨ م ، بعد انقضاء فترة ليست طويلة - حضارياً - على نهاية الحملات الصليبية .

وقد أخذت العلاقة بعد تلك الحملة تتعقد كثيراً ؛ لأن أهداف الحملة - وما جاء بعدها حتى انتهت بالاستعمار الغربي لبلاد المسلمين - قد تغيرت كثيراً عن أهداف الحملات الصليبية التي كانت تهدف إلى «استعادة الأراضي المقدسة» من المسلمين ، لكن أهداف حملة نابليون ، ثم الاستعمار من بعده نقل الصراع من صراع عسكري إلى صراع فكري - ثقافي - عسكري - اقتصادي . . ، ولم تكتف تلك الحملات بالسيطرة المطلقة على مقدرات الشعوب الإسلامية ، بل اهتمت بزعزعة عقائد المسلمين ، وتبديل أخلاقهم وربط مصيرهم بالفكر الغربي ، الذي بدأ يقوده في تلك الفترة مجموعة من المستغربين أمثال : رفاعة

رافع الطهطاوي ، ثم سلامة موسى ، وطه حسين ، ولطفي السيد ، وأدباء المهجر ، وغيرهم ؛ لهذا فإن هناك تفسيران لتأثير حملة نابليون على «الشرق الإسلامي» .

الأول : أن هذه الحملة هي بداية ما سمي التنوير ، والعلم ، والثقافة واللحاق بركب التقدم والحضارة ، وهذا هو التفسير العلماني للعلاقة الحضارية بين العالم الإسلامي والغربي .

الثاني : هو أنها بداية حركة التغريب ، والاستلاب الحضاري ، وضياع هوية الأمة ، وهذا هو التفسير الإسلامي لتلك الحملة .

ونتيجة لهذين التفسيرين انتقل الصراع الحضاري جزئياً إلى داخل العالم الإسلامي ، بين ممثلين عن الغرب يتحدثون من منطلقاته وأهدافه ، وبين المؤمنين بالتميز الحضاري والعودة إلى جذور الأمة وأصولها لبناء الأسس العقائدية والأخلاقية والفكرية ، ثم الانطلاق للتنافس عالمياً مع حضارات سادت قيمها ومنظومتها الحضارية ، حتى كادت أن تزيل الحضارات الأخرى من الوجود .

وبعد صراعات عديدة في الداخل والخارج ، أخذت أشكالاً متعددة سقطت الأيديلوجية الشيوعية ، وظن الكثيرون أن آخر القلاع التي تقف في مواجهة الحضارة الغربية بكل قيمها وأنظمتها قد سقطت ، وتوقعوا أن القيم الغربية لن تجد عوائق جديدة تحول دون انتشارها ودون تداعي الشعوب والأمم عليها ، فبعيد الأحداث «الدرامية» التي كانت تسجل سقوط الشيوعية ظهرت كتابات وطروحات عديدة مثل «طروحات فوكاياما» ، تؤكد على أن الحضارة الغربية سوف تكتسح العالم لتسجل – في زعمه – «نهاية التاريخ» .

ولكن هذا التفاؤل ، وهذه الأفكار اتضحت سذاجتها بعد مرور وقت قصير ، حين تبين أن هناك عوائق وعوامل أكثر تجذراً وثباتاً من الأفكار الأيديلوجية أو الصراعات الاقتصادية والسياسية ، بل لقد اتضح أن نهاية الحرب الباردة قد أبرزت هذه العوامل وساعدتها على التجذر والرسوخ ، بعد أن سقط وهم القوتين العظميين ، ووهم الجبهة الشرقية والجبهة الغربية ، ووهم عدم الانحياز ، وهذه العوامل أو العوائق التي نشير إليها ، هي خصائص الحضارات ، ومقوماتها الداخلية ، ومن أهمها : الدين ، واللغة ، والتاريخ وهذا يجعل من الصعوبة القضاء عليها ، بل إنها تقوى عندما تشعر الشعوب أن حضارتها التي تنتسب إليها تتعرض لخطر خارجي كبير .

إذن : تهاوت فكرة (فوكاياما - نهاية التاريخ) ، وبرزت فكرة (صامويل هنجتون - تصادم الحضارات) ، التي تقول : إن الصراع في المستقبل ، سيكون بين الحضارات الرئيسة في العالم المعاصر ، و«صامويل هنجتون» هو أستاذ علم الحكومة ومدير معهد (أولين) للدراسات الاستراتيجية بجامعة «هارفرد» في الولايات المتحدة ، وقد نشرت أفكاره حول (تصادم الحضارات) في العديد من الصحف والمجلات الغربية ، وكان مقاله الرئيس قد نشر في مجلة «الشؤون» المتخصصة في الشؤون السياسية والدراسات الاستراتيجية في عددها (صيف ١٩٩٣) ، وهذا المقال الذي سيكون (بإذن الله) مجال قراءتنا هذه ، هو نتاج لدراسة خاصة بالمعهد الذي يديره (هنجتون) حول «الظروف الأمنية المتغيرة والمصالح القومية الأمريكية» .

أهمية الدراسة :

هناك بعض العوامل التي تعطي هذه الدراسة أهمية كبيرة في مجال

العلاقات الدولية ومستقبل العالم في مرحلة ما بعد الحرب الباردة ، ومنها :

١ - يعتبر كاتب المقال (أو الدراسة بتعبير أصح) ذو مكانة علمية مرموقة في الدراسات الاستراتيجية ؛ إذ أنه يرأس معهداً مهماً وفي جامعة مشهورة عالمياً ، فهو إذن ليس صحفياً يهتم برصد الأخبار اليومية والمناسبات الإعلامية ، كما أن الدراسة في جوهرها نتاج مشروع عن التغيرات الأمنية ومصالح الولايات المتحدة ، ومعظم هذه الدراسات تدعمها الحكومة الأمريكية ومراكز الدراسات الاستراتيجية ، وهدفها تقديم مقترحات وتصورات حول القضايا الشائكة للحكومة الأمريكية ، يتم تنفيذها كسياسة مستقبلية للولايات المتحدة ، ولعل من أهم ما جاء في هذه الدراسة ، التوصيات التي ذكرها الباحث في نهاية بحثه لأصحاب القرار في السياسة الغربية والتي سنشير إليها في مكان آخر من هذا المقال.

٢ - إن الحديث عن الصراع بين الحضارات ليس جديداً في أدبيات الأمم وخاصة الأمة الإسلامية ، فكثيراً ما طرق هذا الموضوع بعض المفكرين الإسلاميين أمثال سيد قطب - رحمه الله - ومحمد قطب ، وأبو الأعلى المودودي ، ومالك بن نبي ، وأبو الحسن الندوي وغيرهم من المفكرين الذين كتبوا عن الصراع الحضاري بين الإسلام والغرب ، كما أن كثيراً من المفكرين الغربيين كتبوا حول هذا الموضوع مثل أرنولدتوينبي ، وول ديورانت وغيرهم كثيرون ، وقد أشار الكاتب نفسه إلى هذه الحقيقة عندما قال : «وعند كلا الجانبين : فإن التفاعل بين الإسلام والغرب يُرى على أنه صدام بين الحضارات» ، إذن الفكرة ليست جديدة ، ولكن الذي يعطيها أهمية خاصة هو التوقيت الزمني لطرحها بهذا التفصيل والزخم

الإعلامي الذي روج لها.

إن الفترة التي أعقبت سقوط الشيوعية شهدت أحداثاً عالمية مهمة مثل (حرب الخليج - الحرب في البوسنة والهرسك - الحروب التي نشبت داخل جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق - التكتلات الاقتصادية الجديدة) ، وهذه الأحداث أكدت أن أسباب الخلافات هي أكثر عمقاً من المصالح السياسية أو الاقتصادية التي كان يُعتقد أنها السبب في نشر تلك الأحداث ، كما أكدت للمفكرين الساسيين الغربيين أن إقامة (النظام العالمي الجديد) على القيم والمبادىء الغربية ، سوف يقابل برفض كبير من الشعوب الأخرى التي تعتز وتحافظ على مقومات حضارتها الخاصة ، وهذا قد سبب صدمة لدى هؤلاء المفكرين ، جعلهم يعيدون طرح مسألة (تصادم الحضارات) كحقيقة سوف تبرز كثيراً في المستقبل القريب.

٣ - إنه لأول مرة - في ما أظن - يقوم مفكر سياسي غربي بتوضيح جملة من الحقائق بوضوح تام وبعبارات سهلة ، والتي طالما غُيبت في دهاليز العبارات السياسية الفضفاضة والمقالات الأيديلوجية الموجهة لخدمة مصالح الطبقات ذات النفوذ في السياسة الغربية ، ومن هذه الحقائق التي وردت في دراسة (هنجتون) ما يلي :

أ - إن الدين هو أهم العوامل التي تميز بين الحضارات ، وهو العامل الأهم في صراعات المستقبل.

ب - إن القرارات التي تصدر عن مجلس الأمن وعن صندوق النقد الدولي ، إنما تعكس مصالح الغرب ، وهي تخرج إلى العالم على أساس أنها تعبر عن رغبات «المجتمع الدولي» ، كما أن مصطلح

«المجتمع الدولي» هو الوجه الآخر لمصطلح «العالم الحر» ويستخدم لإعطاء الشرعية العالمية للقرارات التي تعكس رغبات ومصالح الولايات المتحدة والدول الغربية الأخرى.

جـ- مصطلح «الحضارات العالمية» هو فكرة غربية بحتة، هدفها إبراز أن القيم الغربية هي قيم عالمية يجب على كل الشعوب الأخذ بها والحقيقة أن أحد الباحثين قد توصل بعد مراجعة أكثر من ١٠٠ بحث مقارن للقيم في العالم، إلى نتيجة أن «القيم التي تعتبر أكثر أهمية في الغرب هي أقل أهمية في العالم أجمع».

د - الحكومات الديمقراطية الحديثة كان منشؤها في الغرب، وأنها إذا وجدت في غير المجتمعات الغربية فهي قد نتجت عن الاستعمار والفرض بالقوة من جانب الغرب.

هـ- الهدف الأساسي من عملية التحكم في التسلح في فترة ما بعد الحرب الباردة: هو منع الدول غير الغربية من تطوير القدرات العسكرية التي قد تهدد مصالح الغرب.

بعض الأفكار المهمة في الدراسة:

لقد وردت في دراسة (صامويل هنجتون) العديد من الأفكار الهامة التي يمكن ترتيبها في عدة نقاط حتى يتمكن القارىء من معرفة أهم طروحات الكاتب في مجال (تصادم الحضارات): -

١ - يعبر الكاتب عن الفكرة الرئيسية من الدراسة في المقدمة: وهي أن المصدر الأساسي للصراع في العالم الجديد لن يكون أيديلوجياً أو

اقتصادياً وإنما صراعاً حضارياً ، «سوف تحدث الصراعات الرئيسة في السياسة العالمية بين المجموعات والدول من حضارات مختلفة ، وإن الخطوط المتصدعة بين الحضارات سوف تكون خطوط المعارك في المستقبل . . . » .

٢ - الهوية الحضارية سوف تحظى بأهمية متزايدة في المستقبل ، وسوف يتشكل العالم عن طريق التفاعل بين سبع أو ثمان حضارات عالمية هي : الغربية ، الكنفوشوسية ، اليابانية ، الإسلامية ، الهندية ، الأرثوذكسية السلافية ، الأمريكية الجنوبية ، وربما الإفريقية ، وإن أهم صراعات المستقبل سوف تحدث على طول الخطوط التي تفصل بين هذه الحضارات للأسباب التالية :

الأول : أن الاختلافات بين الحضارات هي اختلافات جوهرية ، وذلك لاختلاف التاريخ ، واللغة ، والثقافة ، والتراث ، وأهم من ذلك لاختلاف الدين ، وأن الناس من مختلف الحضارات ، يملكون نظرات مختلفة للعلاقة بين الإنسان والله وبين الفرد والجماعة ، وبين المواطن والدولة ، وبين الأطفال والآباء ، و بين الزوج والزوجة ، ويملكون نظرات مختلفة حول الحقوق والواجبات ، والحرية والمسئولية والمساواة والطبقية وهذه الاختلافات هي نتاج قرون من الزمن وهي اختلافات أصيلة - إلى حد بعيد - أكثر من الاختلافات بين الإيديلوجيات والأنظمة السياسية .

الثاني : أصبح العالم الآن مكاناً صغيراً ، والتفاعلات بين الناس من مختلف الحضارات تزداد يوماً بعد يوم ، وهذه التفاعلات تكثف الوعي

الحضاري والمعرفة بالفروق بين الحضارات ، والأمور المشتركة داخل كل حضارة ، وقد ولدت الهجرة من شمال أفريقيا إلى فرنسا : الشعور بالعداء لدى الفرنسيين ، وفي نفس الوقت زادت من قبول الهجرة إلى فرنسا من البولنديين الكاثوليك ، وكان رد الفعل لدى الأمريكيين أكثر سلبية للاستثمار الياباني ، مقارنة بالاستثمار الكبير من أوربا وكندا .

الثالث : لقد أثر التطور الاقتصادي ، والتغيير الاجتماعي ، في كثير من الدول إلى إضعاف أن تكون الدولة الواحدة هي مصدر الهوية ؛ ولهذا تحركت كثير من الديانات العالمية لسد الفراغ ، وجاء هذا في شكل حركات تُدعى الآن بـ «الأصولية» ، ويشكل الشباب المتعلم في الجامعات والفنيين من الطبقات الوسطى والمهنيين ورجال الأعمال الأشخاص النشطين في الحركات الأصولية ، وكما قال (جورج ويجل) : «إن رفض علمانية العالم هي واحدة من أكبر الحقائق الاجتماعية التي تسيطر على الحياة في السنوات العشرين الأخيرة من القرن العشرين» .

الرابع : إن نماء الوعي الحضاري قد ازداد بسبب الدور المزدوج للغرب فمن جهة يعتبر الغرب حالياً في القمة من ناحية القوة العسكرية ، ومن جهة أخرى فإن ظاهرة العودة إلى الجذور تحدث بشكل أكبر في المجتمعات غير الغربية ، «إن غرباً في القمة من ناحية القوة يواجه عالماً غير غربي يملك الرغبة والإرادة والإمكانات لتشكيل العالم بطرق غير غربية . . » ، لقد كانت النخب في المجتمعات غير الغربية تتكون من الأشخاص الذين تعلموا في جامعات الغرب ، وتشربوا المواقف والقيم الغربية ، وفي نفس الوقت كان العامة يحتفظون بعمق الثقافات المحلية

أما الآن فقد انعكست العلاقة حيث أصبحت النخب تتشكل من الأشخاص الذين رفضوا التأثر بالثقافة الغربية ، وفي الوقت نفسه بدأت الثقافة الغربية وخاصة الأمريكية تصبح مشهورة على مستوى الجمهور العريض في تلك الشعوب .

الخامس : إن خصائص الحضارات واختلافاتها هي أقل تحولاً وتقلباً كما أنها لا تقبل الحلول الوسط والتسويات بسهولة ، بعكس خصائص الاقتصاد والسياسة : فمثلاً في الاتحاد السوفيتي السابق يمكن أن يصبح الشيوعي «ديمقراطياً» ، والغني فقيراً ، والفقير غنياً ، ولكن الروسي لا يمكن أن يصبح أستونياً ، والأذاري لا يمكن أن يصبح أرمينياً ، ففي الصراعات الأيديلوجية والطبقية يكون السؤال الرئيس هو : (مع أي الجهات تقف ؟) ، أما في الصراعات الحضارية فيصبح السؤال هو : (من أنت ؟). «وكما نعلم من البوسنة إلى القوقاز ، إلى السودان : فإن الإجابة الخاطئة على ذلك السؤال قد تعني رصاصة في الرأس» .

السادس : إن «أقلمة» الاقتصاد تزداد يوماً بعد يوم ، فالكتل الاقتصادية الإقليمية سوف تزدادعلى ما يبدو في المستقبل ، وإن «أقلمة» الاقتصاد سوف تنجح فقط عندما تمتد جذووها في حضارة واحدة ، إن المجموعة الأوربية تكون سعيدة وهي تعمل ضمن قاعدة ثقافية متجانسة من ناحية اللغة والدين النصراني الغربي ، وإن نجاح منطقة التجارة الحرة في أمريكا الشمالية سوف تعتمد على التقارب بين الثقافة الأمريكية - الكندية وبين الثقافة المكسيكية ، أما اليابان فإنها تواجه صعوبات في إيجاد كيان اقتصادي في شرق آسيا لأن اليابان تتكون من وحدة حضارية فريدة .

٣ - الصراعات العسكرية التي استمرت عدة قرون بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية سوف تستمر في المستقبل ، وربما تكون أكثر قساوة وإن العلاقات بين الحضارتين سوف تتعقد أكثر بسبب التركيبة السكانية. إن الازدياد الهائل في نمو السكان في الدول العربية وخاصة في الشمال الأفريقي ، أدى إلى زيادة الهجرة إلى أوربا الغربية ، مما أدى إلى زيادة العنف والعنصرية في إيطاليا وفرنسا وألمانيا ضد المهاجرين العرب والأتراك ، وتواجه حدود الإسلام الأخرى حروباً طاحنة : ففي الجنوب هناك الحروب بين المسلمين والنصارى في جنوب السودان والقرن الإفريقي ونيجيريا ، وفي الشمال هناك الصراع بين المسلمين والارثوذكس ويتمثل في الحرب بين الصرب والمسلمين ، والعنف المتزايد بين أرمينيا وأذربيجان ، والحروب الأخرى التي تهدد مصالح روسيا في القوقاز وآسيا الوسطى ، وفي الشرق هناك النزاع بين باكستان والهند وبين المسلمين والبوذيين في بورما ، وبين المسلمين والكاثوليك في الفلبين ، «إن الإسلام يملك حدوداً دموية . . » .

٤ - سوف يحصل في المستقبل نوع من التضامن داخل الحضارات وذلك حين تدخل بعض الجماعات أو الدول في حروب مع جماعات من حضارات مختلفة ، مما يعني طلب الدعم من الأعضاء الآخرين في الحضارة ، ولقد حل التشابه الحضاري محل التوازن التقليدي والتحالف بين الأيديلوجيات السياسية كقاعدة أساسية للتعاون والتحالف ، ومن الأمثلة على ذلك : الحروب في البلقان ، حيث قدمت المجموعة الأوربية مساعدات عاجلة واعتراف بكرواتيا وسلوفينيا الكاثوليكية ، كما أن روسيا تقوم بدعم الأرثوذكس الصرب ، ويحاول المسلمون الحصول

على الدعم من الدول الإسلامية ، ومن الأمثلة أيضاً ما يحدث من حروب كثيرة بين المسلمين والنصارى في أماكن مختلفة من الاتحاد السوفيتي السابق ، وبعض الحروب بين النصارى الغربيين وبين النصارى الأرثوذكس في جمهوريات البلطيق ، إلا أننا لا نجد أن هناك صراعات بين الروس والأوكرانيين لأنهم ينتمون إلى حضارة واحدة .

٥ - يعيش الغرب حالياً في القمة من ناحية القوة العسكرية والاقتصادية مقارنة بالحضارات الأخرى ، والغرب يسيطر على المؤسسات السياسية والأمنية الدولية ، ومع اليابان بالنسبة للمؤسسات الاقتصادية الدولية ولهذا فإن الكفاح من أجل الحصول على مصادر القوة العسكرية والاقتصادية والمؤسساتية هو واحد من مصادر الصراع بين الغرب وبقية الحضارات ، كما أن الاختلافات في الثقافة وفي القيم الأساسية تكون المصدر الثاني للصراع ، ولذلك فإن محاولة الغرب لاستخدام قوته للعمل الدعائي للأفكار الغربية سوف تقابل برد فعل ضد (إمبريالية حقوق الإنسان) ، وسيزيد هذا العمل من التثبت بالقيم المحلية ، ويمكن ملاحظة ذلك في الدعم الذي تتلقاه الحركات (الأصولية الدينية) من الأجيال الشابة في الثقافات غير الغربية .

٦ - سوف تظهر في المستقبل بعض الدول التي لديها مقدارٌ من التجانس الثقافي ، ولكنها منقسمة حول ما إذا كان مجتمعها ينتسب إلى هذه الحضارة أم تلك ، ويمكن تسمية هذه الدول بـ «الدول الممزقة» ، والتي يتمنى زعماؤها الانضمام إلى الدول الغربية ، ولكن التاريخ والثقافة والتراث في تلك الدول ليس غربياً ، وأوضح الأمثلة على ذلك تركيا

التي حاول (أتاتورك) أن يجعلها دولة غربية علمانية حديثة ، وقد انضمت إلى دول حلف (الناتو) وتقدمت إلى عضوية المجموعة الأوربية ولكن الشعوب الأوربية رفضت أن تقبلها دولة غربية ، وبالتالي رُفض انضمامها للمجموعة الأوربية .

٧ - إن العقبات أمام الدول غير الغربية للالتحاق بالغرب تختلف بدرجة كبيرة ؛ إذ أنها أقل بالنسبة لدول شرق أوربا وأمريكا اللاتينية ، وهي عقبات كبيرة للدول الأرثوذكسية في الاتحاد السوفيتي السابق ، وهي عقبات أعظم أمام المجتمعات الإسلامية ، والكنفوشوسية ، والهندية والبوذية ، وتلك المجتمعات تحاول تطوير قدراتها العسكرية والسياسية والاقتصادية بعيداً عن النموذج الغربي ، ولكن عن طريق التطوير الداخلي ، والتعاون مع مجتمعات أخرى غير غربية ، وإن أقرب شكل لهذا التعاون هو الاتصال (الإسلامي/ الكنفوشوسي) ، الذي بدأ يتشكل لتحدي القوة والقيم والمصالح الغربية .

وبدون استثناء فإن الدول الغربية وروسيا تخفض الآن من قوتها العسكرية ، ولكن الصين وكوريا الشمالية والعديد من دول منطقة الشرق الأوسط قد زادت من قدراتها العسكرية بدرجة كبيرة .

إن الصراع بين الغرب وتحالف (الإسلامية/ الكنفوشوسية) سوف يركز بدرجة كبيرة على الأسلحة النووية ، والكيميائية ، والبيلوجية والصواريخ ذات المدى الطويل والأسلحة المتطورة الأخرى ، وكذلك القدرات في مجال الاستخبارات والوسائل الالكترونية الأخرى ، وفي هذا الشكل الجديد من التنافس لسباق التسلح نجد أن جهة واحدة تطور

أسلحتها والأخرى تحاول الحد والتخفيض - وليس إحراز التوازن - في إمكاناتها العسكرية .

ماذا يجب على الغرب أن يفعله ؟

في نهاية هذه الدراسة التي أشرنا لأهم الطروحات التي تناولتها ، ذكر الباحث بعض السياسات التي ينبغي على الغرب أن يتبناها لمواجهة مستقبل (صراع الحضارات) ، وقد قسّم هذه السياسات إلى مزايا قصيرة المدى وإلى كيفية التكيف مع هذه المتغيرات على المدى الطويل ، ومن المزايا التي يمكن للغرب استغلالها على المدى القصير ما يلي :-

١ - على الغرب أن يسعى إلى تعاون أوثق واتحاد بين الدول داخل الحضارة الغربية وخاصة بين دول أوربا ودول أمريكا الشمالية .

٢ - ضرورة السعي لدمج شرق أوربا وأمريكا الجنوبية اللاتينية في المجتمع الغربي ، لأن هذه الدول تملك ثقافة قريبة من ثقافة الغرب .

٣ - السعي للدعوة والحفاظ على علاقات تعاونية أوثق مع روسيا واليابان .

٤ - منع تطور الصراعات المحلية داخل الحضارة الغربية إلى صراعات كبيرة .

٥ - الحد من توسع القوة العسكرية للدول الإسلامية والكنفوشوسية .

٦ - التوسط في تخفيض القوة العسكرية الغربية والحفاظ على التفوق العسكري في شرق وجنوب غرب آسيا .

٧ - استغلال الاختلافات والصراعات بين الدول الإسلامية والكنفوشوسية .

٨ - دعم الجماعات في الحضارات الأخرى التي تتعاطف مع القيم والمصالح الغربية .

٩ - تقوية المؤسسات الدولية التي تعكس وتمنح الشرعية للمصالح والقيم الغربيةللدعوة لمشاركة دول غير غربية في هذه المؤسسات .

أما على المدى الطويل فإن الدول التي تنتمي إلى حضارات غير غربية سوف تستمر في المحاولة للحصول على الثروة والتقنية والمهارات والأجهزة والأسلحة حتى تكون دولاً حديثة ، وسوف تحاول أيضاً أن توفق بين التحديث والثقافات والقيم المحلية ، ولهذا فإن قوتها العسكرية والاقتصادية مقارنة بالغرب سوف تزداد ، ولذلك على الغرب أن يُكيّف هذه الحضارات التي سوف تصبح قوتها قريبة من قوة الغرب ، ولكن قيمها ومصالحها تختلف بدرجة كبيرة عن الغرب ، وهذا يتطلب من الغرب أن يحافظ على قوته العسكرية والاقتصادية الضرورية لحماية مصالحه ، ويتطلب أيضاً أن يطور الغرب فهمه العميق للافتراضات الدينية والفلسفية التي تقف عليها تلك الحضارات وينبغي معرفة الطرق التي يرى بها الناس في تلك الحضارات مصالحهم الذاتية .

عود على بدء :

يتضح من الأسطر السابقة أن الكاتب بدأ دراسته بتشخيص حالة العالم بعد سقوط الشيوعية ، وتقهقر الصراعات الأيديلوجية ، لتبرز من جديد الفروق الجوهرية بين بني البشر ، وهي الفروق التي طمرتها حقبة الحربين العالميتين والحرب الباردة ، إنها الفروق الحضارية التي يشكلها الدين واللغة والتاريخ والثقافة والتراث ، وقد كان هذا التشخيص لشكل العالم الجديد في ظل ظاهرة العودة إلى الجذور متطابقاً - إلى حد بعيد - مع الأحداث التي تجري على الساحة منذ بداية الثمانينات ، وهي الفترة التي شهدت مرحلة الانهيار الكبير للشيوعية وحتى اليوم ، وبالنسبة لنا - نحن المسلمين - فإن هذا الوضوح

والتمايز بين الحضارات سوف يساعد - ولا شك - في تمييز المواقف وسقوط الأقنعة والشعارات التي كان يرددها كثير من المستغربين من أبناء الأمة ، فكثيراً ما كان يُرَدَدُ مصطلح «عالمية الحضارة» و«الهموم الإنسانية المشتركة» ، وكثيراً ما طالب أصحاب الأدب والفكر بالانفتاح على الحضارات ، وعدم الانغلاق على الذات وبالبحث عن القواسم المشتركة بين حضارة الإسلام وحضارة الغرب وغير ذلك من الطروحات وشعار «الحضارة العالمية» هو كما ذكر (هنجتون) : مصطلح غربي بحت ، يطرح عالمياً ليكون ستاراً لنشر القيم والمبادىء الغربية على أنها مبادىء عالمية وليست خاصة بأمة معينة .

وعلى الرغم من أن كاتب هذه الدراسة قد أكد على كثير من الخصائص التي تميز بين الحضارات ، واستطاع أن يوضح العلاقات والقوانين التي يمكن أن تتحكم في العلاقات الدولية في ظل صراع الحضارات ، إلا أنه قد وجه دراسته في النهاية نحو ما يمكن أن يسمى بـ «الاتجاه السائد في الغرب للبحث عن خطر عسكري جديد بدلاً عن الشيوعية» ، ولهذا نجد أن الباحث قد ركز عند حديثه عن خطورة الاتصال بين الحضارة الإسلامية والكنفوشوسية - كحلف متوقع ضد الغرب - ركز على الجانب العسكري ، بل وعلى جانب التسليح فقط من التعاون الحضاري ، وقد أغفل الجوانب الرئيسة التي تكون الحضارات وتدعم التعاون بينها ، مثل الدين واللغة والتاريخ المشترك ، وكان الاستشهاد على وجود نوع من التحالف بين الإسلام وبين الحضارة الكنفوشوسية بتصدير الأسلحة إلى دول مثل ليبيا وإيران والجزائر والعراق وباكستان ، متهافتا جداً حيث إن العديد من الدول العربية والإسلامية الأخرى تعتمد على التسلح من دول الغرب ، ولم يعتبر أحداً أن هذا التعاون هو تحالف حضاري بين الإسلام والغرب ، ويبدو أن المؤلف في هذا الجزء من الدراسة قد قام بعملية قسرية

لأفكاره لتتماشى مع الحملة الكبيرة على المستوى السياسي في الغرب لتصوير الإسلام بالخطر البديل عن الشيوعية ، وذلك لأن الجمهور الغربي ، كما يقول شومسكي : «لن يختار الدرب الذي يخدم مصالح الشركات الكبرى ولن يزيد المغامرات الخارجية لإخضاع العالم الثالث للمطالب ذاتها إلا إذا سيق إلى ذلك عن طريق الخوف . .» .

ويمكن الاستشهاد بتهافت فكرة خطر التعاون العسكري بين الصين وبعض البلاد الإسلامية ، على الغرب بما ذكره الكاتب من أن هناك جهة (الجهة الإسلامية/ الكنفوشوسية) تطور أسلحتها وقدراتها العسكرية ، وجهة أخرى (الجهة الغربية) تخفض وتحد من إمكاناتها العسكرية ، ولا شك أن الفارق عظيم بين الجهتين في الوقت الحاضر من ناحية التفوق العسكري والتقني ، كما أن الرقابة على تصدير الأسلحة النووية وغيرها والذي تقوم به الدول الغربية يمنع إحراز البلاد الإسلامية ولو على جزء يسير مما عند صنيعة الغرب في المنطقة «إسرائيل» .

ولهذا فإن التوصيات التي ذكرها الكاتب في نهاية مقاله والموجهة إلى الغرب للعمل بها كاستراتيجية على المدى القصير ، وعلى المدى الطويل توضح بجلاء تركيز الكاتب على الجانب العسكري ، كمخرج وحيد لحماية مصالح الغرب ونشر قيمه وثقافته ، ويبدو أن هذا التركيز يأتي متوافقاً مع مصالح أصحاب رؤوس الأموال في بلاد الغرب من الطبقة السياسية والصناعية التي يهمها استمرار الاستثمار في التسلح والصناعات العسكرية وعدم إغلاق مصانع الأسلحة العملاقة في الدول الغربية ، وبتعبير شومسكي أيضاً : «كان الانفراج في توترات الحرب الباردة ، بالنسبة للصفوة الأمريكية ، نعمة تشوبها

نقمة ، صحيح أن وهن الرادع السوفيتي سهل للولايات المتحدة لجوءها إلى العنف والقسر في العالم الثالث ، وأن انهيار المنظومة السوفياتية عبّد الطريق أمام إدخال أوربا الشرقية والوسطى في مناطق يراد لها أن «تكمل اقتصاديات الغرب الصناعية» ، ولكن ثمة مشاكل تنشأ بشأن السيطرة في الداخل على جمهور يتزايد خطره باستمرار ، وبشأن الحفاظ على النفوذ في أوساط الحلفاء وهم الآن منافسون حقيقيون في حقل القوة الاقتصادية ، كما أنهم سباقون في عملية تكييف العالم الثالث الجديد لخدمة حاجاتهم . . ولهذا كان الافتراض هو أن يكون الاستثمار في مسائل الحاجات الاجتماعية بديلاً ممكناً لمنظومة «البنتاغون » ، وهذا الخيار وإن كان ممكن الحدوث فنياً وفق القياسات المجردة للاقتصاديين ، إلا أنه خيار يتعارض مع امتيازات المالكين والمديرين ، ولهذا فهو مرفوض كخيار سياسي . . » .

وكخاتمة لهذه القراءة ينبغي التأكيد على ما بدأنا به ، وهو أن مفهوم الصراع الحضاري ليس جديداً في الساحة الفكرية ، وأن الصراع موجود فعلا ولكن التركيز عليه في مثل هذه الدراسات يمنح كثيرين من الذين قد تأثروا بالطروحات التي تنادي بالحضارة العالمية وبامتزاج الحضارات ، الفرصة لإعادة النظر والتفكير في مواقعهم الحالية ، فإن الحالة في وقت الصراع الحضاري هي أن تقف هنا أو تقف هناك وليس هناك موقف في الوسط . . .

قاصمة الطلاسم

سعود حامد الصاعدي

هذه القصيدة التي سميتها (قاصمة الطلاسم) راجياً أن تكون شهاباً يسحق طلاسم الشاعر (إيليا أبو ماضي) في قصيدته (الطلاسم) والتي تحمل تساؤلات كثيرة عجز عن استيعابها ، وإن كانت يسيرة يجيب عليها كل مؤمن ذي فطرة سليمة ، لم يخالطها زيف ولا باطل ، فهو يقول في قصيدته تلك :

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيتُ
ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيتُ
وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيتُ
كيف جئت كيف أبصرت طريقي ؟!
لستُ أدري

وحيث أن تلك القصيدة مشهورة إلى حد أن وضعت في مناهج النصوص في كثير من الدول العربية مع ما فيها من انحراف وإلحاد.

فقلت هذه الأبيات رداً عليها :

أنت حي قد براك الله في هذا الوجود
أنت حـــر غير أن الله أعطاك الحدود

فتبصر في طريق دربــه فيـه السعود
لو سمعت الحق يوماً فتتبعت كلامـه

سوف تدري

إن بعد الموت هــولاً وظلاما للقبور
للذي قد حاد كبراً عن هتافات النذير
والذي قد قال حقاً لظلام القبر نــور
أتراكم في نعيم ؟ أم تراكم في جحيم ؟!

سوف تدري

فطريق الخير معروف بنور شــع منه
وطريق الشر شــوك من رآه فر عنه
فلماذا تهت درباً أنك قد جـئـت منه
أترى الإنكار غنم ؟ أم ترى الإنكار جرم ؟

سوف تدري

إن بعث العظم حق ستراه صار حقا
وترى ما كان يخفى وترى ما كان دقا
سوف تدري عندها أن كل شيء كان صدقا
فلماذا أنــت تدري ؟ ثم كبراً تتمطى

لستَ تدري

أوما بالعقل فكر أن هذا الليل يسري
ثم من بعدُ يعود وكذا فالعمر يجري
وهو حق ليس يذكر فلماذا لستَ تدري
لستَ تدري ، لستَ تدري ولماذا ؟

لستُ أدري

بريد القراء

مازال القراء يغمرونا برسائلهم ما بين مشاركات وتساؤلات وتقدير ونحن نرحب بكل مشاركة تتفق وخط المجلة المتسق مع نهج سلفنا الصالح (أهل السنة والجماعة) ، ويسعدنا الرد على ما تيسر من الرسائل . . والله نسأل أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه :

١ - سليم عبدالرحمن الزغل : وصلتنا رسالتك ، وما تحمله من موضوعات أحيلت للمختصين لبيان مدى مناسبتها للنشر ، وستُفَادُ عن ذلك فيما بعد.

٢ - محسن الرملي : القصة مع نبل هدفها إلا أنها تحتوي على إشارات غير مناسبة ولا تتفق والمنهج الفني للقصة.

٣ - أنور قاسم الخضري : أُرْسِلَتْ لك رسالة خاصة.

٤ - أبو محمد عاصم المقدسي : نعتذر عن نشر موضوعك (الفرق بين الديمقراطية والشورى) إذ لا جديد فيه.

٥ - الأخوة الكرام : فارس ال حامد ، وإبراهيم العطوي ، وسرحان الدوسري ، ومحمد أحمد العسيري ، رسائلكم وصلت ، وسيرى النور المناسب والصالح للنشر منها - إن شاء الله - في الأعداد القادمة.

لهاث المهزومين

تركي المالكي

حيثما قلّبت نظرك في ركام الإصدارات الإعلامية المختلفة ، تجد نَفَس المهزومين ولهاثهم يفترش مساحات لا تنتهي من الورق المصقول . . إنهم جميعاً يحاصرونك بكل ما يملكون من أدوات كتابية كي يقولوا لك في النهاية : استلقِ على ظهرك وجهز عنقك للذبح ! أوفاقبل - بكل ترحيب - أن تكون صلصالاً من عقل وعاطفة يشكلهما من يسيطر عسكرياً على اللحظة الزمنية الحالية كيف شاء ، ويوجههما حيث شاءت أهدافه وثقافته ! . . وهما خياران وحيدان لدى هؤلاء : إما الاستسلام والقبول المطلق بالانضمام إلى قافلة العبيد في إقطاعيات المستعمر الغربي ! أو الموت قتلاً تحت أقدامه العسكرية ، أو جوعاً وراء جدران حصاره الاقتصادي .

وأي طرح غير هذا الطرح يُسِّمرونه مباشرة في جدران التهويمات الميتافيزيقية ، وأحلام الليل غير القابلة للتحقق ! أو يوسم بأنه جزء من الشعارات التي يرفعها المتطرفون لخداع الجماهير وتسلق سلم السلطة !

هذا اللهاث المحموم الذي يدعو الأمة إلى عرض ذاتها مجاناً في مزاد الحضارات حتى تكسب رضى الآخر الغربي ، عسى أن يدخلها في قائمة المتحضرين من الأتباع لم يكن في يوم من الأيام أكثر جرأةً (وتمكينا !) مما هو عليه الآن ، ولعل الحاجة ماسة إليه كي يمهد الأرض الثقافية والنفسية للتطبيع القادم ! .

حتى رهبان القومية السابقين دخلوا - علناً - (بورصة الدولار) بعد أن احترق الروبل! ، وأصبحوا يدعون إلى (دمقرطة المجتمع) قبل (دمقرطة السياسة) ، ويفيضون في الحديث عن نسبية الهوية ، وقبولها للتغيرات المختلفة بحسب طبيعة المرحلة التاريخية المعينة ومزاجها العام ! فليس هناك ثوابت مطلقة وكل شيء قابل للتغيير ، ثم يجعلون من الارتماء في حضن العدو وإدارة الخد الآخر له حتى يستنفذ رغبته في الصفع ! إفاقةً عقلانية ، تتعامل مع الواقع بلا تزييف ، أو علامة صحة - زعموا - تخلصت الأمة بها من أوهام الأدلجة !

إنها لغة المهزومين . . أما الأسياد فهم هناك يتحدثون عن نهاية التاريخ ووقوفه خاشعاً عند أقدامهم الليبرالية ! وحين لا يصدق الواقع أحلامهم يعودون إلى رسم مشاهد لصراع الحضارات وإعلان النفير ضد العدو الإسلامي القادم ، ولو كان كل عتاده اليوم (شريط كاسيت) !! .

مطابع الأهرام بكورنيش النيل

البيان

مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن

المنتدى الإسلامي (لندن)

العنوان

AL BAYAN MAGAZINE

7 Bridges Place
Parsons Green
London SW6 4HR U.K.
Tel : 071 - 731 8145
Fax : 071 - 371 5307

كلمة صغيرة

دينكوشوت جديد

أصحاب المبادىء يستميتون في الدفاع عن مبادئهم والدعوة لها وإن كانوا على باطل ، فكيف إذا كانوا على الحق ؟ لا شك أنهم أولى بالصمود والدعوة لمبادئهم والدفاع عنها حتى آخر نفس وبالتي هي أحسن ..

ومازال المبطلون - كعادتهم - يشيعون الشر والفاحشة في الذين آمنوا ربما ليكونوا شيئاً مذكوراً ، ومن هؤلاء (سلمان رشدي) و(علاء حامد) ، ويأتي أخيراً (د. نصر حامد أبو زيد) ليهاجم الإسلام ساخراً من مسلماته وتاريخه وأعلامه ، ويتيح له الإعلام العلماني المجال بحرية ليحارب بسيف (دينكوشوت) وقد افتضح وكشفت أوراقه الأخيرة ، إلا أن مما يذكر فيشكر ما قام به الكاتب (محمد جلال كشك) من نقد لمنهجية المذكور حتى لفظ أنفاسه الأخيرة - رحمه الله - بنوبة قلبية وهو يناظره إعلامياً.

حسبنا الله ونعم الوكيل.

بســـم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الصحوة الإسلامية
بين وعد الله وكيد العبيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم . . وبعد :

لم تكن بدايات نهضة أمتنا هي (الحملة الفرنسية) على مصر كما يزعم ذلك تلامذة التغريب من كتاب التاريخ المعاصر .

إنما كانت تلك حملةً صليبية تهدف إلى ضرب الأمة في الصميم يوم صبت جام غيظها وحقدها على رمز أصالة الأمة ومعقل قيادتها ، حينما دخلت خيلهم الأزهر تغتال وتستبيح حرمة المسجد ، وتنتهك دماء الأبرياء ، وكانت ثورات الشعب المصري الوطنية ذات منطلقات إسلامية ، وإن فشلت في المقاومة لأسباب معروفة لا يتسع المجال لذكرها ، ولم يلبث أن قام الاستعمار الإنجليزي على أنقاض الاستعمار الفرنسي ، ليؤدي رسالته الصليبية في التغريب التي لاتزال مصر إلى الآن تعاني من آثارها العلمانية الخطيرة في التعليم والإعلام والاقتصاد والسياسة . .

ومع أن الدعوة السلفية في الجزيرة العربية التي هي مصدر من مصادر النهضة الإسلامية المعاصرة قد أوقف مدها (محمد علي والي مصر) لأسباب

سياسية بحتة ، إلا أنها تركت بصماتها وآثارها الإيجابية على كل الحركات الإسلامية فيما بعد في جل ديار الإسلام ، عودة إلى الله واعتزازاً بالإسلام منهاج حياة ، مما ساهم في بزوغ ما اصطلح عليه بالصحوة الإسلامية. وهذه الصحوة ليست على مستوى الشباب فحسب كما يتوهم الكثيرون وإنما عمت فئات الأمة كلها.

* تأثير الصحوة الإسلامية في أعيان من الأمة ومن ذوي الشأن فيها.
* نشوء الجماعات والحركات الإسلامية في جل البلدان.
* التزام الشباب في المدارس والجامعات واعتزازهم بالهدي النبوي.
* هداية نفر من كبار الكُتّاب والمفكرين والصحفيين ممن عُرِفَ بالإلحاد والانحراف.
* نشوء الجمعيات والمراكز الدعوية الإسلامية في داخل العالم الإسلامي وخارجه.
* إسلام كثير من العلماء والمفكرين الأجانب.
* الدعوة إلى أسلمة المعرفة والانعتاق من هيمنة الفكر الوافد.
* كسب الإسلاميين ثقة العاملين في النقابات وجمعيات النفع العام وتسنم قيادتها من خلال ترشيح أعضاء النقابات لهم.

ومع هذه المعطيات الكبيرة للصحوة التي أظهرت عزة المسلمين ، وبينت مدى قوتهم بالانتماء لدينهم وموالاتهم لإخوانهم ومفاصلتهم لأعدائهم ، انكشفت للأمة جمعاء حقيقة دعاة التغريب والتبعية ، وظهروا أقزاماً وبانوا أذناباً لا تهمهم سوى مصالحهم الذاتية ، ولا يعنيهم سوى تنفيذ مخططات أسيادهم ، فخسروا مكانتهم وهم الذين طالما خدعوا الأمة بدعاويهم وشعاراتهم.

كل ذلك قذف الرعب في قلوب الذين كفروا فكانت حملاتهم ضد الصحوة وضد الشباب الإسلامي ، وقامت وسائل الإعلام الأجنبية بحملات غريبة متهمة الإسلاميين بالتعصب والجمود والإرهاب والكراهية . . . حتى قالوا : (إن الخطر على الغرب ليس من الشيوعية بل من المسلمين المتعصبين الذين تعاظم نشاطهم بشكل مذهل رغم كل ما أوقع بهم في المنطقة من محن وتنكيل) ، وقام تلامذتهم المستغربون والأذناب في الصحافة العربية بحملات إجرامية ضد الإسلاميين تقوم على الكذب والتزوير وترديد مقولات المستشرقين والمبشرين ، وتمثلت تلك الحملة الظالمة في عدة محاور :

أولا : الإيحاء للحكام في المنطقة الإسلامية بخطر موهوم وراء كل تحرك إسلامي ، ودعوى أن دافع أي تجمع للإصلاح إنما وراءه أهداف بعيدة أول ما تنال نفوذ ذوي النفوذ.

ثانيا : إلصاق تهمة الإرهاب والتطرف بدعاة الفكرة الإسلامية بدون استثناء.

ثالثا : التعتيم على الحركة الإسلامية وادعاء أنها ردود أفعال متشنجة وشعارات جوفاء ليس إلا ، كما يزعم ذلك أمثال (محمد أركون) و(فؤاد زكريا) و(زكي نجيب محمود) وأضرابهم.

وقامت وسائل الإعلام المسموع منها والمرئي والمقروء بالضرب على تلك الأوتار من أجل تحقيق الأهداف التالية :

١ - ضرب كل توجه إسلامي في البلاد العربية والإسلامية ، مما يؤدي إلى ردود أفعال يائسة يكون ضحيتها الكثيرين كما هو مشاهد ومعلوم.

٢ – أن تعيش الدول الإسلامية بعامة والعربية بخاصة أجواء مضطربة حينما تنزع الثقة بين الحكام والمحكومين مما يجعل أولئك الحكام في حاجة ماسة للأجنبي.

٣ – فقدان الدول الإسلامية للطاقات العلمية والإصلاحية القادرة ذات التوجه الإسلامي لاضطرارها للهجرة ومغادرة ديار الإسلام.

٤ – تشجيع التيارات العلمانية ليكون رموزها هم المقربين من المتنفذين وصناع القرار ليكون أول قراراتهم ضرب أي توجه إسلامي مهما كان انتماؤه ومنطلقاته.

الغريب أن تلك الأجواء المضطربة التي يشجعها أولئك الأعداء لا نجدها إلا في العالم العربي والإسلامي ، بينما نجد بلدان الغرب تعيش ديمقراطية نسبية حتى اضطر كثير من الإسلاميين للهجرة إليها اضطراراً أمام كبت الحاكمين بأمرهم ومضايقتهم لهم ، أما إذا اضطهد أو أوذي أي ملحد أو علماني فإننا نجد وسائل إعلامهم تشنع على ما يحصل ضد أولئك ، بينما تصاب بالصمم والخرس حينما يضهد ويعدم وينكل بدعاة الإسلام ، وربما حصل احتجاج لطيف من جمعيات ما يسمى بحقوق الإنسان التي نسيت أو تناست حقوقاً أهدرت لشعوب بأكملها في البوسنة والهرسك، وكسوفو ، والسنجق، والهند والفلبين ، وكشمير ، وفلسطين ، وغيرها.

ورعب الغرب وخوفه من التوجه الإسلامي والصحوة الإسلامية للشعوب ناتج من اعتبارهم الإسلام والمسلمين العدو الحقيقي الذي إن مكن له وفتحت الأبواب أمامه ستسقط إزاءه كل الأصنام وكل الحاكمين بغير ما أنزل الله

، وحينها لن يكون للغرب ولا للشرق عملاء في المنطقة يحركونهم كقطع الشطرنج ، وهذا مصدر خوفهم .

إننا بحمد الله نعلم أنهم أعداؤنا كما يصفهم الله تعالى : ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾(البقرة ، ١٢٠) ، وقوله تعالى : ﴿ **ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا** ﴾(البقرة ٢١٧) فهذه حقيقة نعلمها ونعيها . وعزاؤنا أن ما يتعرض له التيار الإسلامي من مصادرة لفكره واستباحة لأعراضه وقتل وسجن وتشريد . . إنما هو ضريبة الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله .

إننا نذكر المناوئين للتيار الإسلامي بأن الله متم أمره لأن الله تعالى يقول : ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾(الصف ، ٩) ، فاحذروا . . ثم احذروا . . وإلا فالموعد الله وحينها سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . .

منهجية أهل السنة
في دراسة العقيدة وتدريسها

خميس بن عاشور

إن من ضروريات المنهجية العلمية السليمة إدراك الموضوع قبل دراسة أي مسألة ؛ لأن تحديد موضوع القضية من شأنه أن يمهد السبيل لتصور الطريقة الصحيحة التي تقود نحو الهدف والغاية المنشودة ، والعقيدة الإسلامية باعتبارها علماً من العلوم الشرعية لا تنطبق عليه المناهج العقلية انطباقاً كلياً ؛ لأننا بذلك نفقدها أهم ميزة تميزها وهي خاصية المصدرية الإلهية ، ولكي نحول دون هذا الانزلاق المنهجي ، فإنه يجب تطبيق المنهجية الشرعية في دراسة العقيدة الإسلامية كموضوع أولاً ثم كغاية ثانياً ، وذلك لكي لا تتحول هذه العقيدة من وضع إلهي إلى وضع بشري ، كما حدث فعلاً لدى الكثيرين من المهتمين بالعقيدة الإسلامية .

إن أهم خاصية - كما سبق - للعقيدة الإسلامية أنها إلهية المصدر ومعنى ذلك أنها تعتمد على التوقيف موضوعاً وغاية ، لذلك فإنه باكتمال الدين الإسلامي وتمامه تكون العقيدة الإسلامية قد كملت وتمت ، وينبثق عن ذلك قاعدة نجد أنفسنا مرغمين على التسليم بها ، وهذه القاعدة تقول : لا اجتهاد في العقيدة الإسلامية ، باعتبار أننا نعرف العقيدة على أنها : مجموعة من القضايا

التي نؤمن بها إيماناً لا يتطرق إليه الشك أو الريب ، إن هذه القاعدة منبثقة بدورها من القاعدة العامة التي تقول : إنه لا اجتهاد مع النص ، وباعتبار أن العقيدة تعتمد على التوقيف أي على النص الشرعي ، فإنه يؤول الأمر إلى الإقرار بهذه القاعدة ، وقبل أن نحدد قضايا هذه العقيدة فإننا يجب أن نسلم كذلك بأن قضايا العقيدة الإسلامية محدودة بمحدودية النصوص ، وعدم اتساع هذه القضايا عن طريق الاجتهاد ؛ لأن ذلك يؤدي إلى التقدم بين يدي النصوص الشرعية مثلما وقع فعلاً عند فئة من المتكلمين - وخاصة المعتزلة - الذين تجاوزوا النصوص التي هي الإطار الثابت للعقيدة الإسلامية ، وبالتالي زادت قضايا العقيدة عندهم من وجه ونقصت - أو بعبارة أدق تقلصت - من وجه آخر . إن القول بجواز الاجتهاد في العقيدة هو من جهة أخرى خرق لمضمون آية قرآنية تقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم . . .** ﴾[1] وكذلك قول النبي ﷺ : (إنما هلك من كان قبلكم بكثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم) ، وليست العبرة هنا بخصوص السبب ، ولكن بعموم اللفظ الناهي عن السؤال في المواضع التي سكت عنها الشارع ، سواءً أكانت من مسائل الأحكام أو مسائل العقائد.

إن البحث في الناحية القيمية لأي علم إنما تكمن في التطلع نحو الغاية والعقيدة الإسلامية علم شرعي له غايته التي تتمثل في العلم بالله سبحانه ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً ؛ وذلك من أجل غاية نهائية هي العبادة الخالصة المتمثلة في تحقيق توحيد الألوهية . قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾[2] ولقد كانت الغاية من بعث الرسل هي وضع أسس العقيدة التي ترضي الله عز وجل ، ولقد كانت دعوة أول رسول هي أن(اعبدوا الله مالكم من إله غيره) وكذلك كانت آخر دعوة لآخر نبي ورسول : ﴿ **ولقد**

بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [٣]، ولقد ورد عن النبي ﷺ أنه بعث معاذاً إلى اليمن وقال له : « إنك ستأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله» ومن أواخر ما ثبت عنه كذلك حين ما حضرته الوفاة : (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)، وهذا تحذير من الشرك الذي هو نقيض التوحيد ، وبالنظر إلى ما ورد من نصوص كثيرة في هذا الموضوع - أي قضية التوحيد - فإننا نقرر بوضوح أنه أول واجب على المكلف ، وأنه أهم قضية من قضايا العقيدة الإسلامية على الإطلاق ولاسيما عندما نجد التحذير شديداً عما يناقضه من الشرك **﴿ ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾** [٤] ، وقال تعالى : **﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾** [٥].

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة) (متفق عليه).

ولقد اشتملت آية الكرسي على أنواع التوحيد الثلاثة ، قال تعالى : **﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ، وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾** [٦].

ففي قوله تعالى (الله لا إله إلا هو) : توحيد الألوهية أي توحيد العبادة وفي قوله (الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم) ، وقوله (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) ، وقوله (وهو العلي العظيم) : توحيد الأسماء والصفات ، وفي

قوله (له ما في السموات وما في الأرض) مع بقية الآية : توحيد الربوبية .

ومن خلال استشفاف النصوص القرآنية والحديثية نجد أن قضية التوحيد هي القضية الرئيسة في العقيدة الإسلامية ، وهي أول ما يجب على المكلف معرفته ، ولكننا عندما نبحث عن أول قضية مهمة عند أهل الكلام نجدهم يقولون إن أول واجب على المكلف النظر والاستدلال ، بل إننا نجد بعضهم يذهب إلى أبعد من ذلك حيث يقول أبو هاشم الجبائي : أول واجب على المكلف الشك في الله ، وذلك لأن المتكلمين من هذا الصنف اعتبروا قضية الربوبية هي القضية الرئيسة في العقيدة الإسلامية ، فأكثروا من الأدلة العقلية وغيرها من أجل أن يقضوا على إمكانيات العقل في إثبات القضية العكسية كذلك ، وهي الإلحاد الذي هو هنا بمعنى إنكار الخالق ، لقد اهتم أهل الكلام بقضية وجود الله اهتماماً يكاد يطغى على مباحث علم الكلام ، والناظر في كتب الكلام يحسب- بادىء ذي بدء – أن قضايا العقيدة الإسلامية محصورة في مشكلة الإيمان بالخالق؛ ذاتاً وصفات وأفعالاً ، ولكن عند الرجوع إلى القرآن الكريم – كلام الله – فإننا سرعان ما نجد أهمية هذه القضية في تذكير الإنسان بنعم الله ، وكذلك جعلها دليلاً على توحيد الألوهية ، وهي مركوزة في الفطرة حتى إن القرآن ليذكر أن الأنبياء تعجبوا من أقوامهم لما ادعوا إنكار الخالق **﴿ قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى . . . ﴾** (٧) .

إن الفرق بين اهتمامات علم الكلام واهتمامات القرآن فرق جوهري لأن ما يعتبره علم الكلام قضية كبرى لم يعتبره القرآن إلا قضية طارئة اتصفت بها بعض الشخصيات الطاغوتية ، كشخصية فرعون الذي أراد بذلك ترسيخ سلطته «الثيوقراطية» عن طريق ادعائه الربوبية ، وإنكار وجود إله غيره .

لقد أثبت القرآن الكريم أن الإيمان بربوبية الله تعالى أمر فطري لا تنكره النفوس مهما تكبرت وتجبرت ظلماً وعلواً ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً** ﴾ (٨) ، وقال سبحانه في آية الميثاق : ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين** ﴾ (٩) .

وقال : ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ (١٠) . وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (كل مولود يولد على الفطرة) وفي رواية : (على هذه الملة فأبواه يهودانه أوينصرانه أويمجسانه كما تولد البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء).

وبعد : فإنه يتبين أن مهمة العقيدة الإسلامية وغايتها تربوية ، أساسها التزكية عن طريق كشف الحجب ، وإزالة العوائق عن الفطرة الإنسانية ، وهذه العملية كفيلة بإحياء العقيدة في نفوس البشر عامة ، ولقد دأب الأنبياء والرسل على العمل من أجل تحقيق هذه الغاية ، وتزكية النفوس من أجل إرجاعها إلى فطرتها النقية التي تقر بالله رباً وخالقاً ومعبوداً ، إن أوقاتاً كثيرة أضاعها أهل الكلام ولاتزال اليوم تضيع عبر المناهج الدراسية التي تتناول موضوع العقيدة وذلك لأن خصوم العقيدة الإلهية أحدثوا شبهاتهم واعتبروها أدلة كافية لإنكار الخالق وفي الوقت نفسه دافع أنصار هذه العقيدة عن عقيدتهم باستحداث مجموعة هائلة من الردود وبعد انقضاء الفترة الذهبية للإسلام تغيرت مناهج الاعتقاد فأصبح الإسلام وعقيدته عبارة عن شبهات وردود على تلك الشبهات، وانقلب الوضع من منهج العرض إلى منهج الرد ، وهذا هو أكبر انحراف واستدراج تواجهه العقيدة الإسلامية اليوم عبر مناهج تدريسها ، إذ

لايزال علم الكلام والفلسفة عمدة أقسام العقيدة وأصول الدين في كثير من جامعات العالم الإسلامي العريقة ، وأمام سيطرة المنهج الكلامي على دراسة العقيدة فإنه لم يبقَ إلا رصيد وحيد للاعتقاد الذي يرضي الله ورسوله ،وهو رصيد الفطرة التي لم تتراكم عليها الشبهات ، وبعد أن كان المسلمون ينهلون من مصدر الكتاب ومعين السنة أصبحوا اليوم لا يعرفون من العقيدة إلا ما جاء في «العقائد النسفية» أو «جوهرة التوحيد» وهما مثالان لما تدرسه أكبر الجامعات الإسلامية العريقة كالأزهر والزيتونة ، رغم ما فيهما من مخالفات صريحة لنصوص الكتاب والسنة ، ومتناقضات تنفر منها العقول ، ولذلك فليس غريباً أن نسمع أو نرى عالماً من كبار العلماء أو شيخاً من كبار الشيوخ ينزلق في متاهات اعتقادية خطيرة لأن المقاييس لم تكن مأخوذة من نصوص الوحي الإلهي ،بل أخذت من أقوال بشرية غير معصومة عبر تلك المتون والشروح المطولة أو المختصرة ،التي يخلو معظمها من ذكر النصوص وخاصة الأحاديث الصحيحة منها.

إن مصداقية العقيدة فيما بعد القرون الثلاثة المفضلة قد انتابها نوع من الفتور بسبب تدخلات العقل البشري وتمحلاته ، وذلك أنه بعدما كان أساس الاعتقاد يعتمد على رصيد الفطرة ، التي لا يمكن أن يمازجها شك أو ريب المستهدية بنور الوحي ، أصبح الاعتقاد عبارة عن موازين عقلية جافة لا يمكنها أن تحدث ذلك التفاعل الوجداني الذي هو شرط لأي اعتقاد سليم ، وبعبارة أخرى ما يمكن أن يكون أساساً للعقيدة الدافعة نحو السلوك والعمل بمقتضىٰ تلك العقيدة حيث لا تناقض بين العقل والقلب مثلما يريد أهل الكلام عن قصد أو عن غير قصد حيث اعتمدوا على المنطق اليوناني ومغالطاته ، ومن هنا نجد أنفسنا قد ألقينا حبل السفينة في محطة أخرى هي قضية الإيمان التي تدافع فيها العقل مع النقل

بالرغم من أن هذا التدافع والتناقض ليس ممكناً أصلاً لولا اعتداءات العقل البشري على حدود الوحي الإلهي الذي يدعم ذلك الأصل القوي وهو الفطرة.

وهناك حقائق شرعية جعلت الحقائق اللغوية محمولة عليها طبقاً للقاعدة التي تقول يحمل العام على الخاص والمطلق على المقيد، والحقيقة الشرعية خاصة أو مقيدة ومسألة الإيمان لها جانب من هذه المعادلة، فلفظ الإيمان من الألفاظ التي قيدها الاصطلاح الشرعي فحملت عليه، فمثلاً الحج في اللغة معناه القصد، والصلاة في اللغة تعني الدعاء، وكذلك الإيمان معناه في اللغة التصديق، وأما بعد ورود الشرع فقد أصبح المعنى في كل هذه الأمثلة خاصاً فالحج عبارة عن أقوال وأعمال مخصوصة في أماكن وأزمنة مخصوصة والصلاة كذلك صارت مجموعة من الأقوال والأعمال تبدأ بتكبيرة الإحرام وتنتهي بالتسليم، وأما الإيمان فإن مسألة الاختلاف في تعريفه إنما ترجع إلى إمكانية تسليم المعنى اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي الشرعي؛ لأن الذين خالفوا تعريف أهل السنة والجماعة - أي السلف - إنما تمسكوا بالمعنى اللغوي وهم بذلك أهدروا الحقائق الشرعية النصية التي أدخلت عليه خصوصيات أصبحت ملزمة لا يمكن أن نتجاهلها، وذلك بالنظر إلى مقاييس الكتاب والسنة الصحيحة.

إن الاختلاف في تعريف الإيمان أنتج مواقف فرعية وخاصة فيما يتعلق بعنصر العمل الذي يراه أهل السنة جزءاً يدخل في مسمى الإيمان الاصطلاحي وكذلك يرى المعتزلة، غير أن الفرق بين الموقفين أن المعتزلة اعتبروا العمل جزءاً لا يتجزأ منه وفقدانه يعني بالضرورة فقدان الإيمان كله، بينما يرى أهل السنة أن العمل جزء من الإيمان، لكن الإيمان يتبقى، فقد يزول العمل ويتبقى أصل الإيمان؛ لأن الإيمان شعب متعددة لا شعبة واحدة، وفي مقابل ذلك يرى

المرجئة بمختلف تياراتهم من أشعرية وماتوريدية أن الإيمان هو التصديق وبالتالي تمسكوا بالمعنى اللغوي ، وقالوا إنما الأعمال هي نتيجة لذلك ، وليست جزءاً من مسمى الإيمان ، ولذلك قالوا إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، ومع أن هذا مصادمة لنصوص الكتاب والسنة مصادمة مباشرة فإن سبب ذلك لاشك يرجع إلى ما فرضه العقل الأرسطي على هذه القضية الاعتقادية ، وما قد يؤدي عندهم من انعدام الإيمان مادام عرضة للزيادة أو للنقصان .

إن تجاهل الحقائق الشرعية هو المزلق الذي انزلق فيه أهل الكلام في دراساتهم لمسائل العقيدة ، ولذلك نجد تعاريفهم لمختلف القضايا تختلف دائماً عن تعاريف أهل السنة والجماعة الذين يستخرجون تعاريفهم بعد عملية استقراء لنصوص الوحي ،وذلك لكي يتجنبوا ما قد يكون متعارضاً مع هذه النصوص ودلالاتها ، وكما سبق في تعريف التوحيد عند أهل السنة حيث نجد أنه إفراد الله بالعبادة وإثبات صفاته التي تغاير مخلوقاته ، وفي خلقه وتقديره لأفعال العباد ، وذلك وفق ما دلت عليه النصوص ، بينما يرى أهل الكلام أن التوحيد هو نفي الشبيه عن الله ولا يركزون بتاتاً على توحيد الألوهية الذي هو معنى شهادة لا إله إلا الله ؛ وحتى لا تهمل كثير من نصوص الوحي، وحتى لا يضرب بعضها ببعض فإن أهل السنة يجعلون العمل هو المتغير الذي يميز الدالة الإيمانية ، فالإيمان يزيد بالعمل الصالح من الطاعات والعبادات المختلفة وينقص بالمعاصي وترك العمل الصالح ، وهذا على وفق ما اقتضاه الشارع الحكيم واضع العقيدة الإسلامية من تفاوت المؤمنين في إيمانهم تبعاً لتغير الدالة الإيمانية، وبالتالي كان الجزاء متناسباً مع درجة الإيمان ، فكانت الجنة دار النعيم درجات أعلاها الفردوس وهي مقام الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

إننا نعتبر مقياس زيادة الإيمان من ناحية مقياساً موضوعياً وذلك حينما نجعل العمل هو المقدار والكم الذي يزداد بزيادته ، ولكن في الواقع مقياس زيادة الإيمان ونقصانه يعتمد على النسبية النفسية ؛ لأن تفاعل كمية العمل الصالح والطاعات مع الوجدان والقلب يجعل المؤمن يشعر بذلك شعوراً لا يساوره شك فيسارع إلى العمل الصالح بمختلف أنواعه ؛ لكي يرفع درجات إيمانه ، وهو الميدان الشريف للتنافس بين المؤمنين تطبيقاً لقوله تعالى : ﴿ **سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين** ﴾ [11] ، فهذه المسألة إذن نسبية ؛ مادام لها علاقة وطيدة بالقلب وبالوجدان .

إن إيمان أهل الكلام يتصف بالجفاف ، وعدم تفاعل العقل مع القلب ولكن بالنظر إلى عدم الانفصال الموضوعي بينهما فإن إغفال هذه الخاصية - لا شك - أنه يبعدنا عن إدراك الحكم الموضوعي الشرعي الذي أراده صاحب العقيدة وواضعها بما بثه من نصوص الوحي التي خاطب بها الناس كافة .

ومن المفيد أيضاً في هذا الصدد أن نعرج لكي نتطرق إلى كلمة في المنهج فهناك أسئلة قد تفرضها هذه المنهجية منها السؤال الذي مفاده : لماذا ندرس العقيدة ونسعى إلى معرفتها ؟ والسؤال الآخر وهو : كيف ندرس هذه العقيدة؟ والجواب الذي يناسب المنهجية الشرعية المؤسسة على منهج السلف - أهل السنة والجماعة - هو ما كان مدعماً بالنص الإلهي ، إننا ندرس العقيدة ونعمل على اكتساب معرفتها امتثالاً لقوله تعالى ﴿ **فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك** ﴾ [12] وهذا الامتثال هو العلة التي من أجلها خلق الله الخلق جميعاً ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ [13] ، إننا - إذاً - نعمل على اكتساب ومعرفة العقيدة لأن ذلك أمر ، وامتثال الأمر عبادة ، والعبادة الخالصة هي معنى لا إله إلا الله التي أمرنا الله أن نعلمها ، من خلال ذلك فلا شك أن

منهج معرفة هذه العقيدة الإلهية قد استبان واضحاً لكل ذي لب وفكر سليم وفطرة إيمانية نقية إن المنهج الواجب اتباعه في معرفة العقيدة التي ترضي الله ورسوله هو الذي يستند إلى قول الله ورسوله كذلك ، فلا اعتقاد خارج هذين المجالين ، وهذا ما اصطلح عليه بمنهج العرض ، حيث تعرض العقيدة عرضاً أميناً ومن شأن ذلك أن يحافظ على إلّهية المصدر الاعتقادي الذي يتمثل في الوحي (كتاباً وسنة).

ثم إن الباحث المتخصص في الدراسات العقدية لاشك أنه يكون قد اكتسب عن طريق منهج العرض ما هو واجب عليه أمام ربه ، ومن الموضوعية التي يتطلبها المنهج العلمي أن يواصل هذا الدارس المتخصص فينظر في عقائد الأمم من أهل الكتاب وغيرهم ، ومن أهل الإسلام على اختلاف مصادرهم ومناهجهم الاعتقادية ، ولا يكون ذلك ميسوراً إلا باتباع منهج يعتبر وسيلة وأسلوباً هو منهج النقد والرد والمقارنة ، على أن يكون مقياس الحق هو النص الإلهي في الكتاب والسنة ؛ من أجل ألا يوثر المنهج على المضمون الأصلي للعقيدة الإلهية . والله الموفق .

---

(١) سورة المائدة ، آية ١٠١ .
(٢) سورة الذاريات ، آية ٥٦ .
(٣) سورة النحل ، آية ٣٦ .
(٤) سورة الزمر ، آة ٦٥ .
(٥) سورة النساء ، آية ٤٨ .
(٦) سورة البقرة ، آية ٢٥٥ .
(٧) سورة إبراهيم ، آية ١٠ .
(٨) سورة النمل ، آية ١٤ .
(٩) سورة الأعراف ، آية ١٧٢ .
(١٠) سورة الروم ، آية ٣٠ .
(١١) سورة آل عمران ، آية
(١٢) سورة محمد ، آية ١٩ .
(١٣) سورة الذاريات ، آية ٥٦ .

وحدة الأمة : معوقات وإمكانات

د. عبدالكريم بكّار

ظلت الوحدة المحور الذي يجذب مشاعر سلفنا - أهل السنة والجماعة - وأنشطتهم على مدار التاريخ ، بل إن اسمهم يدل على ذلك ، فهم متوحدون على السنة ، وقد ضحوا في سبيل ذلك بتضحيات كثيرة ، ليس أقلها تحمل عسف الظلمة والطغاة ، وكيفوا كثيراً من اجتهاداتهم على نحو يجعل وحدة الأمة واجتماع الكلمة هدفاً أسمى ، وحاجةً ملحة ، لكن ضعف الشورى وضعف الدولة المركزية في بغداد ، وعدم تطوير نظام إداري قوي مرن يحقق التوحيد في جوانب ، ويحفظ الخصوصيات في جوانب ، وأسباب أخرى أدت جميعها إلى تفتت الخلافة العباسية ووأدها على يد التتار عام ٦٥٦ هـ ، وقامت بعد مدة الخلافة العثمانية ، فجمعت شمل كثير من الدول والإمارات الإسلامية مرة أخرى. ونتيجة لتآمر كبير من الخارج ، وقصور أكبر من الداخل سقطت الخلافة العثمانية ، وتشتت شمل العالم الإسلامي ، ووقع كثير من بلدانه في براثن الاستعمار الأوربي ، الذي لم يخرج حتى شوّه كثيراً من البنى الفكرية والثقافية لتلك الدول المستعمرة ؛ حتى لا تختلف كثيراً بعد خروجه عما كانت علية قبله ، بل إن بعضها ازداد حاله سوءاً ! .

لكن على الرغم من كل ما حصل ظلت أشواق الوحدة تضطرم في النفوس ، وظلت الأبصار مشدودة نحو مستقبل لأمة الإسلام ، يسوده الوئام والتناصر ، ومع كل صدع يصيب كيان هذه الأمة على أي مستوى كانت تتصدع قلوب كثير من المخلصين الغيورين .

فما هي العوائق التي مازالت تحول دون أي شكل واسع ذي قيمة من أشكال الوحدة ، والتنسيق بين دول وشعوب العالم الإسلامي ؟

نحن ننظر ابتداء إلى أن عقيدة التوحيد قادرة على جعل من يؤمن بها أمةً من دون الناس يحكمها منهج واحد ، وتنتهي إلى غايات واحدة ، كما أن تلك العقيدة بما يتبعها من أحكام ونظم تحدد أشكال التعامل بين هذه الأمة وبين غيرها من الأمم ، وهذا كله يجعل تحقيق شكل من أشكال الوحدة بين شعوب العالم الإسلامي أمراً طبيعياً بدهياً ، ولا سيما أن غير المسلمين ينظرون إليهم على أن لهم من التجانس والتميز ما يجعلهم جميعاً في خندق واحد .

والعالم الغربي يسير اليوم بسرعة مدهشة نحو اعتبار كل المسلمين – مهما تكن درجة التزامهم – أصوليين متطرفين معادين ! .

وإذا كان الأمر كذلك فإن بروز أشكال من التعاون والتوحد بين الشعوب والدول الإسلامية قد يكون مرهوناً إلى حد بعيد بنضوج الصحوة الإسلامية المباركة وانتشارها وتمكنها ، لكن هناك من العوائق والصعوبات ما يجب تذليله أو التخفيف من غلوائه قبل أن نتمكن من تحقيق ما نريد ، ولعلنا نوجز – فيما يلي – أهم تلك العقبات :

١ – إن حالة السكون والركود التي يعيشها كثير من شعوب العالم الإسلامي ستنتج دائماً التفكك والتمزق ، فالانطلاق الراشد يؤمِّن ترابطاً عجيباً بين

سائر بُنَى الأمة ومؤسساتها ، حيث تتمكن الأمة من حل كثير من المشكلات كما أنها لا تتوهم العناء - حينئذ - من مشكلات لا وجود لها .

٢ - هناك علاقة حساسة بين الوحدة والحرية قد تصل إلى حد التضاد في بعض الأحيان ، مع أن كلاً منهما يؤمِّن حاجات أساسية للفرد والأمة ، فالوحدة قيود قد تصادر بعض الحريات ، وتستلب شيئاً من المكاسب ، وهذا على كل المستويات ، والناس حين يتحملون أعباء الوحدة وقيودها إنما يفعلون ذلك لما توفره من حاجات ومصالح ، ولما تدفعه من مخاطر التشرذم ، فإذا أحس متحدان (شعبان أو شخصان) أن أعباء الوحدة أكبر من منافعها صاروا جميعاً إلى التخلص منها ، مهما تكن العواطف قوية نحوها ! وهذا هو أكبر سبب أدى ويؤدي إلى الانفصال بين الدول والجماعات على مدار التاريخ (وهذا هو السبب الذي يؤدي إلى الطلاق بين الزوجين) ، وهذا يعني أن تفكيراً عميقاً ودراسات مستفيضة ينبغي أن تسبق كل شكل من أشكال التوحد ؛ حتى لا يصبح ذلك الهدف الكبير من أهداف الأمة حقلاً للتجارب المخفقة .

٣ - تتطلب الوحدة الإسلامية بروز قدرة حسنة على (التكيف) عند أفراد الأمة ؛ إذ إن الوحدة تتطلب التنازل عما هو هامشي وصغير ومؤقت في سبيل تحقيق ما هو أساسي وكبير ودائم ، وهذا يتطلب وعياً تاماً بمكاسب الوحدة وتكاليفها بل إن الأمر يتطلب في بعض الأحيان موقف تضحية من قبل بعض الشعوب والجماعات كما يضحي الشهيد بحياته ، ويتنازل عنها في سبيل نصرة دينه ورفعة أمته ، ولن يقدم على هذه التضحية إلا المؤمن الذي تمكن الإيمان من قلبه ؛ فالفهم العميق والإيمان المكين شرطان لابد منهما لحصول ذلك ، والنقص فيهما أو في أحدهما قد يؤدي إلى تصارع فئتين دعواهما واحدة .

٤ - الفوارق الاقتصادية الكبرى بين كثير من شعوب العالم الإسلامي تحقيق الوحدة أمراً غير يسير، ويذكر في هذا السياق أن التبادل التجاري بين الدول الإسلامية لا يتجاوز ٤ ٪ من مجمل تجارتها، أما الـ ٩٦ ٪ فهو مع دول غير إسلامية، وسبب ذلك أن الغرب ظل على مدار ثلاثة قرون يكيف حاجات الشعوب الإسلامية مع فوائض إنتاجه؛ حتى لا يجد المسلم شيئاً من حاجاته إلا في الغرب، أو في بلدان استوردته من الغرب!.

٥ - على الصعيد الثقافي - ذي الأثر الخطير في العلاقات بين الشعوب - نلاحظ أن أكثر مناطق العالم الإسلامي هي مراكز لإجتياح العواصف والأعاصير الثقافية، فهذا بلد متأثر ببلد مجاور له غير مسلم، وهذا متأثر بمن استعمره، وآخر بمن أرسل إليه البعثات . . . وهكذا. والوحدة حين تقوم لابد أن ترتكز على عدد من الركائز التربوية والثقافية إلى جانب الركائز العقدية والاقتصادية، وهذا ما نجده ضامراً - إلى حد بعيد - في كثير من بلدان العالم الإسلامي.

٦ - يفتقد العالم الإسلامي اليوم النواة الصلبة القادرة على تبني الأطر الوحدوية وتعزيزها، والتي تمتلك في الوقت ذاته القدرات والإمكانات التي تجذب دول العالم الإسلامي وشعوبه نحوها، وإذا علمنا أن الظواهر الكبرى لا يمكن أن تنشأ إلا حول نواة تَنْشَدُّ إليها وتتحدد من حولها أدركنا الصعوبات التي تواجه الأعمال التوحيدية في العالم الإسلامي.

٧ - شهد أكثر بلدان العالم الإسلامي نشاط تيارات، وطنية، وقومية، وإقليمية نبتت لتملأ الفراغ الذي خلفه انهيار الخلافة العثمانية، وهذه التيارات أفرزت فلسفات وأدبيات تمجد الكيانات الصغيرة، وتبحث لها عن أمجاد

خاصة بعيداً عن الولاء للوطن الأكبر ، مما يستدعي جهوداً فكرية وأدبية وثقافية كبرى تعيد بناء العلاقة السوية بين عالمنا الإسلامي الكبير ، وبين الأوطان الإقليمية التي نعيش فيها ، والأعراق والأجناس التي ننحدر منها .

هذه بعض المعوقات التي تقف أمام خطوات توحيد العالم الإسلامي لكن لأن الوحدة - في عمومها - مطلب شرعي ومصيري فإن السعي نحو التقليل من أسباب الشتات والفرقة ، وبلورة بعض الأطر والمؤسسات التوحيدية يظل هدفاً وهاجساً لكل الغيورين على هذه الأمة والمخلصين لهذا الدين .

وبما أن الحديث موجه أصلاً إلى هؤلاء ، فإن بالإمكان أن نذكر بعض الإمكانات المتاحة للأفراد والهيئات الشعبية والرسمية ، مما يعد تمهيداً لجمع شمل الأمة على مستوى ما ، وبكيفية من الكيفيات على الوجه التالي :

١ - تحتل اللغة العربية مكانة هامة بين وسائل التوحيد ، ومن ثم فإن المدخل الصحيح لكل أنواع التقريب بين المسلمين هو تعميم العربية بين الشعوب الإسلامية التي لا تنطق بها باعتبارها لغة أولى ؛ إذ إن اللغة ليست وعاء فقط ، لكنها وعاء ومضمون وقوالب للتفكير في آن واحد * ؛ وينظر المسلمون في بقاع الأرض إلى العربية نظرة إجلال وتقدير لكونها لغة كتابهم ونبيهم ﷺ وتراثهم الروحي والثقافي ، وهذا يساعد كثيراً في الإقبال على تعلمها ونشرها ، ومن واجب الجماعات والمؤسسات والهيئات المختلفة أن تسعى لإدخال العربية إلى مناهج تلك الشعوب باعتبارها لغة ثانية ، كما أن من واجبها العمل على فتح المعاهد والمراكز التي تعلم العربية .

٢ - من واجب الجماعات والمؤسسات الإسلامية أن تسعى إلى بلورة بعض

الأطر الوحدوية كالاتحادات الإسلامية مثل (اتحاد المدرسين المسلمين ، واتحاد التجار المسلمين) . . وهكذا ، وهذا الأمر ليس باليسير إذا أدركنا أهميته ، وفرغنا له الكفاءات والطاقات المطلوبة .

كما أن من المطلوب منا أن نسعى في المنطقة العربية إلى إدخال لغة إسلامية ، كالتركية ، أو الأردية إلى مناهج تعليمنا ، حتى نقيم جسور الأخوة والتفاهم بيننا وبين إخواننا .

٣ - للدعاة الذين يجوبون العالم الإسلامي دور خطير في اكتشاف كل ما ينمي أوجه التعاون والتكامل بين بلدان العالم الإسلامي ثم الكتابة عن ذلك ونشره ، لتتعزز معرفة المسلمين بالإمكانات التوحيدية المتاحة .

٤ - العالم الإسلامي بحاجة إلى عدد من مراكز المعلومات والدراسات المرموقة التي تعنى بتثقيف الناس بهموم العالم الإسلامي ، والكشف عن إمكاناته الاقتصادية والتجارية وغيرها ؛ بغية حث الناس على توجيه طاقاتهم وتحركاتهم نحوها .

٥ - في زماننا هذا قد يكون الاقتصاد - في كثير من الأحيان - هو ما تبقى من السياسة ، بل إن السياسة تتجه لتتمحض لخدمة الاقتصاد ، وفي هذا الصدد فإن من الحيوي لنمو الصناعات في العالم الإسلامي إقبال المسلمين على استهلاكها ، وسد حاجاتهم بها ، ونحن نقف في كثير من الأحيان من هذه المسألة الموقف المنكوس حيث ننتظر تحسن الصناعة حتى نقبل على استهلاكها ، مع أن من أهم سبل تنميتها وتحسينها ارتفاع مبيعاتها ، ونجد في هذا الشأن أن أبناء الصحوة لم يفعلوا شيئاً ذا قيمة في طريق تشجيع الناس على شراء المصنوعات الإسلامية : لا عن طريق

الطرح في الإطار النظري ولا عن طريق القدوة الحسنة !.

٦ - يتطلب توحيد العالم الإسلامي المرحلية والتدرج على مستوى المؤسسات وعلى مستوى الأقاليم ، والكتل الإقليمية يمكن اعتبارها خطوات إيجابية على الطريق إذا قامت على النهج الإسلامي ، وكانت مفتوحة ، تشجع الانضمام إليها ، وتنمي في الوقت ذاته أدبيات (الكل) الإسلامي المنشود.

وفي الختام فإنني أعتقد أن الطريق شاق وطويل لكنه الطريق الوحيد الذي لا مفر منه ، وطريق الألف ميل يبدأ بخطوة ، وحين يتوفر الإخلاص فإن رحمة الله قريب من المحسنين.

---

* ومع التسليم بأهمية اللغة العربية إلا أننا نعتقد أن (العقيدة) الحقَّة المنبثقة من التوحيد الخالص هي الخطوة الأولى لأي عمل وحدوي ، وأهمية إشاعتها وتصحيحها مطلب مهم يجب البدء به ، وهذا ما أشار إليه الكاتب الكريم في بدايات مقاله ، ولا يُعارض ما ذكره هنا إذ إن العربية هي الوسيلة المثلى لفهم نصوص الوحي وتعلم عقيدة الإسلام.

- البيان -

شبكة العلاقات الأخوية

محمد العبدة

ليس أغيظ للأعداء من أن يروا المسلمين المؤمنين متآلفين متآخين ، وقد كان تماسك المجتمع الإسلامي الأول مما أغاظ المنافقين الحاقدين ، وهذا دأب أعداء الإسلام في كل زمان ومكان ، ولذلك مَنَّ الله سبحانه وتعالى على رسوله بأن جمع قلوب المسلمين فقال : ﴿ **وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم إنه عزيز حكيم** ﴾[1] إن نظرة إلى الساحة الإسلامية اليوم لابد أن ترينا ضعف العلاقات الأخوية ، وما يترتب عليها من انحسار الآمال وقلة المردود.

كان رسول الله ﷺ شديد الحرص على الأخوة بين الصحابة ، لا يحب أن يعكر صفوها أو يضعفها كلمة جارحة ، أو كلمة تُنقل ، وقد علّم المسلمين قاعدة في العلاقات الأخوية مخافة أن تقطع ، فقال : «لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً ، فإني أحب أن أخرج إليكم سليم الصدر» . ومن حرصه ﷺ على هذه الأخوة ما قاله لأبي بكر رضي الله عنه في كلمة بدرت منه لبعض الصحابة ، فقد حدث أن مرَّ أبو سفيان بن حرب بطائفة من المسلمين فيهم صهيب وبلال ، فقالوا : ما أخذت السيوف من عدو الله مأخذها ، فقال لهم أبو بكر : أتقولون هذا لسيد قريش ؟ وذكر أبو بكر ذلك للنبي ﷺ فقال له :

«لعلك أغضبتهم ، لإن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك» ، فقال لهم أبو بكر : يا إخوتي ، هل أغضبتكم ؟ قالوا : لا ، يغفر الله لك يا أبا بكر .

ويعلق ابن تيمية على هذا الحديث فيقول : لأن أولئك إنما قالوا ذلك غضباً لله ، لكمال ما عندهم من الموالاة لله ورسوله ، والمعاداة لأعداء الله ورسوله[2] .

إن حقوق الأخوة كثيرة ، ومنها : أن لا يكون في قلب الأخ سخيمة على أخيه ، ولا يفشي له سراً ، ولا يُماريه أو ينافسه ، وأن لا ينقل له قدح غيره فيه وأن يقضي حوائجه ، قال بعض السلف : «إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها ، فذكِّره ثانية فلعله أن يكون قد نسي ، فإن لم يقضها فكبّر عليه واقرأ هذه الآية ﴿ والموتى يبعثهم الله ﴾ .

ولا يكثر من العتاب ، فإن كثرة العتاب سبب للقطيعة ، كما أن قلته دليل على قلة الاكتراث وكذلك الزيارة ، فإن قلتها تعقب الجفوة ، وتحل عقدة الإخاء .

إن تراكم الأخطاء في هذه العلاقات مما يشحن النفوس ، ويوغر الصدور ، ولذلك قال بعض علماء النفس المعاصرين : إن العقد النفسية ليست من داخل الفرد وإنما من العلاقات بين الأفراد .

فلماذا لا نحافظ على الأخوة في الله التي تذكرنا بالآخرة ، والتي تخفف كثيراً من أعباء هذه الحياة الدنيا ؟!

محمد العبدة

(1) سورة الأنفال ، آية ٦٢ .
(2) الفتاوى ، ١٠/ ٥٨ .

تاريخنا ..

بين كيد أعدائه .. وإعراض أبنائه !

د. محمد بن صامل السُّلمي

التاريخ هو الوقائع والأحداث والأعمال الصادرة من الإنسان بدوافعه المختلفة . .

أما معرفة الأسباب والبواعث والنتائج والربط بين الأحداث المختلفة فهو تفسير التاريخ ، ويختلف التفسير للأحداث والأعمال من مؤرخ لآخر حسب المنهج الفكري الذي يسلكه ، والعقيدة التي تحركه ، والمعرفة الصحيحة لسنن الله في الأنفس والآفاق ولقضائه وقدره .

وتاريخنا الإسلامي تعرض لحملات من الكيد والتشويه في تزوير الوقائع والأحداث ، وفي تفسيرها وتوجيهها .

فمن النوع الأول : الروايات المكذوبة التي لا أصل لها بالكلية ، أو الأخبار التي لها أصل ولكن أضيف إليها ما ليس منها ، أو أنقص منها حتى تؤدي الغرض المقصود من التشويه والتحريف ، أو الوقائع والأخبار التي توضع في غير سياقها الصحيح .

فمن الروايات المكذوبة التي لا أصل لها ما ذكره الطبري في تاريخه من

رواية هشام بن محمد الكلبي عن أبي مخنف لوط بن يحى الأزدي في خبر المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعده ، حيث ذكر أن علي بن أبي طالب في وقت المداولة في سقيفة بني ساعده : كان دائباً في جهاز رسول الله ﷺ[1] وهذا كذب لمخالفته للخبر الذي أخرجه البخاري في صحيحه من رواية مالك ومعمر من أن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قد لزم بيته[2] ، وكذا ما ذكره من خطبة لأبي بكر في السقيفة يقول فيها مخاطباً الأنصار : «وفيكم جلة أزواجه وأصحابه»[3] ، وهو كذب إذ أن النبي ﷺ لم يتزوج أنصارية قط فضلاً عن أن يكون جُلُّ أزواجه من الأنصار ، وكذا ما نسبه لأبي عبيدة - رضي الله عنه - في قوله للأنصار : «يا معشر الأنصار إنكم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من بدَّل وغيَّر»[4] ، فقد تفرد بهذا أبو مخنف وهو رافضي كذَّاب.

وكذلك نسبته خطبة للحباب بن المنذر يقول فيها : «يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه ؛ فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ، فإن أبوا عليكم ما سألتموهم ، فأجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الأمور ، فأنتم - والله - أحق بهذا الأمر منهم ، فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين[5] .

ومن ذلك أيضاً الرواية المشهورة في التحكيم التي أوردها الطبري في تاريخه من رواية أبي مخنف ، وفيها قوله عن عمرو بن العاص يخاطب أبا موسى الأشعري : «إنك صاحب رسول الله ﷺ وأنت أسن مني ، فتكلم وأتكلم فكان عمرو قد عوَّد أبا موسى أن يقدمه في كل شيء ، قصد بذلك كله أن يقدمه فيبدأ بخلع علي » . . . إلى أن قال : «أرى أن نخلع هذين الرجلين ونجعل الأمر شورى بين المسلمين ، فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا . . .

فقال عمرو : يا أبا موسى تقدم فتكلم ، فتقدم أبو موسى فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة ، فلم نرَ أصلح لأمرها ، ولا ألم لشعثها من أمر قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه ، وهو أن نخلع علياً ومعاوية ، وتستقبل الأمة هذا الأمر فيولوا منهم من أحبوا عليهم ، وإني قد خلعت علياً ومعاوية . . . ثم تنحى ، وأقبل عمرو بن العاص ، فقام مقامه وقال : إن هذا قد قال ما سمعتم ، وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه ، وأثبت صاحبي معاوية ؛ فإنه وليُّ عثمان بن عفان والطالب بدمه . . . الخ»[٦] .

فهذه الرواية رغم شهرتها إلا أنها باطلة لضعف رواتها ، وعدم اتصال إسنادها ، ولمخالفتها للأخبار الصحيحة ، فمثلاً قوله إن أبا موسى أسن من عمرو بن العاص ليس بصحيح ، فقد توفي أبو موسى وعمرو في سنة واحدة وكان عمر أبي موسى ثلاثاً وستين سنة ، وعمرو بن العاص يناهز التسعين فالأسن والأكبر هو عمرو بن العاص وليس أبا موسى ، كما أن قوله بأنهما اتفقا على خلع علي ومعاوية غير مستقيم لعدة أمور منها :

أن موضوع النزاع ليس على الخلافة بل على القصاص من قتلة عثمان وأيضاً أن علياً قد بويع بيعة شرعية صحيحة ، وإذا تم ذلك للخليفة فإنه لا أحد يملك خلعه إلا أن يأتي بما يوجب ذلك ، ولم يرتكب علي – رضي الله عنه – ما يوجب خلعه من الخلافة .

وأيضا فإنه قد وردت رواية صحيحة أخرجها البخاري في التاريخ الكبير وأخرجها ابن عساكر في تاريخ دمشق ، تخالف هذه الرواية وهي أن الحكمين لم يتفقا على شيء محدد فيما اجتمعا له[٧] .

ومن الأمور أيضاً : أن معاوية لم يكن خليفة حتى يخلع ، وإذا كان القصد من إمارة الشام ، فإن هذا أمر لا يملك الحكمان فعله ، بل هو راجع إلى الخليفة فهو الذي يولي ويعزل الولاة[٨] .

ومن الأخبار التي قد يكون لها أصل ، ولكن أضيف إليها ، وزيد عليها بقصد التشويه والتحريف ، ما ذكره الطبري في تاريخه ، قال : حُدِّثْتُ عن هشام بن محمد الكلبي قال : حدثني عوانة ابن الحكم قال : لما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر أقبل أبو سفيان وهو يقول : والله إني لأرى عجاجة لا يطفؤها إلا دم !! يا آل عبدمناف فيمَ أبو بكر من أموركم !! أين المستضعفان ؟ أين الأذلان علي والعباس ؟! ، وقال : أبا حسن أبسط يدك حتى أبايعك فأبى عليٌّ عليه فجعل يتمثل بشعر المُتَلمِّس :

ولا يقيم على هــون يــراد بــه	إلا الأذلان عير الحي والوتــد
هذا على الخسف مربـوط برمته	وذا يُشَجُّ فلا يبكي له أحـــد

قال : مزجره عليّ وقال : إنك والله ما أردت بهذا إلا الفتنة ، وإنك والله طالما بغيت للإسلام شراً !! لا حاجة لنا في نصيحتك[٩] .

هذا الخبر له أصل ، ولكنه ليس بهذه الصورة ، فقد أخرج الحاكم في مستدركه وصححه ووافقه الذهبي : أن أبا سفيان لقي علياً بعد بيعة أبي بكر فقال : «يا عليّ علامَ هذا الأمر في أقلِّ من قريش ؟! فقال علي : وما شأنك وهذا ، إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً ، فطالما يا - أبا سفيان - بغيت على الإسلام وأهله» ، فقد نهره علي بهذه الكلمة ، وليس فيها تلك الإضافات والزيادات الطويلة التي زادها الكلبي أو عوانة بن الحكم ، وهما من الرواة الضعاف والمتهمين في عدالتهم .

ومن الأخبار التي توضع في غير سياقها حتى تؤدي غرضاً مشوشاً ، أو تُبْتَر عن أسبابها ، قصة ذلك الرجل المصري التي أخرجها البخاري في كتاب فضائل الصحابة من صحيحه باب فضائل عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة حدثنا عثمان بن موهب قال : جاء رجل من أهل مصر وحج البيت ، فرأى قوماً جلوساً فقال : من هؤلاء القوم ؟ فقالوا : هؤلاء قريش ، قال فمن الشيخ فيهم ؟ قالوا : هو عبدالله بن عمر قال : يا ابن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني عنه : هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد ؟ قال : نعم ، فقال : تعلم أنه تغيَّب عن بدر ولم يشهد ؟ قال : نعم، قال الرجل : هل تعلم أنه تغيّب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها ؟ قال : نعم ، قال : الله أكبر ، قال ابن عمر : تعال أبين لك ، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له ، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة ، فقال له رسول الله ﷺ : إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه فبعث رسول الله ﷺ عثمان ، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى : هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال : هذه لعثمان ، فقال له ابن عمر : اذهب بها الآن معك.

فهذا الرجل كان منحرفاً على عثمان ، وقد صورت له الأمور على غير صورتها وذكرت له بعض الأعمال التي فُصلت عن أسبابها ، فتصور من ذلك حصول النقص والتقصير من عثمان - رضي الله عنه - ، ولذلك انتبه ابن عمر لقصده وبيّن له الأسباب الموجبة لهذه الأفعال ، وقرن كل مسألة بعذر عثمان فيها ثم قال له : الآن اذهب بها معك ، فقد وضح الأمر وتبين عذر عثمان بن عفان - رضي الله عنه .

ومن النوع الثاني : تفسير الأحداث وتوجيهها حسب الأهواء والمعتقدات ، وهو الميدان الكبير الذي عاث فيه الحاقدون على هذا الدين وأهله قديماً وحديثاً وبخاصة المستشرقون ومن تتلمذ عليهم وتأثر بهم ، ومن انحرف فهمه ولم يرجع إلى أصول عقيدته ودينه ، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً سواءً على الأفراد أو الدول أو المفاهيم والموضوعات الإسلامية .

فمثلاً : حركة الرِّدة التي وقعت بعد وفاة الرسول ﷺ تفسر من قبل الرافضة بأنها خروج على سلطان أبي بكر ، وليست خروجاً من الدين والسبب كما يقولون : أنهم لم يجدو الإمام الحق بعد رسول الله ﷺ ، وهو علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، ولذلك لم يطيعوا وينقادوا لأبي بكر .

وتفسر في الدوائر الاستشراقية بأنها عصيان مدني على السلطة الحكومية ولا علاقة لها بالدين ، ويتابعهم بعض القوميين العرب على هذا التفسير حتى لا يوصم العرب بهذا العار الذي هو الردة ، وكذلك حركة الجهاد والفتوح تفَسَّر بتفسيرات غريبة وبعيدة - في الواقع - عن الجهاد وواقع المجاهدين المسلمين وهدفهم الواضح ، وهو إعلاء كلمة الله ، وإدخال الناس في دين الله ، فنجد من يفسر حركة الجهاد بأنها حركة طبيعية ، فطالما خرجت هجرات من الجزيرة العربية لطلب الرزق وسعة العيش في بلاد الهلال الخصيب ، لأن طبيعة الصحراء العربية طاردة للسكان ، كما تفسَّر بأنها استرداد لملك الساميين الذين يرجع العرب إليهم ، أو أنها طلبٌ للملك والسلطان ، أو أنها استنقاذ للقبائل العربية التي كانت قاطنة في تلك المناطق وتخضع للرومان أو الفرس . . إلى غير ذلك من التبريرات والتفسيرات التي لا تمت إلى واقع المجاهدين المسلمين بشيء وإنما هي تصورات نابعة من فكر وتصور الكاتب والباحث ، وبحسب ما يرى

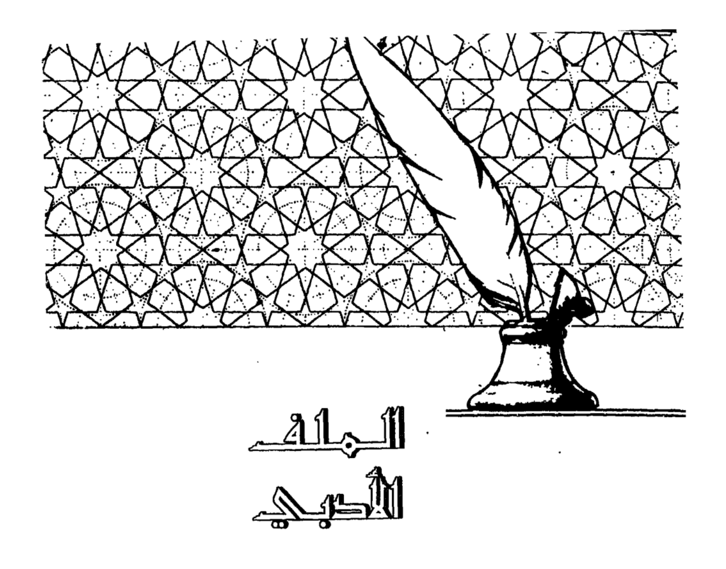
من أغراض الناس وأهوائهم وشهواتهم المتعددة التي لا تنضبط ولا تنحصر ، أما المسلم الملتزم بشريعته فإن حركاته وأعماله وأهدافه محكومة بالشريعة الربانية ومتابعة لما جاء به النبي ﷺ .

وإن تاريخنا الإسلامي بحاجة إلى رجال أمناء حريصين على تاريخ أمتهم ويعرفون خطط أعدائهم وكيدهم المستمر ، ويتلقون العلم من مصادره الصحيحة والمأمونة ، ويتبعون في البحث والتحقيق منهجاً علمياً رصيناً ، ولا يقبلون قولاً بغير دليل ، ويفحصون كل ما يقدم لهم ؛ حتى لا يقعوا فريسة لكيد أعدائهم .

وأسأل الله أن يقيّض لهذا العلم من يخدمه ، ويزيل عنه الغبش والتشويش ، ويخرجه في صورة بيضاء ناصعة ، كما هو الواقع الحقيقي لتاريخ أمتنا ، وخاصة الصدر الأول والقرون المفضلة .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك (٣/ ٢١٨-٢١٩) .
(٢) صحيح البخاري (٨/ ٨٦-٨٧) .
(٣) تاريخ الأمم والملوك (٣/ ٢٢٠) .
(٤) المصدر نفسه (٣/ ٢٢١) .
(٥) المصدر نفسه (٣/ ٢٢٠) .
(٦) المصدر نفسه (٣/ ٧١) .
(٧) التاريخ الكبير للبخاري (٥/ ٣٩٨) .
(٨) يراجع كتاب مرويات أبي محنف في تاريخ الطبري ، د. يحيى إبراهيم اليحيى .
(٩) تاريخ الأمم والملوك (٣/ ٢٠٩) .



الملف الأدبي

ألم يأن أن نصحو؟!

د. محمد بن ظافر الشهري

عجبتُ لنا مهما يحيقُ بنا نَسلُو ... ولو سُلِبَتْ أرضٌ ولو هَلَكَ النسلُ

ولو هتكَ الأوغادُ ستـرَ حريمنا ... ولو هُدِمَ الأقصى ولو طُرِدَ الأهلُ

ولو رسموا أمراً بلبس صليبهمْ ... وقرعِ نواقيسِ الكنيسةِ لم نَألُ!

كمثل غثاء السيل «مليارُ» مسلمٍ ... كما بَيّنَ المختارُ ذلك من قبلُ

أرى أمةَ الإسلام قد طال نومُها ... قد افترشتْ ذلاً وألحفها ذلُّ

ولمّا تُحركْها مصيبةُ طاجكٍ ... ولا نكبةُ البشناقِ إذ فَحُشَ القتلُ

ولا غصةُ العذراء هَدّمَ خدرها ... وأسلمَها للعارِ راغمةً نذلُ

تحاول أن تنسى ليرقأ دمعُها ... ولو أنها تنسى لذكّرَها الحَمْلُ!

مصائبنا تترى فكل مصيبةٍ ... على نائباتِ الدهرِ من قبلها تَعلو

ولم تُنسنا كابولُ قصةَ قدسنا ... وجاءت سراييفو فأضحى بها الشغلُ!

ذهِلْنا فلم نفطن لنظرتهم لها ... وكم زلةٍ للعينِ تتبعها الرِّجلُ

فعاث بها الأعداءُ كيف بدا لهمْ | وقد فعلوا ما لا يصدقه عقلُ
ودكّ بيوتَ الله أكفرُ كافرٍ | له الويلُ والزقومُ والنارُ والمُهلُ
قد استنصرَ البشناقُ أبناءَ دينهمْ | فكان جوابَ «القوم» حاصلُه الخَذْلُ!
ولما رأينا الحرب قد طال أمرها | وأُكثرت الشكوى وألحفَت الرُّسْلُ
«أمَرْنا» جميع الغرب أن يأخذوا على | يد الفيلق الباغي وإلاّ لهُ الويلُ!
تضاحكَ أهلُ الشرق والغرب عندما | نطقنا وقد يُزري بقائله القولُ
نهددهمْ بالعزم فاستهزؤا بنا | فهزلُهُمُ عزمٌ وعزمَتُنا هَزْلُ!!
وقالوا لنا كفوا عن الجهل واصبروا | فمشكلةُ البشناق أنشأها الجهلُ!
لقد خَبَرَ الكفارُ قلةَ فعلنا | وما قيمةُ الأقوال يخذلها الفعلُ؟!
فعدنا إلى البشناق نحمل خُبزَنا | وماذا عسى يغني عن الميتِ الأكلُ؟!
عَهدْنا إلى «غالي» بجود نفوسنا | فَنَولَهُ الباغي على أنه جُعْلُ
هُمُ طلبوا جيشاً يرابط عندهمْ | ومطلبهم قوسٌ ومطلبهم نبلُ
لقد عقد الكرواتُ والصربُ حلفهم | لحصرِ بني الإسلامِ كي يُحكمَ القفلُ
أرى النهرَ لا يجري إذا جَفَّ نبعُهُ | ولا يضربُ البتّارُ إن كُسرَ النَّصْلُ
ولكنّ أشبالاً ببسنَةَ لم تزل | تُباسلُ أوباشاً ولا ييأسُ الشِّبْلُ
ألا ذَكَرَ الباغونَ موكبَ فتحنا | غداةَ هزمناهم يرافقنا العدلُ
سيشهدُ أطفالٌ وشيبٌ ونسوةٌ | بفضل بني قومي وهل يُنكَرُ الفضلُ؟

ظهـرنا فلم نهـدم بناءَ كنيسـةٍ ... فـإن سيـوفَ الله شيـمتُها النُّبلُ

إذا برز المقـدامُ نطعمـه الردى ... ونخـجلُ أن يُردَى بأسيـافنا الفَسلُ

وذلك لـمّا كـان يَحكُم شـرعُنا ... إذا قـال في أمـرٍ فـقـولتُه الفـصلُ

فلمـا تحـاكمنا إلى شـرع غيـرنا ... وصـار إلى أعـدائنا العـقـدُ والحَلُّ

تمكن جند الكفـر من رأس أمـرنا ... وكـان لنا من أمـر أمـتنا الذيلُ

ومـهمـا يسـوءُ الحالُ فـالفـألُ طيبٌ ... فـإنّ رسـول الله يعـجـبه الفَألُ

لقد آنَ أن نصحوا فقد طَالَ فجرُنا ... على ليلنا البـالي ولن يَثْـبُتَ الليلُ

وها نحن قـد عـدنا إلى ديننا الذي ... على صفـحـة الحدباء ليس له مثلُ

تَخذْنا من الوحـيين منهجَ دعـوةٍ ... نبلغـهـا ببـضـاءَ منطقـهـا جَزلُ

فـإن نالنا الإيذاءُ فـالصبـر زادنا ... وكل الذي نلقـاه من أجلهـا سـهلُ

فــإنّ الذي رباهُ دينُ مـحـمـدٍ ... إذ قـيل جُدْ بالنفس طابَ له البـذلُ

سننشـرُ نورَ الدين في كل بقـعـةٍ ... ليسفـرَ من أقبـاسه الوعـرُ والسهلُ

ونحـمل رايات الهـداية للورى ... فـإن هلكَ الآباءُ يحـملهـا النّجْلُ

الظاهرة الجمالية في الإسلام

«عرض وتقديم»

محمد حسن بريغش

أولا : من الموضوعات التي تعثر فيها كثير من الباحثين والنقاد الإسلاميين مفهوم الجمال في الإسلام ، حيث إنهم مضوا يبحثون عن هذا المفهوم من خلال الفلسفة عامة ، أو ما يسمونه «علم الجمال» خاصة ، وهذا العلم الجديد ظهر مصطلحه على يد الفيلسوف الألماني «جوتيب بومجارتن - ١٧١٤-١٧٦٢ م» وأسهمت فيه جميع الفلسفات الغربية الحديثة ، ولذلك كانت أكثر الأبحاث التي ظهرت حول معنى الجمال في الإسلام تستند إلى المفاهيم الغربية - والفلسفات الأوربية المادية - مع بعض التعديلات والتحسينات .

وكان الدارس منهم يعمد إلى وضع تعريف للجمال ، مستمد من هذه الفلسفات ، ثم يحاول بعد ذلك التماس المؤيدات والموافقات من النصوص الإسلامية في القرآن الكريم والحديث الشريف ، والأقوال المأثورة .

ووقع من جراء ذلك خلط عجيب ، وتناقض ينأى عنه المسلم ، حيث اختلط الغث بالسمين ، وامتزجت الفلسفات الوثنية بالمقاييس الإسلامية .

وكان أخطر ما في هذا الأمر أن عدداً من هؤلاء الدارسين راحوا يحاكمون الإبداعات الفنية ، والنصوص الأدبية وفق هذه التعريفات والتصورات ، ويضعون الأسس والنظريات التي تحكم مسار الأدب الإسلامي

فيتلقفها الشباب والطلبة دون وعي بتأثير الرصيد النفسي من الثقة بالإسلام والإسلاميين.

وإزاء ذلك كنت أشعر أنه من أكثر الحاجات الضرورية لمسيرة الأدب الإسلامي، وتحديد أصوله ومساره، أن تخرج دراسة أصيلة موثقة عن موضوع الجمال، لتضع المعالم الصحيحة أمام الأدباء والفنانين، ولترسم المسار الصحيح للنظرة الجمالية في الإسلام.

* * * * *

ثانيـا : لقد كانت غبطتي عظيمة وأنا أطالع هذه الدراسة القيمة عن «الظاهرة الجمالية في الإسلام» للأستاذ الفاضل (صالح أحمد الشامي) ؛ لأنها - من وجهة نظري - دراسة جادة وعلمية موثقة لهذه الظاهرة، توافرت لها عدة أمور أساسية منها :

١ - فهم شرعي أصيل، وفقه في العلوم الإسلامية الأساسية، مع وضوح في التصور الإسلامي للحياة والكون والإنسان، والألوهية، وهذا شرط أساسي لكل الدراسات التي تصطبغ بالصبغة الإسلامية، ولا سيما في مثل هذه الموضوعات المرتبطة بالتصور مباشرة، والدائرة حول المنهج الإسلامي عموماً.

٢ - ثقافة واسعة واطلاع وتتبع للثقافات المختلفة في موضوع هذه الظاهرة بخاصة وفي الفلسفة بعامة، مع عدم الإهمال لأي جانب من الجوانب الثقافية التي تمس هذا الموضوع من قريب أو بعيد.

٣ - موهبة فنية واضحة في تذوق الجمال، وإدراك نبضاته الرهيفة والإحساس بنسماته الناعمة، أو في القدرة على التعبير الدقيق الجميل

والتصور الموجز الموحي أثناء عرض كثير من موضوعات هذه الدراسة فضلاً عن التفسير والتقويم لملامح الجمال ، وأوجه الفنون المختلفة .

٤ - صبر ومتابعة على استمرار البحث ، بالاطلاع ، ورصد الظواهر وجمع الأدلة ، وانتقاء النماذج ، وغير ذلك ، على مدى سنوات لإخراج البحث بصورة وافية ، تفصح عن الجهد المبذول ، والإخلاص والدقة ، التي كانت واضحة في جل فقرات هذا البحث .

* * * * *

ثالثا : تضم هذه الدراسة أربعة كتب تكمل بعضها بعضاً ، وهي :

١ - «الظاهرة الجمالية في الإسلام» .
٢ - «ميادين الجمال في الظاهرة الجمالية في الإسلام» .
٣ - «التربية الجمالية في الإسلام» .
٤ - «الفن الإسلامي : التزام وإبداع» .

وواضح من عناوين هذه الكتب أن توضيح صورة هذه الظاهرة ومميزاتها وشروطها ، ومعانيها ، وأدلتها ، يختص به الكتاب الأول ، ولذلك سأحاول عرض هذا الكتاب بشيء من التركيز والإيجاز إن شاء الله تعالى .

* * * * *

رابعــا : يتحدث المؤلف في مقدمة هذا الكتاب عن إحساسه بالظاهرة وبحثه عن معناها ، فيقول : «واستقر في خلدي أن للإسلام نظرة جمالية عامة ينبغي تفهمها والبحث عنها ، وكان القرآن هو المرجع الوحيد . . . كنت أقرأ بإمعان ورويّة وتؤدة ، أسجل من آياته كل ما له صلة بالجمال ، فوجدتني أمام كتاب الله الذي لا تنقضي عجائبه ، وتبين لي أن القرآن الكريم - وحده - يستقل

بصياغة هذه الظاهرة وبيانها ، أما السنة فكان لها الدور الكبير في الموضوع التطبيقي لهذه الظاهرة ، وهو ما نستطيع تسميته بـ (التربية الجمالية) .[1]

وكانت المصادر قليلة - كما قال المؤلف - في هذا الموضوع ، ولكنه «كان واقعاً معاشاً ، عاشه المسلمون ، وبخاصة في القرون الأولى ، فبات الفرد المسلم يعايش الجمال ، بل يعيشه حقيقة لا وهماً ، وواقعاً لا خيالا»[2] ، وهذا سبب وضوح الموضوع عند الباحث .

وضرب مثالاً على ذلك في موقف زياد بن أبيه عندما وفد على عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بعد معركة جلولاء - ووصفها له وصفاً رائعاً فأعجب عمر بفصاحته ، وأثنى عليه ، فأجابه زياد : «يا أمير المؤمنين : إن جندنا أطلقوا بالفعال لساننا» ، وهذا هو الإحساس العملي .

فما كان - كما يقول المؤلف - «جمال الكلمات وفصاحتها إلا قبساً من واقع المسلمين . . . وعاش المسلمون هذا الواقع وظنوا أن الحياة كلها هكذا»[3] ولذلك لم يحتفوا ببيان الظاهرة وتسجيلها بالأقوال مادامت واقعاً معاشاً بالأفعال .

خامسا : لقد قسم الباحث دراسته إلى بابين كبيرين ، وكل باب يتضمن عدداً من الفصول :

ففي الباب الأول - الذي يضم ستة فصول - عرض مفهوم الجمال عند الغربيين من خلال إيضاح معنى الجمال وحقيقته ، وعلاقته بالعلم ، وصلته بالفلسفة ، والأخلاق ، وموقف الدين - عند المسيحيين - من الجمال ، ثم انتهى إلى موضوع الشكل والمضمون في علم الجمال .

ومن خلال هذه الفصول وضح للباحث أن الإسلام جعل الجمال سمة من سمات منهجه ، وصار صفة لسلوك أتباعه ، دون أن يدخلوا في متاهات

الجدل والفلسفة ، بعكس ما فعله الغربيون حيث كان الجمال عندهم لصيقاً بالفن من ناحية ، إلى جانب كونه نظرية من نظرياتهم البعيدة عن واقع الحياة اللصيقة بمعتقداتهم التي جسدتها فنونهم الوثنية المختلفة .

والجمال - كما رآه الكاتب - حقيقة موجودة ثابتة ، يراها بعضهم قائمة في ذات الشيء الجميل ، وهي صفة من صفاته ، ويراها بعضهم الآخر مستقرة في شعور الإنسان نحو ذلك الشيء(٤) .

وأما علاقة الجمال بالعلم ، فلقد تمثل في مصطلح (علم الجمال) عند الغربيين ، وهذا العلم مرتبط بالفلسفة من ناحية ، ومقتصر على الفن فقط ، مع أن الفن ميدان واحد من ميادين الجمال المتعددة ، فضلاً عن ذلك فإن الذين بحثوا في علم الجمال لم يتفقوا على مصطلحات محددة لهذا العلم ، ولذا بقي في حيز التخيل بعيداً عن الواقع .

واستعرض المؤلف خصائص الجمال ، ومقاييسه عند الغربيين ، ووجد أنها تفرقت وتوزعت إلى درجة يستحيل معها الركون إلى واحد من هذه المقاييس أو الخصائص .

وأما علاقة الفلسفة بالجمال فلقد أظهرت مدى التوزع والتعارض في وجهات النظر ، حيث ذهب بعض الفلاسفة إلى أن علم الجمال هو أحد موضوعات الجمال ، وذهب آخرون إلى أن علم الجمال هو أحد موضوعات الجمال ، وذهب آخرون إلى أن الفن - وهو رمز الجمال عندهم - مصدر الفلسفة ومدخلها ، وذهب فريق ثالث إلى ضرورة ابتعاد الفلسفة عن موضوعات الجمال .

وبعد عرض هذه الآراء يخرج الباحث بنتيجة واحدة عن كل هذه الاتجاهات الفلسفية ، ومضمونها : أن ما قيل عن الجمال في الفلسفة بعيد عن

حقيقة الجمال ، وبعيد عن موقعه ، بحيث لم يعد الجمال غاية الفن ، بل الغاية هي الفلسفة ذاتها[٥] .

وبحث علاقة الجمال بالأخلاق ، فرأى أن الغربيين لم يفرقوا في هذا الموضوع بين (الجمال) على أنه قيمة ، وبين (الجمال الفني) الذي يبرز من خلال اللوحة أو أي عمل فني ، لذلك آل الحديث إلى علاقة الفن بالأخلاق ونُحِّيَ الجمال جانباً ، ونُسيَ في هذا الأمر ، مع أنه الأمر الأساسي في الموضوع[٦] . وبعد أن استعرض المؤلف الآراء المختلفة حول علاقة الجمال بالأخلاق ، انتهى إلى أن كلاً من الحق والخير والجمال له مقوماته الخاصة . . . «يلتقي بعضها مع بعض باعتبارها قيماً يُسعى إليها كما أنها تتداخل في كثير من الأحيان ، فحيث وجد الحق نلمح وجود الجمال يتراءى من خلاله ، وحيث وجد الخير فإننا نلمح إشراقة الجمال فيه»[٧] . ولكن الغربيين عند بحثهم في موضوع الأخلاق والجمال كانوا بعيدين جداً عن هذا المفهوم ، لأنهم فهموا الجمال في إطار الفن - كالرسم مثلاً - ولم يفهموه بصورته المطلقة ، فضلاً عن ذلك فقد كان سلوك الفنانين الدافع القوي وراء الآراء التي فصلت الجمال عن الأخلاق .

وأما علاقة الجمال بالدين فتختلف باختلاف الدين ، وباختلاف العصور، ولاسيما بالنسبة للدين المسيحي .

ففي المعتقدات الوثنية - مثلاً - كان الفن في خدمة الدين ، والأوثان تصنع بدافع ديني ، وهي عمل فني أيضاً - حسب وجهة نظرهم - ، وبقي الفن في خدمة الطقوس الدينية زمناً طويلاً[٨] .

وورثت الكنيسة تقديس الفن عن الفلسفات السابقة ، وَعدَّت الفن مقدساً ولو كان عهداً! .

سادساً : أما نظرة الإسلام لموضوع الجمال فقد خصص لها المؤلف الباب الثاني من الكتاب[٩] وبعد هذا العرض الدقيق لمفهوم الجمال عند الغربيين عموماً من حيث التعريف ، والخصائص ، والعلاقة بين الجمال والعلم والفلسفة والدين ، ليكون القارىء على بينة من موضوع الظاهرة الجمالية في الإسلام ولكي لا تختلط في أذهان الباحثين مفاهيم الفلسفة ، والفنون المختلفة عن الجمال ، بالتصور الإسلامي المتميز لهذه الظاهرة.

فلقد درس الكاتب ظاهرة الجمال في الإسلام دراسة تفصيلية دقيقة وتتبع مصادرها ، وميادينها ، واستدل على كل ذلك بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والتطبيقات العملية ، ليعطي الدليل القاطع على أن الجمال حقيقية ثابتة في كيان هذا الوجود ، وأنه قيمة من القيم العليا التي رسخها الإسلام.

ولذلك نراه بدأ بتعريف كلمة الجمال ومرادفاتها في اللغة ، وفي النصوص الإسلامية ، وانتهى في الفصل الأول إلى أن «موضوع الجمال مقصود في أصل الخلق» ، والأدلة على ذلك لا تحصى ، ووردت آيات كثيرة في ذلك عن الكون والإنسان ، والسماء والأرض . . . الخ ، ومن هذه الأدلة ندرك أن «هذا الوجود جميل ، وجماله لا ينفذ ، وإن الإنسان ليرتقي في إدراك هذا الجمال والاستمتاع به إلى غير ما حدود ، قدر ما يريد ، ووفق ما يريده له مبدع الوجود» ، وحيث أن الجمال مقصود في هذا الوجود فإن «إتقان الصنعة يجعل كمال الوظيفة في كل شيء يصل إلى حد الجمال»[١٠] . والأدلة عن الجمال في الكون يتملاها السمع والبصر والحس في كل حين ، وفي كل مكان والنصوص القرآنية كثيرة جداً في إبراز صور الجمال الكوني بكل أبعاده وصوره، ومن مظاهر الحديث عن الجمال الكوني أنه يتصف بالخلو من العيوب، والبعد عن الخلل والتنافر ، وهو في كل هذا منسوب إلى الخالق سبحانه وتعالى. ففي الكون : في السماء والأرض وفي عالم الكواكب وعالم

النبات وعالم الإنسان صور للجمال ، وصفاته لا تعد ولا تحصى ، ويبرز معنى الجمال بمعان كثيرة ، كالتسوية التامة في خلق الإنسان ﴿ **يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريمّ الذي خلقك فسواك فعدلك** ﴾[11] ، ويبرز بمعنى التصور الحسن مع توافر التناسق والمرونة والتكيف ، والاهتمام بالظاهر والباطن ، وتحقيق الانسجام والوئام بينهما ، ويشير المؤلف في هذا الصدد أيضاً إلى أن فعل (صوّر) لم يستعمل في القرآن الكريم إلا في صدد الحديث عن الإنسان وبأسلوب الخطاب له من باب المنّ عليه في هذا الجانب المهم من حياته ، وكذلك برز مفهوم الجمال واضحاً في الوسائل التي هيأها الله للإنسان ، ليجمّل بها حياته الخاصة ، فالزينة - مثلاً - مطلوبة من الإنسان تلبي نداء الفطرة والدين معاً[12] .

وأشار المؤلف إلى أثر الجمال على النفس الإنسانية «إذ له سلطانه الواسع في النفس ، وله الأثر الكبير في قيادتها والأخذ بيدها» . وهذا الأثر له فائدته وأهميته في ميدان التربية ، على أسس إسلامية في تكامل النظرة للإنسان والحياة ، وانسجام الظاهر والباطن ، وتحقيق الشمولية مع التوازن في تربية الجيل . وكذلك فإن الجمال - الذي هو مطلب فطري - وسيلة اختبار أيضاً ومادة ابتلاء للإنسان ، ويعد جزاء العمل الصالح أيضاً[13] .

وفي الفصل الثالث يبحث في علاقة العقيدة بالجمال ، ويشير إليها باسم «الجمال والقضية الكبرى» ، حيث أوضح أن الجمال يدخل كعنصر مهم في بناء العقيدة الإسلامية في نفس المسلم ، وفي تأكيدها أيضاً ، ويسوق الأدلة الكثيرة الواضحة على هذا الارتباط الوثيق .

وفي الفصل الرابع من هذا الباب يفصل ما كان مجملاً في الفصل السابق فيتحدث عن المنهج والجمال ، والجمال والألوهية ، والجمال والكون ، والجمال

والإنسان ، وهذه كلها من عناصر التصور الإسلامي وجوانبه الأساسية ، ثم أشار إلى ميادين مهمة ألمحت إليها الآيات القرآنية ، ولم تعرف الجمال في غير هذا الدين مثل «ميدان الصبر ، وميدان الهجر ، والتسريح الجميل ، والصفح الجميل ، وميادين أخرى».

فالجمال – من خلال هذا البحث الدقيق المستفيض – مفهوم مرتبط بالعقيدة ذاتها ، يشمل الجوانب المادية والمعنوية ، والظاهر والباطن لدى الإنسان. «ولم يعد صنع الجمال – وفقاً لمقتضيات التصور الإسلامي – قاصراً على فئة قليلة وهي الفئة المنتجة لما يسمى بالفن الجميل ، من شعر ورسم ونحت وموسيقى . . . كما لم يعد تذوق الجمال والإحساس به وقفاً على تلك الطبقة المنتجة للفن ، أو المترفة التي يتيح لها ثراؤها (. . . الفراغ . . والثمن) الذي تقتني به لوحات الجمال ، ولكنه أضحى لدى الإنسان المسلم خلقاً استقر في وعيه ، وتصوراً استقر في فكره ، ولغة يعبر بها ، وإتقاناً يوصف به عمله ، إنه لون المنهج الذي يحياه ورائحته التي يستنشق عبيرها ، وحيويته التي يمتع بها نظره.

وفي الفصل السادس من هذا الباب يبحث العلاقة بين الجمال والإنسان في جانبيه الأساسين : الجانب الظاهري والجانب الباطني ، حيث يتبين من مظاهر الجمال في هذين الجانبين أنه ليس شيئاً قائماً بذاته ، وإنما هو أمر قوامه بغيره ، ولا يكون له وجود حقيقي إلا حينما يكون سمة للظاهر والباطن في آن واحد ، مع تحقيق التناسق التام بينهما[١٤].

ثم ينتقل لتحديد سمات الجمال من خلال مظاهره المختلفة فيجملها بعدد من السمات أهمها : السلامة من العيوب ، والقصد ، والتناسق والتنظيم ، ويستشهد على كل سمة بآيات ومشاهد كونية من كتاب الله العزيز الحميد.

وينتهي في الفصل السابع إلى تلخيص ما وصل إليه من خلال هذا البحث

الجاد الدقيق ، واستعراضه الواسع الممتع ، واستشهاداته وتحليلاته الدقيقة ويضع لنا من خلال السطور التالية التصور الكلي للظاهرة الجمالية في الإسلام .

* الجمال حقيقة ثابتة في كيان هذا الوجود .
* وهو (قيمة) من القيم العليا تعلو على (المنفعة) و(اللذة) .
* وهو سمة بارزة في سمات الخلق الإلهي .
* وأن وجوده فيها (مقصود) لا عرضي .
* وأن من خصائصه (العموم) و(الشمول) .
* وهو (الذروة) دائماً ، إذ به تستكمل القضايا والأشياء .
* وأن الطبيعة ميدان من ميادين الجمال .
* وأن وجوده فيما لا نبصر كوجوده فيما نبصر .
* والإنسان مدعو إلى تطبيق المنهج لكي يحقق الجمال في كيانه النفسي وفي سلوكه وفي إنتاجه ، و(الفن) بعض إنتاجه .
* والظاهرة الجمالية لا تستمد وجودها من الفلسفة وإنما من المنهج الإلهي .
* ولذا كان التصور الكلي المسبق لهذا المنهج ضرورة لازمة إذا أردنا الوقوف على تصور كلي للظاهرة الجمالية ، ذلك أن التصور الثاني في مقام الظل من التصور الأول .

سابعا : هكذا ينهي الكاتب بحثه في هذا الجزء الهام من الدراسة الشاملة للظاهرة الجمالية في الإسلام ، باستخلاص هذا التصور القائم على منهج إسلامي ، وتصور إسلامي ، بعد استعراض دقيق لكل ما ورد في شأن الجمال في الفلسفة والعلوم والفنون . .

ولعل هذا التصور للجمال ، وهذا البحث يكون لبنة أساسية في بناء

الفنون الإسلامية بعامة ، والأدبية بخاصة .

ولعله يضع للأدباء والنقاد المعالم الأساسية لمسيرة الأدب والفنون على هدي التصور الإسلامي الصحيح ، لبناء أدب إسلامي سليم ، ولتنوير الأفهام وتربية الأذواق ، وتوجيه الفطرة الوجهة المستقيمة التي تجنب أصحابها الوقوع في شباك الفلسفات الوثنية والآراء العلمانية ، والنظرات المادية النفعية التي كثيراً ما تنطلي على الناس لأنها تُطلى بالألوان الزاهية .

هوامش :

(١) الظاهرة الجمالية في الإسلام ، ط١ ، دمشق .
(٢) المصدر السابق ص ١٠ .
(٣) المصدر نفسه ص ١٠ .
(٤) المصدر نفسه ص ٢٦ .
(٥) المصدر نفسه ص ٤٣-٦٠ .
(٦) المصدر نفسه ص ٦٣ .
(٧) الظاهرة الجمالية ص ٧٢ .
(٨) الظاهرة الجمالية ص ٧٤ .
(٩) المصدر نفسه ص ١٠٧ .
(١٠) المصدر نفسه ص ١٣٠ .
(١١) سورة الانفطار ، آية ٦ ، ٧ .
(١٢) الظاهرة الجمالية ص ١٢٥-١٤٠ .
(١٣) المصدر السابق ص ١٤٦ .
(١٤) المصدر نفسه ص ٢١٨ .

ينادي الجدار الجدارا

عبدالوهاب الزميلي

- أ -

ينادي الجدارُ الجدارا :

[أيُسدلُنا (السوطُ) فوقَ الدماءِ ستارا !

وتُسحَقُ فوقَ الجباهِ . .

جباهُ الحيارى ؟!

ويَلطمُنا حسبةً ! إنْ بدا . .

علىَ الوجه آثارُ سيل الدماءْ . .

(بغاثُ بن ظَلمةَ وابن أُبَيْ) !

ويركبُ فوقَ الظهورِ (حُيَيْ) !]

- ب -

يَدُقُّ الجدارُ الجدارا :

[ألا غضبةٌ ؟ . .

نَفِرُّ من الظلمة المبهمةْ . .

ونهوي على قاعة المحكمةْ . .

ونرفعُ راياتنا حُرَّةً . .

على الرأسِ فوقَ ذُرى الملحمة]

ويبكي الجدارُ الجدارا :

ويبقى الحيارى حيارى . .

ولكن جمراً . . بثوبِ الرمالِ توارى !

- ويرثي الجدار الجدارا ! -

وقبل انقشاع الضَّباب . .

رأى الكونُ شيئاً تَوَارَى ؟!!

سُؤرُهَمّ !

سليمان بن عبدالرحمن العبيد

أقول لأصحابي : ثباتاً على الدَّربِ ستُفرَجِ من بعد الشدائد والكَربِ

أقول لأصحابي : ثباتاً وإن أمُتْ فإني قتيل لليهودي والصِّربي

بقيةُ حزنٍ سؤرُهَمٍّ تعددتْ مصادرُ إزعاجي من البُعد والقُربِ

وأيُّ بلادِ المسلمين نقيةٌ من الذبح والتخريب والمنهج الغربي ؟!

لماذا بلادُ المسلمين تعوّدَتْ عذابَ دعاة الله بالحبس والضَّربِ؟!

تسير بلادُ المسلمين بخُطَّةٍ تنظمها صهيون يا خيبةَ العُربِ !

أهينوا بنيكم معشرَ العُربِ ، بينما بنونا بنو صهيون في ساحة الحَربِ!

وآذَوا الرجالَ الصامدين جميعَهم ولا تتركوا غيرَ النعامةِ و «الخُربِ»

إلهي غرِقْنا بالمذلةِ والأسى فقيِّضْ لنا شرقاً يفُكُّ من الغَربِ!!

* * * * *

المسلمون و العالم

- يهود وصريعان.
- اليمن : إلى أين تسير ؟!
- الأوجادين .. الشعب والجهاد.
- انتصارات جديدة لمجاهدي «مورو».

يهود .. وصريعان
(ثم ينقضون عهدهم في كل مرة)

د/ عبدالله عمر سلطان

هدأ الضجيج والصخب وجاء وقت الاستحقاق . . اختفت الابتسامات البلهاء المريضة ، وجاء دور اتساع الأحداق أمام الحقيقة المزعجة . تلاشت أغصان الزيتون التي كان يرشق بها «أزلام» المنظمة والحالمون بسلام مع يهود جنود الصهاينة ، وظهر الحجر والسكين بدلاً عنها ! .

بعض الحوادث والقصص تلخص الواقع القائم بكل تفاصيله ، كما لا تفعل المقالات المدبجة والقصائد العصماء والخطب المجلجلة . . وإليكم مختصراً لقصة موحية لهذا الواقع المطل برأسه . . إنها قصة أحمد خالد أبو الريش ، هذا الشاب الذي لم يتجاوز العشرين من العمر ، كان أحد الناشطين في حركة فتح التي وقعت اتفاق المبادىء مع الصهاينة قبل أشهر . . وحين عودته من رحلته التاريخية - تاريخية فعلاً من باب حجم الذل والانكسار - صرح ياسر عرفات أن عدوه هو عدو السلام ، وأن الاتفاق هو أضخم مكسب حققه الفلسطينيون على مدى تاريخهم . . !!

وصدَّق أحمد خالد أبو الريش تصريحات زعيمه ، أوليس هذا «الياسر» هو رمز القضية و«راهبها» الثوري ؟!

أوليس هو القائد الذي «يفهم» ما لا يفهمه كل من اعترض على اتفاقه مع يهود أو فكر في مناقشة بنوده ؟!

ولأن خالداً «منضبط» ، وقبل ذلك «رقم» مطيع كبقية العناصر الذين يُضحى بهم في سبيل «النصر» الذي تسعى إليه قيادة تونس ، فقد شجع قرار «صقور فتح» (الجناح العسكري للمنظمة في المناطق «الفتحاوية») المحتلة الذي أوصى بإلقاء السلاح وإيقاف كل العمليات العسكرية بعد تسعة أيام فقط من توقيع اتفاق عرفات/ رابين ، وذلك بعد صدور قرارات زعيم السلام وعدو الإرهاب ، الذي قال لشعبه بأن الإرهاب يضر بصحتهم ؛ لذا فعليهم أن يمتنعوا عنه بناءً على نصيحة طبيب صديق اكتشفه «أبو عمار» في شارع بنسلفانيا في واشنطن يسمى «بيل كلنتون» ، لقد وصف تجربته معه بقوله : «لقد اكتشفت صديقا لنا في واشنطن» . صحيح أن العبارة «ملطوشة» من تصريح لرئيسة الوزراء اليهودية السابقة «جولدا مائير» ، لكن هل يغص الذي ابتلع دماء القضية الفلسطينية وثوابتها بعبارة مأخوذة من النبراس اليهودي الصديق ؟!

المهم أن المشكلة الوحيدة التي واجهت أحمد خالد أبو الريش ، هي ملاحقة السلطات الإسرائيلية ؛ له بسبب ماضيه السابق ، وضلوعه في عمليات عكرت أمن المستوطنين الصهاينة في قطاع غزة ، ولدى أول فرصة سانحة سارع أحمد خالد أبو الريش لتسليم نفسه إلى سلطات العدو الصهيوني ، وسلم سلاحه أيضاً، تعبيراً عن «حقبة السلام» التي يهدد بتعكير صفوها مجموعة «المتطرفين الأصوليين» الذين هم «العدو المشترك» لطرفي الاتفاق : علمانيي المنظمة ويهود إسرائيل ! . . وبعد ساعات قليلة من احتجاز أحمد أبو الريش خرج محمولاً على الأعناق في مظاهرة صاخبة طافت شوارع (خان يونس) معبرة عن بدء عصر جديد وصفحة أخرى تقول «العهد السلمي» بدأ . . وهذا أول الغيث !! .

وفي اليـوم التـالي بدأ أحـمـد يتـصـدى لكل من يشكك في «حـجم الإنجاز» أو «استسلام القيادة» أو «طبيعة يهود» التي لا ترعى العهود والمواثيق .. ولم يمض أسبـوع واحـد على تسليم أحـمـد خـالد أبو الريش لنفسـه وسلاحه إلى قيادة اليهود حتى باغته جنود الوحدات الخاصة لجيش الاحتلال فأردوه قتيلاً يتخبط في دمه !!

صدَّق خالد أن ليهودَ عهوداً .. وآمن أن السلام ممكن .. فدفع ثمن هذا دمَه وروحَه .. التي رهنهـا بيد قيـادات العـجـز المتـهـاوية ، وعلى بعـد آلاف الأميال هناك في حمام الشط كان القادة الكبار يستقبلون الخبر ببرود ، فدم خالد وأمثاله قربان بسيط لا يستحق أن يزعج «آباءُ النضال» أنفسهم به ؛ لأن السلام أثمن وأعظم من أن يعكر صفوه دم شهيد آخر !! فالشهادة في سبيل الطين والتراب ترخص أمام حياة الأباطرة التي يتمتعون بها ، وروح (درزينة) أخرى من الشهداء قدر الثورة التي أصبحت ثروة يتمتعون ويتقلبون في أجواء الترف بسببها .

ثم هناك أمر آخر أكثر خطورة من خبر تافه كهذا : إن القوم مشغولون في الإعداد للحل والترحال بين العواصم الإسكندنافية ، وإيجـاد مسالك لائقة لمقامهم في أريحا .. فسرير الرئيس الذي أعد بعد يوم واحد من توقيع الصك دليل دامغ على أن «النعش» الوطني هو القنطرة الوحيدة لإقامة «العرش» الذي صنعه يهود بمواصفات دولية فائقة المواصفات دقيقة التفاصيل .

مشكلة أحمد خالد أبو الريش وأمثاله أن عليهم أن يدفعوا ثمن العرش دماً وروحاً وجراحاً في أكفان متتالية لا تثير قيادات الدم البارد ، التي تُهيىء نفسها لطور الدولة/ الكانتون !!

قد أنبأهم ربهم :

الذين يتحدثون عن نقض بني إسرائيل للعهد لا يتحدثون من فراغ ، ولا ينطقون إلا بآيات محفوظة . . فيهود من خلال تعاملاتنا معهم منذ اليوم الأول قوم إذا بحثت عن أبرز صفة لهم برز لك «نقض العهد» كأول معلم لتلك الأمة وهذا أول ما يقفز إلى الذهن ، الذهن النظيف واليقين المطمئن .

لقد تولوا منذ أن بعثت الرسالة فيهم : ﴿ **وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون** ﴾[1] .

لقد كانت هذه الطبيعة ملازمة لهم عبر العصور ، ورذيلة صارت طبعاً وسلوكاً . . إنهم الذين صدق قول الله فيهم وقوله الصدق : ﴿ **أوكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون** ﴾[2] .

ولما كان قول الحق جل وعلا قرآناً يتلى . . ووعداً يتحقق . . جاءت الأحداث بكلكها مرة أخرى ترسخ يقين المسلم في هذا العصر القلق ، بأن اصبر وصابر ورابط . . فبصرك ثابت وبصيرتك نافذة بحول الله !

هل رأيتم كيف يتحقق وصف يهود أمام الأنظار مرة بعد أخرى ؟ . لقد جاء موعد الانسحاب المزعوم من الأرض التي لا تساوي ٣٪ من مجموع ما اغتصبه يهود من أرض فلسطين . . فإذا هم يتراجعون عن هذا الإنسحاب الطفيف التافه ويؤكدون غدرهم وخياناتهم ، فلا وفاء ولا أمانة كما هو العهد بهم . . إنهم أمة لا تحترم قداسةً ولا تصون ميثاقاً . . كما نطق رابين بعد يوم واحد من موعد الانسحاب فقال : «قلت قبل عشرة أيام وأكرر القول : لا موعد مقدس» . . نعم بهذا اللفظ لا موعد مقدس . . ولا عهد مقدس !!

قال ابن جريج : (لم يكن في الأرض عهد يعاهدون إلا نقضوه . . يعاهدون اليوم . . وينقضون غدا)[٣] . . نعم عاهدوا قبل شهور ثلاثة ثم عادوا ينقضون دون خجل أو حياء .

ولم يخف يهود نياتهم الخبيثة المبيتة بنقض العهد ، كما هو دأبهم ، فهذا (موشي شاحال) يصرح لإذاعة جيش إسرائيل : بأن الاتفاق الإسرائيلي/ الفلسطيني سيكون لاغياً إذا فاز المعارضون للاتفاق في انتخابات الحكم الذاتي !!

وصدق الله القائل : **﴿ أوكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ﴾**[٤] . . هذه الآيات الرائعة تقف أمام حجج المهزومين الذين يروجون لهذا الحل العبقري !! حين يتحولون إلى «حرس حدود» يقوم بحفظ أمن دولة الصهاينة وهم يراهنون أحياناً على العناصر المعتدلة و«الحضارية» ، كما وصفها عرفات في وجه المتشددين أمثال رابين ومن أبرز هؤلاء (شمعون بيريز) الذي شارك عرفات احتفال الأسبان في غرناطة بخروج المسلمين من الأندلس . . (ما أعظمه من احتفال ومن ذكرى تلقي بظلالها على مصير أهل فلسطين اليوم) ، لكن بيريز من خلال كتابه الجديد «الشرق الأوسط الجديد» يؤكد جذوره اليهودية الناقضة للعهود والمواثيق التي يوقعها مع شراذم العلمانية العربية المفلسة ، ففي حديثه عن عودة الفلسطينيين إلى ديارهم يقول : «لن نسمح مطلقاً بعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم بغض النظر عما يثيره الجانبان من حجج . . ليس هناك فرصة لقبول ذلك الآن . . أو في المستقبل . . » .

وما أصدق من قال : «اليهود موسومون بنقض العهد وبالغدر ، ولقد أخذ الله تعالى الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا ، وكم عاهدهم رسول الله ﷺ فلم يفوا . . . » .

لقد برز المراهنون على صدق اليهود وحسن نياتهم عارين تماماً إلا من الوقاحة ومفلسين إلا من الدجل ، وهذه الحقائق النافرة تثبت مرة بعد أخرى كذب اليهود وغشهم وخداعهم ، وهذا أمر مستقر في النفوس ، تحركه الأيام وتثبته الوقائع ، ويصدقه الحديث النبوي الشريف .

يا يهود قد أنبأنا الله بكم . . فهل تملك مناخل إعلام التطبيع حجب الحقيقة الساطعة ؟!

والقادم أحلك :

هنا اليوم معادلة لها طرفان : طرف يزداد قوة وتجبراً ، وطرف آخر يزداد ضعفاً وتراجعاً لتظل محصلة طرفي المعادلة متساوية : كلما ازداد طرف قوة . . كان على طرف المعادلة الآخر أن يتراجع . . وإلا اختفى نهائياً .

لقد أبرزت مهلة الثلاثة أشهر التي أعقبت الاتفاق أن الصهاينة يهدفون إلى تحقيق أكبر قدر من المكاسب والتنازلات أمام قيادة معزولة عن شعبها ، بل وحتى عن حلفائها التاريخيين . . ، ولا يستبعد المراقبون أن هذا يتم عمداً حتى تحترق أوراق المنظمة وقيادتها ، ليتم استبدالها فيما بعد بقيادة تستلم هذا الحمل الثقيل الذي لا يمكن لأحد أن يصنعه سوى القيادة الحالية .

إن نقض الاتفاق بالإنسحاب من غزة وأريحا يؤدي إلى هذا الهدف المباشر ، كما أنه يكشف عن مطالب إسرائيل وطلباتها والتي كشفت عنها الصحافة العربية مؤخراً ، وهي تتمثل في :

١ - الكشف عن كافة مخابيء الأسلحة الفلسطينية في إسرائيل وقطاع غزة والضفة الغربية ، والكشف عن أسماء المشرفين عليها وبصورة خاصة في أريحا وخان يونس وأيضاً بيان طرق إدخالها إلى تلك المناطق ، وأسماء

التنظيمات الفلسطينية التي ساهمت فيها.

٢ - الإعلان عن حل جميع الأجهزة الأمنية والعسكرية التابعة لحركة فتح وإعلانها حركة سياسية غير مسلحة.

٣ - إطلاق سراح عميل الموساد (عدنان ياسين) وتسليمه لدولة أوروبية يتفق عليها مقابل إطلاق سراح عدد من السجناء الفلسطينيين البارزين.

٤ - عدم المطالبة بالسيطرة الفلسطينية على المعابر والجسور.

٥ - الموافقة بالإبقاء على النشاط العسكري للقوات الإسرائيلية والأمن الإسرائيلي في منطقة الحكم الذاتي.

٦ - الموافقة على التنسيق بين قيادة الشرطة الفلسطينية وجهاز الأمن الإسرائيلي في كافة الأمور الأمنية.

٧ - الكشف عن أسماء المسؤولين عن ١٤ عملية قامت بها حركة فتح في إسرائيل والضفة الغربية والقطاع، وقتل فيها إسرائيليون، ولم يتم إلقاء القبض على مرتكبيها.

كل هذا يتم «قبل» أن يتم أي انسحاب فعلي.. فما هو ثمن أي خطوة في طريق الانسحاب الشامل؟!

لقد تبخرت شعارات «الواقعية» ودخولنا «مرحلة جديدة»؛ لأن الجانب الإسرائيلي وحلفاءه من خلال ممارستهم التفاوضية يجذرون في الأمة الصورة الحقيقية للأمة الملعونة، التي لم تعرف سوى الغدر والخيانة.. كما أنها تمزق آخر الأوراق الشفافة التي يتحصن بها عرابو الاتفاق المشؤوم والذي يزداد بشاعة مع مطلع كل يوم، وظهور الحقيقة ساطعة أمام الأمة.

هذه الأمة عليها أن تستلهم مسار قدوتها ، النبي الخاتم ﷺ حينما خاطبه ربه بقوله : ﴿ **الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون** ﴾[5] . . وحين تصل إلى اليقين برسالتها ستختفي كل الخفافيش التي تتكاثر في الظلام . . ويختفي وقت الاصباح . . ، وحينها لن تمر بتجربة ساذجة ومرة ، كتجربة أحمد أبو الريش الذي دفع ثمن ولائه لقيادة «الزعيم» دمه وروحه . . بلا مقابل . . ، وبثمن بخس في الوقت الذي سقط فلسطيني آخر برصاص الغدر الصهيوني بعد أن ثمّن رابين سقوطه بأنه «نصر لإسرائيل» وأعني به (عماد عقل) أحد مجاهدي سرايا عز الدين القسام التابعة لحركة المقاومة الإسلامية (حماش) .

وهنا بالتحديد يفترق الطريق . . وتتباين الشعب طريق يستلهم الرشد من كتاب ربه ويعد الشهادة مغنماً وطريق سَلَّم بوصلة القيادة ليهود تهوي به نحو هوة سحيقة . . لا محالة .

مرة أخرى تبرز المعادلة الجديدة في قصة الصريعين (عماد و أحمد) كلاهما سقط برصاص الغدر الصهيوني . . أحدهما يعلن أن طريقه مسدود وبلا منافذ والآخر يرسم للفجر خيط ضوء وحزمة شعاع تقول إن المعركة ببطلها الأصيل قد أطلت . . فويل ليهود من فجر قد اقترب . .

---

(١) سورة البقرة ، آية ٨٣ .
(٢) سورة البقرة ، آية ١٠٠ .
(٣) تفسير ابن جرير ، ص ٢٢٧ .
(٤) سورة البقرة ، آية ١٠٠ .
(٥) سورة الأنفال ، آية ٨ .

اليمن : إلى أين تسير ؟!

عبدالله الحاشدي

تمر اليمن في هذه الفترة بأزمة حقيقية لم تعرف مثيلاً لها منذ أن أقيمت الوحدة إلى اليوم بين حزب رئيس مجلس الرئاسة - علي صالح - (المؤتمر الشعبي العام) وحزب نائب رئيس مجلس الرئاسة - علي البيض - (الحزب الاشتراكي) ، وهي أزمة بالغة الخطورة ، ومن الممكن استعراض خطورتها من خلال النقاط التالية :

* أنها بين حزبين قوميين أقاما الوحدة اليمنية على أنقاض دولتين ، ومازال كل حزب يسيطر على المناطق التي كان يحكمها قبل الوحدة .

* أن الحزب الاشتراكي أعطى لصراعه مع الرئيس (علي صالح) وحزبه بعداً مناطقياً ، إذ يوجه إليهم تهمة إرادة إحكام السيطرة لما كان يعرف بنظام اليمن الشمالي على نظام ما كان يُعرف باليمن الجنوبي وخيراته وأفراده وعدم منحه المكانة المرموقة التي كان يحظى بها من الناحية المعنوية أو المادية ، بل على العكس من ذلك فإنه نقل إلى المناطق الجنوبية والشرقية مساوىء نظامه من تسيب أمني وإداري وتدهور اقتصادي . . الخ ، مع قيامه بإزالة المعالم البارزة لدى ما كان يعرف بنظام اليمن الجنوبي من الوجود .

* أن الأزمة تجاوزت نقد كل طرف من طرفي النزاع لمواقف الطرف الآخر، إلى تهجم قيادة كل طرف على قيادة الطرف الآخر من خلال الخطب والكلمات و المقابلات التلفزيونية والصحفية ، وشتى وسائل الإعلام المختلفة التابعة لهما ، وهذا ما جعل الخلاف بينهما يتعمق ويتأصل، بالإضافة إلى انعدام ثقة كل طرف بالآخر مما حصل بسببه انحسار إمكانية إقامة حوار موضوعي يزيل بؤر الصراع بين الطرفين وقد يؤدي ذلك إلى تراجع في فرص استمرارية التعايش السلمي بينهما.

* دخول الجيش وقوات الأمن في الأزمة تبعاً لانتماءاتهما الحزبية ، وخضوع الجيش وأمن ما كان يعرف باليمن الشمالي للرئيس وخضوع جيش وأمن ما كان يعرف باليمن الجنوبي للحزب الاشتراكي.

وقد كانت هنالك تحركات لوحدات من الجيش من معسكراتها إلى مواقع أخرى ، بالإضافة إلى استحداث نقاط جديدة وثبوت إعلان حالة الاستنفار القصوى في بعض معسكرات الجيش - إن لم يكن كلها - .

* أنها أزمة متحركة سائرة بقوة نحو التصعيد مما يعني عدم إعطاء الفرصة لمن يريد حلها وتخفيف حدة توترها بين الطرفين.

تطورات الأزمة الأخيرة :

بعد عودة (البيض) من رحلته الاستشفائية في الولايات المتحدة الأمريكية ومقابلته لكبار المسؤولين في الإدارة الأمريكية وفي مقدمتهم نائب الرئيس الأمريكي ، عاد إلى عدن بدلاً من صنعاء ولزم حالة ما سمي «الاعتكاف» منذ ذلك الوقت.

ولقد كان سبب ذلك الاعتكاف ! في البداية - كما صرح به أكثر من مصدر يمني - هو اعتراضه على مشروع تعديل الدستور الذي وقعته أطراف الائتلاف الثلاثي الحاكم بما فيهم الحزب الاشتراكي ممثلاً بأمينه العام المساعد (سالم صالح محمد)، وكان اعتراض البيض على المشروع يتركز في قضيتين :

الأولى : تدور حول منصب نائب الرئيس وهل يكون بالتعيين من قبل الرئيس أم بالانتخاب مع الرئيس ، والفرق بينهما أن نائب الرئيس إذا كان معيناً فإنه يحق لمن عينه عزله ، كما أنه ليس من صلاحيته في حال فراغ منصب الرئيس أن يتولى الرئاسة بقية الفترة الرئاسية ، بل يقوم رئيس مجلس النواب بتولي مهام الرئيس مدة لا تزيد عن شهرين تجري خلالهما انتخابات رئاسية جديدة بخلاف ما لو كان منتخباً ، فإن الأمر يتحول على الضد من ذلك .

الثانية : تدور حول تطبيق نظام اللامركزية الواسعة في الحكم أو عدم تطبيقها ويلزم من ذلك كون المحافظ وكبار مسؤولي المحافظة منتخبين من أبناء المحافظة في حال تطبيقها ، ومعينين من قبل الرئيس والحكومة في حال عدم تطبيقها .

ويريد الحزب الاشتراكي من ذلك ضمان استمراريته في حكم المحافظات الجنوبية والشرقية عن طريق انتخابات في كل محافظة لاختيار مسؤوليها ، تكون نتائجها معروفة سلفاً ، كما كان الحال في الانتخابات النيابية السابقة ، بالإضافة إلى سعيه للحصول على نجاح مرشح الحزب الاشتراكي لمنصب المحافظ في بعض المحافظات الشمالية ، مما يعني - في حال نجاحهم في ذلك - الاستمرار في حكم ما كان يسمى باليمن الجنوبي ، بالإضافة إلى بعض المحافظات الشمالية .

وبالطبع لم يقم الرئيس (علي صالح) بتلبية هذه المطالب ، مما جعل نائبه يستمر في اعتكافه ، لكن حدث تطور آخر في الأزمة إذ أعلن الحزب الاشتراكي ثمانية عشر مطلباً تمثل جملة مطالبه من الرئيس (علي صالح) لحل الأزمة ، ولن ندخل في عرض هذه المطالب ونقاشها ، لكنها في غالبها مطالب تقوي نفوذ الحزب في الدولة وتقلص من نفوذ الرئيس (علي صالح) ، بالإضافة إلى مجموعة من المطالب للمزايدة بها على الجماهير . . ولقد أدخل الحزب الأزمة بمطالبه تلك مرحلة جديدة ، فبدلاً من أن الاعتراض كان على نقاط في مشروع الدستور ، إذا به ينقلب إلى اعتراض على نظام الحكم القائم ووسائل تنفيذه مع أن الحزب أحد مؤسسيه ومنفذيه والمنافحين عنه سابقاً ! ولقد سعى الاشتراكيون من خلال ذلك إلى تحقيق مكاسب عدة منها إلقاء مثالب الفترة الانتقالية وما بعدها - الداخلية منها والخارجية - على الرئيس (علي صالح) وتحميله مسؤوليتها كاملة ، نظراً لكونه المتنفذ الوحيد في الحكم الساعي إلى تهميش جميع القوى من حوله.

والملاحظ أن (البيض) في هذه المرحلة حاول أن يعمق خلافه مع الرئيس (علي صالح) شخصياً من خلال التهجم والاستهزاء بشخصيته وحديثه ووصفه بالمراوغة وعدم تنفيذ الوعود ، بالإضافة إلى وصمه بعدم القدرة على إدارة البلاد وضبطها ، ولقد التزم الرئيس (علي صالح) الصمت ، واكتفى بالتهديد معلناً أنه سيرد على ذلك بالمثل . . وعموماً فقد كان الرئيس صامتاً في الغالب وكل ما كان يرد به هو عدم مصداقية الحزب الاشتراكي في تطبيق الديمقراطية والرضى بنتائج الانتخابات النيابية ، التي قلصت تواجدهم في البرلمان والحكومة ، بالإضافة إلى قيامه بإعلان تسعة عشر نقطة تمثل جملة مطالبه ومرئياته للخروج من الأزمة وهي تشتمل على ما اشتملت عليه مطالب الحزب

الاشتراكي ، ولكن بما يحقق مصالح الرئيس ويقلص من نفوذ الحزب الاشتراكي وطموحاته.

ولقد استمرت الأزمة على ما هي عليه رغم توسط كثير من الشخصيات اليمنية وغير اليمنية بين الطرفين لنزع فتيل الأزمة ، ولكن دون جدوى ، إلى أن أعلن الأمين العام المساعد للحزب الاشتراكي في خطوة مفاجئة للكثيرين اعتقاده بأن النظام الصالح لليمن هو (الفدرالية) لا الوحدة الاندماجية ، ولم يقم الحزب الاشتراكي بالاعتراض على هذا الأمر، بل قام بتبرير هذا المطلب مدَّعياً بأن وضع اليمن الآن دون مستوى الفدرالية ، مما جعل الكثير من المحللين يفسرون تصريح (سالم صالح) بأنه موقف للحزب وليس رأياً شخصياً مجرداً.

ونحن نلاحظ من خلال ما سبق استمرارية الحزب الاشتراكي في تصعيد الأزمة فترة بعد فترة ، فيا ترى ما حقيقة مطالبه ؟ .

يمكننا تلخيص حقيقة مطالب الحزب الاشتراكي بحرصه على استمرارية قوته ونفوذه ومواصلة إعطاء المناصب والامتيازات لكبار قياداته ، وفي حال تحقق ذلك فإن لدى الحزب الاستعداد لضمان استمرارية الوحدة ، وعدم مواصلة افتعال الأزمات ، وفي حال إضعاف قوة الحزب وكبت نفوذه وتقليص امتيازات قياداته فإن لديه الاستعداد لمواصلة افتعال الأزمات والمشكلات ، والسعي بجدية إلى الانفصال.

ولكن ما هي الأسباب التي شجعته على سلوك هذا المسلك ؟

الأسباب كثيرة منها الخفي ومنها المعلن ، ولكن ما ظهر لنا منها في الأفق هو التالي :

* أن وضع الحزب بعد الانتخابات النيابية الماضية أصبح في خطر ، فبدلاً من كونه كان يملك ما يقارب ٥٠ ٪ من البرلمان والحكومة ، صار له أقل من (خُمس) البرلمان فقط ، بالإضافة إلى (ثلث) الحكومة تقريباً وبالتالي فإن عليه أن يسعى إلى منافذ أخرى تمكنه من استمرارية نفوذه وسيطرته ، وهو ما طرحه عن طريق (اللامركزية) ، وإعطاء صلاحيات واسعة لنائب الرئيس .

* مجيء اعتكاف البيض بعد عودته من أمريكا ومقابلته لنائب رئيسها ومروره على فرنسا يشير إلى إمكانية أخذه للضوء الأخضر من هناك ، وذلك في محاولة من الغرب لإجراء مزيد من التركيع للرئيس (علي صالح) الذي اتخذ موقفاً غير مرضيٍ عنه في أزمة الخليج ، بالإضافة إلى عدم اتخاذه موقفاً حاسماً من القوى المهددة بشكل صارخ لرعايا تلك الدول ومصالحها في اليمن ومنهم الشباب اليمني العائد من أفغانستان الذين اتهم بعضهم من قبل الحزب الاشتراكي بتفجير فندق الساحل الذهبي في عدن أثناء نزول مجموعة من الجنود الأمريكان فيه خلال توجههم إلى الصومال ، بالإضافة إلى عدم مقدرته على إحكام السيطرة الأمنية على البلاد واعتماده على النظام القبلي الذي قد يعرض منسوبي ومصالح الشركات الغربية المنقبة عن النفط للخطر .

* أخذه للضوء الأخضر من بعض القوى الإقليمية واستعدادها لدعمه وتأييده بقوة .

* حصول نوع من التحسّن في موقف التيار الشعبي من الحزب وبالأخص فيما كان يعرف باليمنّ الجنوبيّ ، نظراً لتدهور قيمة العملة وارتفاع الأسعار بشكل جنوني ، وانتشار الرّشوة وعدم وجود تحسن في الخدمات ، وقد

استطاع الحزب الاشتراكي أن يقنع الكثيرين من أبناء تلك المناطق بأن المسؤول عن كل ذلك هو الرئيس (علي صالح).

* هذا بالاضافة إلى اكتشاف وجود النفط بكثرة في المناطق الجنوبية والشرقية وزوال كابوس الرعب الغربي من الأحزاب الاشتراكية بعد سقوط المنظومة الشيوعية ، وقدرة قادة الحزب الاشتراكي على الاتصال المباشر بالغرب، وتقديم مزيد من أوجه الطاعة والاستعداد لخدمة مصالحهم بإخلاص في اليمن.

حقيقة موقف الرئيس علي صالح :

في البداية أعلن الرئيس رفضه لموقف نائبه المتمثل في الاعتكاف ، ذاكراً بأنه مسلسل سيستمر لتحقيق مزيد من المصالح والمكاسب ، بالإضافة إلى رفضه لمطالب الحزب المتمثلة في تعديل مشروع الدستور.

وبعد فترة من استمرار الحزب الاشتراكي في تصعيد الأزمة ، أعلن قبوله بمطالب الحزب الثمانية عشر، وأحال وضع آلية التنفيذ إلى لجنة الحوار الوطني المكونة من أغلب القوى الموجودة في الساحة ، ومع ذلك الإعلان بالموافقة فإننا نشك في مصداقيتها لأن تنفيذ المطالب يعني سلب صلاحيات مهمة من (علي صالح) ، وخير له أن يبقى حاكماً لما كان يعرف باليمن الشمالي وحده من أن يكون في ظل الوحدة غير حاكم لما كان يعرف باليمن الجنوبي وبعض المحافظات الشمالية ومن الممكن إرجاع تلك الموافقة إلى أحد الأمرين التاليين :

الأول : أنها محاولة لتمرير مرحلة يجد فيها أن الحزب يقوي على حسابه يوماً بعد يوم ، سواءاً أكان ذلك داخلياً من خلال ازدياد شعبيته لدى أبناء

المناطق الجنوبية والشرقية ولدى بعض أبناء المناطق الشمالية . . أم إقليمياً من خلال التقاء البيض ببعض ممثلي الدول الاقليمية في اليمن ، بل وفي أثناء رحلته الاستشفائية في أمريكا ، والتأييد الواضح بصراحة للحزب في صحف تلك الدول . . أم دولياً من خلال عدم ممارسة نوع من الضغط على الحزب من قبل أمريكا وفرنسا وغيرهما ، لثنيه عن موقفه ، بل وقيام دول أخرى مثل بريطانيا بانحياز واضح نحوه .

الثـاني : أنها نوع من تبادل الأدوار مع التجمع اليمني للإصلاح والأحزاب المحسوبة على الرئيس ، وقيام التجمع ومن معه بدور الرافض لمطالب الحزب وجعل الرئيس (علي صالح) نفسه كالواقع بين ناري الحزب الاشتراكي والتجمع ومن معه .

والقضية وطنية لا بد فيها من حل يرضي جميع القوى الموجودة ، مما يعني إمساك الرئيس بخط رجعة له عند موافقته على مطالب الحزب الاشتراكي وهذا ما فعله سابقاً مع مطالب الحزب نفسها التي وافق عليها قبل الانتخابات النيابية الماضية .

موقف الإسلاميين من الأزمة :

ينظر الإسلاميون إلى الحزب الاشتراكي باعتباره عدواً أساسياً يسعى إلى كسر شوكتهم وخنق دعوتهم ، وتكفي تجربة الحزب أثناء استقلاله بالحكم فيما كان يعرف باليمن الجنوبي ، وما قام به من حرب وإزهاق لكل ما هو إسلامي بالإضافة إلى علمانيته الصارخة ودعمه القوي لكثير من المنكرات الضخمة والواضحة كمصنع الخمر ، ومحاربته لتجربة الإسلاميين في التعليم ممثلة في المعاهد العلمية المنتشرة في أرجاء اليمن الشمالي ، مع أن البديل قوى منحرفة

في نظر الإسلاميين وبينها وبين الكثير منهم عداء سافر ، إذ هي أحزاب الرافضة في الشمال والصوفية الشديدة الغلو في الجنوب ، أضف إلى ذلك أن مطالب الحزب تهدد وحدة البلاد وسلامتها .

والإسلاميون يدركون خطورة منطلقات (سيادة الرئيس) وسلبياته الكثيرة ولكن يقولون كما يقول المثل : «أعور ولا أعمى» ، بالإضافة إلى أن بينهم وبينه تعايشاً سابقاً قبل الوحدة اليمنية ، كما أنه لا يعتبرهم يمثلون خطراً على وجوده كما صرح هو بنفسه ، ولا مانع لديه من إعطائهم بعض ما يريدون بما لا يجعلهم يجاوزون الخطوط الحمراء التي لا يُسمح بتجاوزها إقليمياً ودولياً .

ولقد سلك الإسلاميون في البداية طريق الإصلاح ومحاولة إخماد مواضع الانفجار ، مع ميل خفي نحو الرئيس (علي صالح) ، ولكن الميل ازداد وضوحاً فيما بعد يوماً بعد يوم ، ووصل الوضوح أشده بتحميل (ابن الأحمر) و(الآنسي) الحزب الاشتراكي مسؤولية ابتداء الأزمة .

ولكن يبدو أن الموقف قد تغير بعد إعلان الرئيس (علي صالح) موافقته على مطالب الحزب الاشتراكي وهو ما ذكره ابن الأحمر حيث صرح في إشارة واضحة إلى الحزب الاشتراكي بأن التجمع اليمني للإصلاح سيسلك مسلك المعارضة لكل من يسعى إلى تقسيم البلاد إلى ١٩ بلداً ، وإن وافق عليه المؤتمر والحزب الاشتراكي . . والموقف الأخير للإصلاح يحتمل أن يكون تنسيقاً مع حزب الرئيس نظراً لكونه يخدم كلاً من أهداف الطرفين ، وهو الأظه . ويحتمل أن يكون نابعاً من منطلقات التجمع ومصالحه بشقيه (الإسلاميون منهم والقبليون) ، ولا علاقة لحزب الرئيس به . . وأياً كان منشأ هذا الموقف فيجب على الإسلاميين ألا ينسوا التالي :

* ألا يركنوا إلى الرئيس (علي صالح) ومؤتمره ، إذ هو من خلال التجربة يميل إليهم حين يحتاجهم ، ويعرض عنهم حين يكون في غير حاجة إليهم وموقفه من الإسلاميين منذ بداية الوحدة إلى الآن خير شاهد . وليذكروا أن الذي كان يتهجم على الخطباء في المساجد ، ويتهمهم بإثارة الفتن واستخدام المنابر في غير ما وضعت له ، نجده الآن يستميلهم ويحرص على رضاهم. ورجل هذه حاله يمكن أن يستخدمهم لمجابهة عدوه الحالي ممثلاً بالحزب الاشتراكي ، وبعد القضاء عليه يلتفت إليهم ، ويقص أجنحتهم ، ويكسر شوكتهم ، وبخاصة إذا كان هذا مطلباً إقليمياً أو دولياً.

* أن شركاءهم في التجمع اليمني للإصلاح من (القبائل) لهم ارتباطات قوية بالرئيس وحزبه ، بل إن ابن الأحمر - على سبيل المثال - عضو في اللجنة الدائمة للمؤتمر الشعبي العام ، وله اتصالات لا تخفى بقوى إقليمية معادية للإسلاميين ، وبالتالي فالواجب عليهم أن لا يسلموا زمام القيادة لذلك الشريك وألا يتركوه يتخذ المواقف المختلفة باسمهم بل يجب عليهم حساب مواقفهم بدقة وبعد دراسة وتأمل.

* أن يستغلوا هذه الأزمة لكسب مزيد من المواقع والمصالح للعمل الدعوي عموماً ، مما يقوي مركزهم ويُعلي من مكانتهم أمام الشعب كله.

وأخيراً: إلى أين ؟

قبل الإجابة على هذا السؤال نؤكد بأن جوهر الأزمة تصارعٌ على السلطة بدون وجود ضوابط أو قيم - أياً كانت - يحتكم إليها ، وبدون وجود مرجعية مقبولة تَفصل فيها ، مع وصول الأزمة إلى التصعيد والعمق الذي يصعب معه التعايش بين الطرفين ، نظراً لانعدام الثقة وشعور كل طرف باستعداد الطرف

الآخر وتأهبه للانقضاض عليه وبالتالي لا علاقة لمصالح الشعب والحرص على تحقيقها من قريب أو بعيد بكل ذلك الصراع. وكل ما يذكره الجانبان من مطالب في هذا السبيل هي نوع من المزايدة على الشعب ودغدغة عواطفه وكسب مشاعره لا غير!.

ومع كل ما ذكر فإننا لا نتوقع أن تُجاوز الأزمة هذا الحد ولا أن تصل إلى حد الانفجار المسلح وبالتالي الانفصال، نظراً لكون ذلك سيجعل البلاد بؤرة صراع لا يتمكن الغرب معها من استنزاف الخيرات الموجودة من بترول ومعادن كما أن الشركات الغربية لن تتمكن معها من تنفيذ المشاريع الضخمة أو الحصول على الجديد منها، وهذا لا يمكن أن يسمح به الغرب أو تجرؤ على القيام به القوى الداخلية المتصارعة، كما أننا لا نتوقع أن تنتهي الأزمة - بسهولة - وأن يتفق الطرفان على التعايش السلمي فيما بينهما قريباً، نظراً لانعدام الثقة وتخوف كل طرف من كسر جناحه من قِبَل الآخر.. لكن قد تهدأ الأزمة فترة من الفترات ولكنها بالتأكيد سوف تعود إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً كانتهاء رموز أحد الطرفين بموت أو اغتيال أو نحوه، والله أعلم.

الأوجادين .. الشعب والجهاد

مراسل (البيان) في الأوجادين

أوجادين أو (الصومال الغربي) كما يسمى في بعض الأحيان جزء متمم للصومال ، ويعرف جغرافياً باسم «الهضبة الصومالية» ؛ لأن الأخدود الأفريقي يفصلها طبيعياً عن هضبة الحبشة بمنخفض تنتشر عبره مجموعة من البحيرات العذبة أشهرها (أبايا) و (أبيتا) و(شامو) ، وتنحدر الهضبة تدريجياً نحو الأراضي الصومالية مما يجعلها وحدة طبيعية مكملة لأرض الصومال الواقعة في جنوبها وشرقها ، وهي تحد (أثيوبيا) من الشمال والغرب ، ومن الشمال الشرقي (جيبوتي) ومن الجنوب والشرق الصومال وكينيا ، وتضم أوجادين ثلاث ولايات (هرر) و(بالي) و(سيدامو) ، وسكانها حوالي (٦,٢٧١,٧٠٠) نسمة غالبيتهم مسلمون ولغتهم الصومالية .

ودخول الإسلام فيها مرتبط بدخوله إلى الحبشة (أثيوبيا) ؛ حيث انتشر الإسلام هناك نتيجة تحركات التجار المسلمين ، وهم من العناصر العربية من اليمن وحضرموت ، ولما انتشر الإسلام برز من أهله علماء وفقهاء وأثمرت الدعوة هناك قيام (إمارة إسلامية) في القرن الثالث الهجري ، واستمرت حتى نهاية القرن السابع الهجري ، أسسها بنو مخزوم من الحجاز ، وعرفت بإمارة (شوا) ومنذ سقوطها في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي قامت سبع إمارات

إسلامية أشار إليها (المقريزي) في كتابه (الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام) ، وكانت الحرب سجالاً بين ملوك الحبشة وهذه الإمارة ، وكان للمسلمين النصر المؤزر على الأحباش لاسيما في عهد الإمام (أحمد بن إبراهيم) ، حتى هزم هذا الإمام المجاهد عندما تحالف نصارى الحبشة مع الصليبيين البرتغاليين ضده عام ٩٥٠هـ ثم تدخل العثمانيون إلى جانب الإمام أحمد ، فأحرز انتصارات جديدة على التحالف الصليبي ، ولكنه تعجل فأعاد القوة العثمانية ؛ لاعتقاده بزوال خطر الصليبيين ولكنهم عادوا إليه ، ودارت بينه وبينهم معارك قاسية انتهت بهزيمة الإمام واستشهاده - رحمه الله - وتعرض المسلمون بعدها لموجة شديدة من الانتقام ، ولكنهم صمدوا فتحققت لهم بعض الانتصارات في ظل تفكك الأحباش وتنافسهم على الحكم ، لكن الأحباش عادوا ووحدوا أنفسهم ، مما أدى إلى مضايقة المسلمين مرة أخرى ودخلت (مصر) في عدة حروب مع الحبشة استولت فيها على (هرر) ، وعلى الساحل الصومالي المطل على خليج عدن عام ١٢٩٢ هـ لكن الاحتلال الإنجليزي لمصر عام (١٨٠٠ م) ضيع عليها هذه الفرصة ؛ مما أدى بشرق أفريقيا للوقوع فريسة للأطماع الاستعمارية الأوربية حيث غزت إيطاليا الحبشة ووقعت معاهدة مع (فيلك) ملك الحبشة سنة ١٣٠٧ هـ ، الذي استولى على الإمارات الإسلامية واحدة بعد الأخرى ، وهلك (فيلك) وتولى مكانه حفيده الإمبراطور (بيج ياسو) الذي أسلم ، وأخذ يعامل المسلمين معاملة حسنة مما جر عليه غضب الكنيسة والقوى الاستعمارية ، ونجحت المؤامرة في خلعه سنة ١٣٣٦ هـ ، وآلت مقاليد الحكم بعده إلى (هيلاسلاسي) فبدأت مرحلة المعاناة للمسلمين مرة أخرى ، وأودع (لي ياسو) السجن حتى مات .

وقبل الحرب العالمية الثانية غزت إيطاليا الحبشة سنة ١٣٥٣ هـ ، ونال

المسلمون قسطاً من الحرية إبان حكمهم ، وبعد اشتعال الحرب العالمية الثانية عاد الإمبراطور الهارب (هيلاسلاسي) يحض الإنجليز على غزو الحبشة ، وعجز في هذا فبدأ القتال سنة ١٣٦٠ هـ ، ودخل (هيلاسلاسي) الحبشة بمساعدة الإنجليز ووقع معهم معاهدة عام ١٣٦١ هـ ، ومن بنود هذه المعاهدة أن يكون إقليم (أوجادين) تحت النفوذ الإنجليزي ، وبقيت خارج نفوذ الحبشة ، وتغيرت المعاهدة البريطانية الحبشية بمعاهدة جديدة سنة ١٣٦٤ مع تبعية أوجادين للإنجليز وفي سنة ١٣٦٨ وصلت (مقديشو) لجنة من الحلفاء لمعرفة رغبة الشعب الصومالي في تقرير مصيره ، فانتهى الأمر إلى أن تتولى الدول الأربع الكبرى إدارة شئونه تحت إشراف الأمم المتحدة لمدة (١٠) سنوات ينال بعدها استقلاله ولذا قررت بريطانيا تسليم (الأوجادين) إلى أثيوبيا بمعاهدة سنة ١٣٧٥ ، وبدون مراعاة لرأي الشعب الصومالي ، لذا ثار هذا الشعب على ذلك الوضع ، وكانت حجة أثيوبيا تلك المعاهدة الموقعة مع بريطانيا ، وكان رد فعلها هجوماً عسكرياً على الصومال عام ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤ م) ، فتدخلت منظمة الوحدة الأفريقية لحل النزاع سلمياً ، وكان مصير هذه الجهود الفشل .

جبهة تحرير الصومال الغربي :

تأسست هذه الحركة عام ١٣٨٣ هـ كرد فعل لتعنت أثيوبيا ، وبدأت حركة المقاومة ضد الأثيوبيين ؛ وأمام الظروف الدولية قلصت الحركة عملياتها مع دخول الريف وبوادي الأوجادين ، وأعطت أثيوبيا فرصة للمفاوضات ولكنها فشلت ، فعادت المقاومة من جديد ؛ وبعد الانقلاب العسكري في أثيوبيا عام ١٣٩٤ الذي أطاح بهيلاسلاسي ، عمَّ التفاؤل أهل الصومال الغربي ولاحت آمال بقرب انفراج أزمتهم ، وتوقفت حركة المقاومة لكي تعطي النظام الجديد فرصة للحل السلمي ، ولكن الآمال خابت حيث صعَّد النظام الجديد عملياته

الحربية منذ عام ١٣٩٦ ، لكنه مُنيَ بهزائم شديدة فاستعان بحلفائه الحمر من (السوفيات والكوبيين) وقتل آلافاً من المسلمين ، ولجأ عدد كبير منهم يزيد على المليون نسمة إلى الدول الفقيرة المجاورة ، وانتشرت مخيماتهم على حدودها ، وأضافوا إليها عبئاً جديداً[1] .

الأوجادين .. المأساة :

تمثل منطقة القرن الأفريقي أهمية استراتيجية تنافست عليها الدول الاستعمارية منذ وقت مبكر ، وتعد أثيوبيا أقرب حلفاء المنطقة لأمريكا ، خاصة في التسعينات الميلادية ، ولهذا تمثل أثيوبيا عمقاً استراتيجياً للسياسة الأمريكية في المنطقة .

ويحكم أثيوبيا حالياً (ميليس زيناوي) رئيس جبهة التحرير الشعبية الديموقراطية ذات الأغلبية النصرانية التجرانية ، ويوجد في أثيوبيا اتجاهات سياسية وقبلية متعددة ، منها :

١ - الأورميون في الجنوب والمنطقة الوسطى .
٢ - العفريون في الشرق .
٣ - الصوماليون في الأوجادين .

وتسعى معظم هذه الإتجاهات القبلية للتحرر من سلطة الحكومة التجرانية ؛ ولهذا حرصت الحكومة الأمريكية على عدم تغير الأوضاع في المنطقة ، ودعم جهود المصالحة بين حكومة أديس أبابا وخصومها من المعارضة المسلحة ، مع سعيها لتثبيت الحكم النصراني في المنطقة ، وساهم (هيرمان كوهين) المبعوث الأمريكي في المنطقة بجهود كبيرة في هذا الميدان ، وشارك في لقاءات متعددة مع الحكومة والمعارضة .

يقول أحد كبار موظفي مكتب الشؤون الأفريقية في وزارة الخارجية الأمريكي : «إن أثيوبيا ستظل أكثر دول المنطقة - بما فيها الصومال - جاذبية لنا لأسباب عديدة منها : مقدرتها الاقتصادية ، وحجمها السكاني ، وطبيعة الروابط الأثيوبية / الأمريكية التاريخية ، وتمتع البيروقراطية الأثيوبية بكفاءة عاليةٌ في أداء المهمة المطلوبة منها بدقة ، وموقعها الاستراتيجي على البحر الأحمر ، وميراثها النصراني الذي يمكن أن يكون عائقاً أمام مد الحركات الإسلامية ، إضافة إلى دور أثيوبيا كمقر دائم لمنظمة الوحدة الأفريقية» .[٢]

ولقد سعت الحكومة الأثيوبية - بمباركة من أمريكا - إلى حصار منطقة الأوجادين لأنها تمثل أكبر تجمع إسلامي في أثيوبيا ، فأهملت المنطقة إهمالاً منقطع النظير ، ولم تقدم الحكومة شيئاً يذكر لتحسين حال المنطقة خاصة في عهد (منجستو هيلامريام) الذي حكم المنطقة بالحكم الشيوعي عشرين عاماً . . وزاد من مأساة الشعب المسلم في الأوجادين أن جفافاً شديداً ضرب المنطقة فانقطعت الأمطار ، وجفت الآبار ، وهلكت الزروع والمواشي . . مما أدى إلى انعدام مقومات المعيشة الإنسانية ، فأصبح الناس في شدة وبلاء .

والعجيب أن مأساة هذا الشعب المسلم لم تلقَ حقها من العناية لأسباب متعددة منها :

١ - تزامنت هذه المأساة مع تفجر الأوضاع في الصومال التي ركزت عليها الأنظار ووسائل الإعلام .

٢ - حرص الحكومة الأثيوبية على التعتيم الإخباري لهذا الإقليم .

٣ - انتشار الدعوة الإسلامية بشكل متنامٍ في هذه المنطقة ، التي كونت بعد ذلك نواة للحركة الجهادية المسلحة .

وقد استغلت الهيئات التنصيرية والإرساليات الكنسية هذا الموقف ووسعت أنشطتها في المنطقة ، فبلغ عددها حوالي أربعين هيئة رسمية ، بينما غابت الهيئات الإسلامية عن الساحة أو كادت ، مما زاد من تغلغل المنصرين في هذا الإقليم ، وانتشر الجهل والبدع بصورة كبيرة جداً ، فبيئة الجهل والجوع هي التي يغتنمها النصارى لإخراج الناس من دين الإسلام .

حركة جهاد الاتحاد الإسلامي :

لقد قامت حركة الاتحاد الإسلامي مؤخراً بجهادها لتحرير أراضيها المغتصبة من المعتدين ؛ لتعود أرضاً إسلامية يحكمها الإسلام وأهله ، وقد دخل جهادها عامه الثاني ، وهو يدور بين مجاهدي شعب الأوجادين – الذين يدافعون من أجل هويتهم الإسلامية وإقامة دولتهم المسلمة – وبين حكومة التيجراي الأثيوبية النصرانية ، التي تسعى جادة لكسر شوكة المجاهدين وإخماد حركتهم الجهادية ، وتعد الحرب الدائرة بين الطرفين حرب عقيدة ؛ إذ هي المحور الأساس الذي يمثل سبب الصراع الأول والأخير ، فأثيوبيا من جانبها ترى أنها الوارث الشرعي للصليبية ، التي ضربت بجذورها في بلاد الأحباش ومازالت الحكومات المتعاقبة على (أثيوبيا) تخلص العطاء للكنيسة ، وتعطي ولاءها المطلق للمذهب الأرثوذكسي المتعصب ، الذي يعتبر نفسه الأصولي الوحيد الذي يسير على طريق الكنيسة الصحيح – في زعمهم – وتأتي الأطماع الأثيوبية في الاستمرار في محاربة مسلمي الأوجادين والسيطرة على منطقتهم من خلال التشجيع والدعم المتواصل الذي تجده من القوى الصليبية الخارجية .

أما الاتحاد الإسلامي وهو الحزب الذي يقود الجهاد حالياً ضد الصليبية وباعتراف من حكومة أثيوبيا بشرعيته ، فهو يقود جهاده للقضاء على الصليبية في منطقة الأوجادين ، التي استلبها الاستعمار الصليبي من أرض الصومال –

البلد المسلم - وقلد إدارتها لأتباع الكنيسة ، لتسعى بدورها لطمس اسمه الإسلامي من تلك المنطقة .

ولذا لم يكن في حسبان قوات التجراي (الأثيوبية) - ذات الإمكانات المادية الهائلة ، والتأييد المطلق من قبل الصليبية العالمية- لم يكن في حسبانها بأن قوات الأوجادين ذات ثقل كبير ، وعندما عزمت قوات التجراي مهاجمة معسكر طارق بن زياد التابع لقوات الاتحاد الإسلامي كانت تظن أن الكرّة سوف تكون واحدة ومبرمة ، تتفرق بعدها قوات الاتحاد الإسلامي ، لكن الله خيب ظنهم . يقول الله تعالى : ﴿ **إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً فمهل الكافرين أمهلهم رويدا** ﴾ ، فشاء الله بقدرته وعزته أن يجعل الدائرة على الكافرين ويقتل منهم سبعون قتيلاً ، فلم يهدأ لهم بال منذ ذلك الحين وحتى الآن ، ولقد أبلى المجاهدون بلاءً حسناً ، وأذاقوا الصليبيين بأسهم ولقنوهم درساً لن ينسوه ثم استنفرت قيادة الاتحاد الإسلامي كل قوى المجاهدين في أوجادين ، وقررت أن تكون المواجهات عن طريق حرب العصابات مما بث الذعر والرعب في قلوب أعداء الدين الإسلامي في المنطقة بصفة عامة .

وكانت حصيلة المواجهات العسكرية بين المجاهدين في الأوجادين والحكومة الأثيوبية خلال (١٦) شهراً : ١٣ مواجهة ما بين معركة عنيفة وعملية خاطفة .

وفي تاريخ ١٥/ ٧/ ١٤١٣ هـ وقعت معركة عنيفة قتل فيها (٩٥) جندياً من جنود الحكومة ودمرت فيها خمس ناقلات للجنود ، وغنم المجاهدون معدات عسكرية كثيرة ، ومن العجائب أن القوات الفرنسية - المرابطة في الحدود الصومالية الأوجادنيّة باسم قوات هيئة الأمم المتحدة - لما رأت هزائم الجيش الأثيوبي تدخلت بمروحياتها الهجومية ، وشنت غارات متعددة على

المجاهدين ، فاستشهد اثنان وأسر ثمانية أطلق سراحهم فيما بعد ، وكما قال الله تعالى : ﴿ **والذين كفروا بعضهم أولياء بعض** ﴾ .

ولما فشلت حكومة أديس أبابا في حسم قضية الأوجادين عن طريق الحرب والقوة ، لجأت إلى حيلة ماكرة لتدمير وحدة شعب الأوجادين ، حيث طرحت مشروع تكوين حكومة محلية في المنطقة الصومالية على أن تكون غالبية مقاعد الادارة الجديدة لأعضاء الجبهة الوطنية لتحرير أوجادين ، بغرض إشعال الفتنة بين أهل المنطقة ، وليرفع أبناء المنطقة السلاح في وجه بعضهم بعضاً وتعم الفرقة والتشتت في صفوف المجاهدين والشعب الأوجاديني ، الذي اكتشف مؤخراً أن هذا المخطط الاستعماري هو تطبيق لقاعدة فرق تسد .

وفي شهر يوليو ١٩٩٣م الماضي قامت حكومة أديس أبابا بتغيير مسؤولي الحكومة المحلية الذين رفضوا تنفيذ مخططاتها الصليبية ، وطالبوا بالانفصال عن أثيوبيا ، وأن يصبح الشعب الأوجاديني حراً مستقلاً ، وذلك وفقاً لما ينص عليه الميثاق الوطني الأثيوبي من إعطاء حرية الخيار للشعب الأوجاديني في تقرير مصيره سواء أراد الوحدة مع أثيوبيا أو اختار الانفصال والاستقلال .

وبعد عزل المسؤولين المعارضين لسياسة أديس أبابا تجاه أوجادين قامت الحكومة بتعيين مسئولين جدد ؛ لتسيير أمر المنطقة حتى لا يكون للإدارة المحلية الجديدة حق التدخل في الشؤون المصيرية والشؤون الخارجية والدفاع والمالية وكذلك مسألة الاستقلال والانفصال عن أثيوبيا .

وتمر منطقة أوجادين في الوقت الراهن بأوضاع متفجرة حيث استعد المجاهدون في الآونة الأخيرة التي توقفت فيها المعارك وأعدوا العدة لأي مواجهات قادمة مع العدو ، وذلك امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما**

استطعتم من قوة . . . ﴾ ؛ ويجيء استعداد جيش المجاهدين على إثر خروج جيوش العدو من ثكناتها العسكرية استعداداً لبدء معارك جديدة مع المجاهدين وقد هجم التجراي على مدينة (سجج SAGAG) في ١٣ أكتوبر ٩٣ وسرعان ما هزمتهم قوات المجاهدين حيث قتل منهم سبعة وعشرون جندياً ولاذ البقية بالفرار مخلفين وراءهم غنائم كثيرة استولى عليها المجاهدون بعد استيلائهم على قاعدة العدو ، وفقد المجاهدون ستة من رجالهم رحمهم الله .

واستطاع الاتحاد الإسلامي أن يكسب ثقة الشعب في أوجادين في الفترة التي توقفت فيها الحرب ، حيث عقدت المؤتمرات الشعبية التي حضرها زعماء العشائر والقبائل ، وتم طرح مبادىء وأهداف الإتحاد الإسلامي في هذه القاعات الشعبية ، والتي أكد فيها بأن هدفه الجهاد في سبيل الله من أجل أن تقوم دولة إسلامية في المنطقة وتحكم بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله محمد ﷺ .

ولقد نال المجاهدون تأييد زعماء القبائل والشعب الذي كره الاستعمار الأثيوبي ، ورفع شعار التخلص من العدو البغيض بعد أن اتفقت كلمته على ضرورة الجهاد في سبيل الله وطرد والصليبيين .

والله نسأل أن يعز جنده ، ويعلي كلمته . . والله غالب على أمره .

---

(١) أنظر الأقليات المسلمة في أفريقية ، جـ٢ ، للأستاذ/ سيد أبو بكر .

(٢) فصلية ميدل إيست جورنال ، خريف ١٩٩٢ م ، نقلاً عن مجلة المراقب ،(عدد ٢).

انتصارات جديدة للمجاهدين في «مورو» وهزائم للعدو وتبريرات ساذجة

وردنا من لجنة الإعلام الخارجي بجبهة تحرير مورو الإسلامية البيان رقم (٣٠) الذي احتوى على مبشّرات طيبة بانتصارات جديدة للمجاهدين وانكسارات وهزائم للعدو ، فالحمد لله على توفيقه ، وصدق الله العظيم القائل ﴿ **أُذنَ للذين يقاتَلونَ بأنهم ظُلموا وأن اللهَ على نصرهم لقدير** ﴾ . . ونقتطف من البيان ما يلي :

- البيـــان -

اعتداءات واندحارات :

لقد توالت نيران الحرب في أنحاء بلاد مورو منذ الشهرين الماضيين حيث قام الجنود الصليبيون بعمليات عسكرية همجية ضد المسلمين الآمنين العزل في بلدة «بانيسيلان» بمحافظة «كوتاباتو» الشمالية ، وقامت قوات «راموس» الجويّة بغارات جويّة متكررة على القرى الإسلامية الست في البلدة المذكورة ، كما قامت قواته البرية بدكّها بالصواريخ والمدافع الثقيلة ، ودمرت القرى، واحترقت وتشرّد أهلها ونَهَبَ الجنود الصليبيون جميع أموال المسلمين وممتلكاتهم .

وقام مجاهدو جبهة تحرير مورو الإسلامية بقيادة الشيخ المجاهد/

«سلامات هاشم» بهجوم مضاد لوقف الزحف الصليبي مستعينين بالله العلي القدير ، ودارت المعارك الشديدة والمجاهدون يتقدمون منذ يوم الاثنين الثاني من جمادى الآخرة ١٤١٤ هـ وتصاعدت المعارك حيث استخدم جنود العدو مدافعهم الثقيلة تتقدمهم الدبابات والمصفحات ، وطائراتهم المقاتلة تقوم بقصف مواقع المجاهدين ، ومع ذلك فقد استطاع المجاهدون بعون الله تعالى أن يحرروا ثلاثاً من القرى الإسلامية التي أقيمت فيها مستوطنات نصرانية بعد معارك عنيفة استمرت ثلاثة أيام ابتداءً من يوم الثلاثاء ٣ جمادى الآخرة ١٤١٤ هـ.

وانسحب جنود العدو المكوَّنون من عدة كتائب منها كتيبة (٣٥) وكتيبة (٣٦) المشاة ومعهم عدد كبير من المليشيات النصرانية.

وقد أعلن قائد العدو الذي قاد المعركة المذكورة أنه وجنوده اضطروا للانسحاب ؛ لأن عدد أعدائهم يفوق عددهم بكثير ، وأسلحتهم أقوى من أسلحتهم ، ويذكر قائد العدو أيضاً أن من بين أعدائهم أربعة من الأجانب وصفوا بأنهم طويلوا القامة ، وتميل بشرتهم إلى البياض ولحاهم طويلة ، ولكن لم يصرح الجنرال الصليبي بجنسية هؤلاء الأجانب ، والواقع أن هذا الادعاء ما هو إلا لتبرير انسحابهم فقط ، فالمجاهدون قليلون ، وعدد جنود العدو أضعاف عددهم ، وليس لديهم إلا أسلحة فردية خفيفة ، ولا يوجد أجنبي بينهم.

وقد أعلن قائد جنود العدو أنه لن يتخلى عن القرى الثلاث وسيعيدها تحت سيطرته ، أما المجاهدون فهم يتقدمون إلى القرى المجاورة لمحاولة تحرير المزيد منها - إن شاء الله تعالى - والقرى الثلاث التي استولى عليها المجاهدون هي : تايلاند - كاروجمانان - بينامولوان - وقد قتل عدد كبير من جنود العدو واستولى المجاهدون على أسلحة كثيرة ومعدات وإمدادات عسكرية بما فيها كمية كبيرة من الأرز ، كما استولوا على مزرعة كبيرة ، لتربية المواشي ، وفيها عدد

كبير من الأبقار والجواميس.

إن المعارك بين مجاهدي الجبهة الإسلامية وبين جنود العدو راموس ليست محصورة في بلدة بانيسيلان ، فقد بدأ القتال بين فصائل المجاهدين وبين كتائب جنود العدو في قرية «بالونتو» بمديرية روهاس منذ يوم الثلاثاء ٣ جمادى الآخرة ١٤١٤ هـ ، ومازال مستمراً ، وقد حرق جنود العدو الصليبي مسجداً صغيراً في القرية ، وأثناء عودتهم إلى مركزهم وقعوا في كمين نصبه المجاهدون وكانت هذه هي بداية القتال ، وتكبد العدو خسائر كبيرة في الرجال والعتاد.

وقد تجدد القتال أيضاً خلال الأسبوع الأول من شهر (جمادى الآخرة ١٤١٤ هـ) في قرية «أنجا» ببلدة «دامولوج» بمحافظة «بوكيدنون» وتستمر المعارك حتى الآن بين المجاهدين وبين جنود راموس الصليبيين ، ولقي تسعة منهم مصرعهم وأصيب ثلاثة خلال المعارك المتواصلة.

وفي مديرية «بيكيت» حاول جنود العدو اقتحام مواقع المجاهدين ، ولكن المجاهدين ردوا عليهم بضربات قوية أجبرتهم على الانسحاب تاركين وراءهم ١٢ قتيلاً ، واستولى المجاهدون على ما معهم من أسلحة .

خطف وتخريب :

لقد تكررت عمليات الخطف والتخريب خلال (الأسبوع الأول من شهر جمادى الآخرة ١٤١٤ هـ) في جميع مدن «بانجسامورو» الواقعة تحت سيطرة حكومة راموس الصليبية ، فقد حدث الخطف في مدينة جينرال سانتوس ، كما حدث في مدينة كوتاباتو وفي سولو أيضاً ، كما حدثت انفجارات في جميع المدن في بلاد مورو ، ولا شك أن هذه الأحداث تدل دلالة واضحة على استياء الناس من نظام راموس وسياسته ومن ثم يلجؤون إلى أي طريق ممكنة لإضعافها.

تعاون صليبي صهيوني :

لقد اجتمع مؤخراً الزعيمان الصهيوني والصليبي (رابين وراموس) في نيويورك واتفق الرجلان على تعميق التعاون بين بلديهما في مختلف المجالات، واتفقا بوجه خاص على إقامة مشروع مشترك لصناعة قطع غيار الطائرات ، وهذا المشروع يؤهل الفلبين لصناعة الطائرات أو على الأقل تركيبها ومن ثم تطوير القوات الجوية الفلبينية.

وكان هناك تعاون قديم بين إسرائيل والفلبين منذ عهد الديكتاتور المخلوع ماركوس ، واستمر هذا التعاون عبر عهد أكينو ، وتصاعد بعد أن تولى راموس كرسي الرئاسة الفلبينية ، وأصبح التعاون بين الدولتين (الصهيونية والصليبية) وثيقاً جداً.

نداء لدعم المجاهدين :

إن إخوانكم في الله في بلاد «مورو» بجنوب الفلبين وفي مقدمتهم العلماء والدعاة والمجاهدون ينادونكم ويستنصرونكم في الدين عبر هذا البيان. إن إخوانكم في العقيدة في هذه المنطقة النائية يواجهون حملات صليبية شرسة وعمليات إفناء منظم ، وقد قتل في الآونة الأخيرة عشرات من المسلمين الآمنين العزل ؛ وكان من عادات هؤلاء الجنود الصليبيين الانتقام من المسلمين العزل كلما انهزموا أمام المجاهدين، فقد دمرت وأُحرقت ست من القرى الإسلامية ، وتشرَّدَ عشرات الآلاف من المسلمين ، وليس معهم سوى ملابسهم التي على أجسامهم ، فالله الله في إخوانكم بالدعم والعون (من جهز غازياً في سبيل الله فله مثل أجره ، ومن خلف غازياً في سبيل الله في أهله بخير وأنفق فله مثل أجره) ، (والله لا يضيع أجر من أحسن عملا).

محمد أمين

نحن ولغتنا العربية

إبراهيم داود

سألني أحَدُ الطلبة يوماً في ضيق واستهجان : لِمَ يُجعَلُ للعربية - في جدول الدراسة - كُلُّ هذه الحصص ، وهي ليست اللغة الأولى بين اللغات ولا الثانية ، ولا - حتى - الثالثة ؟! وذكرتُ - وأنا أحاول تفهيمه وتوعيته - موقفاً للعقاد رحمه الله ، فقد سأله سائل مرةً : لِمَ تكتب ؟! فقال : كان الأولى أن تسألني : لِمَ تعيش؟ فإنما الحياة تعبيران : تعبيرٌ تتلقاه عن الآخرين ، وتعبير يتلقاه عنك الآخرون . . كذلك الحياة عند العقاد ، وعندي أن مَن يُنكر اهتمامنا بالعربية كمن ينكر علينا كوننا مسلمين ، سيّان !

إن القرآن - كما نصّت آيات عديدة - عربي اللسان ، والقرآن هو مصدر تشريعنا - نحن المسلمين - ومنهاج حياتنا ، وميزان ديننا ودنيانا وآخرتنا فكيف لا تكون العربية التي أُنزل بها من أكبر همومنا ، وملء السمع منّا والبصر والفؤاد ؟!

لقد كرّم الله تعالى هذه اللغة العربية ؛ إذ أنزل كتابه الكريم بها على رجل من أهلها ﷺ ، وكرّمها إذ حفظَها بحفظ ذلك الكتاب العظيم ، وهذا التكريم قطعي الدلالة على أنها خير اللغات ، وما انحسار ظلها في هذا الزمن وضيق

انتشارها إلا دليل على ضعف أهلها في تعلمها وتعليمها ، وتلك حقيقة لا سبيل إلى جحدها أو المماراة فيها ، وإلا فإن الإسلام الذي حكم العالم قروناً مديدة قد نُحّيَ هو الآخر في هذا العصر الكئيب عن موقع القيادة والسلطان ، أفيُحملُ الإسلام - وهو دين الله الخاتم وكلمته العليا - وزر انتكاسنا وارتكاسنا؟! أم من يحمل ذلك الوزر الثقيل غيرنا - نحن المسلمين - ؟!

إن اللسان العربي شعار الإسلام ولغة القرآن وأهله - كما يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى - وإن اللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون ، لكن العربية هي وحدها لغة الدين ، وأيُّ دين ؟ إنه الإسلام الذي أكمله الله وارتضاه «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» . [1] ولقد استفاد العدو من الصراع الممتد بيننا وبينه ، فعلم أن المسلمين يرون في القرآن العظيم منهاج حياتهم ، وقوام وجودهم وتفوقهم ، وأنهم يجعلونه فوق شُبهات العقول وشهوات الأنفس ، وأن لا سبيل لهم إلى العلم بالقرآن والعمل به : إلا من طريق اللغة ، وبذلك أدرك العدو أن اقتحام حصون المسلمين إنما يتحقق بتخريب لغتهم ، وتشويه صورتها في عيونهم وعقولهم ، وأن من شأن ذلك أن يضمن له الفوز عليهم بأقل الخسائر وأرخص التكاليف ، ولا شك في أن البحث عن أسباب الضعف في التعبير اللغوي من دون إدراك هذه الحقيقة إنما هو بحث عقيم لا يفضي إلا إلى مزيد من التخبط والضلال .

إن الأمة التي يضعف تأثيرها في حركة الحياة يدبّ الضعف في أطرافها جميعاً ، ويسري الوهن في روحها كلّه ، فليس الضعف اللغوي إلا مظهراً من مظاهر التخلف الكثيرة في هذه الأمة المغلوبة ، وليس من ريب في أن معرفة الداء الذي أركس الأمة - وهو انحرافها عن منهج الله - هو الخطوة الأولى على

طريق شفائها ، وما شفاؤها إلا في فرارها إلى ربها القادر ، حتى يُعيد لها الكَرَّةَ الأولى على عدوّها ، فتعود كما كانت خير أمة أُخرجت للناس ، ويومئذ تعزُّ لغتها كما عزَّت من قبل ، ويصلح آخر أمرها كما صلح أوله ، وتتوقف معاناة أبنائها من كيد أعدائهم لهم ، ومكرهم بهم ، إذ يأمرونهم أن يكفروا بالله ربهم ، وأن يرضوا بأن يصبح الإسلام ويُمسي غريباً بينهم ، يحيا في نفوس أشتات منهم مستضعفين ، تُكال لهم التهم ، وتستباح دماؤهم وأموالهم إذا هم خرجوا به عن حدود الشعائر التعبدية في المساجد والبيوت .

ولقد كان من أكبر الكيد لنا أن يزعم أعداؤنا أن نجاحاتهم الكبيرة في ميادين العلم - مستفيدين من سنن الله الكونية في تسخير ما في الأرض جميعاً لبني آدم - أنها إنما كانت نتيجة فصلهم بين الدين والدنيا ، وأن يربطوا - بمكر تزول منه الجبال - بين نهضتهم وكفرهم من جهة وبين تخلّف المسلمين وإسلامهم من جهة أخرى ، مع أنهم كانوا في الماضي كفاراً وكانوا أشدّ تخلفا وكان المسلمون مسلمين حقاً ، وكانت لهم السيادة والقيادة والتمكين في الأرض ، على أن العدو قد نجح في كيده إلى حد كبير ، وانظر بعضاً من أبناء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها مفتونين بالغرب ، خواضين في مستنقعات تقليده ، مطموسي الأبصار والبصائر ، يصبحون ويُمسون وهم يرون في الغرب قدوةً وإماماً ! حتى إذا قال واحد ممن يُسَمَّون علماء التربية الحديثة : إن الطفل لا يصح أن يُلقَّن شيئاً لا يدرك معناه ، قالوا : لا ينبغي - إذاً - أن يُحَفَّظَ شيئاً من القرآن حتى يبلغ سن الرشد ، وهم يعلمون أن ما من دولة من دول العالم إلا ويحفظ أطفالها من الأناشيد ما لا يدركون معناه ، ويعلمون أن آباءنا وأجدادنا كانوا يبدؤون في طفولتهم الغضّة بحفظ القرآن ، وكانوا خيراً منّا في تفكيرهم وتعبيرهم مراراً كثيرة . . وإن قال قائل من فلاسفة التربية

الحديثة : إن الفنون الأدبية ينبغي أن تكون حيّة واقعية ، آثر غير قليل من أصحابنا كتّاب هذه الفنون أن يجعلوها بالعاميّة أو يجعلوا الحوار فيها كذلك وذلك عندهم أضعف الإيمان ! ، وكذلك أصبح إعلاميُّونا ومعلمونا مغرمين بالعامية حتى إذا حمل أحدهم نفسه على ما تكره ، وحمّلها ما لا تطيق تكلّف الفصحى على استحياء تكلّفاً ، وجاء بها معجمة غير مُعرَبَة !

إن أعداء الإسلام هم الذين هوّنوا من شأن هذه اللغة ، وأرجعوا إليها كل ضعف في مستوى الثقافة والتحصيل العلمي ، ودعوا إلى العامية تارة وإلى اللاتينية أخرى ، ومعروف أن أول كتاب دعا إلى استعمال العامية كتبه قاضٍ إنجليزي في مصر عام ١٩٠٢ م اسمه (ولمور) سمّاه (لغة القاهرة) وضع فيه قواعد تلك اللهجة ، واقترح اتخاذها لغة للعلم والأدب جميعاً ، كما اقترح كتابتها بالأحرف اللاتينية ، ثم كأنما بصق القاضي الإنجليزي المذكور في فم إنجليزي آخر كان مهندساً للريّ في مصر هو (وليم ولكوكس) الذي قام ينعق بهجر العربية سنة ١٩٢٦ م ، ويترجم أجزاء من الإنجيل إلى ما سمّاه «اللغة المصرية» ، فيقوم على إثر ذلك الصليبي (سلامة موسى) فلا يستحيي أن ينوه بالكاتب والكتاب ، وأن يدعو بدوره في كتاب سمّاه (البلاغة العصرية واللغة العربية) إلى لغة أخرى غير الفصحى ، لغة جديدة ! تمتزج فيها الفصحى بالعامية ؛ ليكون عندنا - بزعمه - لغة واحدة للكتابة والكلام . . ومع الأيام يُقيِّضُ لهذه الفكرة الخبيثة من شياطين الإنس دعاةٌ آخرون مخلصون كفخري البارودي الذي تولّى في دمشق إصدار صحيفة أسبوعية باللهجة العامية وكسعيد عقل في لبنان ، وآخرون من خريجي الجامعة الأمريكية ببيروت ، التي كانت - وماتزال - معقلاً من معاقل الغزو الثقافي الذي اقتحم على المسلمين مجتمعاتهم وبيوتهم حتى لم ينج من عقابيله أحد ، ومَن من أبناء المسلمين - إلا

من رحم الله وقليل ما هم - عُوفي من أخطار الفن والرياضة ، وأخبار الأزياء (والموضة) وشرور (الفيديو والتلفزيون) ؟!

وأما بعد فما السبيل ؟ السبيل أن ترجع هذه الأمة إلى ربها ، وتسترجع شخصيتها وتستعيد سلطانها وهيبتها ، وتُعيد النظر - من ثمّ - في أوضاع لغتها ، مناهج وكتباً ومعلمين ومتعلمين ، عندئذ ، وعندما يؤدي الإعلام أمانته ، وعندما يُعدُّ اللحن في اللغة - كما عدَّه أسلافنا العظام - في جملة العيوب والذنوب ، وعندما يحرص كل مسلم أن يكون قوياً أميناً . . عندئذ تكون أمتنا قد عرفت الداء والدواء ، فمشت على طريق العافية . يروى أن عمر رضي الله عنه كتب إلى أبي موسى الأشعريّ : «إنّ كاتبك الذي كتب إليّ لَحَنَ لحناً فاضربه سوطاً» ، أو لسنا أحوج من الصحابة في عهد عمر إلى مثل تحرّيه رضي الله عنه ؟! ليس في ضرب الكُتّاب ولكن في اختيار المجيدين وأهل البيان والمتخصصين في مجالاتهم ليؤدوا أدوارهم المطلوبة حتى لا تخرج علينا دعاوى إنهزامية من ذلك القبيل .

---

(١) سورة آل عمران ، آية (٨٥) .

ملحوظات حول قضية «التأويل»

د. محمد يحيى

ظهرت في الأعوام الأخيرة في كتابات عدد من المثقفين العرب - ولا سيما في مصر - قضية فكرية ، يمكن تسميتها بقضية التأويل أو التفسير للنصوص . وينقسم الطرح المحيط بهذه القضية إلى شقين : أحدهما أدبي، والآخر فلسفي إلا أن الموضوع برمته قد نشأ نتيجة للتأثر بتيار فلسفي نقدي أوروبي عام هو تيار «الهرمنوطيقا» أو علم التفسير الذي يرجع إلى أوائل القرن التاسع عشر في صورته الحديثة ، والذي يوجد حضور له في العديد من الفلسفات الأوربية الكبرى كالهيجلية والماركسية والظواهرية والوجودية ، فضلاً عن مدارس النقد الأدبي الحديثة ، وقبل ذلك كله في علوم نقد وتحليل ما يسمى بالكتاب المقدس في الغرب ، والصورة الحديثة التي نشأ فيها علم التفسير في أوروبا ترتبط ارتباطاً وثيقاً بهذه النقطة الأخيرة في نقد الكتاب المقدس - عندهم - وتأويله وبالذات بعد أن أظهرت الدراسات العلمية واللغوية - في القرن الثامن عشر وقبله - الكم الكبير من العيوب والنقائص والتناقضات المتضمنة في الشكل الموجود لدى الكنائس من الأناجيل والتوراة ، وقد أدت هذه الدراسات إلى إسقاط مفاهيم صدق الكتاب المقدس وثباته وصحته ، كما فتحت الباب واسعاً أمام من يريد الإبقاء على قدر من الإيمان والمصداقية لهذا الكتاب لكي يؤول

ويفسر ويتكيء على المجاز في تعامله مع هذا النص ، كذلك أدت الدراسات العالمية واللغوية إلى إسقاط المفهوم المتوارث بأن الكتاب المقدس هو كلمة الرب ، وأن الطريق الوحيد للتعامل معه هو تفسيره بالأسلوب اللغوي المعتّاد بالشرح والتبيين استخراجاً من معاني الألفاظ ، وظهر من خلال هذا كله منهج يرى في النص أو في الكتاب المقدس مجرد وضع بشري ، شأنه في ذلك شأن سائر التأليفات البشرية من أدب وقانون وسير وتواريخ ، حتى وإن زعم له بعضهم : أصلاً أو إلهاماً أو إسقاطاً إلهي المصدر .

إزاء هذا التحول الحاسم في النظرة إلى كتابهم المقدس بإسقاط قدسيته في واقع الأمر ، وإسقاط طابعه الإلهي المعتاد ، جاءت الدراسات الأولى أو المواضعات الأولى في علم «الهرمنويطيقا» لكي تحاول وضع أسس وصفت بالعلمية والموضوعية للتعامل مع «النصوص» - كل النصوص - تفسيراً وتأويلاً وفهماً وعلماً وعملاً ، وكانت هذه المحاولات في مطلع القرن التاسع عشر وقبله بقليل ، ثم طيلة ذلك القرن من جانب نفر من المفكرين والكتاب الألمان ، وهو الأمر الذي ألقى بظله في العهود اللاحقة ، بحيث يكتسب هذا الفرع الدراسي الطابع الألماني ، ويؤثر في المدارس الفلسفية والفكرية الألمانية ويتأثر بها ، وبقي هذا الطابع محفوظاً حتى فيما بعد عندما انتقل هذا الباب من البحث إلى سائر البلدان الأوروبية وأمريكا ، وبغض النظر عن أشخاص المفكرين والفلاسفة المؤسسين لهذا العلم ، والإسهام المميز الذي كان لكل منهم في تحديد معالمه فإننا نلحظ خطوطاً عامة رئيسة تميز بها فرع «الهرمنويطيقا» .

هناك أولاً القول بضرورة البعد عن وضع القواعد الحاكمة لتفسير النصوص ، واللجوء بدلاً من ذلك إلى البحث في «الموقف التأويلي» وتناول

هذا الموقف من جوانبه المختلفة كما يقع ،دون محاولة وضع القواعد والأحكام التي ينبغي على المفسرين الامتثال لها ، ثم هناك نزع طابع القدسية أو حتى الخصوصية المميزة عن أنواع من النصوص ، والنظر إلى أي مكتوب على أنه نص ، له في موقف التأويل الوضع نفسه الذي للنصوص الأخرى فيما يجري عليه من عمليات الفهم والشرح والتفسير ، وهناك من المعالم المهمة مفهوم «تاريخية النصوص » و«تاريخية التفسير» الذي يرى أن النصوص ومفسريها والمواقف التأويلية التي تندرج فيها تخضع كلها لمقتضيات التاريخ وحتمياته وتغيراته وعملياته ويرتبط بذلك سيادة مفهوم «النسبية» في النظرة إلى النصوص ومضامينها . وهناك كذلك من ملامح هذا الباب الدراسي المهمة توسيع دلالات «التأويل» و«التفسير» و «الفهم» - التي هي مصطلحات لعمليات ذهنية وبحثية - ؛ بحيث تشمل ظواهر وعلوماً حياتية كثيرة ،ولا تقتصر فقط على التعامل اللفظي الإدراكي مع النص المكتوب ، ووفق هذه الرؤية أصبح التأويل عند بعضهم من متأخري المؤسسين للنظرية (لا بأس من ذكر أسماء ديلثي وهيدجر وكلاهما مفكر وفيلسوف ألماني) أصبح يعني العملية الحياتية الجوهرية التي لا غنى لإنسان عنها في شتى مراحل حياته : من إدراك حسي ، إلى إدراك فكري ومعنوي ، إلى النظر في الكون والمجتمع ، إلى التعامل مع الآخرين وإلى تكوين المباحث الفكرية فيما يعرف بالعلوم الإنسانية من تاريخ وفلسفة وأدب وفن وقانون ودين . . . . الخ وبجانب هذه الملامح الكبرى للعلم ، نجد أفكاراً ومفاهيم فرعية تصبغه هي الأخرى وتحدد شكله : كالقول بانفتاح النصوص، وتعدد معانيها بتعدد قارئيها ،وتعدد السياقات التي تقع فيها والقول بجوهرية دور القارىء في عملية الفهم والتفسير وإنتاج المعنى .

وإذا كانت هذه هي ملامح البحث «الهرمنويطيقي» الرئيسة ، إلا أن هذا الباب الدراسي لم يخلُ عند انتشاره في دول كأمريكا وإنجلترا من أصوات تعارض النزعة النسبية الطاغية التي غلبت عليه في طروحاته الألمانية ، لكن هذه الأصوات (وأبرزها الباحث الأمريكي هيرشي) لم تتمكن من مقاومة النزعات النسبية والتاريخية لمفهوم التأويل ؛ لأن هذه النزعات ارتبطت بجوهر العلم في كتابات مؤسسيه من الفلاسفة الألمان ، وهو الأمر الذي كان له أبلغ الأثر عند نقل بعض مباحث هذا الدرس إلى السياق الثقافي العربي كما سنرى ، وأيا كان الحال فإن محاور «الهرمنويطيقا» الأساسية في العقود الثلاثة الماضية تمثلت في ثلاثة محاور كبار :

- فعلى المستوى الديني بدأت من ألمانيا ، وانتشرت إلى إنجلترا وأمريكا داخل الأوساط الكنسية البروتستانتية حركةٌ واسعة من إعادة النظر في الأناجيل وفي المفاهيم الدينية النصرانية المستمدة منها ، وارتبطت هذه الحركة بأسماء قساوسة كبار ، بل وأساقفة رؤساء في هذه الكنائس ، برز منهم الألمان : «بولتمان» و«بونهوفر» و«كون» وغيرهم ، وأفرزت هذه الحركة مفاهيم وأفكاراً تتردد الآن في وسائل الإعلام الغربية بعد أن أخذت طريقها إلى ساحة الظهور الشعبي ، وقد كانت قبل ذلك محصورة في نطاق البحث الأكاديمي ، وهي أفكار تقول بإنكار المعجزات الكونية ، والخوارق المذكورة في الأناجيل ، وعلى رأسها مولد المسيح من عذراء أو ألوهيته! كما تدعو إلى التأويل المجازي للأناجيل وإسقاط الاتباع الحرفي لها ، وتذهب إلى تجاوز ما احتوته التوراة أو الأناجيل من أحكام شرعية ، وتنادي بتفسيرات مختلفة جذرياً لجوانب عدة من هذه الكتب .

- أما المحور الثاني الذي ظهر عليه علم «الهرمنويطيقا» فكان عالَم الدرس الأدبي والفكر النقدي ، حيث ظهرت مدارس أدبية ذائعة الصيت ؛ نتيجة لاستعارة بعض مفاهيم هذا العلم وأسسه وتطبيقها على النصوص والمباحث الأدبية وهكذا ظهرت مدارس جماليات التأثير الأدبي ، ونظرية استقبال النصوص الأدبية (في أوروبا) ، ومدرسة نقد وتمحيص استجابة القراء للنصوص (في أمريكا) ، وكلها تعنى بنقل ثقل تركيز النقاد من النص الأدبي كوعاء جامد للمعنى إلى كيفية «إنتاج المعنى» في عمليات القراءة والمؤثرات الشخصية والنفسية والاجتماعية والتراثية التي تفعل فعلها في ذلك ، وظهرت مدارس البحث في تعدد مستويات النصوص الأدبية وثراء معانيها ، نتيجة لعمليات التفسير المختلفة وتفاعلها مع عمليات اللغة الطبيعية .

أما المحور الثالث الذي دار حوله «علم الهرمويطيقا» فكان المحور الفلسفي حيث تحول هذا العلم أو مفاهيمه إلى المفاتيح الرئيسة لبعض الفلسفات والفلاسفة المعاصرين كالظواهرية والهيدجرية ، وأقرب من ذلك لدى الفلاسفة الأمريكان الجدد وأبرزهم ريتشارد رورتي وغيره .

هذه نبذة بسيطة عن النشأة الحديثة وعن الملامح الكبرى لدرس علم التأويل والتفسير في الغرب ، وفي سياقه الحضاري الحاضر ، ومشاكله المتميزة وأبرزها - إن لم يكن أوحدها - المشكلة مع النص الديني المتمثل في الأناجيل الموجودة بين أيديهم ، والتي ثبت لهم أنها ليست كلمات الرب ولا المسيح ، بل هي سير ، كتبها بعض المؤمنين بعيسى بعد عهده بسنوات طويلة ، وكان تطرق الشك إلى هذه «الكتب المقدسة» مما يمس مصداقيتها وصحتها شكلاً وتواتراً ومضموناً هو المحك الأول الذي ساهم في النشأة الحديثة «للهرمنوطيقا» وفي

الطابع النقدي الذي اصطبغت به ، وفي الملامح الرئيسة لها كما استعرضناها فيما سلف ، ولهذه النقطة بالذات أهمية محورية عند التعرض لنقل بعض جوانب هذا الدرس إلى المناقشات الثقافية العربية الجارية .

إن للتفاعل العربي الثقافي مع الغرب في «العصر الحديث» -كما يسمى- تاريخ طويل ومعقد ليس هنا مجال تناوله ، ويشمل هذا التاريخ في جوهره «استيراد» المدارس والأفكار الفلسفية الرئيسة في الغرب ؛ لتمثل في أشكال مبسطة أو محرفة العمود الفقري لطروحات النخب المثقفة العربية المتغربة والمعلمنة على مدى قرن أو يزيد ، وعملية «الاستيراد» والتجهيز للاستهلاك والطرح في الأسواق الفكرية تحتاج هي الأخرى إلى تحليل ووصف ليس هنا مجالهما ، لقد جرى استجلاب الأفكار الأساسية للفلسفات الغربية تباعاً على مدى النصف الثاني من القرن التاسع عشر والقرن العشرين وفق احتياجات واضحة : هي علمنة وتغريب الطبقات المتعلمة والقائدة ثقافياً في البلاد العربية ولذلك كان التركيز في النقل أو الاستيراد (أو الغزو الفكري) على المذاهب الفكرية صاحبة المقولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، كما تركّز النقل على الجوانب الفعلية والحركية والعملية منها دون الجوانب «التقنية» ، أي الجوانب المنطقية والنظرية المجردة ؛ وهكذا شهدنا نقل الليبرالية في نواحيها السياسية والاجتماعية ، والماركسية في شقها التطبيقي الشيوعي والاشتراكي والبراجماتية الأمريكية ، والوجودية في جوانبها السلوكية والفنية تماماً ، كما شهدنا عمليات نقل الأنظمة القانونية والإدارية والسياسية والاقتصادية والأدبية والسلوكية . . . الخ ؛ وكان من شأن هذا العامل الحاكم لنقل المذاهب الفكرية الغربية بغية استعمالها في المقام الأول كأدوات لبث ودفع العلمنة والتغريب إلى المجتمعات العربية المسلمة ، وليس كأدوات تفاعل وتنشيط فكري أن يؤخر نقل

واستيراد فلسفات معينة اتسمت بغلبة الطابع التقني على مظاهرها وأبرزها فلسفة التأويل ، وكان منها بالمناسبة الفلسفة الوضعية المنطقية التي نقلت على يد زكي نجيب محمود ، ولكن مع تطويع لجوانبها التقنية بحيث يصبح لها طابع فكري اجتماعي ديني أدبي ، يستخدم هو الآخر في عمليات العلمنة والتغريب .

كان الطابع «الفلسفي» التقني الغالب على علم أو درس «الهرمنويطيقا» هو العامل المحدد وراء تأخر نقل جوانب من هذا العلم واستخدامها في سياق عملية العلمنة والتغريب من جانب النخب الثقافية العربية المتصلة بالغرب اتصال حياة وبقاء ، أضف إلى ذلك صعوبة هذا العلم وتركز مصادره الأساسية في الثقافة الألمانية قبل اتصال النخبة بها ، وإن كان لهذا العلم وضع قوي لاحق داخل الثقافة الفرنسية ، مما أدى - مثلاً - إلى ظهور بعض مؤثراته على نخب شمال أفريقيا ، كذلك تأخر النقل والاستيراد - في تقديري - لأن الفلسفات الأخرى الطاغية في تفكير النخب المثقفة - كالليبرالية والشيوعية وبعض أشكال القومية - كانت تؤدي دورها في العلمنة والتغريب على أكمل وجه ، ولا يجب أن ننسى أن التخلف الذي يميز هذه النخب إزاء الثقافة الغربية التي يعتبرونها القدوة مسؤول هو الآخر عن تأخر نقل «الهرمنوطيقا» ، ذلك العلم الصعب المرتبط بالسياقات الفكرية والتاريخية والحضارية للعالم الغربي ، غير أن عوامل متعددة تضافرت ؛ لتعوض هذا التأخر في النقل ، ولتساعد على الإقبال - من جانب بعض عناصر النخبة المثقفة العربية - على «الهرمنويطيقا» ومفاهيمها . إن الفلسفات الرئيسة التي جُلبت من الغرب على مدى القرن الماضي وقد فشلت في الأداء العلماني التغريبي ، بعد أن تعرضت لعمليات نقد وتفنيد واسعة ليس فقط في البلدان الإسلامية ولكن في مواطنها الأصلية ، وفي بيئتها الفكرية ذاتها وقد تحولت بعض هذه الفلسفات ولاسيما الليبرالية والبراجماتية إلى مجرد

مذاهب سياسية اجتماعية لا تسندها حجج فلسفية عميقة ؛ لكي تضفي عليها مصداقية ومكانة ، أما الماركسية فقد أصابها هي الأخرى ذلك التحول فضلاً عن سقوطها المدوي المعروف في المجال العملي والنظري على حد سواء ، ولم يتبقَ منها إلا شذرات من مفاهيم فلسفية متفرقة ، سرعان ما أعيد اندماجها في المسار العام للفكر الغربي ذي الطابع العلماني ، ولم تعد هذه الفلسفات ترضي النزعات التعمقية لدى قطاعات من النخبة المثقفة التي كانت تتطلع إلى الفكر الغربي دوماً باعتباره يمثل قمة العمق والتبحر في النظر إلى الكون والأشياء.

في هذا المناخ جاء نقل «الهرمنويطيقا» - أو بالأصح بعض مفاهيمها - من جانب قطاعات من النخبة - قليلة العدد - صاحبة التأثر بالفكر الفلسفي الألماني والفرنسي الحديث ، وجاء هذا العلم ليقدم نفسه حلاً مثالياً للمشاكل التي ألمحنا إليها في الفقرة السابقة لدى الفلسفات الغربية الأخرى التي تبنتها النخبة ، فهو بحث فلسفي يحتفظ بمستوى من العمق ، وفي الوقت نفسه من الاتساع والانفتاح على شتى مناحي الثقافة غاب عن الفلسفات الأخرى ، وهو قبل كل شيء بحث فلسفي يدور حول محور - المحور الديني - هو محط تركيز عملية العلمنة والتغريب التي أوكلت إلى النخبة المثقفة ، وبجانب ذلك فهو بحث فلسفي يخلو - إلى حد كبير - من وصمة النقل والتقليد و«الاستيراد» التي شابت المدارس الفلسفية الأخرى ، وسهلت كثيراً من عمليات نقدها ودحضها ذلك لأن لفلسفة التأويل دوراً بارزاً وأصيلاً فيما تسميه النخبة بالتراث : فهناك تفسير القرآن بمدارسه ، وتأويل ألفاظه معانيه وشرحها ، وهناك مقولات تأويلية مشهورة اختلفت حولها مدارس علم الكلام ، بل ونشأت أساساً بسببها وهناك تعبيرات معروفة في ذلك التراث تفيض بالمغزى التأويلي كعبارة «القرآن حمال أوجه» ، وباختصار فهذا علم له نظير كبير في الوضعية الإسلامية

الفكرية والثقافية ، ولا يتطلب الأمر التحايل لإثبات أن له أصلاً في الإسلام على الساحة العربية ، وإضفاء «العالمية» عليه.

وفي الحقيقة فإن وجود علم إسلامي عربي للتأويل والتفسير بقواعده وممارساته ، كان أمراً جذاباً لنقلة «الهرمنويطيقا» يجنبهم من ناحية التعرض لمقولة الغزو الفكري ، كما يضفي عليهم من ناحية أخرى طابع الباحثين المجددين في الوضعية الإسلامية ، الذين لا يسعون إلى إغراق هذه الوضعية بأفكار غريبة عنها ، بل يحاولون إحياء علومها الأصلية مستعينين في ذلك بالتطورات والأفكار «العالمية» حول ذلك العلم ، ولكن وراء هذا التشابه الظاهري أو السطحي كان يكمن الفارق الجوهري بل والخطير بين علم للتفسير نشأ في خطى الإيمان والاقتناع العقلي بكتاب مقدس (القرآن) ، وبين علم آخر - الهرمنويطيقا الحديثة - نشأ في خضم التشكك والنقد والإلحاد العقلي بكتب أخرى يقال لها مقدسة ؛ هذا الفارق الجوهري في الموقف من «الكتاب المقدس» وعقيدة كل حضارة على حدة ، هو الذي يجعل من المغالطة والسفسطة القول بأن «الهرمنويطيقا» هي الامتداد المشروع والطبيعي لعلوم التفسير الإسلامية لاسيما وأن أصحاب هذا العلم الجديد ودعاته هم المبشرون المتحمسون لمقولة أن لكل علم إنساني أو حتى طبيعي أرضية أيديولوجية وعقيدة فكرية «غير علمية» تحدد محتواه بل ومنهاجه أيضاً ومنطقه.

وإذا كان نقل علم «الهرمنويطيقا» قد بدأ على استحياء وقلة في مجال دراسات النقد الأدبي ؛ لأن أحد محاوره الرئيسة في الغرب يمر كما أسلفنا عبر هذا المجال ويدلي فيه بدلوه ، وإذا كان نقل هذا العلم لم يحدث إلى درجة تذكر في مجال المحور الفلسفي في الطرح الغربي بسبب صعوبة هذا الميدان ودقة المدارس الفلسفية التي تبنته ومحدوديتها ، فإن النقل على المحور الديني هو الذي

ظهر بشدة على مدى السنوات الأخيرة ؛ ليفتح فصلاً جديداً في سجل محاولات النخبة العلمانية المثقفة مواجهة الإسلام ومنهجه ، ولعل في هذا التركيز على المحور الديني لعلم «الهرمنويطيقا» في مقابل المحورين الأدبي والفلسفي ما يشير بوضوح إلى أن النخبة قد مارست مع هذا العلم ما مارسته من قبل مع شتى النقول الفلسفية والفكرية من أوروبا ، أي التركيز على العناصر والجوانب التي يمكن أن تستخدم في تعمق عملية التغريب والعلمنة ، ومواجهة الفكر الإسلامي ، كل ما في الأمر أن المذاهب الفلسفية -وآخرها الماركسية - قد فشلت في مواصلة هذه العملية ، وحان دور مذهب آخر ؛ ليؤدي المهمة نفسها بكفاءة ، فكان هذا المرشح الجديد هو «الهرمنويطيقا» لجدته وأهميته وبروزه في التفكير الفلسفي الغربي المعاصر ، ولوجود نظير له في التراث الإسلامي يُمكِّن من استغلال التشابه بينهما وأحياناً وحدة القضايا المطروحة كأحد أدوات التضليل والإرباك والتعمية .

هكذا إذن دخل درس التأويل والتفسير ساحة الخطاب الفكري للنخبة المثقفة المعلمنة في عالمنا العربي في الآونة الأخيرة ؛ ليؤدي مهام ثقافية محددة في المواجهة مع الفكر الإسلامي الصاعد ، وليتعامل معه بشكل يتصور أنه أفضل من تعامل المذاهب الفلسفية الأوروبية السابقة ، وتمثل مفاهيم هذا العلم الآن الخلفية العمود الفقري الفلسفي للعديد من طروحات النخبة في مواجهة الفكر الإسلامي وأفكار الحركات الإسلامية ، فهذه المفاهيم تقف بشكل مباشر أو غير مباشر لتسند طروحات مثل : إعادة تقويم : «التراث» ومراجعته وقراءته و«تطوير» الشريعة الإسلامية ،وتفسير القرآن بما «يتلاءم مع عصرنا» وتعددية التفاسير والمعاني القرآنية ، و«بشرية النص القرآني» ، وتاريخية القرآن ومحدودية انطباقيته ، وتجاوز «حرفية» النص القرآني إلى «اتجاهه» في التشريع بل وفي العقيدة ، ونسبية التراث

ومفاهيمه (مع ملاحظة أن الإسلام بعقيدته وشريعته ونصوصه يندرج عند النخبة تحت مفهوم التراث) . . الخ . إن الأفكار الكلية والجزئية - على كافة المستويات - التي تطرحها بعض أصوات النخبة المعلمنة المتغربة الآن في دائرة ما يسمونه التراث بدءاً من حديثهم عن «مفهوم النص القرآني» وانتهاءاً بالحديث حول انتقاء العناصر «الإيجابية والتقدمية» من التراث ونبذ الباقي ، واتخاذ موقف نقدي من الكل ، إنما تنبع كلها من أرضية مفاهيم علم «الهرمنويطيقا» كما بدأ نقلها في الأعوام الأخيرة من بعض فلاسفة أوروبا .

وحتى هذا الحد فإن الوضع من الناحية الثقافية يبدو وكأنه لم يتغير عما كان يحدث من قبل من جانب النخبة العلمانية ، فنحن نجد أنفسنا أمام استعارة مذهب فلسفي غربي مع تحويره بحيث يصلح أداة لمواجهة الإسلام من ناحية وتعميق عمليات التغريب والعلمنة من ناحية أخرى ، ولكن هناك فوارق جوهرية كما ألمحنا من قبل ، فنحن لا نواجه هنا مذهباً فلسفياً أيديولوجياً تقليدياً وإنما نواجه بمنهج في البحث والتفكير يزعم لنفسه أنه تجاوز الأنماط الأيديولوجية والطروحات السياسية والاجتماعية ليصبح منهج العلوم كلها الإنسانية وغير الإنسانية ، بل ويزعم لنفسه أنه قد أصبح الأب المهيمن على المناهج البحثية ونحن لسنا أمام مجموعة من النصوص الفكرية والفلسفية كما كانت الحال من قبل ، بل أمام مجموعة من الأفكار (النصوص !) تزعم لنفسها أو يُزعمُ لها أنها أصبحت تهيمن على كل النصوص على الإطلاق من حيث إنها هي التي تحدد كيف يجري التعامل مع هذه النصوص ، وكيف يتم تفسيرها وتأويلها واستخراج معانيها والحكم عليها ، وفوق ذلك فنحن أمام تيار يزعم أن له في التيار المناظر في الوضعية الإسلامية قريناً مكافئاً ، وأنه لا يحارب هذا القرين ، بل يجدده ويطوره وينميه ، ويفك من جموده وسقمه المدعى .

وقد يكون من الملائم في ختام هذه الملحوظات ، التي رسمنا فيها خلفية ما يتردد الآن من أفكار حول التأويل وتوظيفه في فهم التراث والقرآن وتفسيرهما ، أن نشير في خطوط عامة إلى محاور للرد عليها .

منها : إن الذين يتحدثون الآن عن «النصوص» وتفسيرها وتأويلها يقلدون الغربيين الذين ينقلون عنهم في الخلط بين كل أنواع النصوص وعدم التفريق بينها لا من حيث الشكل ولا المضمون ولا الهدف ولا معاملة المجتمع ونظرته لكل منها - عندهم - ، فإذا كان التقديس في أوروبا قد سقط عن «الكتب المقدسة» التي ثبت أنها حُرِّفت ، فإنهم هنا يحذون هذا الحذو ويسقطون القداسة - أو بالأصح - ينفون الأصل الإلهي عن القرآن ، وإذا كان أساتذتهم في أوروبا يعاملون كل مكتوب على أنه نص يستوي في ذلك الديني والقانوني والأدبي ، فإنهم هنا يتبعون النهج نفسه ، وينتهجون الأسلوب نفسه في التعامل مع عالم النصوص باعتبارها - جميعاً - متساوية متشابهة ، دون تمييز بين نوعيات وأهداف خاصة بهذه النصوص توجب لكل منها معاملة خاصة في التأويل والتفسير والمعاملة ، ولنضرب المثل على ذلك : فإذا جاز الحديث عن النص الأدبي بالقول باستقلاليته عن مراد كاتبه ، وبتعدد معانيه وتغيرها بتغير القراء والعصور والأغراض التي تقرأ لها ، ونسبية المعاني العامة المستخلصة منه . . . الخ ، فإن ذلك يجوز لطبيعة النص الأدبي الخاصة - أو بالأصح - لتحديد المجتمع الأدبي لهذه الطبيعة الأدبية والغرض الأدبي ، أما في النص الديني (ونحن نسميه هكذا تجاوزاً لكي نتفق فقط مع مصطلحات هذا العلم) ، فإن أمثال هذه التعاملات لا تجوز ؛ لأن هذا النص يختلف عن النص الأدبي من حيث أن القدسية التي يضفيها عليه المؤمنون به تفترض معاملة خاصة لثبات المعاني النابع من كونها تشريعات أو منطوقات إلهية وليست بشرية ، بينما النص

الأدبي هو نص بشري الوضع ،ولا يقصد به الوحي ولا التشريع ، بل يلقى إلى القراء مقطوعاً عن كاتبه حسب نظرات بعض المدارس النقدية الأوربية الحديثة وليس كلها ، كذلك فإن الأنواع الأخرى من النصوص تتطلب معاملة مختلفة عند التأويل والتفسير ، ولا يكفي هنا أن نقول - كما يفعل بعض دعاة هذا الدرس - إن الكل نصوص مصنوعة من اللغة ، وإن اللغة لها «آليات تفسيرية» عامة شاملة ذلك لأن اللغة تستخدم في كل حالة أو نوع من النصوص لغرض مختلف يدخل هو أيضا في حساب آليات التفسير اللغوي هذه ، كما أن نفس الآليات التأويلية اللغوية تضمن ثبات المعنى وعلوه عن النسبيات التاريخية التي يكثر دعاة الفكرة هذه من الإلحاح عليها ؛ لهدف لا يخفى هو هز ثبات المعنى القرآني ، وإحالته إلى النسخ والتغير والضياع والتجاوز والسقوط .

والواقع أن بعض من يرددون أفكار مستقاة من «الهرمنويطيقا» في النخبة العربية المثقفة ، يذهبون في التركيز على النسبية والتاريخية وميوعة المعنى وتغيره مذهباً متطرفاً يجاوزون به بعيداً ما وضعه أساتذة العلم الغربيون من ضوابط علمية ، وحدود تقي الشطط المدمر بكل معنى وكل قيمة ، وما ذلك إلا لأنهم قد قصدوا شيئاً محدداً من وراء ترويج هذه الأفكار ، هو كما قلنا مواجهة الفكرة الإسلامية ، ولعلنا مادمنا نتحدث عن التأويل والتفسير نجد في مسلكهم هذا أو في غرضهم هذا ما يفسر ويشرح لنا سبب تبني الغرب وبعض الدوائر النافذة لأولئك النفر ،وتصعيدهم في منابر الثقافة الرسمية العلمانية ،وتحويلهم -زوراً- من خلال بعض القضايا المثارة إلى شهداء رأي وأبطال فكر . .

قيمة المرء ما يحسن

عامر إبراهيم

هكذا روي عن الخليفة الراشد علي - رضي الله عنه - ، وهكذا أثبتت التجارب ، ونطق التاريخ . . فكما أن العمل أصل في بقاء الفرد وأصل في قيام الأمة ، فكذلك الإحسان أصل في رقي الفرد ، ونهوض الأمة . . وبذلك يتلازم العمل والإحسان فيه .

ومن هنا يتحدد موقع الإنسان الذي يستحقه ، وبالتالي تتحدد قيمته تبعاً لذلك ، فالعمل قائم بشكل أو بآخر ، وهو وسيلة كل حيّ للبقاء والعيش والاستمتاع بهذه الحياة التي وهبها الله إياه ولكن الذي مايز بين الناس ، وباين بين مستوياتهم ومواقعهم الأصلية ، هو الإحسان الذي هو سبيل النجاح الذي حققوه .

ومن ثم كانت مواقع العظماء في الذروة من شعوبهم وأممهم لا لأنهم عملوا فحسب ، ولكن لأنهم أجادوا وأحسنوا . . وهناك في الذرى تحددت أماكنهم ، وفي الأفق الغائر تمكنت مواقعهم ، وكانوا أحق الناس بذلك .

وهنا يحق لي أن أتساءل : هل كان الإحسان والإتقان في العمل هماً

يلازمنا أثناء قيامنا بأي عمل ، وبخاصة إذا كنا نقدمه ابتغاء مرضاة الله تعالى وباسم الدين ، أم أننا مازلنا في مرحلة طلب العمل والحث عليه فحسب ؟!

إننا في حاجة ماسة إلى المطالبة بالإحسان ، والمحاسبة الجادة على الخطأ الذي يمس الأمة ، والحرص الشديد على تلمس مواطن الإحسان والإجادة وتجنب مواقع الإساءة والخلل ، وبذل الجهد في ذلك .

فكم من الأموال التي أنفقت ! ، وكم من الطاقات التي أهدرت؟ ، وكم من الجهود التي ضاعت ولا حسيب ، ولا رقيب ؟! ، وكل يدعي وصلاً بليلى ، وأنه هو المحسن وغيره المسيء .

ألم يكن فقدان الإحسان في جميع هذه الأعمال سبباً رئيساً في ذلك قصداً وعمداً حيناً ، وجهلاً وغباءً حيناً آخر ؟!!

ولا يلغي هذا جوانب الإحسان المشرقة في كثير من الأعمال وبخاصة التي تقدم في سبيل الإصلاح والدعوة : فهي - ولله الحمد - ظاهرة ، ولا يحق لأحد أن ينكرها ، ولكن تبقى المرحلة أقل مما يطمح إليه العمل الإسلامي على المستويين الفردي والجماعي .

وللإحسان عوامل ومقومات ، تخضع للتجربة والاستقراء والاجتهاد وبالتالي يصعب حصرها واستقصاؤها في منظومة واحدة ، فالحياة وتجاربها مدرسة واسعة ، لكل طالب للحق مريد للنجاح والتفوق .

وسأذكر بعضاً منها ، لعلها تساهم بشكل أو بآخر في السعي الجاد إلى طلب الإحسان والإتقان في جميع أعمالنا الصغير منها والكبير .

١ - الإخلاص لله وحده :

والإخلاص مَرْكَبٌ يصعب العبور بدونه ، ومَطِيّةٌ يصعب التخلي عنها وبذلك كان الإخلاص ركن أساس في صحة العمل وقبوله .

ومتى ما انصرف إلى مصلحة عابرة ، أو غرض مؤقت فقد العمل قيمته وتلاشى الإحسان فيه .

ولو تأملنا الإخلاص وأثره لوجدناه يفعل فعل المعجزات التي يصعب على العقل تصورها ، وإخلاص السلف وآثاره ، أبرز الشواهد وأصدقها على ذلك .

وكذا في عصرنا الحاضر ، فلو تأملنا السبب في تحقيق جوانب من النجاح المادي عند شعوب الغرب ، لوجدنا أن الإخلاص الشديد لدنياهم كان له أبرز الأثر في وصولهم إلى ما وصلوا إليه .

٢ - التنظيم الدقيق . والتخطيط السليم :

وهذا عامل مهم جداً ، وسبب فعّال في مسيرة النجاح والإحسان والتفوق ، فبقدر ما يكون التنظيم دقيقاً ، والتخطيط سليماً ، بقدر ما يحقق النجاح والإحسان ؛ ولذلك كان من جوانب الاختلاف والتمايز بين مواقع الدول في عصرنا الحديث ، ما هو عائد إلى الاختلاف والتمايز في مستوى الدقة في التنظيم ، والسلامة والدقة في التخطيط . . وللتنظيم والتخطيط عوامل ومقومات يطول المقام بذكرها ، يمكن أن تندرج تحت ما سنذكره من عوامل ومقومات أخرى .

٣ - الاستفادة من تجارب الآخرين :

وهذه صفة تكاد تكون معدومة عندنا - نحن المسلمين - ، فالتاريخ مليء جداً، وزاخر بكَمٍّ هائل من التجارب والأحداث لمختلف الأمم والشعوب ، مما يساهم مساهمة فعالة ومؤثرة في مستويات إحساننا في أعمالنا ، إذا نحن تعاملنا معها التعامل الصحيح ، وكذلك تجارب الشعوب والمجتمعات التي تعيش معنا في هذه الحقبة من الزمن ، يمكن الاستفادة منها استفادة بالغة ، لو نحن أردنا ذلك .

٤ - الشمولية في النظرة :

وهذا يتعلق بجانب التخطيط السليم ، لكن لأهميته أُفرد ، وخاصة في الأعمال الجماعية ، فلابد قبل القيام بأي عمل يمثل الأمة عموماً ، أو يمثل العمل الإسلامي خصوصاً ، من أن تسبقه رؤية شاملة ودقيقة - في الوقت نفسه - لطبيعة العمل الذي يُنوَى القيام به ، ومواطن القوة والضعف فيه ، ومناسبته للوقت الذي يقوم فيه ، ومدى حاجة الأمة إليه في المرحلة الراهنة ، والثمرات والنتائج المتوقعة له ، والإخفاقات التي يمكن أن تحدث له ، والعوائق والعقبات التي تعترضه . . وحينئذ نكون اجتهدنا وبذلنا ما في وسعنا من أجل نجاحه «فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد» .

٥ - وضع الاحتياطات الكافية :

وذلك حتى لا نفاجأ بنتائج ، وسلبيات لم نكن نتوقعها أو نحسب حسابها ، هذا من جهة ومن جهة أخرى ، حتى نعد العدة اللازمة لمواجهة أي طارىء يمكن أن يحدث أو عقبة يمكن أن تعترض ، وبالتالي يمكن للعمل أن يحافظ على قيمته ، وعلى مستواه في الحد الأدنى على الأقل .

٦- التأني في العمل :

التأني وعدم استعجال النتائج ، وقطف الثمرة قبل أن يتم نضجها والإخفاق في هذا العامل ساهم كثيراً في النتائج الوخيمة ، والسلبيات العديدة التي حدثت ومازال تحدث في مسيرة العمل الإسلامي ، وهو بالمقابل سمة واضحة لسياسة الأعداء وخططهم ، وكما قال الإنجليز «بطيء لكن أكيد المفعول» .

هذه بعض الملامح الموجزة لعوامل النجاح والإحسان ، أحببت الإشارة لأهميتها وإن كان هناك غيرها ، وهو لا يقل عنها أهمية ، إلا أن التركيز على هذه العوامل ، قد يكون كفيلاً للوصول إلى الإحسان الذي نريده ، والذي يريده ربنا ، ليرتقي بنا ذلك إلى ما يحبه الله منا ، كما أخبر بذلك نبيه ﷺ : «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . .

قارون العصر

محمد أحمد عسيري

تأتي قصة قارون في القرآن الكريم موضحة إحدى صور الطغيان والعنجهية البشرية ، وراسمة سبباً من أسباب تفاقم (الأنا) أو حب الذات ومراحل تطورها حتى أدت إلى التعاظم على القدرة الإلَهية المانحة والسالبة ، في لوحة عنوانها «جنون العظمة» .

تلك اللوحة القديمة في واقعها ، والمتجددة في تعدد أشكالها وأنماطها نجدها تتكرر اليوم في مشابهة ضمنية لسابقتها ، ولإن كان تضخم المال طغى على بصيرة قارون موسى ، حتى جعله لا يرى فيه إلا عبقرية متناهية وجدارة مستعلية ، فإن هذا العصر يزخر بصورة أشد استعلاءاً وطغياناً ، إذ إن هذا القارون الورقي أوتي من القوة الإقتصادية ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة ، فأصبح عند أناس السيد المتعالي ، والقوي القاهر ، والعظيم المشرأبةُ إليه الأعناق ، والكبير المشار إليه بالبنان . . فأصبح لسان حال هؤلاء يقول : يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون ، إنه لذو حظ عظيم ، فكانوا أشباهاً صغيرة تتقمص شخصيته لتزدلف إليه بهذا التقمص ، عسى أن يمنحها شيئاً من استعلائه ، ولكن أنّى لهم أن يصلوا إلى صدارة كبيرهم الذي علمهم السحر ؟! .

فيا ترى ما قصة هذا القارون العصري ؟! .

أستطيع أن أقول إن فوح طغيانه يتقزز من استنشاقه كل فرد ، ورياح زفراته تكاد تقتلعَ من على الأرض . . كان طفلاً ربيباً فنما ، حتى أضحى شاباً يافعاً ندي المنظر تتفتق عن سواعده متانة العضلات وصلابة العظام ، وكانت تنمو معه عقدة (الأنا) حتى أمست ذروة جبل ، فلبس تاج الاستبداد ، ومد له بساط الطاعة والاحترام ، فصارت الدنيا في نظره سادةً وعبيداً ، وآمراً ومطيعاً فتجده رأساً من رؤوس الاستعمار ، ورمزاً من رموز العبث والخراب ، حتى غدت آثاره بارزة للعيان تحدث بها أوضاع العباد ، وتشكو منها البوادي والآكام، فلا أدل على آثاره من فرض الحصار ، وزعزعة الاستقرار ، وتخطيط الحدود ، ورؤى الحلول ، وحرق الفلول ، واقتحام الدور ، واستلاب الحقوق . . كل ذلك يتم على مسرح الدنيا خلف أستار من دعاوى الحقوق زاهية الألوان، وتحت رؤى أنظار يلفتها هذا البهاء عن حقيقة الادعاء .

إن هذا القارون يمثل الروح الباعثة لكل هذا الطغيان في جسد تلك المرأة الشوهاء ، التي استفهم عنها الشاعر في قوله :

«من هذه المرأة الشوهاء ، أحسبها ... وقد تراءت أمامي ، شر مخلوق؟
بدت أمامي بسمت لا نظير لـــه ... الوجه مستحدث والعقل إغريقي
أجابني ساخراً مني : أتجهلها ؟! ... هذه العظيمة ذات الخيل والنوق»؟!

بريد القراء

مازلت مشاعر القراء تغمرنا اقتراحات وتوجيهات ومشاركات ومآخذ وتصويبات ، ونحن نشكر للجميع حسن ظنهم وجميل تواصلهم ، ويسرنا الإجابة على بعض الاستفسارات الواردة على النحو التالي :

١ - الأخ/ سليمان بن عبدالرحمن العبيد ، أرسلت لك رسالة خاصة حول مشاركاتك .

٢ - الأخ/ محمد علي ناصر البر ، يقترح وضع زاوية بعنوان (شريط المجلة) يختار فيه مقطوعات من عدد من الأشرطة في موضوع مهم ثم نشرها وكذلك التعريف ببعض الكتب المتميزة باختصار ليكون في العدد تعريف بأربعة كتب على أن يتم تجميع ما ينشر في موسوعة (التعريف بالكتب) .

ونحن ننقل بين وقت وآخر بعض المحاضرات المسموعة والمتميزة ، أما التعريف بالكتب فنحن نعرف ببعض الكتب بقراءة شاملة بين وقت وآخر ، وأما التعريف السريع فلعله يكون ضمن زوايا جديدة قادمة - إن شاء الله - وجزاكم الله خيراً .

٣ - الأخ/ حمد النويصر ، نشكر لك تواصلك مع المجلة من خلال قصيدتك (سور آخر) ، ونعتذر عن نشرها ، فالصور فيها غير واضحة ومضطربة خاصة في المقطعين الأولين ، كما أن التفعيلة التي جرت عليها الأبيات قد اختلت في بعض السطور ، نرجو أن نسعد بمشاركاتك القادمة لترى النور - إن شاء الله - .

٤ - الأخ/ عبدالله الضبيعان ، نأمل إرسال عنوانك البريدي كاملاً للمفاهمة حول مقالك المرسل لنا .

- ولدينا الكثير من الرسائل وبخاصة المشاركات ماتزال تحت الدراسة ، وسيفاد كل كاتب في حينه حيال مشاركته في أقرب فرصة .

رسالة

جمال سلطان

وأخيراً استُقبلَ سلمان رشدي استقبال الفاتحين المغاوير في البيت الأبيض الأمريكي ، وأنعم عليه رئيس أكبر دولة في العالم اليوم ، بشرف المقابلة التي تنم عن اعتزاز وتقدير وامتنان لجهوده المتميزة في خدمة الإنسانية ! ، وكان هذا الحدث هو ذروة مسلسل التكريم والتبجيل الذي تلقاه شاتم الرسول ومُحَقِّر أقداس الإسلام ، في مختلف الدول الغربية ، وفي مقدمتها بريطانيا وألمانيا وفرنسا ، حيث شرفته وكرمته وقابلته قياداتها السياسية العليا ، وقد صرح الرئيس الأمريكي عقب المقابلة بأنه أراد أن يبلغ العالم الإسلامي رسالة ، وهي أن أمريكا تحترم حقوق الإنسان وفي مقدمتها حقه في حرية التعبير ، وهي فروسية أمريكية لم تظهر إلا ضد الإسلام ، ومع حرية من ينتهك شرف المسلمين وكرامتهم .

ومما يذكر - في هذا المقام - أن شعب البوسنة والهرسك ظل يذبح على مدى عامين في أبشع جرائم العصر ، وظل الرئيس البوسني يلح - على مدى العامين - على مقابلة الرئيس الأمريكي ، وظل البيت الأبيض يتفلت من الطلب متجاهلاً قصة حقوق الإنسان ومن أعظمها حقه في الحياة ، حتى ذهب رئيس وجاء رئيس ، وظل التجاهل ، حتى فاحت رائحة التآمر والتواطؤ ، فأنعم عليه الرئيس الأمريكي باثنتي عشرة دقيقة مقابلة ، أخبره فيها بلباقة أمريكية : آسف لا أستطيع أن أفعل لك شيئاً ! ومازالت الناس عاجزة عن فهم المعادلة : كيف يكون حق كاتب في السباب والقذف أهم من حق شعب بكامله في الحياة عند أوربا المتحضرة وأمريكا المستنيرة ؟!

أعتقد أن تلك الرسالة قد وصلت ، وسيظل العرْض الإسلامي مستباحاً ، عقيدة وإنساناً ، مادام وضع هذه الأمة في العالم لم يَجاوز - بعد - : عير الحي والوتد !

